دار الثقافة
إله العهد القديم
إله الدماء
القس عزت شاكر

إله العهد القديم

إله الدماء

بقلم

القس عزت شاكر

دار الثقافة

الطبعة الأولى

الكتـــاب : إله العهد القديم إله الدماء
المؤلـــف : عزت شاكر
صدر عـــن : دار الثقافة - ص. ب. ١٦٢ - ١١٨١١ - البانوراما - القاهرة
رقم الإيداع : ٨٠٠٤/ ٢٠١٢
الترقيم الدولي : 977 - 213 - 896 - 4
المطبعة : مطبعة سيوبرس ت: ٢٦٢٢١٤٢٥/٦
الإخراج الفني والجمع: دار الثقافة
تصميم الغلاف : آن مجدي

جميع حقوق الطبع أو إعادة النشر محفوظة لدار الثقافة

١١١٧/١٠ ط١/١ - ٢ / ٢٠١٢

شاكر، عزت.
إله العهد القديم إله الدماء/ بقلم عزت شاكر. – القاهرة: دار الثقافة، ٢٠١٢
٣٩١ ص؛ ٢٨ سم.
تدمك ٤ ٨٩٦ ٢١٣ ٩٧٧
١- الله (المسيحية)
أ. العنوان ٢٧٣,١

مقدمة الدار

هل يوجد إله للعهد القديم وإله آخر للعهد الجديد؟ هل إله العهد القديم إله عنف ودماء، وإله العهد الجديد إله سلام ومحبة؟ وإن كان الله هو المطلق والثابت فكيف يتغير من عصر لعصر؟

إنه سؤال قديم جديد لم يخل عصر من ترديد ذلك السؤال بل إن بعض اللاهوتيين تبنَّى الفكرة وبنى عليها رفض العهد القديم جملةً. ومما يزيد المشكلة التساؤل عن مصدر الشر والألم وما يعقدها أكثر ظهور فلسفات في القرون المسيحية الأولى تؤمن بالثنائية أي ثنائية الإله - إله للخير وإله للشر. هذا غير صعوبة استيعاب غير المسيحيين لفكر الكتاب المقدس.

هذا الكتاب يعالج هذه الأسئلة المحيرة وينطلق من منطلق دراسي عميق وسهل يقدم دعوة لإعادة اكتشاف إله السلام والخلاص والمحبة والنعمة منذ الأزل وإلى الأبد بلا تغيير ولا ظل دوران.

ويسر دار الثقافة أن تصدر هذا الكتاب بالتعاون مع Mennonite Central Committee «MCC» لجنة مينونيت المركزية، التي قدمت دعمًا لإنتاج هذا الكتاب، مصلين أن يكون هذا الكتاب سببًا في أن تنفتح عيون كل من يقرأه على حقيقة إلهَ الكتاب المقدس.

دار الثقافة

إهداء

إلى صديق العمر الغالي

د. القس/ مفيد قزمان

الذي رأيته متمثلاً بسيده في كل شيء، فرأيت فيه الوداعة والحكمة والبساطة والتواضع والحب والعطاء والقداسة، فترك فيّ أثرًا كبيرًا، ومنه تعلمت الكثير، وله مدين بالكثير.

عزت شاكر

المحتويات

مقدمة الدار ٣

المقدمة ٩

ترجمات الكتاب المقدس التي تم استخدامها ورموزها: ١١

(١) الإشكالية ١٣

(٢) هل هو إله يجهل صنائع عباده؟ ٢٥

(٣) هل هو إله يميِّز بين عبيده؟ ٣١

(٤) هل هو إله محدود؟ ٣٩

(٥) هل هو إله متردد؟ ٤٣

(٦) هل هو إله شره؟ ٤٩

(٧) هل هو إله يستجيب لطلب لعن طفل؟ ٥٣

(٨) هل هو إله ضعيف البصر؟ ٥٩

(٩) هل هو إله يغار من البشر؟ ٦٥

(١٠) هل هو إله يحتاج أن يأكل ويشرب؟ ٧١

(١١) هل هو إله يطلب ذبائح بشرية؟ ٧٥

(١٢) هل هو إله يشارك في جريمة سرقة؟ ٨١

(١٣) هل هو إله يصارع عبيده ويُهزَم؟ ٨٧

(١٤) هل هو إله مخادع؟ ١٠٣

(١٥) هل هو إله يعلِّم شعبه السلب والنهب؟ ١٠٧

(١٦) هل هو إله يُقَسِّي قلوب البشر ليُذلهم؟ ١١٣

(١٧) هل هو إله منتقم جبار؟ ١٢١

(١٨) هل هو إله غيور؟ ١٣١

(١٩) هل هو إله ظالم؟ ١٤١
(٢٠) هل هو إله جبار وقاسٍ؟ ١٤٩
(٢١) هل هو إله يطلب ذبائح بشرية؟ ١٥٩
(٢٢) هل هو إله يُذِل ويجرِّب عبيده؟ ١٦٧
(٢٣) هل هو إله يسر بأن نقدم أبناءنا ذبائح له؟ ١٧٧
(٢٤) هل هو إله لا يعرف الرحمة ولا الرأفة؟ ١٩١
(٢٥) كم عدد الذين قتلهم الرب من بَيتِ شَمسَ؟ ٢٠٣
(٢٦) هل هو إله سريع الندم؟ ٢١١
(٢٧) هل هو إله دموي؟ ٢١٩
(٢٨) هل هو إله يشجع شعبه على الكذب؟ ٢٣٣
(٢٩) هل هو إله يباغت عبيده بأرواح شريرة؟ ٢٣٩
(٣٠) هل هو إله يعجز عن حماية أرواح أنبيائه من السحرة؟ ٢٤٥
(٣١) هل هو إله عصبي سريع الغضب؟ ٢٥٥
(٣٢) هل هو إله يغوي البشر على فعل الشر؟ ٢٦٥
(٣٣) هل هو إله متناقض؟ ٢٧٥
(٣٤) كم عدد الشعب الذي أماته الرب؟ ٢٨١
(٣٥) هل هو إله عنيف؟ ٢٨٥
(٣٦) هل هو إله يستحيب لطلب اللعنة والانتقام؟ ٢٩٥
(٣٧) هل هو إله يستخدم روح كذب لتنفيذ مقاصده؟ ٣٠٥
(٣٨) هل هو إله يخلق الشر؟ ٣١٥
(٣٩) هل هو إله يأمر الإنسان فضلات الإنسان؟ ٣٢٣
(٤٠) هل هو إله يأمر بشق بطون الحوامل؟ ٣٢٩
(٤١) هل هو إله يصنع البلايا؟ ٣٣٥
(٤٢) هل هو إله يبغض بعض الناس؟ ٣٤١

(٤٣) هل إله العهد القديم عنصري؟ ٣٥٥
(٤٤) من هو إله العهد القديم؟ ٥٧١
المراجع: ٣٨٣
للمؤلف: .....

المقدمة

خلال السنوات الخمس الماضية انشغلت جدًا بالنصوص الصعبة في الكتاب المقدس، فكتبت كتابًا تحت عنوان «أصعب الآيات في الكتاب المقدس» تناولت فيه ٣٦ نصًا صعبًا من العهدين، القديم والجديد. ولاقى الكتاب إقبالًا غير عادي من القرّاء، لدرجة أن الطبعة الأولى نفذت خلال عدة أشهر، فشعرت بالاحتياج الشديد لتفسير الآيات والنصوص الصعبة، إلى جانب الرد على ما يوجهه البعض من هجوم شديد على الكتاب المقدس بل والإيمان المسيحي كله من خلال الآيات العثرة الفهم.

وفي هذا الكتاب تناولت النصوص الصعبة في العهد القديم وخاصة التي يستغلها البعض عن عدم فهم ويدَّعون أن إله العهد القديم إله حروب وقتل وسفك دماء، وأنه يختلف كل الاختلاف عن إله العهد الجديد. وقد اجتهدت قدر الطاقة في دراسة هذه النصوص مستخدمًا كل مبادئ علم التفسير وبطريقة منهجية علمية؛ من دراسة القرينة سواء الأكبر أو الأصغر التي ورد فيها النص. والخلفية التاريخية للنص، ومعرفة مَنْ الكاتب؟ ومَنْ المكتوب إليهم؟ ولماذا كُتب؟ وماذا كان يقصد الكاتب حين كتب؟ وما هي المشكلات التي قصد أن يعالجها الكاتب؟ وماذا فهم القارئ الأصلي؟ ودراسة اللغات الأصلية التي كُتِب بها النص سواء العبري أو اليوناني. ودراسة النصوص الموازية. ودراسة النص من الترجمات المختلفة لدرجة أنني استعنت بحوالي ٣٠ ترجمة مختلفة. وقد استعنت بعدد كبير من كتب التفسير من مختلف الطوائف والاتجاهات، وتقديم كل وجهات النظر المختلفة بطريقة موضوعية. وكم أشكر الله – عزيزي القارئ - لأنه بعد البحث المتعمق وجدت إجابات مقنعة ومتكاملة ووافية لكل مشكلة تناولتها في هذا الكتاب، وأتمنى أن تكون مقنعة لك أيضًا.

وإنني أصلي من كل قلبي أن يستخدم الله هذا الكتاب لمجد اسمه ونهضة كنيسته.

القس/ عزت شاكر

أكتوبر ٢٠١١ م

ترجمات الكتاب المقدس
التي تم استخدامها ورموزها

١ ـ (ك ح) ترجمة كتاب الحياة.

٢ ـ (ب س) ترجمة بين السطور.

٣ ـ (ت ك) الترجمة الكاثوليكية.

٤ ـ (ت ع م) الترجمة العربية المشتركة.

5- (TLB) The Living Bible.

6- (ASV) The American Standard Version.

7- (NASU) The New American Standard Bible Update.

8- (NASB) The new American Standard Bible.

9- (BBE) Bible in Basic English.

10- (GNT) Good News Translation.

11- (TEV) Today's English Version.

12- (NIV) THE New International Version.

13- (ESV) English Standard Version.

14- (KJV) The King James Version.

15- (NKJV) The New King James Version.

16- (MKJV) Modern King James Version.

17- (YLT) 1898 Young's Literal Translation.

18- (JPS) Jewish Publication Society Bible.

19- (ABP) Apostolic Bible Polyglot.

20- (LEB) Lexham English Bible

21- (RSV) Revised Standard Version of the Bible.

22- (NRSV) The New Revised Standard Version

23- (NLT) New Living Translation.

24- (TBCL) The Bible in Contemporary Language.

25- (WEB) The World English Bible.

26- (NCV) New Century Version.

27- (NETB) New English Translation Bible.

28- (GWT) God's Word Translation.

29- (LITV) Literal Translation of The Holy Bible.

30- (EMTV) English Majority Text Version.

(١)
الإشكالية

في كل جيل وكل عصر نجد هجومًا على العهد القديم وعلى إله العهد القديم، وسأعرض هنا مجرد ثلاثة نماذج للهجوم على إله العهد القديم:

النموذج الأول:

ماركيون (Marcion): الذي ظهر في عام ١٣٩ م. وهو ابن أسقف سينوب بآسيا الصغرى، ورغم ذكاء ماركيون الحاد، وميله الشديد للتقشف والصلاة والتأمل، إلا أنه كان متأثرًا بالتعاليم الغنوسية التي كانت تعلِّم بالثنائية، أي وجود إله للخير وإله للشر، وتنادي بأن المادة وكل ما يتصل بها هو شر، ولذلك عندما بدأ ماركيون محاولة تفسير سر وجود الشر الذي يملأ العالم، سقط في نفس البدعة الغنوسية (الثنائية) فنادى بوجود إلهين للكون وهما:

١- الإله الخالق:

وهو الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه، وهو أقل درجة من الإله الصالح، فهو إله عنصري لأنه إله خاص بأمة واحدة هي الأمة اليهودية، فقد اختارهم شعبًا له، وأعطاهم الناموس والأنبياء، وترك بقية الشعوب فريسة للوثنية والمادية. وهو إله قاس سريع الغضب والانتقام، يحارب ويسفك دماء أعدائه بلا رحمة، ويعاقب بقسوة الذين تعدُّوا الناموس، وهو السبب في كل الحروب، والمسئول عن كل الكوارث التي تحدث في العالم، إنه إله كل شر.

وهو يختلف كل الاختلاف عن إله العهد الجديد الذي أظهره السيد المسيح بأنه إله المحبة والرأفة.

وقد كتب ماركيون في كتابه «المتناقضات» إن إله العهد القديم هو خالق الشر بناء على إشعياء ٤٥: ٦، ٧ «أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرَ. مُصَوِّرُ النُّورِ وَخَالِقُ الظُّلْمَةِ. صَانِعُ السَّلاَمِ وَخَالِقُ الشَّرِّ» بينما إله العهد الجديد هو صانع الخير.

كما قال ماركيون: إن إله العهد القديم إله قاس دفع بالدببتين لافتراس ٤٢ صبيًا صغيرًا لأنهم عيَّروا نبيه أليشع (١مل٢: ٢٣ – ٢٥) بينما إله العهد الجديد تكلم في المسيح قائلًا: «دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ لأَنَّ لِمِثْلِ هؤُلاَءِ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ» (مت١٩: ١٤).

٢- الإله الفادي:

وهو الإله الصالح الذي يسكن في السماء الثالثة، فلا يعرفه أحد، ولا صلة له بالعالم لأنه منفصل عن المادة، ولم يخلق العالم، وقد ظهر هذا الإله الفادي في شخص المسيح ليُخلِّص الناس من الشر، وقد حرَّك إله اليهود أتباعه لصلبه، وبعد أن بشَّر السيد المسيح هؤلاء صعد إلى السماء مباشرة بدون قيامة على الأرض، وفي اليوم الأخير سيحكم على إله اليهود ويطرحه في الهاوية.

وبسبب نظرة ماركيون الخاطئة لإله العهد

القديم، رفض أسفار العهد القديم رفضًا كليًا وجزئيًا، لأنها في نظره هي وحي من إله اليهود القاسي المنتقم وليست وحيًا من الإله المُحب السامي. ولأنه قال: إن المسيح إله المحبة ظهر في الجسد ليعلن لنا الآب الذي يختلف عن إله العهد القديم. رفض الأناجيل لأنها تشهد لكتب العهد القديم وتقتبس منه، ولم يقبل منها سوى إنجيل لوقا بعدما حذف منه الجزئين الأول والأخير لأنه أنكر حقيقة الميلاد والصلب والقيامة.

ويعتبر ماركيون أحد أكثر الهراطقة الذين سببوا المتاعب للكنيسة في بداية عهدها، وقد اعتُبِر هرطوقيًا من قِبَلْ الكنيسة وطُرِد منها في عام ١٤٤ م.

للأسف ظن ماركيون أن هناك إلهين، لكل منهما عهد يختلف عن الآخر. إله العهد القديم وإله العهد الجديد. إله الحق وإله الفداء. لقد قارن بين العدل والرحمة، بين الناموس والإنجيل، ولم يستطع أن يرى الله مشتملًا لكل هذه الصفات المتكاملة. قال العلامة ترتليانوس عنه: «إن ماركيون عامل الكتاب المقدس لا بقلمه بل بمشرطه ليقطع منه كل ما لايوافق تفكيره». وكتب إيريناؤس عنه: «لقد جدَّف ماركيون على الله وأهمل كثيرًا من تعاليمه ووضع نفسه في مرتبة أعلى من الرسل الذين تَسلَّموا الإنجيل وسلَّموه إلينا».

النموذج الثاني:

رودولف كارل بولتمان (Rudolf Karl Bultmann) (١٨٨٤ – ١٩٧٦) وهو لاهوتي ألماني، وُلِد في ويفلستد (Wiefelstede) بالقرب من مدينة أولد نبورج، وتوفي في ماربورج (Marburg)، ودرَّس العهد الجديد في بريسلاو (١٩١٦-١٩٢٠) Breslau وفي جيسّن (١٩٢٠-١٩٢١) Giessen، ثم في ماربورج (١٩٢١-١٩٥١) . له عدة مؤلفات أشهرها: «تاريخ تقليد الأناجيل الإزائية» (Synoptic) (١٩٢١) و«إنجيل يوحنا» (١٩٤١) و «لاهوت العهد الجديد» في مجلدين، وبحث بعنوان «العهد الجديد والأسطورة».

نادى بولتمان بأن العهد القديم هو كتاب الديانة اليهودية ولا شأن للمسيحيين به، وأن صورة الله التي يقدمها العهد القديم ليست هي نفس صورة الله التي يقدمها العهد الجديد، وبالتالي ليست هناك حاجة للمسيحيين لقراءة العهد القديم، أو بمعنى أدق لا يعتبر العهد القديم في رأي بولتمان هو إعلان الله للمسيحيين كما كان بالنسبة لإسرائيل. وقد رفض علماء الكتاب المقدس على مختلف انتماءاتهم واتجاهاتهم اللاهوتية هذا الفكر.

النموذج الثالث:

في العصر الحالي نجد مئات بل آلاف الكتَّاب الذين يهاجمون العهد القديم، وإله العهد القديم، اخترت منهم: الدكتور. منقذ بن محمود السقار: وهو داعية إسلامي سعودي حاصل على درجة الدكتوراة في مقارنة الأديان. وهو خريج كلية أصول الدين، جامعة أم القرى، وفيها أتم دراسته للبكالوريوس ثم الماجستير ثم الدكتوراة. ويمارس الخطابة منذ سنوات عديدة. وقد كتب العديد من الكتب، منها: الدين المعاملة، و تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين، وتعرَّف على الإسلام، و غير المسلمين في المجتمع المسلم، و دلائل النبوة، والحوار مع أتباع الأديان (مشروعيته وآدابه)، والتكفير وضوابطه، و الجزية في الإسلام، وهل

بشَّر الكتاب المقدس بمحمد؟، وهل افتدانا المسيح على الصليب؟ والله جل جلاله واحد أم ثلاثة؟ وهل العهد الجديد كلمة الله؟ وهل العهد القديم كلمة الله؟ وقد تُرجِم البعض منها إلى الإنجليزية والفرنسية.

وفي كتابه «هل العهد القديم كلمة الله؟» يهاجم بشدة العهد القديم، وإله العهد القديم فيقول د. منقذ:

* «تذكر التوراة أن الله خاف من اجتماع البشر وتآلفهم وعزمهم على بناء برج عظيم رأسه في السماء، فنزل وبددهم قبل أن يحققوا غايتهم، فهل يعقل أن خالق السماوات والأرض، الرب العظيم يخشى من تمام هذا البرج، فيسعى لتفريق البشر قبل أن يصل برجهم السماء؟ وهنا نتساءل عن الطول الذي كان سيصل إليه بناء البشر قبل آلاف السنين، بل نتساءل: أو لا يعلم الرب أن البشر يعجزون عن مناطحة السحاب فضلًا عن قرع أبواب السماء!) [١]

* وهناك قصة أخرى تخلو من العبرة والفائدة تقول التوراة: «وَنَذَرَ يَفْتَاحُ نَذْرًا لِلرَّبِّ قَائِلًا: «إِنْ دَفَعْتَ بَنِي عَمُّونَ لِيَدِي فَالْخَارِجُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَبْوَابِ بَيْتِي لِلِقَائِي عِنْدَ رُجُوعِي بِالسَّلاَمَةِ مِنْ عِنْدِ بَنِي عَمُّونَ يَكُونُ لِلرَّبِّ، وَأُصْعِدُهُ مُحْرَقَةً»، فلما انتصر استقبلته ابنته مهنئة، وكانت أول مستقبليه، فذبحها «فَفَعَلَ بِهَا نَذْرَهُ الَّذِي نَذَرَ» (قض ١١: ٣٠-٤٠). وَهِيَ لَمْ تَعْرِفْ رَجُلًا. فَصَارَتْ عَادَةً فِي إِسرائيل أَنَّ بَنَاتِ إِسرائيل يَذْهَبْنَ مِنْ سَنَةٍ إِلَى سَنَةٍ لِيَنُحْنَ عَلَى بِنْتِ يَفْتَاحَ الْجِلْعَادِيِّ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ فِي السَّنَةِ.

ما فائدة القصة لو كانت صحيحة، لماذا يخلِّدها الله في كتابه ووحيه؟[٢]

* وتتحدث التوراة عن رحمة الله وحلمه، فتقول: «الرَّبُّ حَنَّانٌ وَرَحِيمٌ طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ» (مز١٤٥:٨)، ثم تنقضه حين تذكر ما حصل مع أهل بيت شمس الذين رأوا التابوت فقتلهم جميعًا، وكانوا أكثر من خمسين ألف رجل «وَضَرَبَ أَهْلَ بَيْتَشَمْسَ لأَنَّهُمْ نَظَرُوا إِلَى تَابُوتِ الرَّبِّ. وَضَرَبَ مِنَ الشَّعْبِ خَمْسِينَ أَلْفَ رَجُلٍ وَسَبْعِينَ رَجُلًا. فَنَاحَ الشَّعْبُ لأَنَّ الرَّبَّ ضَرَبَ الشَّعْبَ ضَرْبَةً عَظِيمَةً» (اصم ٦: ١٩). فهل يستحق هذا الفعل هذه العقوبة؟ والله حنان رحوم بطيء الغضب![٣]

* «تنسب التوراة إلى الله الندم على أمور صنعها، والندم فرع من الجهل، ومن ذلك «نَدِمْتُ عَلَى أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ شَاوُلَ مَلِكًا، لأَنَّهُ رَجَعَ مِنْ وَرَائِي وَلَمْ يُقِمْ كَلاَمِي» (اصم ١٥:١١).

وتذكر التوراة أنه لما عبد بنو إسرائيل العجل غضب الرب عليهم وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «... فَالآنَ اتْرُكْنِي لِيَحْمَى غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ، فَأُصَيِّرَكَ شَعْبًا عَظِيمًا». فَتَضَرَّعَ مُوسَى أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِهِ، وَقَالَ: ارْجِعْ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِكَ، وَانْدَمْ عَلَى الشَّرِّ بِشَعْبِكَ. اُذْكُرْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ عَبِيدَكَ الَّذِينَ حَلَفْتَ لَهُمْ بِنَفْسِكَ وَقُلْتَ لَهُمْ: أُكَثِّرُ نَسْلَكُمْ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأُعْطِي نَسْلَكُمْ كُلَّ هذِهِ الأَرْضِ الَّتِي تَكَلَّمْتُ عَنْهَا فَيَمْلِكُونَهَا إِلَى الأَبَدِ». فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ» (خر ٣٢: ٩ - ١٤).

وفي مرة أخرى «كَانَ الرَّبُّ مَعَ الْقَاضِي، وَخَلَّصَهُمْ مِنْ يَدِ أَعْدَائِهِمْ كُلَّ أَيَّامِ الْقَاضِي، لأَنَّ الرَّبَّ نَدِمَ مِنْ أَجْلِ أَنِينِهِمْ» (قض٢:١٨).

ومثله ندم الرب بعد أن قتل مقتلة كبيرة في بني إسرائيل. فقد «فَجَعَلَ الرَّبُّ وَبَّا فِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمِيعَادِ. فَمَاتَ مِنَ الشَّعْبِ مِنْ دَانٍ إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ سَبْعُونَ أَلْفَ رَجُل. وَبَسَطَ الْمَلاَكُ يَدَهُ عَلَى أُورُشَلِيمَ لِيُهْلِكَهَا. فَنَدِمَ الرَّبُّ عَنِ الشَّرِّ. وَقَالَ لِلْمَلاَكِ الْمُهْلِكِ الشَّعْبَ: «كَفَى! الآنَ رُدَّ يَدَكَ» (٢صم ٢٤: ١٥-١٦). ومثل هذا الندم في الأسفار كثير (انظر: إرميا ١٩:٢٦، ١١:٤٢، عاموس ٦:٧، تكوين ٢٠:١٨).[٤]

وكانت التوراة قد نسبت قبلُ الندم والحزن إلى الله في زمن نوح، وذلك حين رأي شرور الإنسان: «وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإنسان قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإنسان فِي الأَرْضِ وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ» (تك ٦: ٥-٧). ومثل هذا الندم في الأسفار كثير (انظر: تكوين ٢٠:١٨، إرميا ١٩:٢٦، ١١:٤٢، عاموس ٦:٧).

* ويقول أيضًا: «وتذكر التوراة أن الله قتل أطفالًا صغارًا لأنهم نالوا من النبي أليشع. وسخروا منه «ثُمَّ صَعِدَ مِنْ هُنَاكَ (أي أليشع) إِلَى بَيْتِ إِيلَ. وَفِيمَا هُوَ صَاعِدٌ فِي الطَّرِيقِ إِذَا بِصِبْيَانٍ صِغَارٍ خَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ وَسَخِرُوا مِنْهُ وَقَالُوا لَهُ: [اصْعَدْ يَا أَقْرَعُ! اصْعَدْ يَا أَقْرَعُ!] فَالْتَفَتَ إِلَى وَرَائِهِ وَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ. فَخَرَجَتْ دُبَّتَانِ مِنَ الْوَعْرِ وَافْتَرَسَتَا مِنْهُمُ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَلَدًا» (٢مل٢: ٢٣،٢٤) فهل يعقل أن نبيًا يدعو بالهلاك على أطفال صغار عيّروه؟ وهل يستجيب الله. فيقتل الطفل البريء الذي أساء الأدب؟

ثم لو كان هذا صحيحًا. فما فائدة تخليده في كتاب ينسب إلى الله. وأي خير أو هدى تتعلمه البشرية منه. هل نقتل أطفالنا وندعو عليهم بالثبور إذا أخطأوا في حقنا أو حق الآخرين؟[٥]

* ويذكر سفر حزقيال أن الله أمر نبيه حزقيال بأوامر كثيرة منها أنه أمره وبني إسرائيل أن يأكلوا كعك الشعير مخبوزًا مع فضلات الإنسان. ولما صعب الأمر على حزقيال. خفضه وسمح له أن يخبز كعكة الشعير مع فضلات البقر. بدلًا من فضلات الإنسان. والنص بتمامه: «وَتَأْكُلُ كَعْكًا مِنَ الشَّعِيرِ. عَلَى الْخُرْءِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الإنسان تَخْبِزُهُ أَمَامَ عُيُونِهِمْ». وَقَالَ الرَّبُّ: [هَكَذَا يَأْكُلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ خُبْزَهُمُ النَّجِسَ بَيْنَ الأُمَمِ الَّذِينَ أَطْرُدُهُمْ إِلَيْهِمْ]. فَقُلْتُ: [آهِ يَا سَيِّدُ الرَّبُّ. هَا نَفْسِي لَمْ تَتَنَجَّسْ. وَمِنْ صِبَايَ إِلَى الآنَ لَمْ آكُلْ مِيتَةً أَوْ فَرِيسَةً. وَلاَ دَخَلَ فَمِي لَحْمٌ نَجِسٌ». فَقَالَ لِي: [انْظُرْ. قَدْ جَعَلْتُ لَكَ خِثْيَ الْبَقَرِ بَدَلَ خُرْءِ الإنسان فَتَصْنَعُ خُبْزَكَ عَلَيْهِ» (حز ٤: ١٢-١٥)[٦].

* ثم ينتقل إلى قضية الحروب في العهد القديم فيقول:

تتحدث التوراة عن أمر الله بقتل النساء والأطفال والأبرياء. فقد أمر بني إسرائيل بقتل الشعوب التي في فلسطين «وَأَمَّا مُدُنُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَّا» (تث٢٠:١٦).

* وكذا تذكر الأسفار أن الله أمر نبيه يشوع بقتل جميع سكان مدينة عاي. ففعل النبي بحسب الأمر. فحرق المدينة. وأفنى أهلها امتثالًا لهذا الأمر الرهيب: «وَتَمْلِكُونَ الْمَدِينَةَ. وَيَدْفَعُهَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ بِيَدِكُمْ. وَتَكُونُ عِنْدَ أَخْذِكُمُ الْمَدِينَةَ أَنَّكُمْ تُضْرِمُونَ الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ. كَقَوْلِ الرَّبِّ تَفْعَلُونَ. انْظُرُوا. قَدْ أَوْصَيْتُكُمْ... وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ وَأَخَذُوهَا. وَأَسْرَعُوا وَأَحْرَقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ. وَأَمَّا مَلِكُ عَايٍ فَأَمْسَكُوهُ حَيًّا وَتَقَدَّمُوا بِهِ إِلَى يَشُوعَ... وَكَانَ

لَمَّا انْتَهَى إِسْرَائِيلُ مِنْ قَتْلِ جَمِيعِ سُكَّانِ عَايٍ فِي الْحَقْلِ فِي الْبَرِّيَّةِ، حَيْثُ لَحِقُوهُمْ وَسَقَطُوا جَمِيعًا بِحَدِّ السَّيْفِ حَتَّى فَنُوا... فَكَانَ جَمِيعُ الَّذِينَ سَقَطُوا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ مِنْ رِجَال وَنِسَاءٍ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا. جَمِيعُ أَهْلِ عَايٍ. وَيَشُوعُ لَمْ يَرُدَّ يَدَهُ الَّتِي مَدَّهَا بِالْمِزْرَاقِ حَتَّى حَرَّمَ جَمِيعَ سُكَّانِ عَايٍ. لكِنِ الْبَهَائِمَ وَغَنِيمَةَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ نَهَبَهَا إِسْرَائِيلُ لأَنْفُسِهِمْ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ الَّذِي أَمَرَ بِهِ يَشُوعَ. وَأَحْرَقَ يَشُوعُ عَايَ وَجَعَلَهَا تَلًّا أَبَدِيًّا خَرَابًا إِلَى هذَا الْيَوْمِ» (يش ٨:٧-٢٨).

* ثم تزعم الأسفار أن الله بعث نبيه صموئيل إلى الملك شاول يخبره باصطفاء الله له للملك. ويقول: «هكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ: اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ. وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلًا وَامْرَأَةً. طِفْلًا وَرَضِيعًا. بَقَرًا وَغَنَمًا. جَمَلًا وَحِمَارًا» (١صم ١٥: ٢،٣). لقد أمره بقتل وسحق كل واحد من أهل مدينة عماليق. وحتى لا يستثني منهم أحدًا أمره بقتل الرضع والأطفال والنساء. بل وحتى الحيوان.

لكن شاول لم يلتزم أمر الرب بدقة «وَأَمْسَكَ أَجَاجَ مَلِكَ عَمَالِيقَ حَيًّا. وَحَرَّمَ جَمِيعَ الشَّعْبِ بِحَدِّ السَّيْفِ. وَعَفَا شَاوُلُ وَالشَّعْبُ عَنْ أَجَاجَ وَعَنْ خِيَارِ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ وَالثُّنْيَانِ وَالْخِرَافِ. وَعَنْ كُلِّ الْجَيِّدِ. وَلَمْ يَرْضَوْا أَنْ يُحَرِّمُوهَا. وَكُلَّ الأَمْلاَكِ الْمُحْتَقَرَةِ وَالْمَهْزُولَةِ حَرَّمُوهَا» (١صم ١٥: ٨، ٩). لقد قتلوا البشر والحيوانات الهزيلة. وعفوا عن الحيوانات القوية. فماذا كان؟ لقد سخط الله على شاول. وَكَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى صَمُوئِيلَ قَائِلًا: ١١«نَدِمْتُ عَلَى أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ شَاوُلَ مَلِكًا. لأَنَّهُ رَجَعَ مِنْ وَرَائِي وَلَمْ يُقِمْ كَلاَمِي» (١صم ١٥: ١٠،١١).

وفسرته روح النبي صموئيل حين استحضرتها العرافة لشاول. فقالت روحه: «لأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ لِصَوْتِ الرَّبِّ وَلَمْ تَفْعَلْ حُمُوَّ غَضَبِهِ فِي عَمَالِيقَ. لِذلِكَ قَدْ فَعَلَ الرَّبُّ بِكَ هذَا الأَمْرَ الْيَوْمَ» (١صم ١٨:٢٨). لقد باء بغضب الرب وندمه. لأنه لم يكمل المجزرة إلى آخر فصولها. فهل يأمر الله بمثل هذا؟! سبحانك هذا بهتان عظيم[٧].

* ومرة أخرى تتكرر الوصية - المنسوبة زورًا إلى الرب - بقتل الأطفال. لكنها هذه المرة مع التأكيد على قتل الأجنة في بطون الأمهات. حتى لا ينجو أولئك الذين لم يروا الدنيا بعد «مُجَازَى السَّامِرَةُ لأَنَّهَا قَدْ تَمَرَّدَتْ عَلَى إِلهِهَا. بِالسَّيْفِ يَسْقُطُونَ. تُحَطَّمُ أَطْفَالُهُمْ. وَالْحَوَامِلُ تُشَقُّ» (هو ١٣:١٦). لقد عوقبوا بجريرة آبائهم. فهل يأمر الله بمثل هذا الظلم؟!

* وكما رأينا فإن للأطفال نصيبًا مستحقًا من القتل والتدمير. وهو حق ما فتئت النصوص تذكر به. ومنه ما ينتظر أطفال بابل فطوبى لمن يقتلهم «يَا بِنْتَ بَابِلَ الْمُخْرِبَةَ. طُوبَى لِمَنْ يُجَازِيكِ جَزَاءَكِ الَّذِي جَازَيْتِنَا! طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكِ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ!» (مز ١٣٧: ٨-٩).

* وأما يوم الرب الذي سيصيب بابل. ففي ذلك اليوم «كُلُّ مَنْ وُجِدَ يُطْعَنُ. وَكُلُّ مَنِ انْحَاشَ يَسْقُطُ بِالسَّيْفِ. وَتُحَطَّمُ أَطْفَالُهُمْ أَمَامَ عُيُونِهِمْ. وَتُنْهَبُ بُيُوتُهُمْ وَتُفْضَحُ نِسَاؤُهُمْ. هأَنَذَا أُهَيِّجُ عَلَيْهِمِ الْمَادِيِّينَ الَّذِينَ لاَ يَعْتَدُّونَ بِالْفِضَّةِ. وَلاَ يُسَرُّونَ بِالذَّهَبِ. فَتُحَطِّمُ الْقِسِيُّ الْفِتْيَانَ. وَلاَ يَرْحَمُونَ ثَمَرَةَ الْبَطْنِ. لاَ تُشْفِقُ عُيُونُهُمْ عَلَى الأَوْلاَدِ. وَتَصِيرُ بَابِلُ. بَهَاءَ الْمَمَالِكِ وَزِينَةَ فَخْرِ الْكِلْدَانِيِّينَ. كَتَقْلِيبِ اللهِ سَدُومَ وَعَمُورَةَ. لاَ تُعْمَرُ إِلَى الأَبَدِ. وَلاَ تُسْكَنُ

إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ. وَلاَ يُخَيِّمُ هُنَاكَ أَعْرَابِيٌّ. وَلاَ يُرْبِضُ هُنَاكَ رُعَاةٌ» (إش ١٣: ١٥-٢٠).

* ويتكرر الإفساد في الأرض. وينسب الأمر فيه إلى الله: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: فَتَضْرِبُونَ كُلَّ مَدِينَةٍ مُحَصَّنَةٍ، وَكُلَّ مَدِينَةٍ مُخْتَارَةٍ، وَتَقْطَعُونَ كُلَّ شَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ، وَتَطُمُّونَ جَمِيعَ عُيُونِ الْمَاءِ، وَتُفْسِدُونَ كُلَّ حَقْلَةٍ جَيِّدَةٍ بِالْحِجَارَةِ». وَهَدَمُوا الْمُدُنَ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ يُلْقِي حَجَرَهُ فِي كُلِّ حَقْلَةٍ جَيِّدَةٍ حَتَّى مَلأُوهَا، وَطَمُّوا جَمِيعَ عُيُونِ الْمَاءِ وَقَطَعُوا كُلَّ شَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ» (٢مل ٣: ١٩-٢٥).

* وتذكر التوراة أن موسى في حربه مع أهل مديان - الذين مكث معهم سنين - أمر بقتلهم شر قتلة. وحين لم ينفذ الجيش أمره «فَسَخِطَ مُوسَى عَلَى وُكَلاَءِ الْجَيْشِ، رُؤَسَاءِ الأُلُوفِ وَرُؤَسَاءِ الْمِئَاتِ الْقَادِمِينَ مِنْ جُنْدِ الْحَرْبِ. وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: «هَلْ أَبْقَيْتُمْ كُلَّ أُنْثَى حَيَّةً؟. فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الأَطْفَالِ. وَكُلَّ امْرَأَةٍ عَرَفَتْ رَجُلاً بِمُضَاجَعَةِ ذَكَرٍ اقْتُلُوهَا. لكِنْ جَمِيعُ الأَطْفَالِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَمْ يَعْرِفْنَ مُضَاجَعَةَ ذَكَرٍ أَبْقُوهُنَّ لَكُمْ حَيَّاتٍ» (عد ٣١: ١٤ – ١٨).

فهل يأمر نبي بمثل هذا؟!!

* وأما يشوع وصي موسى، فإن اسمه يقترن في التوراة بسلسلة من المجازر التي طالت النساء والأطفال والرجال والحيوان. وكنموذج لهذه المجازر نحكي قصة مجزرة أريحا التي لم ينج فيها سوى راحاب الزانية ومن يلوذ بها. وأما ما عداها فقد أمر يشوع: «حَرَّمُوا كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُل وَامْرَأَةٍ، مِنْ طِفْل وَشَيْخ، حَتَّى الْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالْحَمِيرَ بِحَدِّ السَّيْفِ. وَأَحْرَقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ مَعَ كُلِّ مَا بِهَا. إِنَّمَا الْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ وَآنِيَةُ النُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ جَعَلُوهَا فِي خِزَانَةِ بَيْتِ الرَّبِّ» (يش ٦: ٢٠-٢٤).

ويستمر سفر يشوع في عرض سلسلة من المجازر التي طالت النساء والأطفال الأبرياء، وكل ذلك بأمر من يشوع، وحاشاه عليه السلام «وَأَخَذَ يَشُوعُ مَقِّيدَةَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ وَضَرَبَهَا بِحَدِّ السَّيْفِ، وَحَرَّمَ مَلِكَهَا هُوَ وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا. لَمْ يُبْقِ شَارِدًا، وَفَعَلَ بِمَلِكِ مَقِّيدَةَ كَمَا فَعَلَ بِمَلِكِ أَرِيحَا.

ثُمَّ اجْتَازَ يَشُوعُ مِنْ مَقِّيدَةَ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ إِلَى لِبْنَةَ، وَحَارَبَ لِبْنَةَ. فَدَفَعَهَا الرَّبُّ هِيَ أَيْضًا بِيَدِ إِسْرَائِيلَ مَعَ مَلِكِهَا. فَضَرَبَهَا بِحَدِّ السَّيْفِ وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا. لَمْ يُبْقِ بِهَا شَارِدًا، وَفَعَلَ بِمَلِكِهَا كَمَا فَعَلَ بِمَلِكِ أَرِيحَا. ثُمَّ اجْتَازَ يَشُوعُ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ مِنْ لِبْنَةَ إِلَى لَخِيشَ وَنَزَلَ عَلَيْهَا وَحَارَبَهَا. فَدَفَعَ الرَّبُّ لَخِيشَ بِيَدِ إِسْرَائِيلَ، فَأَخَذَهَا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَضَرَبَهَا بِحَدِّ السَّيْفِ وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا حَسَبَ كُلِّ مَا فَعَلَ بِلِبْنَةَ. حِينَئِذٍ صَعِدَ هُورَامُ مَلِكُ جَازَرَ لإِعَانَةِ لَخِيشَ، وَضَرَبَهُ يَشُوعُ مَعَ شَعْبِهِ حَتَّى لَمْ يُبْقِ لَهُ شَارِدًا.

ثُمَّ اجْتَازَ يَشُوعُ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ مِنْ لَخِيشَ إِلَى عَجْلُونَ فَنَزَلُوا عَلَيْهَا وَحَارَبُوهَا. وَأَخَذُوهَا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. وَحَرَّمَ كُلَّ نَفْسٍ بِهَا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ حَسَبَ كُلِّ مَا فَعَلَ بِلَخِيشَ. ثُمَّ صَعِدَ يَشُوعُ وَجَمِيعُ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ مِنْ عَجْلُونَ إِلَى حَبْرُونَ وَحَارَبُوهَا. وَأَخَذُوهَا وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ مَعَ مَلِكِهَا وَكُلِّ مُدُنِهَا وَكُلِّ نَفْسٍ بِهَا. لَمْ يُبْقِ شَارِدًا حَسَبَ كُلِّ مَا فَعَلَ بِعَجْلُونَ، فَحَرَّمَهَا وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا.

ثُمَّ رَجَعَ يَشُوعُ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ إِلَى دَبِيرَ وَحَارَبَهَا. وَأَخَذَهَا مَعَ مَلِكِهَا وَكُلِّ مُدُنِهَا، وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ وَحَرَّمُوا كُلَّ نَفْسٍ بِهَا. لَمْ يُبْقِ شَارِدًا.

كَمَا فَعَلَ بِحَبْرُونَ كَذلِكَ فَعَلَ بِدَبِيرَ وَمَلِكِهَا، وَكَمَا فَعَلَ بِلِبْنَةَ وَمَلِكِهَا.

فَضَرَبَ يَشُوعُ كُلَّ أَرْضِ الْجَبَلِ وَالْجَنُوبِ وَالسَّهْلِ وَالسَّفُوحِ وَكُلَّ مُلُوكِهَا. لَمْ يُبْقِ شَارِدًا، بَلْ حَرَّمَ كُلَّ نَسَمَةٍ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ» (يش١٠: ٢٨-٤٠).

وقد رأينا بعد هذه السلسلة الطويلة من المجازر، والتي تذكرنا بمجازر اليهود اليوم كيف نسب السفر هذه المجازر المريعة إلى أمر الرب، فقال في آخره: «كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ» (يش ١٠: ٤٠).

* ثم تحكي الأسفار عن مجازر يشيب لها الولدان فعلها داود بالعمونيين، فقد «أَخْرَجَ الشَّعْبَ الَّذِي فِيهَا وَوَضَعَهُمْ تَحْتَ مَنَاشِيرَ وَنَوَارِجِ حَدِيدٍ وَفُؤُوسِ حَدِيدٍ وَأَمَرَّهُمْ فِي أَتُونِ الآجُرِّ. وَهكَذَا صَنَعَ بِجَمِيعِ مُدُنِ بَنِي عَمُّونَ. ثُمَّ رَجَعَ دَاوُدُ وَجَمِيعُ الشَّعْبِ إِلَى أُورُشَلِيمَ» (٢صم ١٢: ٣١). سبحانك هذا بهتان عظيم!»[٨].

لا شك في أن مجرد قراءة الآيات الواردة أعلاه التي اقتبسها النقاد من العهد القديم وما شابهها، والتي تتحدث عن الحرم والقتل والإبادة، تثير الاشمئزاز في نفس أي إنسان عادي، فهي حقًا مشاهد دموية رهيبة! روايات مرعبة عندما يحاول المرء أن يتخيلها، ويقرأها وكأنه لا يحسن القراءة، ويسمعها وكأن أذنه تخدعه.

شخصية أخرى:

* لم يكن د. منقذ بن محمود السقار هو الوحيد الذي هاجم العهد القديم بل هناك العشرات أيضًا منهم د. مصطفي محمود (١٩٢١ - ٢٠٠٩)، وهو مفكر وطبيب وكاتب وأديب مصري. درس الطب وتخرج عام ١٩٥٣ وتخصَّص في الأمراض الصدرية، ولكنه تفرغ للكتابة والبحث عام ١٩٦٠. ألف ٨٩ كتابًا منها الكتب العلمية والدينية والفلسفية والاجتماعية والسياسية إضافة إلى الحكايات والمسرحيات وقصص الرحلات، ويتميز أسلوبه بالجاذبية مع العمق والبساطة. وقدَّم الدكتور مصطفي محمود ٤٠٠ حلقة من برنامجه التلفزيوني الشهير (العلم والإيمان).

ومن بين الكتب التي كتبها كتاب «التوراة» وهو صادر عن دار المعارف عام ١٩٨٧. ويقول فيه:

* نرى الله يفعل الفعل ثم يندم عليه، ويختار رسوله ثم يكتشف أنه أخطأ الاختيار، وكأنه لا يدري من أمر نفسه شيئًا، ولا يعرف ماذا يخبئه الغيب»[٩]. ويضيف أيضًا: «رب عجيب.. ما يلبث أن يندم على ما يفعل.. والرب في حالة خطأ وندم بطول التوراة وعرضها... كيف يخطئ الرب ويندم، هوذا خلط ودشت من الكلام تكتبه أقلام وليس وحيًا ولا تنزيلًا.. والاعتراض بأن كلمة «الله يندم» هي كلمة مجازية مثل كلمة «الله يغضب» هو اعتراض غير سليم، لأن الندم معناه الرجوع عن الخطأ، ولا يصلح مجازًا ولا فعلًا أن تقول إن الله يخطئ، كما لا يصلح مجازًا أن نقول إن الله يكذب أو يظلم أو يجهل.. هذه كلمات لا يصح إطلاقها على الله ولو مجازًا»[١٠].

ثم يضيف د. مصطفي محمود: «الصورة التي صوَّرتها التوراة لله صورة مليئة بالتشويش والتناقض وسوء الفهم.. فهو في معظم صفحات الكتاب إله ندمان يفعل الفعل ثم ما يلبث أن يُدرك أنه أخطأ ويندم عليه ويرجع عنه.. ولا ينفع الاعتذار بأن كلمة يندم واردة بمعنى يغفر..

وهو اعتذار أفحش من التهمة.. فمعناه أن النبي لا يعرف أبجدية اللغة التي يخاطب بها أتباعه.. ومعناه أن الله لم يحفظ لسانه من التخبط والذلل.. ومعناه في الحالتين أن كتاب التوراة ليس كتابًا محفوظًا من الله.. وإنما هو مجموعة عبارات أُلقيت على عواهنها وقيلت كيفما اتفق بما فيها من ضلال الخاطر وسقطات اللسان وعجز التعبير.»[11].

* ويقول د. مصطفي محمود تعليقًا على قصة نوح عندما استيقظ من خمره وعلم ما فعل به ابنه الصغير وقال: «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ» (تك ٩: ٢٠-٢٧): «وينزل لعنته على حام وأولاده من بعده. لأنه نظر إلى عورة أبيه نوح الذي تعرى في خبائه. هل نظرة طفل إلى عورة أبيه أمر لا يغتفر.. ويستحق اللعنة إلى يوم الدين؟»[12]. ويضيف قائلًا: «الغرض السياسي هنا واضح بالنسبة لليهودي الذي كتب هذا الكلام فهو يدعو على أبناء حام وهم الفلسطينيون والمصريون بأن يكونوا عبيدًا للساميين اليهود وتحت حكمهم مدى الدهر»[13].

* ويقول د. مصطفي محمود تعليقًا على قصة الثلاثة رجال الذين زاروا إبراهيم (تك ١٨: ١-٨): «إن القول بأن الملائكة أكلوا لدى إبراهيم يعد من قبيل التجديف على الملائكة. فالملائكة لا يأكلون ولا يتزوجون ولكن مادام الله يتعب وينام ويستيقظ في التوراة. فلا عجب أن الملائكة يأكلون؟»[14].

* يعلق د. مصطفي محمود على قصة خداع يعقوب لأبيه قائلًا: «أما النبي إسحق وولداه يعقوب وعيسو. فتروي لنا التوراة حكايات عجيبة عن مخادعة يعقوب لأبيه العجوز الضرير. وكيف أنه لبس فروة ليوهم الأب أنه عيسو.. وتحسَّس الأب الضرير ولده ورآه مغطى بالشعر. ففرح به وظن أنه عيسو وأعطاه البركة والعهد.. وبذلك أصبح نبيًا. وجاء الابن الثاني ليأخذ البركة. وفطن الأب للخدعة ولكن بعد فوات الأوان. فقد ذهبت البركة. أخذها يعقوب الكذاب المخادع وأصبح نبيًا.. وحُرِم منها الأخ الطيب البار عيسو.. ولا نفهم مَن المخدوع هنا.. هل هو إسحق..؟ وإن استطاع الابن أن يخدع أباه الضرير فكيف يخدع الله السميع البصير في السماوات وهو المانح الحقيقي للبركة وهو الذي يختار الأنبياء؟»[15].

* ويعلق د. مصطفي محمود على قصة يعقوب عندما فكر في وضع القضبان المقشَّرة في مساقي المياة بقصد أن تتوحم الغنم وتلد مخططات ورُقطًا وبُلقًا «هل سمعتم أن الغنم يتوحم؟ لو كان هذا حقيقة. إذًا يمكنك إنتاج خراف ذات ألوان عديدة. فإذا وضعت بجوارها اللون البنفسجي توحمت الغنم وجاء النسل الجديد بنفسجي. لك أن تتخيل هذا الجمال. خراف زرقاء وأخرى حمراء. هذا غير الخراف المخططة والمربعة والكاروهات؟»[16]

* ويعلق د. مصطفي محمود على قول يعقوب لامرأتيه: «وَأَمَّا أَبُوكُمَا فَغَدَرَ بِي وَغَيَّرَ أُجْرَتِي عَشَرَ مَرَّاتٍ. لكِنَّ اللهَ لَمْ يَسْمَحْ لَهُ أَنْ يَصْنَعَ بِي شَرًّا. إِنْ قَالَ هكَذَا: الرُّقَطُ تَكُونُ أُجْرَتَكَ. وَلَدَتْ كُلُّ الْغَنَمِ رُقَطًا. وَإِنْ قَالَ هكَذَا: الْمُخَطَّطَةُ تَكُونُ أُجْرَتَكَ. وَلَدَتْ كُلُّ الْغَنَمِ مُخَطَّطَةً. فَقَدْ سَلَبَ اللهُ مَوَاشِيَ أَبِيكُمَا وَأَعْطَانِي» (تك ٣١: ٤-٩). «ويستمر النبي يعقوب في الغش والسرقة.. يذهب إلى

مساقي الماء حيث تجئ الغنم لتشرب ويضع أمام عيونها قضبانًا مرقطة لتتوحم عليها فيجئ نسلها مخططًا مرقطًا. ويختار الأغنام القوية ليكون نصيبه كله من الأغنام القوية.. وحينما يشكو أبناء لابان ما فعل يعقوب بثروة أبيهم يقول يعقوب: «فَقَدْ سَلَبَ اللهُ مَوَاشِيَ أَبِيكُمَا وَأَعْطَانِي» هي إذًا جريمة سرقة وتواطؤ يشترك فيها الله مع يعقوب. هكذا يتصوَّر كاتب التوراة. فأي إله هذا؟ وأي نبي؟!»[17].

ويتحدث عن قصة تضليل الأنبياء الكذبة إلى أخآب الملك قائلًا: «أما الفرية الثانية على الملائكة فنجدها في سفر الملوك أصحاح ٢٢ حيث تدّعي التوراة على الروح القدس أنه يمكن أن يقوم بوظيفة الشيطان فيرسله الله للتدليس على الأنبياء:

«قَدْ رَأَيْتُ الرَّبَّ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّهِ، وَكُلُّ جُنْدِ السَّمَاءِ وُقُوفٌ لَدَيْهِ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ. فَقَالَ الرَّبُّ: مَنْ يُغْوِي أَخْآبَ فَيَصْعَدَ وَيَسْقُطَ فِي رَامُوتَ جِلْعَادَ؟ فَقَالَ هَذَا هَكَذَا وَقَالَ ذَاكَ هَكَذَا. ثُمَّ خَرَجَ الرُّوحُ وَوَقَفَ أَمَامَ الرَّبِّ وَقَالَ: أَنَا أُغْوِيهِ. وَسَأَلَهُ الرَّبُّ: بِمَاذَا؟ فَقَالَ: أَخْرُجُ وَأَكُونُ رُوحَ كَذِبٍ فِي أَفْوَاهِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ. فَقَالَ: إِنَّكَ تُغْوِيهِ وَتَقْتَدِرُ. فَاخْرُجْ وَافْعَلْ هَكَذَا».

الروح القدس الذي وصفه الله بالروح الأمين، يجعل من نفسه روح كذب ويجعل منه الله روح كذب يدلس على الأنبياء... لماذا؟؟ وأين إبليس... وأين دوره.. وهو إمام الغواية.. أهناك أزمة في الشياطين والأرواح الشريرة والجن والمردة وهواتف الضلال ورسل الغواية!

ولو أراد الله أن يختم على الأبصار والقلوب لختم عليها دون حاجة إلى هذا التزوير. ودون حاجة إلى إنزال ملائكته العالين في زى الكذابين المدلسين. هذه مسألة يرفضها الذوق.

ومن وصفه الله بالروح الأمين يلزم لنا أن ننزّهه عن أن يكون روحًا للكذب[18].

إلى جانب القضايا السابقة هناك العديد من الأسئلة الأخرى الخاصة بالعهد القديم مثل:

هل فعلًا إله العهد القديم هو إله آخر مختلف عن إله العهد الجديد؟

هل حدث تغيير في ذات الله أو في أسلوب تعامله مع البشر؟ وكيف وهو المنزَّه عن التغيير الأزلي الأبدي؟

وهل يمكن أن يكون الله واحد ولكنّه في العهد الجديد يتعامل بطريقة مختلفة عن العهد القديم؟

وما هي صورة الله التي يقدمها لنا العهد القديم؟

ولماذا اختار الله بني إسرائيل من بين كل شعوب الأرض؟

هل هو إله عنصري. لذلك اختارهم شعبًا له وفضَّلهم عن بقية شعوب العالم؟

ولماذا يتحيز لبني إسرائيل دون الشعوب الأخرى؟

ولماذا يجعلهم يتفوقون في الحروب على كل الشعوب المجاورة لهم؟

وهل إله العهد القديم لا يرضيه إلا الذبائح الحيوانية أو البشرية؟

هل هو إله حروب وسفك دماء؟

هل هو فعلًا لا يعرف الرأفة ولا الرحمة؟

هل هو إله دموي؟

ولماذا كان يطلب من بني إسرائيل قتل وإبادة الشعوب المجاورة لهم؟

وهل يُعقَل أن الله المحب يصدر أوامره بالفتك والقتل والإبادة الجماعية؟

عندما نقول: إن إنسان متجردًا من المشاعر الإنسانية قد ارتكب مثل هذه الجرائم الوحشية أمر مقبول، بينما القول: إن إنسان قام بمثل هذه الأعمال الوحشية ليحقق مشيئة الله وينفذ أوامره فهذا أمر آخر.

فما هو الحل لكل هذه الإشكاليات الأخلاقية؟

هذا ما سوف نناقشه في الفصول القادمة.

المراجع

(١) منقذ بن محمود السقار. هل العهد القديم كلمة الله؟. ص٥٧.

(٢) المرجع السابق. ص٥٨.

(٣) المرجع السابق. ص٥٩.

(٤) المرجع السابق. ص٧٣

(٥) المرجع السابق. ص٧٤.

(٦) المرجع السابق. ص٧٦.

(٧) المرجع السابق. ص٧٧.

(٨) المرجع السابق. ص٩٨.

(٩) د. مصطفي محمود. التوراة. ص ١٢.

(١٠) المرجع السابق. ص ٢١- ٢٥.

(١١) المرجع السابق. ص ٤٣- ٤٦.

(١٢) المرجع السابق. ص ٢١.

(١٣) المرجع السابق. ص ١٢.

(١٤) المرجع السابق. ص ٥٢- ٦٢.

(١٥) المرجع السابق. ص ١٢-١٥.

(١٦) المرجع السابق. ص ١٨.

(١٧) المرجع السابق. ص ١٨.

(١٨) المرجع السابق. ص٤٢.

(٢)

هل هو إله يجهل صنائع عباده؟

فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟». فَقَالَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ». فَقَالَ: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟» (تك ٣: ٩-١١).

يقول د. منقذ بن محمود السقار: «تقدم التوراة الله على أنه جاهل ببعض صنائع عباده، إذ لما اختبأ آدم في الجنة بحث عنه الإله ونَادَى وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟» (تك ٣:٩)، ثم لم يعرف أن آدم أكل من الشجرة وصار عارفًا للخير من الشر، وأنه قد أدرك سوء العري، فقال له: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟» (تك ٣:١١)»[1].

فهل فعلًا لم يكن الله يعرف مكان آدم؟ ولم يكن يعرف ما فعل؟

وكيف يسأل الرب قايين: «أين هابيل أخوك» (تك ٤:٩)؟ هل كان الله يجهل ما حدث؟

وللإجابة على هذه الأسئلة أقول:

إن الله عندما يسأل، لا يسأل ليعرف، حاشا، فهو العالم بكل شيء، بل وهو فاحص القلوب ومختبر الكلى ويعرف كل الخبايا والأسرار. قال داود عن معرفة الله له: «أَنْتَ عَرَفْتَ جُلُوسِي وَقِيَامِي. فَهِمْتَ فِكْرِي مِنْ بَعِيدٍ. مَسْلَكِي وَمَرْبَضِي ذَرَّيْتَ، وَكُلَّ طُرُقِي عَرَفْتَ. لأَنَّهُ لَيْسَ كَلِمَةٌ فِي لِسَانِي، إِلاَّ وَأَنْتَ يَا رَبُّ عَرَفْتَهَا كُلَّهَا. مِنْ خَلْفٍ وَمِنْ قُدَّامٍ حَاصَرْتَنِي، وَجَعَلْتَ عَلَيَّ يَدَكَ» (مز ١٣٩: ٢-٥).

إنما هو يسأل لنعرف نحن حقيقة أنفسنا، يسأل لندرس مواقفنا، ولنفحص ضمائرنا، ولنحلل دوافعنا، ولندخل إلى أعماق نفوسنا، لنتجه نحو الطريق الصحيح.

ويقول قداسة البابا شنودة الثالث: «ليس معنى السؤال: أن من يسأل يجهل ما يسأل عنه!!! فعلم (البيان) يشرح كيف أن السؤال يخرج عن معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى، والأمثلة على ذلك كثيرة جدًا منها قول الشاعر:

ودع الوعيد فما وعيدك ضائري

أطنين أجنحة الذباب يضير؟!

فهو لا يقصد أن يسأل: هل طنين أجنحة الذباب يسبب ضررًا أم لا، فالإجابة معروفة. إنما يقصد تشبيه تهديد عدو له بطنين أجنحة الذباب الذي لا يمكن أن يضر. وفي علم البيان يُقال إن هذا السؤال خرج عن معناه الأصلي إلى الإستهزاء أو التهكم أو التحقير، وليس المقصود به معرفة الجواب»[2].

وعندما سأل الله آدم: أين أنت؟ هل أكلت...؟ لم يكن السؤال بسبب عدم المعرفة! حاشا، فلا

شيء يختبئ عنه. إنما سأله ليوقفه أمام جريمته التي ارتكبها. ليتذكر ماذا فعل. ولكي يعطيه الفرصة لكي يفكر في سر هروبه واختبائه. ليفكر في الدوافع التي دفعته ليعصي الله. ليتأمل في النتائج. ولكي يشعر بأن الله لن يترك عصيان بلا محاسبة وبلا محاكمة. لقد كان يريد أن يفتح الحديث مع آدم لكي يعترف بما فعل. ويتوب عن خطيته.

وبنفس الأسلوب لدينا العديد من النماذج لأسئلة سألها الله:

سأل قايين بعد أن قتل أخيه هابيل: أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ؟ (تك٤:٩). سأله وهو يعرف كل ما حدث. بدليل أنه لما أنكر قال له: «صَوْتُ دَمِ أَخِيكَ صَارِخٌ إِلَيَّ مِنَ الأَرْضِ. فَالآنَ مَلْعُونٌ أَنْتَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي فَتَحَتْ فَاهَا لِتَقْبَلَ دَمَ أَخِيكَ مِنْ يَدِكَ» (تك ٤:١٠، ١١). لقد كان الله يريد أن يعطي قايين الفرصة ليفكر فيما فعله. وكيف يقتل أخوه؟ سأله ليراجع نفسه. ليتوب عن شره.

سأل إيليا وهو خائف وهارب في مغارة في جبل حوريب: «مَا لَكَ هٰهُنَا يَا إِيلِيَّا؟» وكأنه يقول له: لماذا هربت؟ هل هذا هو مكانك؟ راجع نفسك وخذ موقعك الصحيح؟

سأل أيوب: «أَيْنَ كُنْتَ حِينَ أَسَّسْتُ الأَرْضَ؟ أَخْبِرْ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ فَهْمٌ. مَنْ وَضَعَ قِيَاسَهَا؟ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قُرَّتْ قَوَاعِدُهَا؟ أَوْ مَنْ وَضَعَ حَجَرَ زَاوِيَتِهَا؟ (أي ٣٨: ٤-٧). ليس المقصود طبعًا معرفة أين كان وقت الخلق. لأنه لم يكن قد وُلِد بعد. إنما السؤال يقصد به التعجيز. وإشعاره بجهله وضعفه.

وهكذا استمر الله في أسئلته لأيوب: «وَمَنْ حَجَزَ الْبَحْرَ بِمَصَارِيعَ حِينَ انْدَفَقَ فَخَرَجَ مِنَ الرَّحِمِ؟ أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى حَيْثُ يَسْكُنُ النُّورُ؟ (أي ٣٨: ٨، ١٠، ١٢). كلها أسئلة ليس المقصود بها طلب المعرفة. إنما ليدرك أن الله يَسأل ولا يُسأل.

وقد كان الرب يسوع بارعًا في استخدام الأسئلة. لدرجة أن أحد اللاهوتيين قال مرة: «إن يسوع لم يأت ليجيب على أسئلة الناس بل ليطرحها»[٣].

وأشار أحد الكتّاب إلى أن يسوع قدم ما يقرب من ١٥٤ سؤالًا. وكان أسلوبه متنوعًا في طرح الأسئلة. ولم تكن أسئلته بقصد المعرفة.

لقد طرح أسئلة ليواجه المستمع نفسه. فقال: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ!» (يو ٨: ٧).

وسأل بطرس: أَتُحِبُّنِي؟ (يو ٢١:١٥) لكي يراجع نفسه.

وطرح أسئلة لإثارة التفكير فقال لتلاميذه: «وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟» (مت ١٦: ١٥).

وكان يسأل أسئلة ليفكر المستمع في مشكلته وكيفية حلها. فسأل المفلوج «أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ؟» (يو ٥: ٦).

ولعل هذا السؤال من أغرب الأسئلة. تخيل نفسك أصبت بمرض ما. وذهبت إلى أحد الأطباء الكبار. وبينما أنت في العيادة. دخل صديق بالصدفة وسألك هذا السؤال: أتريد أن تبرأ من مرضك؟

ولكن في الحقيقة هو سؤال عميق من أكبر وأعظم محلل نفسي. سأله ليجعله يدخل إلى أعماق ذاته ويحلل المشكلة. ويفكر في أسباب المرض؟ وهل لديه إرادة في الحياة أم لا؟ وهل فعلًا يريد الشفاء أم أنه مستمتع بشفقة وعطف الناس عليه؟ هو سؤال يدعو لفحص الذات أو قل

النقد الذاتي.

وسأل ابني زبدي: «مَاذَا تُرِيدَانِ أَنْ أَفْعَلَ لَكُمَا؟» (مر١٠: ٣٦)؟

وسأل أسئلة لتطبيق واستنتاج الحق. فسأل الناموسي: فَأَيُّ هؤُلاَءِ الثَّلاَثَةِ تَرَى صَارَ قَرِيبًا لِلَّذِي وَقَعَ بَيْنَ اللُّصُوصِ؟ (لو١٠: ٣٦).

وقدم أسئلة تطبيقية رائعة لا يمكن للمستمع أن ينساها وهي لا تحتاج إلى إجابة مثل: لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنسان لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ. وَأَهْلَكَ نَفْسَهُ أَوْ خَسِرَهَا؟ (لو ٩: ٢٥).

وقدم أسئلة لا تحتاج إلى أجوبة ويتضح الحق لكل مفكر فيها مثل: هَلْ يَحِلُّ فِي السَّبْتِ فِعْلُ الْخَيْرِ أَوْ فِعْلُ الشَّرِّ؟ تَخْلِيصُ نَفْسٍ أَوْ قَتْلٌ؟ (مر ٣: ٤).

لقد استطاع أن يجعل الاستفهام يخرج عن معناه الحقيقي إلى معان أخرى. فلا يعني الاستفهام فقط بل مثلًا:

التوبيخ: لِمَاذَا أَنْتُمْ نِيَامٌ؟ (لو ٢٢: ٤٦).

التحسر: أَهكَذَا مَا قَدَرْتُمْ أَنْ تَسْهَرُوا مَعِي سَاعَةً وَاحِدَةً؟ (مت ٢٦: ٤٠).

التعجب: مَا بَالُكُمْ خَائِفِينَ هكَذَا؟ كَيْفَ لاَ إِيمَانَ لَكُمْ؟ (مر ٤: ٤٠).

الإنكار: هَلْ يَسْتَطِيعُ بَنُو الْعُرْسِ أَنْ يَنُوحُوا مَا دَامَ الْعَرِيسُ مَعَهُمْ؟ (مت ٩: ١٥).

النفي: مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنسان لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ (مت ١٦: ٢٦).

واليوم الرب يسأل كل منا: أين أنت؟ أين أخوك؟ أخبني؟ أتريد أن تبرأ؟ أتريد أن تنال بركة؟ أتريد أن تسعد؟ أتريد أن تحل مشكلاتك العائلية؟

أتمنى أن تفكّر في كل سؤال. وتدخل إلى أعماق نفسك وتبحث عن الإجابة.

المراجع

(١) منقذ بن محمود السقار. هل العهد القديم كلمة الله؟ ص٣٧.

(٢) البابا شنودة الثالث. سنوات مع أسئلة الناس. ص ٢٩. ٣٠.

(٣) ج. م. برايس. يسوع المعلم العظيم. ص١٤٢..

(٣)

هل هو إله يميِّز بين عبيده؟

ورد في تكوين ٤: ٢-٥ هذه الكلمات: «وَكَانَ هَابِيلُ رَاعِيًا لِلْغَنَمِ، وَكَانَ قَايِينُ عَامِلًا فِي الأَرْضِ. وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ أَنَّ قَايِينَ قَدَّمَ مِنْ أَثْمَارِ الأَرْضِ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ. وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضًا مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا. فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ. وَلَكِنْ إِلَى قَايِينَ وَقُرْبَانِهِ لَمْ يَنْظُرْ. فَاغْتَاظَ قَايِينُ جِدًّا وَسَقَطَ وَجْهُهُ».

وهي تطرح العديد من الأسئلة مثل:

لماذا قبِل الله تقدمة هابيل ورفض تقدمة قايين؟

لماذا التفرقة؟

وما هو السبب في رفض تقدمة قايين بل ورفضه هو شخصيًا؟

وهل صحيح أن الرب قبل تقدمة هابيل لأنها ذبيحة حيوانية؟ وما ذنب قايين الذي لم يكن راعيًا للغنم؟

وللإجابة على هذه الأسئلة أقول:

هناك رأيان أساسيان في هذه القضية وهما:

الرأي الأول ويقول أصحابه: إن الرب قبِل تقدمة هابيل لأنها ذبيحة حيوانية، ورفض تقدمة قايين لأنها نباتية. ويبنون هذا الفكر على أساس أن الرب طلب الذبيحة الحيوانية، وأن الأرض كانت ملعونة، فلا يليق أن نقدم من نتاج زرعها للرب.

لكن مع احترامي وتقديري الكبير لمن ينادون بهذا الرأي لا أتفق كثيرًا معهم، ومعظم اللاهوتيين كذلك، فمثلًا يقول ديريك كدنر: «من المشكوك فيه القول بأن عدم وجود الدم جعل تقدمة قايين بلا فائدة أو مرفوضة»[1]. وذلك بالطبع لعدة أسباب وهي:

(أ) ما هو ذنب قايين الذي لم يكن راعيًا للغنم؟ فلقد قدَّم كل منهما مما يمتلك! إلى جانب أن تقديم ثمار الأرض للرب لم يكن ممنوعًا في العهد القديم، بل لقد طلب الرب من شعبه قائلًا: «وَمَتَى أَتَيْتَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا وَامْتَلَكْتَهَا وَسَكَنْتَ فِيهَا، فَتَأْخُذُ مِنْ أَوَّلِ كُلِّ ثَمَرِ الأَرْضِ الَّذِي تَحْصُلُ مِنْ أَرْضِكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ وَتَضَعُهُ فِي سَلَّةٍ وَتَذْهَبُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلهُكَ لِيُحِلَّ اسْمَهُ فِيهِ. وَتَأْتِي إِلَى الْكَاهِنِ الَّذِي يَكُونُ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ وَتَقُولُ لَهُ:... هأَنَذَا قَدْ أَتَيْتُ بِأَوَّلِ ثَمَرِ الأَرْضِ الَّتِي أَعْطَيْتَنِي يَا رَبُّ. ثُمَّ تَضَعُهُ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ، وَتَسْجُدُ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ... وَتَفْرَحُ بِجَمِيعِ الْخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ الرَّبُّ إِلهُكَ...» (تث٢٦: ١-١١).

(ب) لم يطلب الله من قبل أن تكون التقدمة حيوانية، فلا يوجد نص واحد يقول إن الله طلب من آدم وحواء ذبائح حيوانية، وما ينادي

به البعض هو مجرد استنتاج لما نقرأه في تكوين ٣: ٢١ «وَصَنَعَ الرَّبُّ الإِلهُ لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا». فلا تقول هذه الآية أن الله قدم ذبيحة حيوانية أمامهما، أو طلب منهما ذلك. ويؤكد هذا دونالد جوثري قائلًا: «لم تكن هناك سابقة لذبيحة دموية، ولا يوجد دليل مكتوب على أن الله كان قد قدَّم تعليمات للأخوين عن نوع الذبائح التي يجب أن يقدماها»[٢].

(ج) لم تكن الذبيحة فقط هي مصدر سرور قلب الله، أو سبب رضاه عن الإنسان في العهد القديم. فقد قال الرب لشعبه: «لِمَاذَا لِي كَثْرَةُ ذَبَائِحِكُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ. اتَّخَمْتُ مِنْ مُحْرَقَاتِ كِبَاشٍ وَشَحْمِ مُسَمَّنَاتٍ، وَبِدَمِ عُجُولٍ وَخِرْفَانٍ وَتُيُوسٍ مَا أُسَرُّ..... اِغْتَسِلُوا. تَنَقَّوْا. اعْزِلُوا شَرَّ أَفْعَالِكُمْ مِنْ أَمَامِ عَيْنَيَّ. كُفُّوا عَنْ فِعْلِ الشَّرِّ. تَعَلَّمُوا فَعْلَ الْخَيْرِ. اطْلُبُوا الْحَقَّ. انْصِفُوا الْمَظْلُومَ. اقْضُوا لِلْيَتِيمِ. حَامُوا عَنِ الأَرْمَلَةِ» (إش ١: ١١-١٧). وقال على لسان داود: «لأَنَّكَ لاَ تُسَرُّ بِذَبِيحَةٍ وَإِلاَّ فَكُنْتُ أُقَدِّمُهَا. بِمُحْرَقَةٍ لاَ تَرْضَى. ذَبَائِحُ اللهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. اَلْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ يَا اَللهُ لاَ تَحْتَقِرُهُ» (مز ٥١: ١٦-١٧).

ويتساءل ميخا قائلًا: «بِمَ أَتَقَدَّمُ إِلَى الرَّبِّ وَأَنْحَنِي لِلإِلهِ الْعَلِيِّ؟ هَلْ أَتَقَدَّمُ بِمُحْرَقَاتٍ، بِعُجُولٍ أَبْنَاءِ سَنَةٍ؟ هَلْ يُسَرُّ الرَّبُّ بِأُلُوفِ الْكِبَاشِ، بِرِبَوَاتِ أَنْهَارِ زَيْتٍ؟ قَدْ أَخْبَرَكَ أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا هُوَ صَالِحٌ. وَمَاذَا يَطْلُبُهُ مِنْكَ الرَّبُّ، إِلاَّ أَنْ تَصْنَعَ الْحَقَّ وَتُحِبَّ الرَّحْمَةَ، وَتَسْلُكَ مُتَوَاضِعًا مَعَ إِلهِكَ» (مي ٦: ٦-٨).

الرأي الثاني: الأسباب التي جعلت الرب يقبل تقدمة هابيل ويرفض تقدمة قايين:

(١) الله ينظر أولًا إلى المعطي قبل العطية:

يسجل الوحي بدقة قائلًا: «فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ. وَلَكِنْ إِلَى قَايِينَ وَقُرْبَانِهِ لَمْ يَنْظُرْ» (تك ٤: ٤-٥). ما أجمل ما تحتويه هذه الكلمات من معانٍ عميقة. فأرجو أن تلاحظ أنه يسجل اسم الشخص قبل قربانه. فالله ينظر أولًا إلى المعطي قبل العطية. إنه ينظر إلى الدوافع، الأهداف، الفكر، القلب، قبل أن ينظر إلى التقدمة. أليس هو المالك الأعظم والأوحد للأرض وكل ما عليها، والمسكونة وكل الساكنين فيها (مز ٢٤: ١)؟ وهل أنال رضى الله وقبوله بتقديم عدد من الكباش والعجول والتيوس، أو كمية من أثمار الأرض، أو مبلغ كبير من المال؟! حاشا. ألم يقل الرب على لسان داود: «هَلْ آكُلُ لَحْمَ الثِّيرَانِ، أَوْ أَشْرَبُ دَمَ التُّيُوسِ؟ اِذْبَحْ للهِ حَمْدًا، وَأَوْفِ الْعَلِيَّ نُذُورَكَ» (مز ٥٠: ١٣-١٥). لقد قبل فلسين من الأرملة الفقيرة ولم يقبل أضعاف أضعافهما من حنانيا وسفيرة.

لقد قدم هابيل تقدماته بكل خشوع وتواضع، بينما كان قايين متكبرًا كما يرى ديريك كدنر[٣]. ولعل ما يؤكد هذا قول الوحي عن قايين عندما رفض الله تقدمته: «فَاغْتَاظَ قَايِينُ جِدًّا وَسَقَطَ وَجْهُهُ» (تك ٤: ٥). فبدلًا من أن يراجع نفسه ويصحح موقفه اغتاظ جدًا من الله لأنه لم يجد قبولًا، واغتاظ جدًا من هابيل لأنه نال رضى الله وبالتالي سينال رضى والديه أيضًا. وموقف الغيظ يعبِّر عن شخص لا يرى عيوبه وضعفاته، بل يرى نفسه كاملًا. وتتضح الصورة أكثر عندما يقول الوحي: «وَسَقَطَ وَجْهُهُ». أي كما يقول د. القس

صموئيل يوسف: كان وجهه عند تقديم قربانه مرتفعًا ومنتفخًا[٤].

ويرى د. القس غبريال رزق الله أن قايين وهابيل كانا يشبهان الفريسي والعشار، فقد أتى قايين قدام الرب بروح فريسية حاسبًا نفسه أفضل من أخيه لأنه يقدِّم قربان للرب من إنتاج عمله ومجهودات قوته، بينما ما يقدمه هابيل ليس من إنتاجه ولا من خلق يديه»[٥].

(٢) قبِل الله تقدمة هابيل لأنه قدمها بالإيمان:

في الحقيقة يقدم كاتب الرسالة إلى العبرانيين الشرح الوافي والكافي لجواب السؤال فيقول: «بِالإِيمَانِ (πιστει) قَدَّمَ هَابِيلُ لِلهِ ذَبِيحَةً أَفْضَلَ مِنْ قَايِينَ. فَبِهِ شُهِدَ لَهُ أَنَّهُ بَارٌّ، إِذْ شَهِدَ اللهُ لِقَرَابِينِهِ. وَبِهِ، وَإِنْ مَاتَ، يَتَكَلَّمُ بَعْدُ!» (عب ١١: ٤). فواضح هنا سر قبول الرب لتقدمة هابيل وهو الإيمان. والأفضلية هنا ليست في نوع التقدمة سواء كانت حيوانية أو زراعية بل لأنها قدِّمت «بِالإِيمَانِ» (πιστει). ولذلك يقول: «فَبِهِ (بالايمان) شُهِدَ لَهُ أَنَّهُ بَارٌّ، إِذْ شَهِدَ اللهُ لِقَرَابِينِهِ. وَبِهِ (بالإيمان) وَإِنْ مَاتَ، يَتَكَلَّمُ بَعْدُ». هذا الإيمان الذي هو الثقة في الله والاحتماء به وحده، واللجوء إليه في الضيق، والتلذذ به دائمًا في كل ظروف الحياة، والابتهاج به وفيه طول الأيام. هذا هو ما يشبع قلب الله، وليس كم نعطي أو ماذا نقدِّم. ولذلك يكمل كاتب الرسالة إلى العبرانيين قائلًا: «وَلَكِنْ بِدُونِ إِيمَانٍ لاَ يُمْكِنُ إِرْضَاؤُهُ».

وربما تسأل وهل لم يكن لدى قايين إيمان؟ أليس في تقديم ثمار الأرض إيمان؟ نعم كان عنده إيمان ولكن كان إيمانه إيمان الشياطين، كان إيمانًا عقليًا بحتًا لم يتحول إلى سلوك وأفعال. وهذا ما سنراه بوضوح بعد ذلك.

(٣) قدم هابيل أفضل ما يملك، و لم يقدم قايين ما يليق بالرب:

تسأل لماذا قبِل الله تقدمة هابيل؟ الإجابة ببساطة: لأنه قدم أفضل ما يملك للرب. فنقرأ: «وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضًا مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا» (تك ٤: ٤). والفكرة هنا ليست لأن الأبكار والسمان لها قيمة أعلى في السوق، بل لأنها رمز الأهمية والأولوية. وهذه الكلمات تأتي في بعض الترجمات كالآتي:

(ت ك ح) «وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضًا مِنْ خَيْرَةِ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَأَسْمَنِهَا».

(MSG) Abel also brought an offering, but from the firstborn animals of his herd, choice cuts of meat.

وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضًا تقدمته ولكن مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ، اختار أَسْمَنِهَا.

ويقول ديفيد أتنكسون: تعبير «مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا» يعني أن هابيل قدم صفوة غنمه للرب، أي قدم أفضل ما عنده بل صفوة أفضل ما عنده، فكانت تقدمته تقدمة تكريس، أما قايين فقد قدم أقرب شيء كان في متناول يده»[٦].

كان يجب على قايين أن يقدم باكورة ثمار الأرض، أو أجود أثمار الأرض، لكن ما يسجله الوحي هو: «وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ أَنَّ قَايِينَ قَدَّمَ مِنْ أَثْمَارِ الأَرْضِ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ» (تك ٤: ٣). ويقول المدراش عن قايين: «إنه أحضر الحثالة وآخر الثمار وقدمها للرب».

وعندما يقارن كاتب الرسالة إلى العبرانيين بين تقدمة قايين وتقدمة هابيل يقول:

«بِالإِيمَانِ قَدَّمَ هَابِيلُ لِلَّهِ ذَبِيحَةً أَفْضَلَ (πλείονα θυσίαν) مِنْ قايِينَ. فَبِهِ شُهِدَ لَهُ أَنَّهُ بَارٌّ» (عب ١١:٤).

وتعبير «ذَبِيحَةً أَفْضَلَ» يرد في كل الترجمات الإنجليزية (more excellent)

(MKJV) By faith Abel offered to God a more excellent sacrifice than Cain

(ت ك ح) بِالإِيمَانِ قَدَّمَ هَابِيلُ لِلَّهِ ذَبِيحَةً أَفْضَلَ مِنْ تِلْكَ الَّتِي قَدَّمَهَا قايِينُ.

(ت ع م) بالإيمانِ قدَّمَ هابيلُ للهِ ذَبيحَةً أفضَلَ مِنْ ذَبيحةِ قايينَ.

(٤) لم تكن هذه أول ذبيحة يقدمها هابيل:

يرى عدد من العلماء أن هذه لم تكن أول ذبيحة يقدمها هابيل. فقد كان معتادًا على تقديم الذبائح للرب. وما يؤكد هذا قول الوحي: «بِالإِيمَانِ قَدَّمَ هَابِيلُ لِلَّهِ ذَبِيحَةً أَفْضَلَ مِنْ قايِينَ. فَبِهِ شُهِدَ لَهُ أَنَّهُ بَارٌّ إِذْ شَهِدَ اللهُ لِقَرَابِينِهِ». وأرجو أن تلاحظ أنه يقول بصيغة المفرد أنه قدم «ذَبِيحَةً». ثم يقول بصيغة الجمع أن الله شَهِدَ «لِقَرَابِينِهِ»[٧]. وهي ترد في كل الترجمات الإنجليزية إما (his gifts) أو (his offerings) أو (his sacrifices) إذًا كانت هناك قرابين أخرى قد قدمها قبل هذه الذبيحة الأخيرة التي قُتِل بعدها وقد شهد الله لها جميعًا. وهذه الفكرة تتضح أكثر في ترجمة:

(GW) «Faith led Abel to offer God a better sacrifice than Cain's sacrifice. Through his faith Abel received God's approval, since God accepted his sacrifices».

قاد الإِيمَان هَابِيل ليقدّم لِلَّهِ ذَبِيحَةً أَفْضَلَ مِنْ قايِينَ، وبإيمانه نال قبول الله، لأن الله قبل قرابينه.

(٥) كان قايين إنسانًا شريرًا، بينما كان هابيل إنسانًا بارًا:

نجد أيضًا في كلمات الرسول يوحنا إجابة واضحة لسؤالنا إذ يقول: «لَيْسَ كَمَا كَانَ قايِينُ مِنَ الشِّرِّيرِ وَذَبَحَ أَخَاهُ. وَلِمَاذَا ذَبَحَهُ؟ لأَنَّ أَعْمَالَهُ كَانَتْ شِرِّيرَةً، وَأَعْمَالَ أَخِيهِ بَارَّةً» (١يو ٣: ١٢).

فلقد رفض الرب ذبيحة قايين لأنه كان شريرًا، وكل أعماله وتصرفاته طوال السنين كانت شريرة. وقد قال الحكيم: «ذَبِيحَةُ الأَشْرَارِ مَكْرَهَةُ الرَّبِّ، وَصَلاَةُ الْمُسْتَقِيمِينَ مَرْضَاتُهُ» (أم ١٥:٨).

بينما قتِل الرب ذبيحة هابيل لأنه كان إنسانًا بارًا، ولدينا أكثر من شهادة عن بره:

فقد شَهِدَ عنه الرسول يوحنا قائلًا: «لأَنَّ أَعْمَالَهُ كَانَتْ شِرِّيرَةً، وَأَعْمَالَ أَخِيهِ بَارَّةً (δικαια)» (١يو ٣: ١٢).

وشَهِدَ عنه الرب يسوع قائلًا: «لِكَيْ يَأْتِيَ عَلَيْكُمْ كُلُّ دَمٍ زَكِيٍّ (δίκαιον) سُفِكَ عَلَى الأَرْضِ، مِنْ دَمِ هَابِيلَ الصِّدِّيقِ (δικαίου) إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا» (مت ٢٣:٣٥).

وكلمة «الصِّدِّيقِ» في اللغة اليونانية تعني «البار» الطاهر من الذنوب، الذي ينمو على حب الخير.

ولدينا شهادة الله الآب عنه فيقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين: «بِالإِيمَانِ قَدَّمَ هَابِيلُ لِلَّهِ ذَبِيحَةً أَفْضَلَ مِنْ قايِينَ. فَبِهِ شُهِدَ لَهُ أَنَّهُ بَارٌّ (δίκαιος)».

كما شهد عن أيوب قديمًا قائلًا: «فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ؟ لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأَرْضِ، رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ،

يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ» (أي ١: ٨ و ٢: ٣)

وكما شهد عن داود قائلًا: «وَجَدْتُ دَاوُدَ بْنَ يَسَّى رَجُلًا حَسَبَ قَلْبِي» (أع ١٣:٢٢).

ويقول الرسول يوحنا «إِنْ كُنَّا نَقْبَلُ شَهَادَةَ النَّاسِ، فَشَهَادَةُ اللهِ أَعْظَمُ» (١يو ٥: ٩).

(٦) قدم هابيل قلبه أولًا قربانًا للرب:

يرى عدد من العلماء أن كلمة «أيضًا» في قول الوحي: «وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضًا مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا» إشارة إلى أنه كان قد قدم شيئًا قبل ذلك، وما هذا الشيء سوى قلبه وحياته، إنه يشبه كنيسة مكدونية الذين كُتِب عنهم: «أَعْطَوْا أَنْفُسَهُمْ أَوَّلًا لِلرَّبِّ» (٢كو ٨: ٥)[٨].

عزيزي القارئ: لقد قال الوحي عن هابيل: «وَبِهِ، وَإِنْ مَاتَ، يَتَكَلَّمُ بَعْدُ!» (عب ١١:٤). وهذه العبارة ترد في:

(ت ك ح) «وَمَعَ أَنَّ هَابِيلَ مَاتَ قَتْلًا، فَإِنَّهُ مَازَالَ الآنَ يُلَقِّنُنَا الْعِبَرَ بِإِيمَانِهِ».

(ت ع م) «وبالإيمانِ ما زالَ يتكَلَّمُ بَعدَ مَوتِهِ».

ويعلق موفات قائلًا: «الموت لن يكون الكلمة الأخيرة في حياة الإنسان». ويقول باركلي: «كل إنسان بعد وفاته يترك شيئًا ما، إما أعشاب سامة أو أغصان تزهر وتثمر بلا نهاية، كل إنسان يترك مثالًا إما للخير أو الشر. تُرى ما هو الشيء الذي ستتركه أنت؟؟»

المراجع

(١) ديريك كدنر. سفر التكوين. ص٧٨.

(٢) دونالد جوثري. الرسالة إلى العبرانيين. ص٢١٥.

(٣) ديريك كدنر. سفر التكوين. ص٧٨..

(٤) د. القس صموئيل يوسف. كلامك روح وحياة. ص١٨.

(٥) د. القس غبريال رزق الله. شرح الرسالة إلى العبرانيين. ص٥٠٤.

(٦) ديفيد أتنكسون. سفر التكوين. ص١٣٦.

(7) John Gill's Exposition of the Entire Bible, p. 486.

(8) Donald W. Burdick. The NIV Study Bible, p. 1920.

(٤)

هل هو إله محدود؟

«فَخَرَجَ قايِينُ مِنْ لَدُنِ الرَّبِّ، وَسَكَنَ فِي أَرْضِ نُودٍ شَرْقِيَّ عَدْنٍ» (تك ٤:١٦).

كيف خرج قايين من لدن الرب؟

وهل الرب غير موجود في أرض نود؟ هل هو إله محدود؟

وللإجابة على هذا السؤال أقول:

* من المعروف أن الله روح (يو ٤:٢٤) غير محدود وغير متناه، لا يخلو منه مكان ولا زمان. فقد قال الرب: «اَلسَّمَاوَاتُ كُرْسِيِّي، وَالأَرْضُ مَوْطِئُ قَدَمَيَّ» (إش ٦٦:١). وقال أيضًا: «أَمَا أَمْلأُ أَنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، يَقُولُ الرَّبُّ؟» (إر ٢٣:٢٤). أما عن قول الوحي: «فَخَرَجَ قايِينُ مِنْ لَدُنِ الرَّبِّ» فالمقصود به أمران:

(١) على الرغم من معرفتنا بأن الله موجود في كل مكان، لكننا نستخدم التعبير (في حضرة الرب) للتعبير عن قضائنا فترة عبادة أو تسبيح أو صلاة نتكلم فيها مع الله. فنقول في إحدى الترانيم «لندخلن لحضر الملك». وفي ترنيمة أخرى «أدخل لقدسك، أترجى وجهك». ويقول المرنم: «اُعْبُدُوا الرَّبَّ بِفَرَحٍ. ادْخُلُوا إِلَى حَضْرَتِهِ بِتَرَنُّمٍ» (مز ١٠٠:١). وكُتِب عن موسى: «وَكَانَ مُوسَى عِنْدَ دُخُولِهِ أَمَامَ الرَّبِّ لِيَتَكَلَّمَ مَعَهُ يَنْزِعُ الْبُرْقُعَ حَتَّى يَخْرُجَ. ثُمَّ يَخْرُجُ وَيُكَلِّمُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا يُوصَى» (خر ٣٤:٣٤).

ولذلك عندما يقول الوحي عن قايين أنه خرج «مِنْ لَدُنِ الرَّبِّ» فكما يقول جون جيل (John Gill) [1] هذا يعني أنه خرج من المكان الذي كان الله يتحدث معه فيه، فقبل أن يسجِّل الوحي عنه أنه «خَرَجَ مِنْ لَدُنِ الرَّبِّ» كان هناك حديث طويل بينه وبين الرب (راجع تك ٤: ٩-١٥). فالكاتب هنا يريد أن يوضِّح لنا أن قايين قطع الحديث مع الله، وأنه غادر هذا المكان. ولعل الترجمات الأخرى توضح المعنى أكثر فنقرأ:

(ت ك ح) وَهَكَذَا خَرَجَ قَايِينُ مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ وَسَكَنَ فِي أَرْضِ نُودٍ شَرْقِيَّ عَدْنٍ.

(ت ع م) وخرَجَ قايينُ مِنْ أمامِ الرّبِّ وأقامَ بأرضِ نُود شَرقيَّ عَدْنٍ.

(BBE) And Cain went away from before the face of the Lord, and made his living-place in the land of Nod on the east of Eden.

وذهب قَايِينُ بعيدًا مِنْ أمام وجه الرَّبِّ وجعل مَسكنه فِي أَرْضِ نُودٍ شَرْقِيَّ عَدْنٍ.

(ESV) Then Cain went away from the presence of the LORD and settled in the land of Nod, east of Eden.

وذهب قَايِينُ بعيدًا مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ وَسَكَنَ فِي

أَرْضِ نُودٍ شَرْقِيَّ عَدْنٍ.

(٢) هناك معنى روحي جميل، فكما ذكرت من قبل، أنه قبل أن يسجل الوحي عن قايين أنه «خَرَجَ مِنْ لَدُنِ الرَّبِّ» كان هناك حوار طويل بينه وبين الرب، سأله فيه الرب: «أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ؟... «مَاذَا فَعَلْتَ؟» (راجع تك ٤: ٩-١٠). ولم يكن الله يسأله ليعرف، فهو الذي يعرف كل شيء، حتى أعماق الإنسان، إنما سأله ليوقفه أمام جريمته التي ارتكبها، ولكي يشعر بما فعله من ذنب، وليعترف بالجرم، ويتوب عنه. ولكن للأسف لم يعترف بالجرم، ولم يطلب المغفرة، وكان كل ما قاله: «إِنَّكَ قَدْ طَرَدْتَنِي الْيَوْمَ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، وَمِنْ وَجْهِكَ أَخْتَفِي وَأَكُونُ تَائِهًا وَهَارِبًا فِي الأَرْضِ، فَيَكُونُ كُلُّ مَنْ وَجَدَنِي يَقْتُلُنِي».

لذلك عندما لم يواجه قايين نفسه، ولم يعترف بخطيته، ولم يطلب الغفران، خرج من محضر الرب، خرج من لدن الرب، أو قل أنه طُرِح من أمام وجه الرب، أو طُرِد من أمام وجه الرب ومن حضرته، لم يحتمل مواجهة نور الرب بعد أن ارتكب هذه الخطية الشنيعة، والخطية ظلمة، فالظلمة غشته، فلم يقدر أن يتراءى أمام الله، لأنه من المستحيل أن تثبت الظلمة أمام النور، فالخروج هنا ليس خروجًا مكانيًا، إنما هو خروج عن الشركة مع الله والتمتع بالتواجد في حضرته. لذلك يقول الوحي: «وَسَكَنَ فِي أَرْضِ نُودٍ»، أي أرض التيه أو المنفي، لأنه من المستحيل أن يسكن الخاطئ في حضرة الرب. وترد في بعض الترجمات الإنجليزية كالآتي:

(GNB), (GW) Then Cain left the LORD'S presence and lived in Nod [The Land of Wandering], east of Eden.

وذهب قَايِينُ بعيدًا مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ وَسَكَنَ فِي نود أَرْضِ التيهان شَرْقِيَّ عَدْنٍ.

(MSG) Cain left the presence of GOD and lived in No-Man's-Land, east of Eden.

وترك قَايِينُ محضر الرَّبِّ وَسَكَنَ فِي المنفي شَرْقِيَّ عَدْنٍ.

المراجع

(1) John Gill's, Exposition of the Entire Bible. p. 349..

(٥)

هل هو إله متردد؟

«فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإنسان فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ. فَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإنسان الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإنسان مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ» (تك ٦: ٦-٧).

هذه الكلمات تجد هجومًا شديدًا من عدد كبير من النقاد، وأنا هنا أقتبس بعض ما قيل من هجوم على هذه الآيات:

يقول دكتور مصطفي محمود «نرى الله يفعل الفعل ثم يندم عليه، وكأنه لا يدري من أمر نفسه شيئًا، ولا يعرف ماذا يخبئه الغيب»[1]. ويضيف: «رب عجيب.. ما يلبث أن يندم على ما يفعل.. الرب في حالة خطأ وندم بطول التوراة وعرضها... كيف يخطئ الرب ويندم؟ هوذا خلط ودشت من الكلام تكتبه أقلام وليس وحيًا ولا تنزيلًا.. والاعتراض بأنها كلمة مجازية هو اعتراض غير سليم، ولا يصلح مجازًا ولا فعلًا أن نقول إن الله يخطئ، كما لا يصلح مجازًا أن نقول إن الله يكذب أو يظلم أو يجهل... هذه كلمات لا يصح إطلاقها على الله ولو مجازًا»[2].

فهنا تواجهنا عدة أسئلة وهي:

ما معنى حزن الله وتأسَّف في قلبه؟

هل يحزن الله؟ أليس الحزن ضعف؟

وهل يجوز إطلاق صفات بشرية على الله؟

وللإجابة على هذه الأسئلة أقول:

أولًا: استخدام التعبيرات البشرية عن الله:

الكتاب المقدَّس هو رسالة الله للبشرية، ولذلك هو لا يخاطبنا بلغته، ولا بلغة الملائكة بل بلغتنا واصطلاحاتنا لندرك حقائق الأمور، لذلك نجد الروح القدس يستخدم اللغة البشرية للتعبير عن المعاني الروحية والأحداث الإلهية حتى يفهمها الإنسان، وإلاَّ لكان الله يكلم الإنسان بلغة لا يفهمها، فكيف يتعامل الله مع الإنسان بغير لغة الإنسان؟ واستخدام الصفات البشرية في وصف الله تُعرَّف في علم اللاهوت بمنهج «أنثروبومورفيزم» (Anthropomorphism) أي (تشبيه الله بالإنسان)، أو تشبيه الله بصفات بشرية بهدف وصول المعاني الإلهية للإنسان بلغة قريبة إلى فهم الإنسان.

ولهذا السبب نجد نصوصًا كثيرة في الكتاب المقدَّس، ينسب الله فيها إلى ذاته تشبيهات مألوفة لدى الإنسان مثل: «كرسي الله»، «يد الله»، «عينا الله»، «أقسم الرب»، «ذراع الرب»، «فم الرب»، «حزن الله»، «ندم الله»، الخ كما لو كان الله إنسانًا.

إنه من فضل نعمته يتكلم معنا مثلما يتكلم الأب مع ابنه الصغير، أو الأم مع طفلها الرضيع،

فعندما تسأله إن كان يريد ماء ليشرب، تقول له «امبو»، وإذا أرادت أن تعرف إن كان جائعًا، ويريد أن يأكل، تقول له «م»، لكي تتواصل معه.

وعندما نفنّد التعبيرات التي أطلقها الوحي على شخص الله سنجد أنها مجرد تعبيرات بشرية لتبسيط الحق الإلهي لنا. فمثلًا عندما نفكر في تعبير «كرسي الله» بالطبع الله لا يجلس على كرسي، ولا يوجد كرسي يسع الله، فهل الله محدود لدرجة أنه يجلس على كرسي؟! وأين هذا الكرسي؟! ألم يقل عن نفسه: «أَمَا أَمْلأُ أَنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، يَقُولُ الرَّبُّ؟» (إر ٢٣:٢٤).

وقال عنه سليمان: «لأَنَّهُ هَلْ يَسْكُنُ اللهُ حَقًّا عَلَى الأَرْضِ؟ هُوَذَا السَّمَاوَاتُ وَسَمَاءُ السَّمَاوَاتِ لاَ تَسَعُكَ» (١مل ٨: ٢٧).

وقال استفانوس: «كَمَا يَقُولُ النَّبِيُّ: السَّمَاءُ كُرْسِيٌّ لِي، وَالأَرْضُ مَوْطِئٌ لِقَدَمَيَّ» (أع ٧: ٤٨ - ٤٩).

ولكن الوحي عندما أراد أن يعبّر عن سيادة وسلطان الله استخدم هذا التعبير.

وتشبيه الله بصفات بشرية بهدف وصول المعاني الإلهية للإنسان ليس قاصرًا على الكتاب المقدس فقط بل نجده في القرآن أيضًا فيُنسَب إلى الله قوله: «يا حسرة على العباد ما يأتيهم رسول إلاّ كانوا يستهزءون» (يس ٣٦:٣٠). و«الحسرة» أصعب من الحزن والندم؟! ومكتوب عن الله أيضًا في القرآن: «ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين» (آل عمران ٣:٥٤)، و «المكر» صفة بشرية بغيضة. ويُنسَب إلى الله قوله أيضًا: «إن كيدي متين» (الأعراف ٧:١٨٣)، و «الكيد» أيضًا صفة بشرية سيئة!

وقال الإمام فخر الدين الرازي: «جميع الأعراض النفسانية، أعني الرحمة والفرح والسرور والغضب والحياء والمكر والاستهزاء، لها أوائل ولها غايات، مثاله الغضب، فإن أوله غليان دم القلب، وغايته إرادة إيصال الضرب إلى المغضوب (عليه) فلفظ الغضب في حق الله لا يحمل على أدلة الذي هو غليان دم القلب، بل على غرضه هو إرادة الإضرار، وكذلك الحياء له أول وهو انكسار يحصل في النفس، وله غرض وهو ترك الفعل، فلفظ الحياء في حق الله يحمل على ترك الفعل لا على انكسار النفس»[٣].

وقال الشيخ محيى الدين بن العربي في الباب الثالث من الفتوحات: «جميع ما وصف الحق تعالى به نفسه من خلق وإحياء وإماتة ومنع وعطاء ومكر واستهزاء وكيد وفرح وغضب ورضا وضحك وتبشيش وقدم ويد ويدين وأيد وعين وأعين، وغير ذلك كله نعت صحيح لربنا، ولكن على حد ما تقبله ذاته، وما يليق بجلاله»[٤].

ثانيًا: ما معنى حزن الله وتأسّف في قلبه؟

(١) بكل تأكيد الله منزّه عن الحزن والأسى والندم بالمفهوم البشري، لأن كل شيء عريان ومكشوف أمامه، فليس عنده ما نطلق عليه أنه غير متوقع، بل كل شيء معروف ومعلن لديه، ولأنه فوق الزمن، فلا يوجد عنده ماض وحاضر ومستقبل، فكل التاريخ حاضر أمامه. وهو القوي القادر على كل شيء، وضابط كل شيء فعلآم يحزن أو يندم بالمعنى البشري؟!! إن الله «لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلاَ ظِلُّ دَوَرَانٍ» (يع ١: ١٧). وقد قال الله عن نفسه: «لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ لاَ أَتَغَيَّرُ»

(ملا ٣:٦). وقال أيضًا: «لأَنِّي أَنَا اللهُ وَلَيْسَ آخَرُ. الإِلهُ وَلَيْسَ مِثْلِي. ١٠مُخْبِرٌ مُنْذُ الْبَدْءِ بِالأَخِيرِ، وَمُنْذُ الْقَدِيمِ بِمَا لَمْ يُفْعَلْ، قَائِلًا: رَأْيِي يَقُومُ وَأَفْعَلُ كُلَّ مَسَرَّتِي» (إش ٤٦: ٩-١٠). وقال عنه الوحي: «لَيْسَ اللهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبَ، وَلاَ ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ. هَلْ يَقُولُ وَلاَ يَفْعَلُ؟ أَوْ يَتَكَلَّمُ وَلاَ يَفِي؟» (عد ٢٣:١٩).

(٢) عندما يقول الوحي الإلهي عن الله أنه يحب ويكره ويفرح ويحزن ويتحسّر ويندم... الخ، فهو لا يقصد أن الله له حواس مثل حواسنا، إنما يريد أن يبين ويؤكد على مدى تفاعل الله مع البشر، وأن يبين أن له مواقف إزاء ما يفعله البشر. وليس هذا معناه أن الله قد يتغيّر في ذاته، إنما الذي يتغيّر هو الإنسان، وبالتالي يتغيّر حكم الله عليه، لأن الله عادل، والعدل الإلهي يقتضي أن يُجازي البشر على حسب أفعالهم.

فيقول (E. F. Kevan) (أ. ف. كيفن): «من المُسلَّم به أن حزن الله إنما هو في الواقع تعبير بشري يشير إلى غضب الله فعلًا. وهو يبين أن موقف الله بالنسبة للإنسان المخطئ لابد أن يختلف عن موقفه بالنسبة للإنسان المطيع»[٥].

وعلى ذلك فإن كان الكتاب المقدّس ينسب إلى الله هنا أنه «حَزِنَ وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ»، فهذا ليبين أن الله غير راضٍ عن الإنسان الذي ضل وغوى، وعوَّج طريقه.

(٣) عندما يقول الوحي الإلهي عن الله: «فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنسان فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ». فهي صياغة إنسانية بشرية بإرشاد الروح القدس حتى يدركها الإنسان، ويفهمها بعقله المحدود، ويعبّر بها الله للإنسان عن حجم الكارثة. فهي كلمات تعبّر من ناحية عن عمق الشر الكامن في الإنسان، ومدى فساده وابتعاده وزيغانه، ورفضه للتوبة والرجوع إلى الله خالقه، بل وأصل ومصدر حياته، ورغبته في السير وراء إبليس وإغراءاته، وشهوات قلبه.

وهي كلمات تعبّر من ناحية أخرى عن عمق محبة الله المتألمة النازفة. فبعد أن سرَّ الله بخلق الإنسان، وقال عنه أنه «حَسَنٌ جِدًّا» (تك ١:٣١) فإذا بهذا الإنسان موضع سرور الله قد هوى في بئر الخطية والشر. فكأن الله يقول أليس هذا هو الإنسان الذي خلقته على صورتي، وأحطته بمحبتي، ومنحته كل المواهب والإمكانيات التي تجعله يعمل ما يسرني، فلماذا أهانني بأفعاله الأثيمة، وجرحني بزيغانه بعيدًا عني، وعناد قلبه ورفضه للتوبة، والاستجابة لعمل روحي في داخله؟[٦]

إنه باختصار تعبير بشري يبين مدى نفور الله من الشر والخطية من جانب، ومدى محبة وشفقة الله على الإنسان الذي سقط وحلَّ به العقاب الإلهي من جانب آخر.

المراجع

(١) د. مصطفي محمود. التوراة. ص ١٢.

(٢) المرجع السابق. ص ٢١- ٢٥.

(٣) الإمام فخر الدين الرازي. التفسير الكبير. ج١٧، ص٣٢٩.

(٤) الشيخ محيى الدين بن العربي. الفتوحات. ص٣١٧.

(٥) أ. ف. كيفن. تفسير الكتاب المقدّس. ج١، ص ١٥٩.

(6) The NIV Study Bible. Zondervan Bible Publishers . U.S.A. 1985. p.1402.

(٦)

هل هو إله شره؟

«وَبَنَى نُوحٌ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ. وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَمِنْ كُلِّ الطُّيُورِ الطَّاهِرَةِ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ عَلَى الْمَذْبَحِ. فَتَنَسَّمَ الرَّبُّ رَائِحَةَ الرِّضَا. وَقَالَ الرَّبُّ فِي قَلْبِهِ: «لاَ أَعُودُ أَلْعَنُ الأَرْضَ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الإنسان، لأَنَّ تَصَوُّرَ قَلْبِ الإنسان شِرِّيرٌ مُنْذُ حَدَاثَتِهِ. وَلاَ أَعُودُ أَيْضًا أُمِيتُ كُلَّ حَيٍّ كَمَا فَعَلْتُ» (تك ٨: ٢٠-٢٢).

يسأل النقاد: ما الذي يرضي الله في قتل حيوان وحرقه بالنار؟ ما علاقة قتل حيوان بغفران ذنوب الإنسان؟ وهل لون الدم هو الذي يسكّن غضب الله؟ أم أن إله العهد القديم كان متعطشًا للدماء، ومحبًا للموت، ويريد أن تُقدَّم له الذبائح وتجري دماؤها أنهارًا في كل مكان؟

يقول د. منقذ بن محمود السقار: «ويذكر سفر التكوين أن الله رضي عن نوح وقومه بعد أن شم رائحة شواء المحرقات التي قدمها نوح على المذبح (تك ٨: ٢٠-٢٢)[1].

وللإجابة على هذه الأسئلة أقول:

إن من يدرس الكتاب المقدس بعمق يجد أن الله لا يحب ولا يريد تقديم الذبائح الدموية، وأرجو أن تقرأ بتأنٍ هذه الآيات:

(١صم ١٥: ٢٢) «فَقَالَ صَمُوئِيلُ: «هَلْ مَسَرَّةُ الرَّبِّ بِالْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ كَمَا بِاسْتِمَاعِ صَوْتِ الرَّبِّ؟ هُوَذَا الاسْتِمَاعُ أَفْضَلُ مِنَ الذَّبِيحَةِ، وَالإِصْغَاءُ أَفْضَلُ مِنْ شَحْمِ الْكِبَاشِ».

(مز ٥٠: ١٣ – ١٥) «هَلْ آكُلُ لَحْمَ الثِّيرَانِ، أَوْ أَشْرَبُ دَمَ التُّيُوسِ؟ اِذْبَحْ للهِ حَمْدًا، وَأَوْفِ الْعَلِيَّ نُذُورَكَ».

(مز ٥١: ١٦– ١٩) «لأَنَّكَ لاَ تُسَرُّ بِذَبِيحَةٍ وَإِلاَّ فَكُنْتُ أُقَدِّمُهَا. بِمُحْرَقَةٍ لاَ تَرْضَى. ذَبَائِحُ اللهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. اَلْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ يَا اَللهُ لاَ تَحْتَقِرُهُ».

(ميخا ٦: ٦-٨) «بِمَ أَتَقَدَّمُ إِلَى الرَّبِّ وَأَنْحَنِي لِلإِلهِ الْعَلِيِّ؟ هَلْ أَتَقَدَّمُ بِمُحْرَقَاتٍ، بِعُجُولٍ أَبْنَاءِ سَنَةٍ؟ هَلْ يُسَرُّ الرَّبُّ بِأُلُوفِ الْكِبَاشِ، بِرِبَوَاتِ أَنْهَارِ زَيْتٍ؟ قَدْ أَخْبَرَكَ أَيُّهَا الإنسان مَا هُوَ صَالِحٌ، وَمَاذَا يَطْلُبُهُ مِنْكَ الرَّبُّ، إِلاَّ أَنْ تَصْنَعَ الْحَقَّ وَتُحِبَّ الرَّحْمَةَ، وَتَسْلُكَ مُتَوَاضِعًا مَعَ إِلهِكَ».

لقد كان الله يريد ما هو أهم وأعمق من تقديم الذبائح، كان يريد التوبة الصادقة، والإيمان الحقيقي، وتقديم الطاعة لله، وصناعة الحق والرحمة.

فقد كان المقصود من تقديم الذبيحة لله أن يدرك الإنسان فكرة البدلية، أي أن الذبيحة تموت عوضًا عن الإنسان الخاطىء الأثيم، فالإنسان الذي يخطىء يستحق الموت فيقدم حياة ذبيحة بدلًا من حياته هو، ويبني العلماء عقيدتهم هذه على

ما جاء في سفر اللاويين «لأَنَّ نَفْسَ الْجَسَدِ هِيَ فِي الدَّمِ. فَأَنَا أَعْطَيْتُكُمْ إِيَّاهُ عَلَى الْمَذْبَحِ لِلتَّكْفِيرِ عَنْ نُفُوسِكُمْ. لأَنَّ الدَّمَ يُكَفِّرُ عَنِ النَّفْسِ» (لا ١٧: ١١). قارن (لا ٣: ١٧، ٧: ٢٧، ١٧: ١٠ – ١٤، تث ١٢: ٢٣).

فالله لا ولم يطلب دم حيوان ليروي عطشه، ولا يسر بشم رائحة شواء اللحم، بل كان يريد ويطلب العدالة، فأجرة الخطية هي موت، والإنسان الذي أخطأ يستحق الموت، والله في محبته ونعمته ارتضى أن تقوم الذبائح الحيوانية بالبدلية إلى أن يأتي (الذبيح الأعظم) المسيح في ملء الزمان ويقدم حياته بدلًا عنا جميعًا، وقد كان الله يريد من الإنسان قديمًا عندما يخطىء أن يدرك أنه يستحق الموت، ولذلك يقدم الذبيحة الحيوانية لتموت بدلًا منه، ويعترف بخطاياه، ويتوب توبة صادقة عنها، ويعيش الحياة المقدسة للرب. لذلك قال الشهيد يوستينوس عن الله أنه: «لا يقبل منكم ذبائح، ولا أمركم أولًا بتقديمها عن احتياج إليها، إنما بسبب خطاياكم»[٢].

ويقول الأب تادرس يعقوب ملطي: «لقد قدَّموا ذبائح كثيرة ومحرقات في هيكل الرب، واختاروا المسمَّنات، لكن الله لا يسرُّ بها، فإنه لم يطلب الذبائح في ذاتها لأنه غير محتاج إليها، إنما يطلبها كرمز لذبيحة السيد المسيح الفريدة، من أجل مصالحة الإنسان مع الله وتمتعه بالشركة معه، لكن الهدف ضاع منهم فإنه لما جاء المسيح الذبيح رفضوه، وقدموا الذبائح الحيوانية واحتفلوا بعيد الفصح وجحدوا الفصح الحقيقي، حمل الله الذي يحمل خطية العالم»[٣].

المراجع

(١) د. منقذ بن محمود السقار، هل العهد القديم كلمة الله؟ ص٦٩.

(٢) الأب تادرس يعقوب ملطي، تفسير سفر إشعياء، ص ٤٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٨.

(٧)

هل هو إله يستجيب لطلب اللعنات؟

«وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحًا وَغَرَسَ كَرْمًا. وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ. فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجًا. فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ فَقَالَ: «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ». وَقَالَ: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ. لِيَفْتَحِ اللهُ لِيَافَثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ، وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ» (تك ٩: ٢٠-٢٧).

هذه القصة تجد هجومًا شديدًا من عدد كبير من النقاد. وأنا هنا أقتبس بعض ما قيل من هجوم على هذه القصة:

يقول علاء أبو بكر: «من الذي رأي عورة أبيه؟ هو حام. فكان الأولى باللعنة هو حام نفسه. أو على أسوأ الفروض يلعن النسل كله: حام وأولاده كلهم. فلماذا انصبَّت اللعنة على كنعان فقط؟ من الواضح أن هذه القصة مختلقة لكراهية بني إسرائيل الشديدة للكنعانيين سكان الأراضي التي يريدون الإستيلاء عليها.. بدليل أنه ذكر حام مرتبط بأنه (أبو كنعان) بينما له أبناء آخرون أكبر منه، هم: كوش ومصرايم وفوط.. وقد أنزل الله في التوراة والإنجيل والقرآن ألاَّ يتحمل أحد ذنوب آخر. فلماذا لعن كنعان وترك أبيه حام؟ وما ذنب ذريته أن يظلوا عبيدًا لسام ويافث وذريتهما؟[1]

ويقول د. منقذ بن محمود السقار: «لما استيقظ نوح من خمره وعلم ما فعل به ابنه الصغير قال: ملعون كنعان (ابن الجاني حام، أب الفلسطينيين الذي لا علاقة له بالحادثة، الذي لم يولد حينذاك)، عبد العبيد يكون لإخوته. فبدلًا من أن يوجه ابنه الصغير للتصرف الصحيح مع الوالد حين سكره وعربدته، صب لعناته على كنعان ابن حام، كنعان الذي لعله لم يخلق بعد. فما ذنب هذا الكنعان، بالطبع لا ذنب له إلا أنه سيصبح جدًّا لأهل فلسطين، أعداء اليهود! بل وما ذنب أبيه الذي لم يكن ليستحق هذا كله؟ وماذا عن الأب الذي شرب الخمر؟ ما الذي يستحقه من عقوبة؟ لماذا لم يعاقبه الرب؟[2]

ويقول دكتور مصطفي محمود: «وينزل لعنته على حام وأولاده من بعده، لأنه نظر إلى عورة أبيه نوح الذي تعرَّى في خبائه. هل نظرة طفل إلى عورة أبيه أمر لا يغتفر.. ويستحق اللعنة إلى يوم الدين»[3]. ويضيف قائلًا: «الغرض السياسي هنا واضح بالنسبة لليهودي الذي كتب هذا الكلام فهو يدعو على أبناء حام وهم الفلسطينيون والمصريون بأن يكونوا عبيدًا للساميين اليهود وتحت حكمهم مدى الدهر»[4].

ويقول عاطف عبد الغني: «فقد برَّرت التوراة الموقف العدائى لبني إسرائيل من الكنعانيين إلى سبب قديم جدًا يعود إلى عهد نوح، فتحكي رواية التوراة أن حام أحد أبناء نوح الثلاثة قد كشف عورة أبيه، فلما عرف أبوه الخبر لعن ذرية حام في كنعان ابنه ونسله وحكم عليه بأن يكون عبدًا لأخويه (سام ويافث) وبذلك تنسى التوراة أنها تخالف مبدأ هامًا ووصية ترفض أن يحمل الأبناء وزر الآباء، وجرم حام يستأهل أن يحمل حام وزره وحده وليس نسله إلى أبد الآبدين!! »[٥].

ويقول ليوتاكسل: «وهكذا نزلت اللعنة على كنعان الشاب الذي لم يقترف أي إساءة بحق جده. فهل كان العجوز (نوح) لا يزال تحت تأثير الخمر لما نطق بلعنته؟ ومع ذلك قد كرسها يهوه»[٦].

وللإجابة على هذه الأسئلة أقول:

عندما يسأل عدد كبير: لماذا لم يلعن نوح حام، ولعن كنعان؟ وما ذنب كنعان حتى تقع عليه اللعنة وهو برئ؟

نقول إن السر في ذلك - كما يرى عدد كبير من العلماء - هو أن الذي رأى عورة نوح هو كنعان حفيد نوح وليس حام. فيقول جون جيل (John Gill)[٧]: «إن بعض الربيين اليهود مثل جيرشي (Jarchi)، وابن عزرا (Aben Ezra)، وبن جرشوم (Ben Gersom)، ابن دانا (Abendana) يقولون: إن من رأى عورة نوح هو كنعان رابع وأصغر أبناء حام ولم يبال، ولم يهتم أن يستره، بل ويقول بن عزرا: «إن كنعان هزئ بجده كثيرًا».

والدليل على أن كنعان هو الذي فعل هذا قول الكتاب: «فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ» (تك ٩:٢٤)، وكلمة (ابْنُهُ) في اللغة العبرية هي (בֵּן) (بن) بحسب قواميس اللغة[٨] كانت تطلق على الابن أو الحفيد الطفل أو الشاب الصغير.

son, grandson, child, youth, Young men

ومنها نفهم أن نوح قد يكون يقصد ابنه أو حفيده، وبما أن حام ليس هو الصغير، إنما الابن الصغير لنوح هو يافث؛ فالكتاب المقدس ذكر ترتيب أبناء نوح كالآتي: سام وحام ويافث (تك ٥:٣٢). لذلك لو كان نوح يتكلم عن حام الذي هو الأوسط كان يجب أن يقول (ابْنُهُ الأوسط) وليس (ابْنُهُ الصَّغِيرُ) إذًا هو لا يتكلم عن حام ولكن عن أصغر ابن وهو كنعان حفيده الذي كان أصغر أبناء حام.

وما يؤكد هذا أيضًا هو أن كلمة (الصَّغِيرُ) في اللغة العبرية هي (הקטן) (هاكاتان) وتعني الأصغر وليس مجرد الصغير[٩]. ولذلك وردت في غالبية التراجم الإنجليزية (Youngest) كالآتي:

(ASV) And Noah awoke from his wine, and knew what his youngest son had done unto him.

(BBE) And, awaking from his wine, Noah saw what his youngest son had done to him, and he said,

(CEV) When Noah woke up and learned what his youngest son had done,

(ESV) When Noah awoke from his wine and knew what his youngest son had done to him,

(RV) And Noah awoke from his wine, and

knew what his youngest son had done unto him.

ومن المتعارف عليه أيضًا في لغة الكتاب أن الحفيد يدعى ابنًا، ألم يقل يعقوب لأهل حاران: «هَلْ تَعْرِفُونَ لاَبَانَ ابْنَ نَاحُورَ؟» (تك ٢٩:٥). وقد كان لابان حفيده (تك ٢٤:١٥، ٢٤، ٢٩)، راجع أيضًا (تك ٣١:٥٥).

ويقول العلامة أوريجانوس: «إن كنعان رأى عورة جده نوح فأخبر أباه حام بروح الاستهزاء، فسارع حام وأخبر أخويه ليتدبَّروا الأمر، وهكذا كان المسيئ هو كنعان»[١٠].

أما بالنسبة للعن كنعان فيقول (E. F. Kevan): إن عبارة «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ» هي عبارة شعرية، وهي تشير إلى أحط أنواع العبودية»[١١]. وقد تحققت اللعنة، فأرضهم كانت ضمن الأراضي التي قسَّمها يشوع بالقرعة لإسرائيل (يش ١٣:٣-٦). وأيضًا نقرأ بعد ذلك: «وَكَانَ لَمَّا تَشَدَّدَ إِسْرَائِيلُ أَنَّهُ وَضَعَ الْكَنْعَانِيِّينَ تَحْتَ الْجِزْيَةِ» (قض ١:٢٨). ويقول وليم مارش: «لا يوجد أي دليل على أن هذه اللعنة أبدية»[١٢].

• والدارس المدقق يدرك أن نوح قال ما قال بروح النبوءة، وليس بروح التشفي، فكنعان حفيده، وكما نقول في أمثالنا الشعبية: (أغلى الولد ولد الولد)، ولكنه أدرك بالروح كيف ستكون حياة كنعان شريرة، وكم سيكون نسله شريرًا، ويستحق اللعنة، فكان دور نوح هنا هو إعلان لعنة الله لكنعان فَقَالَ: «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ» (تك ٩:٢٥). إنه يشبه أي شخص اليوم يرى حفيده الصغير يسرق ويكذب فيقول: «هذا الولد سيكون مجرمًا».

وكلمة (مَلْعُونٌ) في اللغة العبرية هي (ארר) (أرر) وهي فعل مبني للمجهول مفرد مذكر[١٣]. فنوح لم يقل لكنعان: «إنني ألعنك يا كنعان» أول«ليكن كنعان ملعونًا». وكأن اللعنة نابعة من نوح ومنصبَّة على كنعان، كلاَّ. بل كل ما قاله (مَلْعُونٌ كَنْعَانُ) فكل ما فعله نوح أنه أعلن وكشف ما تخبئه الأيام لكنعان، وهذا ما أكدته الأيام، إذ أوغل الكنعانيون في الشر وعبادة الأصنام، حتى قدموا أبناءهم ذبائح بشرية للآلهة الوثنية.

وقد خضع الكنعانيون لبني إسرائيل طالما كان بنو إسرائيل يطيعون وصايا الله، ولكن عندما كانوا يبتعدون عن الله، ويعصوا وصاياه، كانوا يصبحون شركًا وفخًا لبني إسرائيل، كما كلَّم الله شعبه تمامًا (انظر يش ٢١:٤٣-٤٥، ٢٣:٦-١٦، قض ٢:١٣-١٥). ولقد كان استعباد إسرائيل لكنعان عقوبة من الله للكنعانيين الذين استباحوا الشر بينما استعباد الكنعانيين لبني إسرائيل من قبيل التأديب الإلهي لشعبه لأنهم خالفوا وصاياه وعبدوا آلهة الكنعانيين.

أما بالنسبة لشعب مصر فهم بنو مصرايم بن حام (تك ١٠:٦). ويقول الأب تادرس يعقوب ملطي كلمة «مصرايم» في العبرية مثنى، لذا ظن البعض أنها دُعيت هكذا بسبب وجود الوجه البحري والوجه القبلي، أو لأن نهر النيل يقسمها إلى ضفة شرقية وأخرى غربية. لكن الرأي الأرجح أنها دُعيت «مصر» بالعربية من العبرية نسبة إلى مصرايم حيث سكن هو وأولاده فيها، وإن كان قد امتد نسله إلى البلاد المجاورة. أما أولاده فهم:

لُودِيمَ: كانوا يقطنون غربي النيل نحو ليبيا.

عَنَامِيمَ: يبدو أن القبيلة التي من نسله

سكنت في ليبيا.

لَهَابِيمَ: وهم أفريقيون، ونشأوا أصلًا في مصر.

نَفْتُوحِيمَ: نسله من سكان مصر الوسطى، قرب منف.

فَتْرُوسِيمَ: سكنوا في فتروس بصعيد مصر. كلمة «فتروس» تعني (أرض الجنوب).

كَسْلُوحِيمَ: وهي منطقة جبلية شرق البلسم، في حدود مصر من جهة فلسطين»[14].

ولم تقع اللعنة على شعب مصر، إنما وقعت اللعنة على كنعان بن حام. ولم يقل الكتاب قط أن المصريين ملعونين من قبل إله إسرائيل، بل إن إله إسرائيل قد بارك شعب مصر قائلًا: «مُبَارَكٌ شَعْبِي مِصْرُ» (إش ١٩:٢٥). ووعد بأن يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر، وأن المصريين سيعرفونه ويعبدونه «فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ مَذْبَحٌ لِلرَّبِّ فِي وَسَطِ أَرْضِ مِصْرَ وَعَمُودٌ لِلرَّبِّ عِنْدَ تُخُمِهَا. فَيَكُونُ عَلاَمَةً وَشَهَادَةً لِرَبِّ الْجُنُودِ فِي أَرْضِ مِصْرَ. فَيُعْرَفُ الرَّبُّ فِي مِصْرَ، وَيَعْرِفُ الْمِصْرِيُّونَ الرَّبَّ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، وَيُقَدِّمُونَ ذَبِيحَةً وَتَقْدِمَةً، وَيَنْذُرُونَ لِلرَّبِّ نَذْرًا وَيُوفُونَ بِهِ» (إش ١٩:١٩، ٢٠).

المراجع

(١) علاء أبو بكر. البهريز ج١ص ٢٦٩.

(٢) د. منقذ بن محمود السقار. هل العهد القديم كلمة الله؟، ص٤٧.

(٣) د. مصطفي محمود. التوراة، ص ٢١.

(٤) المرجع السابق ص ١٢.

(٥) عاطف عبد الغني. أساطير التوراة، ص ٩٠.

(٦) ليوتاكسل. التوراة كتاب مقدّس أم جمع من الأساطير، ص ٧٤، ٧٥.

(7) John Gill's Exposition of the Entire Bible. p.274.

(8) Enhanced Brown-Driver-Briggs Hebrew and English Lexicon. p. 198.

(9) The Complete Word Study Dictionary: Old Testament. p. 341.

(١٠) الأب تادرس يعقوب ملطي. تفسير سفر التكوين، ص ١٤٩.

(١١) تفسير الكتاب المقدس، ج١، ص١٥٨.

(١٢) وليم مارش. السنن القويم، ج١، ص٩١.

(13) William L. Holladay. A Concise Hebrew and Aramaic Lexicon of the O.T.p.287.

(١٤) الأب تادرس يعقوب ملطي. تفسير سفر التكوين ص ١٢٩، ١٣٠.

(٨)

هل هو إله ضعيف البصر؟

«فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ كَانَ بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُمَا. وَقَالَ الرَّبُّ:... هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ» (تك ١١: ٥-٧).

وَقَالَ الرَّبُّ: «إِنَّ صُرَاخَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ قَدْ كَثُرَ، وَخَطِيَّتُهُمْ قَدْ عَظُمَتْ جِدًّا. أَنْزِلُ وَأَرَى هَلْ فَعَلُوا بِالتَّمَامِ حَسَبَ صُرَاخِهَا الآتِي إِلَيَّ، وَإِلاَّ فَأَعْلَمُ» (تك ١٨: ٢٠-٢١).

يسأل الأستاذ علاء أبو بكر: «هل الرب علاّم الغيوب يحتاج أن ينزل من السماء ليرى الأحداث التي تجري على الأرض «فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ كَانَ بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُمَا» (تك ١١:٥)؟ وهل ينزل الله إلى الأرض وهو يملأ السموات والأرض، وهو المطلع على عباده؟[1]

والسؤال فعلًا هو: كيف ينزل الله؟ وما معنى أن الله ينزل؟ وكيف لا يعلم الله إلا إذا نزل؟!

وما معنى قول الرب: «إِنَّ صُرَاخَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ قَدْ كَثُرَ»؟

وللإجابة على هذه الأسئلة أذكر عدة حقائق:

(١) الله لا يحتاج أن ينزل:

لأن الله روح (يو ٤:٢٤) غير محدود وغير متناه، لا يخلو منه مكان ولا زمان. فقد قال: «السَّمَاوَاتُ كُرْسِيِّي، وَالأَرْضُ مَوْطِئُ قَدَمَيَّ» (إش ٦٦:١). وقال أيضًا: «أَمَا أَمْلأُ أَنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، يَقُولُ الرَّبُّ؟» (إر ٢٣:٢٤). وقال عنه سليمان: «هُوَذَا السَّمَاوَاتُ وَسَمَاءُ السَّمَاوَاتِ لاَ تَسَعُكَ» (١مل ٨: ٢٧). راجع (أع ٧: ٤٨- ٤٩). هو فاحص القلوب ومختبر الكلى ويعرف كل الخبايا والأسرار. قال داود عن هذه المعرفة: «أَنْتَ عَرَفْتَ جُلُوسِي وَقِيَامِي. فَهِمْتَ فِكْرِي مِنْ بَعِيدٍ. مَسْلَكِي وَمَرْبَضِي ذَرَّيْتَ، وَكُلَّ طُرُقِي عَرَفْتَ. لأَنَّهُ لَيْسَ كَلِمَةٌ فِي لِسَانِي، إِلاَّ وَأَنْتَ يَا رَبُّ عَرَفْتَهَا كُلَّهَا. مِنْ خَلْفٍ وَمِنْ قُدَّامٍ حَاصَرْتَنِي، وَجَعَلْتَ عَلَيَّ يَدَكَ» (مز ١٣٩: ٢-٥). وقال هو: «إِذَا اخْتَبَأَ إِنْسَانٌ فِي أَمَاكِنَ مُسْتَتِرَةٍ أَفَمَا أَرَاهُ أَنَا، يَقُولُ الرَّبُّ؟ (إر ٢٣:٢٤). لذلك لا يحتاج أن ينزل.

(٢) إن الله يكلمنا بلغتنا التي نفهمها:

الكتاب المقدّس هو رسالة الله للبشرية، ولذلك هو لا يخاطبنا بلغته، بل بلغتنا واصطلاحاتنا لندرك حقائق الأمور. لذلك نجد الروح القدس يستخدم اللغة البشرية للتعبير عن المعاني الروحية والأحداث الإلهية حتى يفهمها الإنسان. إنه من فضل نعمته يتكلم معنا مثلما يتكلم الأب مع ابنه الصغير، أو الأم مع طفلها الرضيع لكي تتواصل معه.

واستخدام الصفات البشرية في وصف الله تُعرَف في علم اللاهوت بمنهج «أنثروبومورفيزم» (Anthropomorphism) أي (تشبيه الله

بالإنسان) أو تشبيه الله بصفات بشرية بهدف وصول المعاني الإلهية للإنسان بلغة قريبة إلى فهمه.

ولهذا السبب نجد نصوصًا كثيرة في الكتاب المقدَّس، ينسب الله فيها إلى ذاته تشبيهات مألوفة لدى الإنسان مثل: «كرسي الله»، «عينا الله»، «أقسم الرب»، «ذراع الرب»، «فم الرب»، «ندم الله». إلخ. كما لو كان الله إنسانًا.

يقول الأب بولس الفغالي: «فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ...» لا تتنافى هذه الكلمات وعلم الله الشامل وحضوره في كل مكان. فلا يحتاج الله إلى أن ينزل ليرى عمل البشر، ولكن الكاتب يلجأ إلى الطريقة الأنثروبرمورفية فيشبه الله بملك من الملوك جاء يزور مدينة من مدنه. جاء الله لينظر هذا البرج الذي سيرتفع إلى السماء. وماذا يستطيع أبناء آدم الضعفاء أن يفعلوا بوجه سلطة الله المطلقة. ونتذكّر كلمات مزمور ٢ «اَلسَّاكِنُ فِي السَّمَاوَاتِ يَضْحَكُ. الرَّبُّ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ. حِينَئِذٍ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِمْ بِغَضَبِهِ، وَيَرْجُفُهُمْ بِغَيْظِهِ»[٢].

(٣) المقصود بعبارة: «فَنَزَلَ الرَّبُّ»:

كما ذكرت سابقًا أن الله يكلمنا بلغتنا التي ندركها. فيقول الكتاب إن الله ينزل ويمشي «هُوَذَا الرَّبُّ يَخْرُجُ مِنْ مَكَانِهِ وَيَنْزِلُ وَيَمْشِي عَلَى شَوَامِخِ الأَرْضِ. فَتَذُوبُ الْجِبَالُ تَحْتَهُ، وَتَنْشَقُّ الْوِدْيَانُ كَالشَّمْعِ قُدَّامَ النَّارِ، كَالْمِيَاهِ الْمُنْصَبَّةِ فِي مُنْحَدَرٍ» (مي ١:٣-٤). ونحن ندرك جيدًا أن الله لا ينزل ولا يصعد لأنه مالئ كل مكان. وما هذا إلاَّ تعبير مجازي يشرح لنا تدخل الله في حياة البشر ليفعل ما يريد. إنه تعبير يعلن عن عمله في مكان معين بطريقة تدركها الحواس. فنزل ليعاقب أهل بابل (تك ١١:٥).

ونزل ليعاقب أهل سدوم وعمورة (تك ١٨:٢١)، ونزل لينقذ شعبه (خر ٣،٨:٧)، ونزل ليعطي الشريعة على جبل سيناء (خر ١٩:١٨-٢٠).

ما معنى قول الرب: «إِنَّ صُرَاخَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ قَدْ كَثُرَ»؟

وَقَالَ الرَّبُّ: «إِنَّ صُرَاخَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ قَدْ كَثُرَ، وَخَطِيَّتَهُمْ قَدْ عَظُمَتْ جِدًّا» (تك ١٨: ٢٠).

إن هذه الآية تأتي واضحة في الترجمات الأخرى كالآتي:

(ت ع م) وقال الرب لإبراهيم: «كثرت الشكوى على أهل سدوم وعمورة وعظمت خطيئتهم جدًا».

(ت ك) فقال الرب: «إن الصراخ على سدوم وعمورة قد اشتد وخطيئتهم قد ثقلت جدًا».

(ك ح) «وقال الرب: «لأن الشكوى ضد مظالم سدوم وعمورة قد كثرت وخطيئتهم قد عظمت جدًا».

(BBE) And the Lord said, Because the outcry against Sodom and Gomorrah is very great, and their sin is very evil.

وقال الرب: «لأن الشكوى ضد سدوم وعمورة قد كثرت جدًا، وخطيتهم شريرة جدًا».

(ESV) Then the LORD said, «Because the outcry against Sodom and Gomorrah is great and their sin is very grave,

وقال الرب: «لأن الشكوى ضد سدوم وعمورة عظيمة، وخطيتهم خطيرة جدًا».

(GNB) Then the LORD said to Abraham,

«There are terrible accusations against Sodom and Gomorrah, and their sin is very great.

وقال الرب لإبراهيم: «هناك اتهامات فظيعة ضد سدوم وعمورة، وخطيتهم عظيمة جدًا».

(GW) The LORD also said, «Sodom and Gomorrah have many complaints against them, and their sin is very serious.

«وقال الرب أيضًا: «هناك الكثير من الشكاوى ضد سدوم وعمورة، وخطيتهم خطيرة جدًا».

(ISV) The LORD also said, «How great is the disapproval of Sodom and Gomorrah! Their sin is so very serious!

وقال الرب أيضًا: «كم فظيع ما يحدث في سدوم وعمورة، وخطيتهم خطيرة جدًا».

المراجع

(١) علاء أبو بكر. البهريز. ج١ س ١٦٤.

(٢) الأب بولس الفغالي. المجموعة الكتابية. سفر التكوين. ص ١٧١-١٧٢.

(٩)

هل هو إله يغار من البشر؟

«وَكَانَتِ الأَرْضُ كُلُّهَا لِسَانًا وَاحِدًا وَلُغَةً وَاحِدَةً. ٢وَحَدَثَ فِي ارْتِحَالِهِمْ شَرْقًا أَنَّهُمْ وَجَدُوا بُقْعَةً فِي أَرْضِ شِنْعَارَ وَسَكَنُوا هُنَاكَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «هَلُمَّ نَصْنَعُ لِبْنًا وَنَشْوِيهِ شَيًّا». فَكَانَ لَهُمُ اللِّبْنُ مَكَانَ الْحَجَرِ، وَكَانَ لَهُمُ الْحُمَرُ مَكَانَ الطِّينِ. وَقَالُوا: «هَلُمَّ نَبْنِ لأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجًا رَأْسُهُ بِالسَّمَاءِ. وَنَصْنَعُ لأَنْفُسِنَا اسْمًا لِئَلاَّ نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ». فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ كَانَ بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُمَا. وَقَالَ الرَّبُّ: «هُوَذَا شَعْبٌ وَاحِدٌ وَلِسَانٌ وَاحِدٌ لِجَمِيعِهِمْ، وَهذَا ابْتِدَاؤُهُمْ بِالْعَمَلِ. وَالآنَ لاَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَا يَنْوُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ. هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ بَعْضُهُمْ لِسَانَ بَعْضٍ». فَبَدَّدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، فَكَفُّوا عَنْ بُنْيَانِ الْمَدِينَةِ. لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُهَا «بَابِلَ» لأَنَّ الرَّبَّ هُنَاكَ بَلْبَلَ لِسَانَ كُلِّ الأَرْضِ. وَمِنْ هُنَاكَ بَدَّدَهُمُ الرَّبُّ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ» (تك١١: ١-٩).

هذه القصة تطرح العديد من الأسئلة:

يقول د. منقذ بن محمود السقار: «ومرة أخرى تذكر التوراة أن الله خاف من اجتماع البشر وتآلفهم وعزمهم على بناء برج عظيم رأسه في السماء، فنزل وبددهم قبل أن يحققوا غايتهم، فهل يعقل أن خالق السماوات والأرض، الرب العظيم يخشى من تمام هذا البرج، فيسعى لتفريق البشر قبل أن يصل برجهم السماء؟ وهنا نتساءل عن الطول الذي كان سيصل إليه بناء البشر قبل آلاف السنين. بل نتساءل: أو لا يعلم الرب أن البشر يعجزون عن مناطحة السحاب فضلًا عن قرع أبواب السماء!»[1]

ويقول علاء أبو بكر: «لماذا بلبل الله ألسنة العاملين في برج بابل؟ وهل يغار الله من الأبراج العالية وناطحات السحاب؟ أليس فكرة بلبلة الألسن تتمشى مع الفكر الصهيوني الاستعماري (فرّق تَسد)؟ هل الرب غير واثق من نفسه؟ وهل يخشى عبيده؟ هل الرب لا يحب الخير للبشر فنزل وبددهم في أول اتحاد لهم على الخير؟[2]

للإجابة على هذه الأسئلة أقول:

أولًا: لاهوت الخلق:

هل الله يغار من الإنسان؟ هل الله يغار من بناء الأبراج؟ كلاّ وألف كلاّ. إن النص ليس فيه كلمة «يغار» ولا معناها إطلاقًا. ومنْ يقول هذا لا يفهم لاهوت الخلق. فمنْ هو الإنسان حتى يغار الله منه؟! أليس الله هو الذي وضع فيه كل الإمكانيات العقلية والجسمانيّة! أليس الله هو الذي أشرق عليه بنور علمه الإلهي فاستطاع أن يصل إلى ما وصل إليه من تقدم ورقي؟!

إن الكتاب المقدس يعلمنا أن الله خلق الإنسان

على صورته (تك ١: ٢٧)، ومَيَّزَهُ عن سائر الكائنات الأخرى بالعقل المفكّر، والإرادة الحُرّة، والضمير الحساس، والقدرة على الإبداع والابتكار، والقدرة على التعلم المستمر، والتواصل مع الآخرين ومع الله. وقد جعله الله تاجًا للخليقة وسيدًا لها. وقال له بعد أن خلقه: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ» (تك ١: ٢٨). لاحظ الأفعال: «أَثْمِرُوا، اكْثُرُوا، امْلأُوا الأَرْضَ، أَخْضِعُوهَا، تَسَلَّطُوا عَلَى... ». وقد أعطى الله الإنسان مطلق الحرية في إدارة الكون وكل ما فيه، ومنحه كل إمكانيات النجاح والتطور، ولم يضع الله عليه قيودًا، ولم يفرض عليه شروطًا معينة، إنما سلَّمه الكون بكل ما فيه، ولذلك يتغنى داود قائلًا: «بِمَجْدٍ وَبَهَاءٍ تُكَلِّلُهُ. تُسَلِّطُهُ عَلَى أَعْمَالِ يَدَيْكَ. جَعَلْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ» (مز٨: ٥).

لذلك فالإنسان هو الذي يصنع الأحداث، وهو الذي يشيِّد المباني ويصلح الأراضي ويقيم المزارع، هو الذي يبني المدن ويقيم الإمبراطوريات ويغزو الفضاء. هو الذي يستخرج الذهب والبترول من باطن الأرض، وهو الذي صنع الطائرة والصاروخ والكمبيوتر والفيديو .... إلخ. هذا التقدم المستمر بفضل عقل الإنسان وقدراته وحريته التي منحها له الله.

وعندما ندرس كلمة الله نجد أن الله يريد الإنسان طموحًا ومبدعًا وناجحًا، حتى تستمر عجلة الحياة في تقدم مستمر. لقد كان القديس أرينيموس من القرن الثالث يقول: «مجد الله الإنسان الحي»، بمعنى أنه كلما كان الإنسان أكثر حيوية ونشاطًا وطموحًا وإبداعًا كلما تمجَّد الله من خلاله. وكان القديس مكسيموس المعترف يقول: «إن الله يتعطش لكي يؤله الإنسان»[٣].

نعم إن الله أب، والأب يُسَّر بأن يصبح ابنه مثله مكتمل الرجولة، ويتمنى أن يرى ابنه في غاية السعادة والراحة والنجاح. لذلك نقول إن كل نجاح يحققه الإنسان سواء من خلال اكتشاف جديد، أو تقدم علمي يساعد الإنسان على أن يعيش حياة أفضل وأرقى، مثل زرع الأعضاء والهندسة الوراثية، الاستنساخ، خريطة الجينات البشرية، فهذه العلوم ليست تهديدًا للخالق ولا تحدٍ له كما يدَّعي البعض بل تمجيد له، وتحقيق لقصده نحو العالم.

بل لا يوجد إيمان حقيقي دون اكتشاف للطاقة الهائلة التي وضعها الله في الإنسان، وللإمكانيات الموجودة في الكون والتي يجب علينا اكتشاف أسرارها. فالله يساند كل اختراع جديد، ويؤيِّد كل عالم في معمله، ويسند كل من يسعى ويبحث لرفاهية وتقدم الجنس البشري. فهو مصدر كل مهارة وكل موهبة للعمل. ألم يقل الوحي: «وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: «انْظُرْ، قَدْ دَعَوْتُ بَصَلْئِيلَ بْنَ أُورِي بْنَ حُورَ مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا بِاسْمِهِ، وَمَلأْتُهُ مِنْ رُوحِ اللهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَكُلِّ صَنْعَةٍ، لاخْتِرَاعِ مُخْتَرَعَاتٍ لِيَعْمَلَ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ، وَنَقْشِ حِجَارَةٍ لِلتَّرْصِيعِ، وَنَجَارَةِ الْخَشَبِ، لِيَعْمَلَ فِي كُلِّ صَنْعَةٍ» (خر ٣١: ١– ٥).

ثانيًا: ما هو هدف بناء البرج؟

يا ترى لماذا فكروا في بناء البرج؟ لقد قالوا: «هَلُمَّ نَبْنِ لأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجًا رَأْسُهُ بِالسَّمَاءِ، وَنَصْنَعْ لأَنْفُسِنَا اسْمًا لِئَلاَّ نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ» (ع ٤). لاحظ هنا نبرة الكبرياء والتجبُّر وتأليه أنفسهم. يقول (E. F. Kevin): «كان القصد الأول هو ضمان الدفاع، والسيطرة السياسية،

وربما كان لغرض ديني ولعلم التنجيم، ولكن من الواضح أن الدوافع الدفينة لهذا العمل كانت الاكتفاء الذاتي للبشر، والعصيان على الله»[٤]. يقول وليم مارش: «في الأساطير القديمة والتي ذكر بعضها يوسيفوس أن نمرود كان غير تقي، وهو الذي أمر ببناء البرج ليعصى الله وينقذ به شعبه من طوفان ثان»[٥].

فلم يثق هؤلاء البشر في مواعيد الله التي أعطاها لجدهم نوح، فأخذوا في بناء البرج المرتفع حتى إذا حل الطوفان مرة أخرى يجدون لأنفسهم ملجأ فيه، ونسوا أن الله هو الملجأ الحقيقي، وأن الأمان في الإيمان الصادق. لقد أظهروا بهذا العمل عدم ثقتهم في ميثاق الله مع أبيهم نوح، وحسبوا الله غير أمين في مواعيده. لقد كان هدفهم كقولهم «هَلُمَّ نَبْنِ لأَنْفُسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجًا رَأْسُهُ بِالسَّمَاءِ» (تك ١١: ٤). لقد أرادوا أن يَتَحَدّوا القدرة الإلهية، متخيلين أن الطوفان حتى لو أتى ثانية فلن يصل إلى رأس هذا البرج. أما الرب فقد أبطل مشورتهم ليعلِّمهم أنه ليس في مقدور أحد تحدي القدرة الإلهية.

ثالثًا: لماذا بلبل الله ألسنتهم؟

هل الله يغار من بناء الأبراج؟ وهل يسلك سياسة فرق تسد؟ كلا. إن ما حدث في بلبلة الألسن هو شفقة من الرب على الإنسان، إذ أن الإنسان في جهله ظن أنه يمكنه أن يبني برجًا رأسه في السماء. تُرى ماذا كان سيحدث لو ظلوا يبنون؟ هل كانوا سيستطيعون الاستمرار؟! وإلى أي ارتفاع كانوا سيصلون دون أن ينهدم عليهم البناء؟ إن بناء ناطحات السحاب لم يصل إليه الإنسان إلاَّ بعد علم كبير في القرن العشرين، وبرغم كل العلم فإنه لن يستطيع إنسان بناء برج رأسه في السماء. وحتى لو وصل إلى أعلى ارتفاع فلن يضير الله في شيء، بل يسعده، إذا فعل الإنسان هذا بتواضع، لأن الله يريد نجاح وتقدم الإنسان، وأن يكتشف كل أسرار الكون.

لكن حقًا لقد أشفق الله على الإنسان الذي ظن في كبريائه أنه يمكنه أن يتحدى الله، وأرجو أن تلاحظ ما قاله الرب عنهم: «هذَا ابْتِدَاؤُهُمْ بِالْعَمَلِ. وَالآنَ لاَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَا يَنْوُونَ أَنْ يَعْمَلُوهُ» (ع ٦). فعندما يتمادى الإنسان في الخطأ لا يتوقف، فيزيد الشر في العالم. ولذلك أراد الله أن يحدَّ من انتشار الشر في العالم بأن يفرقهم. ولا يمكن المقارنة بين هذا البرج الذي يدل على التكبر والتعالي والشر، وبين الأبراج الضخمة وناطحات السحاب التي نراها اليوم. لقد بدَّد الله البشرية وفرَّقها عند برج بابل ليس لأنها اجتهدت على فعل الخير، ولكن لأنها تكبرت وأرادت الاعتماد على ذاتها دون الله، وقد فقدت الثقة في الوعد الإلهي بأنه لن يكون هناك طوفان آخر بعد.

فلا تعتبر بلبلة الألسن غيرة وحقد من الله، لأن الله محبة، وهو الذي خلق الإنسان من جوده وفضل محبته. لكن بلبل الله ألسنة البشر بهدف معالجتهم من الدوافع الشريرة للعصيان، وحماية لهم من شر أنفسهم وسقوطهم في الكبرياء، وحماية لهم من سقوط البرج عليهم. وكان في هذه البلبلة أيضًا خير للناس الذين انتشروا في أرجاء الأرض، فاستغلوا خيرات الأرض عوضًا عن تكدسهم في مكان واحد، يتزاحمون فيه على موارد الحياة، مما يسبب خصامًا وشجارًا وقتالاً ودمارًا وهلاكًا.

إنها ليست سياسة فرّق تسد بل سياسة فرّق تنقذ. فهو لم يفرق أناسًا متحابين يصنعون الخير بل يؤذون بعضهم البعض. وهو لم يفرّق الألسن ليستفيد شيئًا. إنما فرّق الألسن عقابًا لهم على كبريائهم. وأيضًا لئلا ينهار البناء عليهم فيقتلهم.

المراجع

(١) منقذ بن محمود السقار. هل العهد القديم كلمة الله؟ ص ٤٨.

(٢) علاء أبو بكر. البهريز ج ١ ص ٢٦٨.

(٣) كوستى بندلي. إله الإلحاد المعاصر. ص ٦٣.

(٤) أ. ف. كيفن. تفسير الكتاب المقدس. ج١. ص١٦٠.

(٥) وليم مارش. السنن القويم. ج١. ص١٠٣.

(١٠)

هل هو إله يحتاج أن يأكل ويشرب؟

«وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ النَّهَارِ. فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلاَثَةُ رِجَال وَاقِفُونَ لَدَيْهِ. فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ... ثُمَّ أَخَذَ زُبْدًا وَلَبَنًا، وَالْعِجْلَ الَّذِي عَمِلَهُ، وَوَضَعَهَا قُدَّامَهُمْ. وَإِذْ كَانَ هُوَ وَاقِفًا لَدَيْهِمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَكَلُوا» (تك ١٨: ١-٨).

يقول د. منقذ بن محمود السقار: «كيف يزور الربُ إبراهيمَ - تعالى الله عن ذلك - ويأكل عنده زبدًا ولبنًا؟ (تك ١٨:١ - ٢٣)[١]

ويقول دكتور مصطفي محمود: «إن القول بأن الملائكة أكلوا لدى إبراهيم يعد من قبيل التجديف على الملائكة، فالملائكة لا يأكلون ولا يتزوجون ولكن مادام الله يتعب وينام ويستيقظ في التوراة، فلا عجب أن الملائكة يأكلون؟»[٢]

ويسأل الأستاذ علاء أبو بكر: «كيف يتجسد الله في صورة رجل محدود، وهو مالئ السموات والأرض؟ وهل يستريح الرب تحت شجرة؟[٣]

والسؤال الذي يحير معظم الناس: هل فعلًا أكل الله والملائكة لدى إبراهيم؟ وهل الرب يأكل ويشرب ويتبول ويتخلص من الفضلات؟

وللإجابة على هذه الأسئلة أقول:

ليس صعبًا على العظيم أن يتنازل، ولكن من الصعب والمستحيل على الفقير أن يتعاظم. فرئيس الجمهورية يستطيع أن يلبس زي شحاذ، أو فراش، أو عامل نظافة وينزل إلى الشارع ليعرف ظروف الناس ومشاكلهم، ولكن الفراش لا يستطيع أن يلبس بدلة ويدخل القصر الجمهوري ويقول أنا الرئيس.

من السهل على اللامحدود أن يظهر بأية صورة يريدها، وهذا لا يؤثر على وجوده في كل مكان. تخيل عزيزي القارئ أنني قادر على كل شيء، فهل يكون من الصعب عليّ مثلًا أن أظهر في لندن وأقضي بعض الوقت مع أحد الأشخاص وأتناول الطعام معه، وأشرب القهوة، وفي نفس الوقت أكون في مكتبي في القاهرة؟ كلاّ. بل الغير منطقي هو أن أكون غير محدود، وقادر على كل شيء، ولا أقدر أن أشرب ماء مثلًا، أو أتناول بعض الطعام!

فلا شك في أن الله قادرٌ أن يَظهر للبشر بالطريقة التي يريدها، سواء في صورة ملاك أو إنسان. ولو شاء لجعل الإنسان ملاكًا والملاك إنسانًا، فهو قادر على كل شيء، ويستطيع أن يفعل أي شيء فلا يوجد ما يمنع يده.

ولكن عندما يظهر الله للبشر فإنه يظهر في صورة تتناسب مع طبيعتنا المادية، ويتعامل معنا أيضًا بما يتناسب مع طبيعتنا المادية، لذلك عندما ظهر الله والملائكة لإبراهيم أكلوا وشربوا

ولكن بطريقة سرية معجزية. فالموقف كله مملوء بالمعجزات. والله قادر بلا شك أن يحول هذا الأكل إلى لا شيء. فكما أن الأجساد التي ظهروا بها كانت مؤقتة انتهت بانتهاء المهمة التي قاموا بها. كذلك الطعام تلاشى تمامًا. وهذا ليس صعبًا ولا مستحيلًا على القادر على كل شيء.

وإن كان الله قد ظهر لإبراهيم في صورة ملاك على هيئة رجل. فقد ظهر ليعقوب في صورة إنسان وصارعه حتى طلوع الفجر. وطلب يعقوب منه أن يباركه (تك ٣٢:٢٢-٢٩). وظهر لموسى بلهيب نار في وسط العلّيقة. وعندما مال موسى ليرى المنظر العجيب. ناداه الله من وسط العليقة وقال له: «اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ. لأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ» (خر ٣:١-٦).

وظهورات الله في العهد القديم هيأت ذهن البشرية لقبول فكرة التجسد الإلهي فيما بعد. وعندما ظهر الله في المسيح. متجسّدًا في صورة إنسان. و «عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ» (١تي ٣:١٦). قال لنا: «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ» (يو ١٤:٩). كان يأكل ويشرب ويتعب ويستريح بحسب الناسوت. أي كإنسان يحتاج لهذه الأمور. أما اللاهوت فهو منزّه عن كل هذا.

المراجع

(١) د. منقذ بن محمود السقار. هل العهد القديم كلمة الله؟. ص٤٩.

(٢) د. مصطفي محمود. التوراة. ص ٥٢- ٦٢..

(٣) علاء أبو بكر. البهريز. ج ١. س١٦٩. ٢٧٧.

(١١)

هل هو إله يطلب ذبائح بشرية؟

«وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ أَنَّ اللهَ امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لَهُ: «يَا إِبْرَاهِيمُ!». فَقَالَ: «هأَنَذَا». فَقَالَ: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ» (تك ٢٢: ١،٢).

هذه القصة تطرح العديد من الأسئلة، ولعل أهم سؤال هو:

كيف يطلب الله من إبراهيم أن يقدم ابنه ذبيحة؟ وهل يريد الله أن نقدم له ذبائح بشرية؟

ويقول زينون كوسيدوفسكي: «أما قصة إسحق وكبش الفداء... حيث يعرِّض يهوه إبراهيم لامتحان فظيع القساوة، لا يتوافق أبدًا مع كون الرب لطيفًا بعباده رحيمًا بهم»[١].

وللإجابة على هذا السؤال أقول:

(١) لقد كان إبراهيم يعيش في وسط مجتمع يعبد عبادة بربرية، ففي بلاد ما بين النهرين وسورية، كانوا يقدمون أولادهم البكر قرابين للآلهة. وكان الكنعانيون يقدمون أبنائهم وبناتهم ذبائح للإله مولك، وكانت هذه العادات أيضًا سائدة كذلك في كل آسيا الصغرى في ذلك الزمان. فيذكر هيربرت لوكير[٢] أن ماريوس قدم ابنته ذبيحة بعد الانتصار على الكمبريين «الجومريين». وكذلك نذر ملك كريت عقب عاصفة هوجاء أن يقدم للإله نبتون أول من يخرج من القصر للقائه بعد عودته سالمًا. وكذلك قدم أجامنون ابنته إفيجينيا للإله. ويقول آرثر كندال[٣] إن ملك موآب قدم ابنه ذبيحة بشرية لاسترضاء الإله كموش وليصنع خلاصًا من يد إسرائيل ويهوذا وآدوم (٢مل ٣:٢٧).

ويقول زينون كوسيدوفسكي: «إننا نعرف اليوم أن قصة إسحق ليست إلاَّ صدى لطقس من طقوس عبادة بربرية. وقد استطعنا من خلال الاكتشافات الأثرية الوصول إلى منشئه. ففي بلاد ما بين النهرين وسورية وأرض كنعان، عُرِف طقس قديم جدًا يقوم على تقديم الأولاد البكر قرابين للآلهة. وخلال التقنيات في جازر- مركز العبادات والطقوس الكنعانية الأم- وُجِدَت أوعية تحتوي على هياكل عظمية لأطفال بعمر ثمانية أيام قدَّموا قرابين للآلهة. كما كان الأولاد يقدمون قرابين للآلهة بمناسبة إعمار المعابد والمباني العامة....»[٤].

وسط هذا الجو الفاسد أعلن الله بوضوح أنه يبغض الذبائح البشرية، بل ويدين بشدة من يفعل ذلك، وحذَّر شعبه من ممارستها فقال لهم:

«مَتَى قَرَضَ الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ أَمَامِكَ الأُمَمَ الَّذِينَ أَنْتَ ذَاهِبٌ إِلَيْهِمْ لِتَرِثَهُمْ وَوَرِثْتَهُمْ وَسَكَنْتَ

أَرْضَهُمْ فَاحْتَرِزْ مِنْ أَنْ تُصَادَ وَرَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَادُوا مِنْ أَمَامِكَ وَمِنْ أَنْ تَسْأَلَ عَنْ آلِهَتِهِمْ: كَيْفَ عَبَدَ هَؤُلاَءِ الأُمَمُ آلِهَتَهُمْ فَأَنَا أَيْضًا أَفْعَلُ هَكَذَا؟ لا تَعْمَلْ هَكَذَا لِلرَّبِّ إِلهِكَ لأَنَّهُمْ قَدْ عَمِلُوا لآلِهَتِهِمْ كُلَّ رِجْسٍ لدَى الرَّبِّ مِمَّا يَكْرَهُهُ إِذْ أَحْرَقُوا حَتَّى بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ بِالنَّارِ لآلِهَتِهِمْ. كُلُّ الكَلاَمِ الذِي أُوصِيكُمْ بِهِ احْرِصُوا لِتَعْمَلُوهُ. لا تَزِدْ عَلَيْهِ وَلا تَنْقُصْ مِنْهُ» (تث ١٢: ٢٩-٣٢).

وقال أيضًا: «مَتَى دَخَلْتَ الأَرْضَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، لاَ تَتَعَلَّمْ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ رِجْسِ أُولئِكَ الأُمَمِ. لاَ يُوجَدْ فِيكَ مَنْ يُجِيزُ ابْنَهُ أَوِ ابْنَتَهُ فِي النَّارِ...» (تث ١٨: ٩-١٠).

وعندما ضرب الرب فرعون وشعبه بالضربة العاشرة وهي (موت الأبكار)، طلب الرب من شعبه أن يكون كل بكر فاتح رحم له. لكنه أوصى بوضوح عدة مرات أن كل بكر من البهائم الطاهرة يُقدَّم ذبيحة، بينما كل بكر من البشر يُفدَى بذبيحة حيوانية، وبذلك يكون كأنه قُدِّم للرب ذبيحة، شهادة على فداء الرب لهم وتخليصهم من العبودية فنقرأ:

«وَيَكُونُ مَتَى أَدْخَلَكَ الرَّبُّ أَرْضَ الْكَنْعَانِيِّينَ كَمَا حَلَفَ لَكَ وَلآبَائِكَ وَأَعْطَاكَ إِيَّاهَا أَنَّكَ تُقَدِّمُ لِلرَّبِّ كُلَّ فَاتِحِ رَحِمٍ وَكُلَّ بِكْرٍ مِنْ نِتَاجِ الْبَهَائِمِ الَّتِي تَكُونُ لَكَ. الذُّكُورُ لِلرَّبِّ. وَلَكِنَّ كُلَّ بِكْرِ حِمَارٍ تَفْدِيهِ بِشَاةٍ. وَإِنْ لَمْ تَفْدِهِ فَتَكْسِرُ عُنُقَهُ. وَكُلَّ بِكْرِ إِنْسَانٍ مِنْ أَوْلاَدِكَ تَفْدِيهِ.

«وَيَكُونُ مَتَى سَأَلَكَ ابْنُكَ غَدًا: مَا هَذَا؟ تَقُولُ لَهُ: بِيَدٍ قَوِيَّةٍ أَخْرَجَنَا الرَّبُّ مِنْ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. وَكَانَ لَمَّا تَقَسَّى فِرْعَوْنُ عَنْ إِطْلاَقِنَا أَنَّ الرَّبَّ قَتَلَ كُلَّ بِكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بِكْرِ النَّاسِ إِلَى بِكْرِ الْبَهَائِمِ. لِذَلِكَ أَنَا أَذْبَحُ لِلرَّبِّ الذُّكُورَ مِنْ كُلِّ فَاتِحِ رَحِمٍ وَأَفْدِي كُلَّ بِكْرٍ مِنْ أَوْلاَدِي» (خر ١٣: ١١-١٥).

وكرر الوصية مرة أخرى:

«لِي كُلُّ فَاتِحِ رَحِمٍ وَكُلُّ مَا يُولَدُ ذَكَرًا مِنْ مَوَاشِيكَ بِكْرًا مِنْ ثَوْرٍ وَشَاةٍ. وَأَمَّا بِكْرُ الْحِمَارِ فَتَفْدِيهِ بِشَاةٍ. وَإِنْ لَمْ تَفْدِهِ تَكْسِرْ عُنُقَهُ. كُلَّ بِكْرٍ مِنْ بَنِيكَ تَفْدِيهِ وَلاَ يَظْهَرُوا أَمَامِي فَارِغِينَ» (خر ٣٤: ١٩، ٢٠).

ويكرر أيضًا:

«كُلُّ فَاتِحِ رَحِمٍ مِنْ كُلِّ جَسَدٍ يُقَدِّمُونَهُ لِلرَّبِّ مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْبَهَائِمِ يَكُونُ لَكَ. غَيْرَ أَنَّكَ تَقْبَلُ فِدَاءَ بِكْرِ الإِنسانِ وَبِكْرُ الْبَهِيمَةِ النَّجِسَةِ تَقْبَلُ فِدَاءَهُ. وَفِدَاؤُهُ مِنِ ابْنِ شَهْرٍ تَقْبَلُهُ حَسَبَ تَقْوِيمِكَ فِضَّةً خَمْسَةَ شَوَاقِلَ عَلَى شَاقِلِ الْقُدْسِ. هُوَ عِشْرُونَ جِيرَةً» (عد ١٨: ١٥، ١٦).

وقد كان الأنبياء يحذِّرون الشعب بشدة من هذه الممارسات الوثنية.

(٢) بلا شك عندما كان الوثنيون يقدمون أبكارهم ذبائح لآلهتهم، كانت هذه التقدمات لا تحمل حبًا من جانب مقدميها بقدر ما تكشف عن روح القلق والخوف الذي يملأ قلوبهم من هذه الآلهة، فكانوا يودون استرضاء هذه الآلهة المتعطشة إلى الدماء لتجنب غضبهم! لهذا فإن الله طالب إبراهيم خليله بهذه التقدمة ليعلن للوثنيين قلب إبراهيم المحب لله، إذ هو مستعد أن يقدم أثمن ما لديه، وفي نفس الوقت إذ قدم الله كبشًا عوض إسحق أعلن عدم قبوله الذبائح البشرية، ليس عن ضعف في محبة المؤمنين

لله، وإنما في تقدير الله للإنسان، إذ لا يطلب سفك دمه وهلاكه! فالله لا يطيق الذبائح البشرية، إذ هو محب للبشر يشتهي حياتهم لا هلاكهم.

(٣) لم يكن الله ينوي قط أن يذبح إبراهيم ابنه، إنما كل ما أراده الله هو إظهار عظمة إيمان إبراهيم، وعظمة طاعة إسحق، وفعلًا ظهر إيمان إبراهيم إلى الدرجة التي كان مستعدًا أن يضحي بابنه الذي أحبه في شيخوخته على مذبح الإيمان.

ويؤكد القديس أغسطينوس قائلًا: «لم يكن إبراهيم يؤمن قط بأن الله يقبل الذبائح البشرية، ومع ذلك عندما دوى صوت الوصية الإلهية (بتقديم إسحق) أطاع بغير جدال. إذ كان يؤمن تمامًا أنه إذ يقدم ابنه محرقة سيقوم ثانية، كقول الرب له «لأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ» (تك ٢١: ١٢). لذلك إذ كان الأب متمسكًا بالوعد منذ البداية الذي يتحقق خلال هذا الابن الذي أمر الله بذبحه لم يشك قط أن ذاك الذي كان قبلًا لم يترج ولادته يمكن أن يقوم بعد تقديمه محرقة». فهناك فرق كبير بين تقديم إبراهيم لابنه إسحق ذبيحة وبين الذبائح البشرية التي كانت تقدم للأوثان. فقد آمن إبراهيم بالله الذي وهبه إسحق بعدما كان رحم سارة ماتًا وحسب ولادته أشبه بقيامة من الأموات فلا يصعب عليه أن يقيمه بعد تقدمته محرقة؛ أما الوثنيون فكانوا يقدمون أبكارهم استرضاءً لآلهتهم المحبة لسفك الدماء، يقدمونهم بلا رجاء!

ويرى العلامة أوريجانوس[٥] أن هذه التجربة كشفت أعماق إبراهيم وأفكاره الخفية من جهة إيمانه بالقيامة، إذ يقول: «بالروح عرف كاتب الرسالة إلى العبرانيين إيمان إبراهيم وأفكاره، معلنًا إياها بقوله: «بِالإِيمَانِ قَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ وَهُوَ مُجَرَّبٌ - قَدَّمَ الَّذِي قَبِلَ الْمَوَاعِيدَ، وَحِيدَهُ الَّذِي قِيلَ لَهُ: «إِنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ». إِذْ حَسِبَ أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى الإِقَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ أَيْضًا» (عب ١١: ١٧-١٩). وهذه هي أول مرة يظهر فيها الإيمان بالقيامة، هكذا كشفت التجربة عن قلب إبراهيم أب الآباء كإنسان يؤمن بالقيامة من الأموات.

لقد كان واثقًا أنه حتى لو ذبح ابنه، فإن الله قادر أن يقيمه من الموت، وبهذا الإيمان قال لغلامه: «اجْلِسَا انْتُمَا هَهُنَا مَعَ الْحِمَارِ وَامَّا انَا وَالْغُلاَمُ فَنَذْهَبُ الَى هُنَاكَ وَنَسْجُدُ ثُمَّ نَرْجِعُ الَيْكُمَا» (تك ٢٢:٥).

(٤) إن امتحان الله لإبراهيم لا يعني أن الله لا يعرف قلبه، لأنه يعرف كل أسرارنا الداخلية، لكنه سمح بالتجربة لكي يذكّيه أمام الكل ويعلن إيمانه الرائع الخفي، فيكون نموذجًا ومثالًا حيًا للآخرين. وكما يقول القديس أغسطينوس: «جُرِّب إبراهيم بتقديم ابنه الحبيب إسحق ليزكي طاعته الورعة، ويجعلها معلنة لا لله بل للعالم كله». الدارس المدقق يعرف أن الله كان قد أعدَّه وأهَّله قبل أن يدخل في التجربة، فعندما يبدأ الوحي في عرض التجربة يقول: «وَحَدَثَ بَعْدَ هَذِهِ الأُمُورِ أَنَّ اللهَ امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ» بالقول». وما هي «هَذِهِ الأُمُورِ» هي ظهور الله له في بلوطات مرا وتأكيد الوعد له من جهة إسحق، وبعدما صنع ميثاقًا مع أبيمالك مظهرًا له كيف أعطاه مهابة ورهبة حتى أمام الملوك.

وكأن الله لم يسمح لإبراهيم بالتجربة إلاَّ بعد أن أعده لها بطرق كثيرة. وكما يقول الرسول: «وَلَكِنَّ اللهَ أَمِينٌ الَّذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضًا الْمَنْفَذَ لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا» (اكو ١٠: ١٣). وقد هيأ قلبه وفكره وأعد كل حياته لقبول التجربة. كما رافقه أثناء التجربة أيضًا بطريقة خفية وكان سندًا له. وفي النهاية تجلى في حياته بطريقة أو أخرى. وهكذا مع كل تجربة يقوم الرب نفسه بمساندتنا قبل لتجربة وأثناءها وبعدها. حتى يحقق غايته فينا إن قبلنا عمله في حياتنا.

فهو عندما يسمح لنا بالتجارب لا يتركنا فريسة في يد العدو. بل يعدَّنا ويؤهلنا للانتصار قبل الدخول في التجربة. ألم يقل لبطرس: «سِمْعَانُ سِمْعَانُ هُوَذَا الشَّيْطَانُ طَلَبَكُمْ لِكَيْ يُغَرْبِلَكُمْ كَالْحِنْطَةِ! وَلَكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ لِكَيْ لاَ يَفْنَى إِيمَانُكَ. وَأَنْتَ مَتَى رَجَعْتَ ثَبِّتْ إِخْوَتَكَ» (لو ٢٢: ٣١ ـ ٣٢). لقد طلب الرب يسوع من أجله قبل أن يغربله الشيطان.

المراجع

(١) زينون كوسيدوفسكي. الأسطورة والحقيقة في القصص التوراتية. ترجمة الدكتور محمد مخلوف. ص٦٢..

(٢) هربرت لوكير. كل نساء الكتاب المقدس. ص٢٤٣..

(٣) آرثر كندال. التفسير الحديث للكتاب المقدس. ج ٧،٨. ص١٤٥..

(٤) زينون كوسيدوفسكي. الأسطورة والحقيقة في القصص التوراتية. ترجمة الدكتور محمد مخلوف. ص٦٣.

(٥) الأب تادرس يعقوب ملطي. تفسير سفر التكوين. ص ١٤٨.

(١٢)

هل هو إله يشارك في جريمة سرقة؟

«فَأَرْسَلَ يَعْقُوبُ وَدَعَا رَاحِيلَ وَلَيْئَةَ إِلَى الْحَقْلِ إِلَى غَنَمِهِ. وَقَالَ لَهُمَا: «وَأَمَّا أَبُوكُمَا فَغَدَرَ بِي وَغَيَّرَ أُجْرَتِي عَشَرَ مَرَّاتٍ. لكِنَّ اللهَ لَمْ يَسْمَحْ لَهُ أَنْ يَصْنَعَ بِي شَرًّا... إِنْ قَالَ هكَذَا: الرُّقَطُ تَكُونُ أُجْرَتَكَ. وَلَدَتْ كُلُّ الْغَنَمِ رُقَطًا. وَإِنْ قَالَ هكَذَا: الْمُخَطَّطَةُ تَكُونُ أُجْرَتَكَ. وَلَدَتْ كُلُّ الْغَنَمِ مُخَطَّطَةً. فَقَدْ اللهُ مَوَاشِيَ أَبِيكُمَا وَأَعْطَانِي» (تك ٣١: ٤-٩).

يقول الدكتور مصطفي محمود: «ويستمر النبي يعقوب في الغش والسرقة... يذهب إلى مساقي الماء حيث جئ الغنم لتشرب ويضع أمام عيونها قضبانًا مرقطة لتتوحم عليها فيجئ نسلها مخططًا مرقطًا. ويختار الأغنام القوية ليكون نصيبه كله من الأغنام القوية... وحينما يشكو أبناء لابان ما فعل يعقوب بثروة أبيهم يقول يعقوب: «فَقَدْ سَلَبَ اللهُ مَوَاشِيَ أَبِيكُمَا وَأَعْطَانِي» هي إذًا جريمة سرقة وتواطؤ يشترك فيها الله مع يعقوب. هكذا يتصوَّر كاتب التوراة. فأي إله هذا؟ وأي نبي؟!»[1].

وللإجابة على هذه الأسئلة أقول:

إن من يتهم إله العهد القديم بالاشتراك في جريمة سرقة نسي أن إله العهد القديم هو الذي أوصانا بالأمانة. ومن بين أهم وصاياه لشعبه: «لاَ تَسْرِقُ. ١٧لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ وَلاَ عَبْدَهُ وَلاَ أَمَتَهُ وَلاَ ثَوْرَهُ وَلاَ حِمَارَهُ وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ» (خر ٢٠: ١٥،١٧). وأدان شعبه عندما كان يغش في الموازين والمكاييل قائلين: «مَتَى يَمْضِي رَأْسُ الشَّهْرِ لِنَبِيعَ قَمْحًا وَالسَّبْتُ لِنَعْرِضَ حِنْطَةً؟ لِنُصَغِّرَ الإِيفَةَ وَنُكَبِّرَ الشَّاقِلَ وَنُعَوِّجَ مَوَازِينَ الْغِشِّ. لِنَشْتَرِيَ الضُّعَفَاءَ بِفِضَّةٍ وَالْبَائِسَ بِنَعْلَيْنِ وَنَبِيعَ نُفَايَةَ الْقَمْحِ». قَدْ أَقْسَمَ الرَّبُّ بِفَخْرِ يَعْقُوبَ: «إِنِّي لَنْ أَنْسَى إِلَى الأَبَدِ جَمِيعَ أَعْمَالِهِمْ. أَلَيْسَ مِنْ أَجْلِ هَذَا تَرْتَعِدُ الأَرْضُ وَيَنُوحُ كُلُّ سَاكِنٍ فِيهَا...».

إن ما قصده أبونا يعقوب بهذا القول هو أن يُظهِر لراحيل وليئة أن الله عادل. فعندما لم يُرِد لابان أن يوفي يعقوب حقه باختياره، تَدَخَّل الله بنعمة عجيبة وبعمل معجزي لكي ينصفه من ظلم لابان الذي ظلمه كثيرًا وغيَّر أجرته عشر مرات، وجعل الأغنام القوية تلد أغنامًا مخططة ورقطًا وبُلقًا.

وقد اعتبر يعقوب أن تدخل الله هذا بمثابة إنقاذ له من لابان الظالم، ورد للحق المسلوب. فيعقوب يصوِّر الموقف وكأن الله سحب من لابان هذا الحق المسلوب بالقوة، ورده إلى صاحبه. أو أن الله أخذ الأغنام من لابان بدون إرادته وأعطاها ليعقوب.

وما يؤكد هذا هو أن الفعل (سَلَبَ) في اللغة العبرية (נצל) (نتصال) يعني (يأخذ، ينجي، ينقذ، يستخلص، يسترد). ولا يعني إطلاقًا (سرق أو خدع أو غش) وقد ورد هذا الفعل في العهد القديم

٢٠٩ مرة[٢] وأرجو أن تلاحظ معي كيف تُرجم لكي نستخلص المعنى المقصود:

(تك ٣٢:١١) نَجِّنِي (הצילני) مِنْ يَدِ أَخِي مِنْ يَدِ عِيسُوَ لأَنِّي خَائِفٌ مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَ وَيَضْرِبَنِي الأُمَّ مَعَ الْبَنِينَ.

(تك ٣٧:٢١) فَسَمِعَ رَأُوبَيْنُ وَأَنْقَذَهُ (ויצלהו) مِنْ أَيْدِيهِمْ وَقَالَ: (لاَ نَقْتُلُهُ).

(خر ٣:٨) «فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ (להצילו) مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ وَأُصْعِدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَاسِعَةٍ...».

(خر ١٢:٢٧) «تَقُولُونَ: هِيَ ذَبِيحَةُ فِصْحٍ لِلرَّبِّ الَّذِي عَبَرَ عَنْ بُيُوتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي مِصْرَ لَمَّا ضَرَبَ الْمِصْرِيِّينَ وَخَلَّصَ (הציל) بُيُوتَنَا».

(مز ٣٤:٤) طَلَبْتُ إِلَى الرَّبِّ فَاسْتَجَابَ لِي وَمِنْ كُلِّ مَخَاوِفِي أَنْقَذَنِي (הצילני).

(مز ٣٤:١٩) كَثِيرَةٌ هِيَ بَلاَيَا الصِّدِّيقِ وَمِنْ جَمِيعِهَا يُنَجِّيهِ (יצילנו) الرَّبُّ.

الفعل (נצל) (نتصال) يُتَرجَم هنا (ينجي، ينقذ، يخلص) وقد اعتبر يعقوب أن الله أنقذه وخلّصه من ظلم لابان، أو خلّص حقه من لابان.

وأرجو أن تقرأ الآية التالية جيدًا لترى كيف أن الفعل (נצל) (نتصال) يُتَرجم (ينقذ) بينما الفعل (يسلب) (מגזלו) فهو كلمة مختلفة.

(مز ٣٥:١٠) جَمِيعُ عِظَامِي تَقُولُ: يَا رَبُّ مَنْ مِثْلُكَ الْمُنْقِذُ (מציל) الْمِسْكِينَ مِمَّنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ وَالْفَقِيرَ وَالْبَائِسَ مِنْ سَالِبِهِ (מגזלו)؟

إن الآية السابقة تعبّر عما حدث مع يعقوب تمامًا إذ أن الله خلّصه من سالبه.

(قض ٢:١١) حِينَ أَقَامَ إِسْرَائِيلُ فِي حَشْبُونَ وَقُرَاهَا وَعَرُوعِيرَ وَقُرَاهَا وَكُلِّ الْمُدُنِ الَّتِي عَلَى جَانِبِ أَرْنُونَ ثَلاَثَ مِئَةِ سَنَةٍ. فَلِمَاذَا لَمْ تَسْتَرِدَّهَا (הצלתם) فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ؟

الفعل (נצל) (نتصال) يُتَرجَم هنا (يسترد) فالله لم يسلب لابان بل استرد حق يعقوب.

(اصم ٧:١٤) وَالْمُدُنُ الَّتِي أَخَذَهَا الْفِلِسْطِينِيُّونَ مِنْ إِسْرَائِيلَ رَجَعَتْ إِلَى إِسْرَائِيلَ مِنْ عَقْرُونَ إِلَى جَتَّ. وَاسْتَخْلَصَ (הציל) إِسْرَائِيلُ تُخُومَهَا مِنْ يَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ.

(اصم ٣٠:١٨) وَاسْتَخْلَصَ (ויצל) دَاوُدُ كُلَّ مَا أَخَذَهُ عَمَالِيقُ. وَأَنْقَذَ (הציל) دَاوُدُ امْرَأَتَيْهِ.

الفعل (נצל) (نتصال) يُتَرجَم هنا (يستخلص) فالله استخلص أو استرد حق يعقوب من لابان.

(اصم١٤:٦) وَبِجَارِيَتِكَ ابْنَانِ. فَتَخَاصَمَا فِي الْحَقْلِ وَلَيْسَ مَنْ يَفْصِلُ (מציל) بَيْنَهُمَا. فَضَرَبَ أَحَدُهُمَا الآخَرَ وَقَتَلَهُ.

الفعل (נצל) (نتصال) يُتَرجَم هنا (يَفْصِلُ) أي يحكم بالعدل، وقد حكم الله بينهما بالعدل.

ولذلك نجد آية موضوعنا ترد في كل التراجم المختلفة «أخذ» كالآتي:

(ت ع م) فأخذ الله مواشي أبيكما وأعطانيها.

(ت ك) فأخذ الله ماشية أبيكما وأعطاني إياها.

(CEV). (DRB) That's how God has taken sheep and goats from your father and given them to me

(MKJV). (ERV). (GW). (LITV). (RV). (YLT). (KJV). (JPS). (ISV). (GNB) And God has taken away the flocks of your father, and has given them to me.

وقد تفهمت زوجتا يعقوب ما حدث وَقَالَتَا لَهُ: «أَلَنَا أَيْضًا نَصِيبٌ وَمِيرَاثٌ فِي بَيْتِ أَبِينَا؟ أَلَمْ نُحْسَبْ مِنْهُ أَجْنَبِيَّتَيْنِ، لأَنَّهُ بَاعَنَا وَقَدْ أَكَلَ أَيْضًا ثَمَنَنَا؟ إِنَّ كُلَّ الْغِنَى الَّذِي سَلَبَهُ اللهُ مِنْ أَبِينَا هُوَ لَنَا وَلأَوْلاَدِنَا. فَالآنَ كُلَّ مَا قَالَ لَكَ اللهُ افْعَلْ» (تك ٣١:١٤- ١٦).

فالحقيقة هي أن الله عادل، ويحب العدل، لذلك هو لا يسلب، إنما يرد الحقوق لأصحابها، لأنه يكره الظلم.

المراجع

(١) د. مصطفي محمود. التوراة. ص ١٨.

(2) Karl Feyerabend. Langenschebrew Pocket Hebrew Dictionary to the O. T. , p. 178.

(١٣)

هل هو إله يصارع عبيده ويُهزَم؟

«فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ. وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ. فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. وَقَالَ: «أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَقَالَ: «لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي». فَقَالَ لَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «يَعْقُوبُ». فَقَالَ: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ». وَسَأَلَ يَعْقُوبُ وَقَالَ: «أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ». فَقَالَ: «لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي؟» وَبَارَكَهُ هُنَاكَ» (تك ٣٢: ٢٤- ٢٩).

هذه القصة تطرح العديد من الأسئلة:

يقول د. منقذ بن محمود السقار: «تنسب التوراة إلى الله أفعالًا كتلك التي تصدر عن البشر بسبب جِبلتهم وضعفهم الذي خلقهم الله عليه، ومن ذلك عجز الإله عند مصارعة يعقوب»[1] ويقول علاء أبو بكر: «ما شاء الله!! نبى يضرب إلهه؟ فما حاجته إلى أن يباركه الرب؟ لماذا لم يطلب الرب من يعقوب أن يباركه؟ وما حكمة الرب أنه يتفاخر بين عبيده بأن يعقوب ضربه؟[2]

والسؤال: من الذي صارع يعقوب: هل إنسان كما في آية ٢٨ . أم الله كما قال يعقوب عنه في آية ٣٠ . أم ملاك كما جاء في (هو ١٢: ٣،٤)؟ هل من المعقول أن يصارع يعقوب الله ويغلبه؟

وللإجابة على هذه الأسئلة أقول:

هناك ثلاثة آراء يقدمها العلماء في هذا الموضوع وهي:

أولًا: مجرد حُلم أو رؤيا:

يرى بعض المفسرين أن اختبار يعقوب هذا كان مجرد حُلم أو رؤيا. ويقولون إن يعقوب كان على أبواب أرض كنعان، هاربًا من بيت خاله، وراجعًا ليواجه أخيه عيسو الذي سبق وسلب منه بكوريته، فكان في رعب من ماضيه، ورعب أكبر مما ينتظره على يد أخيه. في هذه الحالة البدنية المرهقة من طول السفر، والحالة النفسية المضطربة من الخطر القادم، أراد الله أن يشجع نبيَّه، فأجازه في اختبارٍ روحي، في صورة حُلم، رأى فيه نفسه يصارع قوة أكبر منه، غامضةً غير واضحة، يجاهد معها لينال بركتها، ولكنه ينكسر أمامها، وفي الوقت نفسه لا يستسلم ليأخذ منها البركة التي يشتاق إليها، ويخشى ألاّ يحصل عليها! ويقول الوحي إن المصارع الغامض ضرب حقَّ فخذ يعقوب، فانخلع حُقّ فخذه (آية ٢٥) «وَأَشْرَقَتْ لَهُ الشَّمْسُ... وَهُوَ يَخْمَعُ عَلَى فَخْذِهِ » (آية ٣١). ومن المعتاد أن الصراع في الحلم يترك صاحبه مُنهَكًا، فإذا حلُم أنه يجري استيقظ وهو يلهث، وإذا حلم أنه يُضرب استيقظ وهو يصرخ. وعندما ضُرِب حُق فخذ يعقوب في حلمه صحا في الصباح وهو

يعرج على وِركه، من شدة المعاناة في الحلم[٣].

ويبرهن هؤلاء المفسرون على أن هذا الاختبار الروحي كان حلمًا وليس أمرًا واقعًا، بأن المصارع الغامض المجهول لم يُفصِح عن شخصيته. إلى جانب أن الوحي يقول إن هذا المصارع الغامض «رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ (على يعقوب)» (تك ٣٢:٢٥).

ويقول هؤلاء المفسرون إن يعقوب سبق له أن جاز في اختبارٍ روحي مشابه في طريق هروبه من أخيه عيسو، لاجئًا إلى بيت خاله لابان، فنقرأ: «وَرَأَى حُلْمًا، وَإِذَا سُلَّمٌ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الأَرْضِ وَرَأْسُهَا يَمَسُّ السَّمَاءَ، وَهُوَذَا مَلاَئِكَةُ اللهِ صَاعِدَةٌ وَنَازِلَةٌ عَلَيْهَا. وَهُوَذَا الرَّبُّ وَاقِفٌ عَلَيْهَا، فَقَالَ: «أَنَا الرَّبُّ إِلهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ. الأَرْضُ الَّتِي أَنْتَ مُضْطَجِعٌ عَلَيْهَا أُعْطِيهَا لَكَ وَلِنَسْلِكَ. وَيَكُونُ نَسْلُكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ، وَتَمْتَدُّ غَرْبًا وَشَرْقًا وَشَمَالاً وَجَنُوبًا، وَيَتَبَارَكُ فِيكَ وَفِي نَسْلِكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ. وَهَا أَنَا مَعَكَ، وَأَحْفَظُكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ، وَأَرُدُّكَ إِلَى هذِهِ الأَرْضِ، لأَنِّي لاَ أَتْرُكُكَ حَتَّى أَفْعَلَ مَا كَلَّمْتُكَ بِهِ». فَاسْتَيْقَظَ يَعْقُوبُ مِنْ نَوْمِهِ وَقَالَ: «حَقًّا إِنَّ الرَّبَّ فِي هذَا الْمَكَانِ وَأَنَا لَمْ أَعْلَمْ!». وَخَافَ وَقَالَ: «مَا أَرْهَبَ هذَا الْمَكَانَ! مَا هذَا إِلاَّ بَيْتُ اللهِ، وَهذَا بَابُ السَّمَاءِ» (تك ٢٨:١٢-١٧). وقد كان حُلم يعقوب الخائف في هروبه من كنعان وفي طريق عودته إليها تشجيعًا من الله له، ليعلم أن الله سيحقق له وعده، على شرط أن يكون خاضعًا لله يسلِّم وجهه له، ويتمسك به، ويلحُّ في طلب بركته.

ثانيًا: صارع يعقوب ملاكًا ظهر له:

ويرى فريق آخر من المفسرين أن ما جرى ليعقوب حادثة تاريخية، لأنه قبل هذا الاختبار الروحي كان يعقوب يجاهد مع الناس وينتصر ولو بالخداع، فغش وخدع أباه إسحق وقال له إنه ابنه الأكبر عيسو، وأخذ بركة أبيه التي تخص أخاه عيسو. وبانتهاز الفُرص أخذ من أخيه عيسو امتياز البكورية. وعند خاله لابان اجتهد أن يأخذ الجانب الأكبر من ثروة خاله، ثم أخذ زوجتيه (وهما ابنتا خاله) وهرب بهما بدون أن يودِّعا أباهما وأهلهما. فكان لا بد أن يجتاز يعقوب اختبارًا قاسيًا يغيِّره ويبدِّل مسار حياته. فأرسل الله له ملاكًا في صورة إنسان، أخذ يصارع يعقوب ليُخضِعه، ولكن يعقوب تشبَّث به، كما يتشبَّث طفلٌ بيد أبيه أو بثياب أبيه، وهو يطالب أباه بشيء ما. ولم يقدر ذلك الملاك أن يوقف يعقوب عن إصراره، لأن يعقوب كان قد تعوَّد أن يتعقَّب الآخرين ويحصل منهم على ما يريد، فضربه على حق فخذه ليُخضعه فيستسلم. وعندما استسلم باركه الملاك بأن غيَّر اسمه من يعقوب (ومعناه المتعقِّب) إلى إسرائيل (ومعناه يجاهد مع الله) وقال له: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ» (تك ٣٢:٢٨). وقد وصفه النبي هوشع بالقول إن يعقوب «بِقُوَّتِهِ جَاهَدَ مَعَ اللهِ. جَاهَدَ مَعَ الْمَلاَكِ وَغَلَبَ. بَكَى وَاسْتَرْحَمَهُ». والدرس المستفاد لنا من اختبار يعقوب أننا نُجاهد مع الله في الصلاة، ونحني رؤوسنا لإرادته الصالحة.

ثالثًا: ظهور مسياني:

مع احترامي للرأيين السابقين وما بهما من دروس رائعة إلا إننا عندما ندرس قصة هذا الصراع ندرك أنه لا يمكن أن يكون مجرد حلم، أو صراع مع إنسان أو ملاك للأسباب الآتية:

(١) إصرار يعقوب على نوال البركة منه «لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي». والبركة أمر خاص

بالله، ولم يحدث في التاريخ أن إنسانًا صارع إنسانًا أو ملاكًا لكي يباركه. وقد نال يعقوب البركة فعلًا.

(٢) تغيير اسمه من «يَعْقُوبَ إِلَى إِسْرَائِيلَ». هذا من حق الله فقط، فلا يملك الملاك الحق في أن يغير اسم إنسان، وقد صار اسمه في كل التاريخ الكتابي بعد ذلك اللقاء (إسرائيل) وهو الاسم الجديد الذي أخذه.

(٣) قال له الله بعد أن غيَّر اسمه: «لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ» (تك ٣٢:٢٨)..فما معنى القول: «جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ»؟ وما معنى قول هوشع النبي تعليقًا على هذه الحادثة: «وَبِقُوَّتِهِ جَاهَدَ مَعَ اللهِ»؟ (هو ١٢:٣).

(٤) كون أن الذي ظهر له، ضرب حُق فخذه، فانخلع فخذه، وصار يخمع عليه (تك ٢٥: ٣١،٣٢). هذا لا يحدث من ملاك، فالملاك لا يضرب إلا إذا أخذ أمرًا صريحًا بذلك من الله، وبخاصة لو كان يضرب أحد الآباء أو الأنبياء.

(٥) يقول الكتاب أن يعقوب رأى الله وجهًا لوجه: «فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ «فَنِيئِيلَ» قَائِلًا: «لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ (פנים אל–פנים) وَنُجِّيَتْ نَفْسِي»» (تك ٣٢:٣٠).

(٦) قول هوشع النبي بالروح: «بَكَى وَاسْتَرْحَمَهُ. وَجَدَهُ فِي بَيْتِ إِيلَ وَهُنَاكَ تَكَلَّمَ مَعَنَا» (هو ١٢: ٤). والرحمة لا تُطلَب إلا من الله.

من الذي صارع يعقوب؟

هل صارع يعقوب إنسان كما جاء في (تك ٣٢:٢٤)، أم ملاكًا كما جاء في (هو ١٢: ٣،٤)، أم الله كما جاء في (تك ٣٢:٣٠، ٢٨:٣٢)؟

«فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ. وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ» (تك ٣٢:٢٤)

«لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ وَنُجِّيَتْ نَفْسِي» (تك ٣٢:٣٠).

«لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ» (تك ٣٢:٢٨).

«وَبِقُوَّتِهِ جَاهَدَ مَعَ اللهِ. ٤جَاهَدَ مَعَ الْمَلاَكِ وَغَلَبَ. بَكَى وَاسْتَرْحَمَهُ» (هو ١٢:٣و٤).

من هو هذا الكائن الغير عادي الذي صارعه وأُطلِق عليه مرة أنه (إِنْسَانٌ) وأنه (الْمَلاَكِ) وأنه (اللهَ)؟

أقول بكل تأكيد لم يصارع يعقوب الله ولم يره، لأن الله قال لموسى: «لا تَقْدِرُ انْ تَرَى وَجْهِي لانَّ الانْسَانَ لا يَرَانِي وَيَعِيشُ» (خر٣٣:٢٠). وصرخ إشعياء النبي قائلًا: «حَقًّا أَنْتَ إِلَهٌ مُحْتَجِبٌ يَا إِلَهَ إِسْرَائِيلَ» (إش ٤٥:١٥) فلن يستطيع أحد قط أن يعاينه.

وقال الرسول بولس: «الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ، سَاكِنًا فِي نُورٍ لاَ يُدْنَى مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ» (اتي ٦:١٦).

وقال الرسول يوحنا: «اَللهُ لَمْ يَنْظُرْهُ أَحَدٌ قَطُّ» (ايو ٤:١٢).

تقول إذًا كيف قال يعقوب: «لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ وَنُجِّيَتْ نَفْسِي» (تك ٣٢:٣٠)؟

لاحظ العلماء أن هناك فرق في اللغة العبرية

يوضح لنا شيئًا في غاية الأهمية اللاهوتية:

قال يعقوب:

«لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ وَنُجِّيَتْ نَفْسِي» (تك ٣٢:٣٠).

«ויקרא יעקב שם המקום פניאל כי־ראיתי אלהים פנים אל־פנים ותנצל נפשי».

ويخبرنا الوحي عن موسى أنه رأى الله أيضًا وجهًا لوجه

«وَيُكَلِّمُ الرَّبُّ مُوسَى وَجْهًا لِوَجْهٍ كَمَا يُكَلِّمُ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ» (خر ٣٣:١١).

«ודבר יהוה אל־משה פנים אל־פנים כאשר ידבר איש אל־רעהו»

ولكن قال الله:

«لا تَقْدِرُ انْ تَرَى وَجْهِي لانَّ الانْسَانَ لا يَرَانِي وَيَعِيشُ» (خر ٣٣:٢٠).

ויאמר לא תוכל לראת את־פני כי לא־יראני האדם וחי:

ما الفرق بين الوجه في النصين الأول والثاني والوجه في النص الثالث؟

الاختلاف في الضمير (את) الذي يسبق كلمة وجهي (את־פני).

فالضمير الذي يسبق وجهي (את) (ايت) ليس ضمير ملكية في العبرية ، بل يعني الذات أو الكيان، ولا يوجد له مثيل في بقية اللغات[٤]:

ومن هنا نفهم أنه لا يعقوب ولا موسى ولا أي شخص رأى الذات الإلهية، فبالنسبة ليعقوب نقرأ:

«فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ. وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ» (تك ٣٢:٢٤).

ויותר יעקב לבדו ויאבק איש עמו עד עלות השחר:

إذن كانت الرؤية لتجسد مؤقت لله، أو تجلٍ لله في صورة إنسان، فظهر له في هذه الهيئة وكان يتكلم معه.

وفي سفر العدد يوضح الوحي أيضًا أن ما رآه موسى لم يكن الجوهر الإلهي بل شبه الرب فنقرأ:

«فَمًا إِلَى فَمٍ وَعَيَانًا أَتَكَلَّمُ مَعَهُ لا بِالأَلْغَازِ. وَشِبْهَ الرَّبِّ يُعَايِنُ» (عد ١٢:٨).

פה אל־פה אדבר־בו ומראה ולא בחידת ותמנת יהוה יביט

وكأن ما كان يراه موسى ليس وجه الله ولا ذاته بل قناع شبه الرب، لأن وجه اللاهوت أو الذات الإلهية لا يُرى.

وما يؤكد هذا أيضًا استعمال نفس الضمير لوصف الذات الإلهية في:

(تك ١٧:١) وَجَعَلَهَا اللهُ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الارْضِ.

«ויתן אתם אלהים ברקיע השמים להאיר על־הארץ».

فهي تشير إلى ذات الله (الجوهر الإلهي).

والكلمة تتعدد استعمالاتها لتصف ذات الشيء أو جوهره: جوهر النور أو جوهر المادة أو جوهر الإنسان ... إلخ.

إذًا عندما تكلم يعقوب أو موسى مع الله (אלהים) إلوهيم لم يكن مع الجوهر الإلهي لأن وجه أو شكل الجوهر الإلهي في ذاته لا يُرى، لأن الإنسان بطبيعته الحالية لا يمكن أن يحتمل رؤيتها.

ظهورات للمسيح قبل التجسد:

قال يوحنا الحبيب:

«اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ (μονογενής) (الوحيد الجنس) الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ. (εξηγησατο) (يو ١: ١٨).

والفعل (خَبَّرَ) في صيغة الماضي التام فهو الذي ظهر لكل الآباء في العهد القديم، وقد أكّد المسيح هذا حين قال:

«أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ» (يو ٨:٥٦).

نعم فهو موجود منذ الأزل ألم يقل البشير يوحنا: «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ. هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ (يو١:١-٤). والبدء المقصود هنا ليس بدء كتابة الإنجيل، ولا حتى بدء الخليقة، بل هو البدء الذي لا بداءة له، البدء الذي يعجز العقل البشرى عن الوصول له.

وقال كاتب الرسالة إلى العبرانيين: «يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ.» (عب ١٣:٨) فهو الأزلي الأبدي.

وقد أعلن المسيح عن أزليته بوضوح في أكثر من موقف منها:

في صلاته الشفاعية قال: «مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ» (يو ١٧:٥).

وقال أمام اليهود: «قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ» (يو ٨:٥٨). والنص اليوناني يستخدم هنا صيغة المضارع لا الماضي فهو لم يقل «أنا كنت».

ويوضح ف.ف. بروس قائلًا: «لو كان للمسيح مجرد وجود سابق، لكنه ليس أزليًا، لقال: «قبل أن يكون إبراهيم كنت» لكن يسوع مضى خطوة أبعد من ذلك فتحدث عن نفسه باستخدامه تعبير «أنا كائن» أي الأبدي الدائم الوجود. فلم تأت لحظة في الوجود لم يكن موجودًا فيها»[٥].

ويقدم وليم باركلي تعليقًا هامًا فيقول: «يسوع لا زمني. لم يكن هناك وقت قط دخل فيه المسيح إلى حيّز الوجود، ولن يوجد وقت سيتوقف فيه عن الوجود. لا نستطيع أن نقول عن يسوع «لقد كان» يجب أن نقول دائمًا «إنّه يكون» أو «أنه الكائن» نرى في يسوع لا زمنية الله، الذي كان إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، الذي كان قبل الزمن وسيظل بعده فهو دائم الوجود»[٦].

فالكتاب المقدس يؤكد على أن المسيح كان موجودًا من قبل تجسده، بل لم يكن لوجوده بداية ولن تكون له نهاية، فهو البداية والنهاية.

وظهورات الله في شكل مادي في العهد القديم تؤكد أزلية المسيح مثلًا: (تك ١٨:١-١٩؛ ١٦:٧-١٣؛ ١٥:٢٢,١٦؛ ٣١:١١-١٣؛ ٣٢:٣٠؛ ١٦,٤٨:١٥؛ خر ٢:٤-٤؛ ١أخ ٢١:١٥-١٩؛ مز ٣٤,٧:٦؛ زك ١٢:١٠).

ومن هنا نستطيع أن نقول إن يعقوب:

(١) جاهد مع الله:

وذلك لأن المسيح هو الإعلان الحقيقي للآب، وهو صورة الله، ألم يقل الرسول بولس: «اَلَّذِي هُوَ صُورَةُ (μορφη) اللهِ غَيْرُ الْمَنْظُورِ» (كو ١:١٥). وكلمة (صُورَةُ) في اللغة اليونانية هي (μορφη) (مورفي) تعني ذات طبيعة وجوهر الله[٧].

ولذا فتعبير «صُورَةِ اللهِ» يرد في بعض

الترجمات كالآتي:

(NIV) In The Very Nature of God

في طبيعة الله ذاته

(CEV) Christ is exactly like God, who cannot be seen.

المسيح هو بالضبط مثل الله، الذي لا يمكن رؤيته.

(ERV) No one can see God, but the Son is exactly like God.

لا يمكن لإنسان أن يرى الله، ولكن الابن هو بالضبط مثل الله.

(Murdock) who is the likeness of the invisible God.

الذي هو شبيهه الله غير المنظور

أي الذي له نفس طبيعة وجوهر الله، الأزليّ الأبديّ، الذي لا بداية له ولا نهاية، كقول الوحي: «يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ» (عب ١٣:٨). وقول الرب يسوع المسيح عن نفسه «أَنَا الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ، الأَوَّلُ وَالآخِرُ» (رؤ ٢٢:١٣).

فهو صورة الله المُعَبِّر عن الكيان الجوهريّ للذات الإلهية الذي هو الله.

ولأن المسيح أيضًا هو رسم جوهر الآب، ألم يقل كاتب الرسالة إلى العبرانيين:

«الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ (χαρακτήρ) (أي نحت جوهره أو شكل جوهره)، وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ» (عب ١: ٣).

وتعبير (وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ) يرد في بعض الترجمات كالآتي:

(NIV) and the exact representation of his being

التمثيل الدقيق لكيانه

(BBE) the true image of his substance

الصورة الحقيقية لطبيعته

(CEV) and is like him in every way.

ومثله في كل شيء

(EMTV) and the exact expression of His substance

التعبير الدقيق لوجوده

(ERV) . He is a perfect copy of God's nature.

وهو نسخة كاملة من طبيعة الله

(ESV) and the exact imprint of his nature)

البصمة الدقيقة لطبيعته

(GNB) and is the exact likeness of God's own being.

ومثاله بالضبط في وجوده الخاص

(GW) (ISV) and the exact likeness of God's being.

الشبه الدقيق لوجود الله

فالابن هو شكل جوهر الآب والجامع لكل صفاته، وبه يُعرَف الآب

(٢) جَاهَدَ مَعَ المَلاَكِ:

فمن هو ملاك الرب في العهد القديم؟

عندما ظهر الله لموسى في العليقة نقرأ:

«وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ بِلَهِيبِ نَارٍ مِنْ وَسَطِ عُلَّيْقَةٍ فَنَظَرَ وَإِذَا الْعُلَّيْقَةُ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ وَالْعُلَّيْقَةُ لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ!». فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم. لماذا لا تحترق العليقة. فنقرأ: «فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُ مَالَ لِيَنْظُرَ نَادَاهُ اللهُ مِنْ وَسَطِ الْعُلَّيْقَةِ وَقَالَ: «مُوسَى مُوسَى». فَقَالَ: «هَئَنَذَا». فَقَالَ: «لاَ تَقْتَرِبْ إِلَى هَهُنَا. اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ لأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ». ثُمَّ قَالَ: «أَنَا إِلَهُ أَبِيكَ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ». فَغَطَّى مُوسَى وَجْهَهُ لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللهِ» (خر ٣:٢-٦).

فملاك الرب هنا ليس مجرد ملاك بل هو تجلٍ إلهي، هو تجسد مؤقت لله لكي يهيئ البشرية للتجسد الكامل في شخص المسيح.

وعندما ظهر الرب لامرأة منوح نقرأ:

«وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ صُرْعَةَ مِنْ عَشِيرَةِ الدَّانِيِّينَ اسْمُهُ مَنُوحُ. وَامْرَأَتُهُ عَاقِرٌ لَمْ تَلِدْ. فَتَرَاءَى مَلاَكُ الرَّبِّ لِلْمَرْأَةِ وَقَالَ لَهَا: «هَا أَنْتِ عَاقِرٌ لَمْ تَلِدِي، وَلَكِنَّكِ تَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا». وظهر لها مرة أخرى «فَسَمِعَ اللهُ لِصَوْتِ مَنُوحَ. فَجَاءَ مَلاَكُ اللهِ أَيْضًا إِلَى الْمَرْأَةِ وَهِيَ جَالِسَةٌ فِي الْحَقْلِ، وَمَنُوحُ رَجُلُهَا لَيْسَ مَعَهَا». ثم جاء رجلها وسأله: «مَا اسْمُكَ حَتَّى إِذَا جَاءَ كَلاَمُكَ نُكْرِمُكَ؟» فَقَالَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ: «لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي وَهُوَ عَجِيبٌ؟»... فَقَالَ مَنُوحُ لامْرَأَتِهِ: «نَمُوتُ مَوْتًا لأَنَّنَا قَدْ رَأَيْنَا اللهَ». (قض ١٣: ٢-٢٢).

ومن هو صاحب الاسم العجيب؟ أليس هو المسيح! ألم يقل إشعياء:

«لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا، إِلهًا قَدِيرًا، أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلاَمِ» (إش ٩:٦).

(٣) صَارَعَهُ إِنْسَانٌ:

عندما نقرأ: «فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ». لا نتعجب، فقد ظهر الرب ليشوع في صورة رجل أي (إنسان):

«وَحَدَثَ لَمَّا كَانَ يَشُوعُ عِنْدَ أَرِيحَا أَنَّهُ رَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ، وَإِذَا بِرَجُلٍ وَاقِفٍ قُبَالَتَهُ، وَسَيْفُهُ مَسْلُولٌ بِيَدِهِ. فَسَارَ يَشُوعُ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ: «هَلْ لَنَا أَنْتَ أَوْ لأَعْدَائِنَا؟» فَقَالَ: «كَلاَّ، بَلْ أَنَا رَئِيسُ جُنْدِ الرَّبِّ. الآنَ أَتَيْتُ». فَسَقَطَ يَشُوعُ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ وَسَجَدَ. وَقَالَ لَهُ: «بِمَاذَا يُكَلِّمُ سَيِّدِي عَبْدَهُ؟» فَقَالَ رَئِيسُ جُنْدِ الرَّبِّ لِيَشُوعَ: «اخْلَعْ نَعْلَكَ مِنْ رِجْلِكَ، لأَنَّ الْمَكَانَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ هُوَ مُقَدَّسٌ». فَفَعَلَ يَشُوعُ كَذَلِكَ» (يش ٥: ١٣-١٥).

يقول آدم كلارك (Adam Clarke): «إنه ليس مجرد رجل، ولا مجرد ملاك أو رئيس ملائكة بل كلمة الله نفسه، إذ يقول له: «اخْلَعْ نَعْلَكَ مِنْ رِجْلِكَ، لأَنَّ الْمَكَانَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ هُوَ مُقَدَّسٌ». وهو ما قيل لموسى النبي أيضًا حين ظهر له الرب في العليقة المتقدة بالنار»[٨].

ويقول العلامة أوريجانوس: «لقد أدرك يشوع بالروح ليس فقط أنه من عند الله، إنما هو الله نفسه، فإنه ما كان يعبده لو لم يعرف أنه هو الله»[٩].

وقد رأى دانيال النبيّ في رؤياه العظيمة «مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ» فيقول: «كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ

الأَيَّامِ فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأَعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ» (دا ٧: ١٣-١٤).

وهنا نرى هذا الكائن السمائيّ الذي رآه دانيال النبيّ في شكل «ابْنِ إِنْسَانٍ» له عدَّة صفات لا يُمكن أنْ تكون لإنسانٍ أو ملاكٍ أو أي كائنٍ مخلوقٍ، إنما هي خاصَّة بالله وحده! فقد أُعطي «سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ». إذًا فهو صاحب السلطان على كلّ الخليقة وملك الملكوت الذي له المجد وحده إلى الأبد، والمعبود من جميع الخليقة «لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ». والكتاب المقدَّس يُؤكِّد أنَّه لا سجود ولا عبادة إلاَّ لله وحده «لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ» (مت ٤: ١٠).

فمَنْ هو هذا الكائن السمائيّ الذي رآه دانيال النبي « مِثْلَ ابْنِ إِنْسَانٍ » الآتي على سُحُب السماء؟ والإجابة هي أنَّه الربّ يسوع المسيح نفسه الآتي على السحاب. وهذا ما أكَّده الربّ يسوع المسيح نفسه عندما سأله رئيس الكهنة قائلا « أَسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ؟» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ قُلْتَ! أَنَا هُوَ». و «وَأَيْضًا أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ وَآتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ» « (مت ٢٦: ٦٣-٦٤؛ مر ١٤: ٦٢).. كما أنَّ جميع الأوصاف التي وُصف بها هذا الكائن السمائيّ الآتي مثل ابن الإنسان هي أوصاف الربّ يسوع المسيح نفسه.

لذلك عندما يقول الوحي لقد صَارَعَهُ إِنْسَانٌ، أو صَارَعَهُ ابن إِنْسَانٌ فالكلام سليم فلقد كان الرب يهيئ شعبه لمجيء ابن الإنْسَان.

أخيرًا أقول عندما تكلم إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وغيرهم مع الله (אלהים) ألوهيم لم يكن مع الجوهر الإلهي لأن وجه أو شكل الجوهر الإلهي في ذاته لا يُرى، ولأن الإنسان بطبيعته الحالية لا يمكن أن يحتمل رؤيتها لكنهم كانوا يتحدثون مع الرب يسوع في ظهوراته قبل تجسده.

ولكن يوحنا الحبيب يؤكد لنا أنه سيأتي الوقت الذي سنرى فيه الله كما هو لكن بأجسامنا النورانية:

«أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلَكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ». (١يو ٣: ٢).

وكذلك الرسول بولس:

«فَإِنَّنَا نَنْظُرُ الآنَ فِي مِرْآةٍ فِي لُغْزٍ لَكِنْ حِينَئِذٍ وَجْهًا لِوَجْهٍ. الآنَ أَعْرِفُ بَعْضَ الْمَعْرِفَةِ لَكِنْ حِينَئِذٍ سَأَعْرِفُ كَمَا عُرِفْتُ» (١كو ١٣: ٩).

ما هي طبيعة هذا الصراع؟

الكل يسأل: كيف صارع يعقوب الله؟

هل يمكن لإنسان أن يصارع الله؟

وهل من المعقول أن ينتصر الإنسان على الله؟

إن الفعل (صَارَعَهُ) في اللغة العبرية (אבק) (أباق) يعني (طاف، وحلق، وتشبث، وصارع، وناضل، وجاهد) وهو لم يرد في كل العهد القديم سوى في هذا النص ويتكرر مرتين «فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ. وَصَارَعَهُ (ויאבק) إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. ٢٥وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ (בהאבקו) مَعَهُ» (تك

٣٢: ٢٤، ٢٥)[١٠].

وفي الحقيقة كلمة (وصَارَعَهُ) و (مُصَارَعَتِهِ) ترجمة غير دقيقة لأن الكلمة العبرية تحمل معنى الصراع والجهاد الروحي وليس المصارعة والحرب، فهي تختلف تمامًا عن كلمة (מלחמה) (ملحمة) التي تعني يصارع ويصرع وعراك وخناق وحرب (war, warfare, battle, fight)، التي استُخدِمَت بكثرة في العهد القديم.

ولذلك نجد النص أوضح في بعض الترجمات مثل:

(ISV) And so Jacob was left alone, and he struggled with a man until daybreak.

(MKJV) And Jacob was left alone. And a Man wrestled there with him until the breaking of the day.

(ت ع م) «وبقي يعقوب وحده، فصارعه (ויאבק) رجل حتى طلوع الفجر ٢٦ولما رأى أنه لا يقوى على يعقوب في هذا الصراع (בהאבקו)، ضرب حُق وركه فانخلع».

هناك فرق كبير بين الصراع والمصارعة. لقد اكتشف يعقوب أنه أمام مصدر البركة، الشخص الذي يستطيع أن يباركه، فهل يصارعه بمعنى المصارعة الحرة؟ أم أنه صراع من طبيعة مختلفة؟

وهل من المعقول إن يتصارع معه بمعنى (المصارعة الحرة) وهو في نفس الوقت يتوسل إليه ويرجو منه بركة؟

ويؤكد لنا سفر هوشع أن الصراع الذي استمر حتى طلوع الفجر لم يكن صراعًا يدويًا بل جهادًا روحيًا فيقول: «فِي الْبَطْنِ قَبَضَ بِعَقِبِ أَخِيهِ، وَبِقُوَّتِهِ جَاهَدَ مَعَ اللهِ. ٤جَاهَدَ مَعَ الْمَلاَكِ وَغَلَبَ. بَكَى وَاسْتَرْحَمَهُ» (هو ١٢: ٣و٤). فيُظهِر هوشع يعقوب الغالب وهو يبكي، وهذا دليل كافٍ على أن هذا الصراع لم يكن صراعًا جسمانيًا بقدر ما هو صراع روحي.

إنه يوضح لنا أن يعقوب ظل ساقطًا على وجهه أمام الرب الذي ظهر له، يبكي ويسترحم حتى طلوع الفجر. فأي نوع من الصراع هنا؟

إن هذا البكاء غير مذكور في سفر التكوين، لكنه مثل دموع يسوع في جثسيماني التي لم تُذكَر في البشائر الأربعة بل في (عب ٥: ٧).

ولماذا بكى؟ إنها دموع التوبة، وطلب الرحمة.

إن الفعل (وَاسْتَرْحَمَهُ) في العبرية (ויתחנן) من الفعل (חנן) (حنن) وتعني (تضرع، يرحم، ينعم، يتحنن) وقد وردت في العهد القديم ٧٥مرة، وأرجو أن تلاحظ معي كيف تُرجِم في الآيات التالية:

(تك ٣٣: ٥) ثُمَّ رَفَعَ عَيْنَيْهِ وَأَبْصَرَ النِّسَاءَ وَالأَوْلاَدَ وَقَالَ: «مَا هَؤُلاَءِ مِنْكَ؟» فَقَالَ: «الأَوْلاَدُ الَّذِينَ أَنْعَمَ (חנן) اللهُ بِهِمْ عَلَى عَبْدِكَ».

(تك ٣٣: ١١) خُذْ بَرَكَتِي الَّتِي أُتِيَ بِهَا إِلَيْكَ لأَنَّ اللهَ قَدْ أَنْعَمَ (חנני) عَلَيَّ وَلِي كُلُّ شَيْءٍ». وَأَلَحَّ عَلَيْهِ فَأَخَذَ.

(خر ٣٣: ١٩) فَقَالَ: (أُجِيزُ كُلَّ جُودَتِي قُدَّامَكَ. وَأُنَادِي بِاسْمِ الرَّبِّ قُدَّامَكَ. وَأَتَرَأَّفُ (ואחנני) عَلَى مَنْ أَتَرَأَّفُ (אחן) وَأَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ).

(عد ٦: ٢٥) يُضِيءُ الرَّبُّ بِوَجْهِهِ عَلَيْكَ وَيَرْحَمُكَ (ויחנך).

(تث ٣: ٢٣) «وَتَضَرَّعْتُ (ואתחנן) إِلَى الرَّبِّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ قَائِلًا...».

(١مل ٨:٣٣) إِذَا انْكَسَرَ شَعْبُكَ إِسْرَائِيلُ أَمَامَ الْعَدُوِّ لأَنَّهُمْ أَخْطَأُوا إِلَيْكَ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْكَ وَاعْتَرَفُوا بِاسْمِكَ وَصَلُّوا وَتَضَرَّعُوا (והתחננו) إِلَيْكَ نَحْوَ هَذَا الْبَيْتِ.

(٢مل ٦:١٣) فَحَنَّ (ויחן) الرَّبُّ عَلَيْهِمْ وَرَحِمَهُمْ وَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ لأَجْلِ عَهْدِهِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يَسْتَأْصِلَهُمْ، وَلَمْ يَطْرَحْهُمْ عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى الآنَ.

(٢أخ ٦:٢٤) وَإِنِ انْكَسَرَ شَعْبُكَ إِسْرَائِيلُ أَمَامَ الْعَدُوِّ لأَنَّهُمْ أَخْطَأُوا إِلَيْكَ ثُمَّ رَجَعُوا وَاعْتَرَفُوا بِاسْمِكَ وَصَلُّوا وَتَضَرَّعُوا (והתחננו) أَمَامَكَ نَحْوَ هَذَا الْبَيْتِ

(مز ١:٤) عِنْدَ ضِيقِي اسْتَجِبْ لِي يَا إِلَهَ بِرِّي. فِي الضِّيقِ رَحَّبْتَ لِي. تَرَاءَفْ (חנני) عَلَيَّ وَاسْمَعْ صَلاَتِي.

(مز ١:٥١) ارْحَمْنِي (חנני) يَا اللهُ حَسَبَ رَحْمَتِكَ. حَسَبَ كَثْرَةِ رَأْفَتِكَ امْحُ مَعَاصِيَّ.

(مز ١:٦٧) لِيَتَحَنَّنْ (יחננו) اللهُ عَلَيْنَا وَلْيُبَارِكْنَا. لِيُنِرْ بِوَجْهِهِ عَلَيْنَا. سِلاَهْ.

(مز ١:١٤٢) بِصَوْتِي إِلَى الرَّبِّ أَصْرُخُ. بِصَوْتِي إِلَى الرَّبِّ أَتَضَرَّعُ. (אתחנן)

إن عبارة «بَكَى وَاسْتَرْحَمَهُ» (هو ١٢: ٤). ترد في الترجمات المختلفة كالآتي:

(ت ع م) بكى وتضرع إليه.

(ك ح) بكى والتمس رضاه وبركته

(ASV). (DRB). (JPS). (KJV). (RV) he wept, and made supplication unto him

بكى وخضع له

(BBE) he made request for grace to him with weeping;

وطلب النعمة بالدموع

(CEV) then with tears in his eyes, he asked for a blessing.

طلب البركة والدموع في عينيه

(ESV). (ERV) He cried and asked for a favor.

بكى وطلب الرحمة

(GNB) He wept and asked for a blessing. him.

بكى وطلب البركة

(GW). (LITV) he wept and pleaded to Him

بكى وتوسل

(Bishops). (ISV); he cried and prayed to him.

بكى وصلى

لم يكن الصراع شيئًا معنويًا، ولا مجرد حلم، ولا جهاد صلوات قوية فقط، بل كان مزيجا من الصلاة والصراع والجهاد الجسدي خرج منه يعقوب وهو «يخمع» على فخذه. فكيف يخرج بعاهة لو كان هذا الصراع مجرد حلم أو صلوات فقط؟؟

فملخص الموضوع يدركه كل إنسان مسيحي يعرف معنى الجهاد في الصلاة، أما من لايعرف غير كلمات محفوظة يكررها قيامًا وقعودًا بدون فهم فبالطبع سوف لا يدرك هذا الصراع الروحي الرائع.

وكلمة الله تشجعنا على هذا الجهاد والصراع الروحي، فلقد ذُكِرَت كلمة الجهاد ومشتقاتها في الكتاب المقدس حوالي ٦١ مرة تقريبًا، فمثلًا نتذكر ما جاء عن أبفراس:

(كو ٤:١٢) «يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ أَبَفْرَاسُ، الَّذِي هُوَ مِنْكُمْ، عَبْدٌ لِلْمَسِيحِ، مُجَاهِدٌ كُلَّ حِينٍ لأَجْلِكُمْ بِالصَّلَوَاتِ، لِكَيْ تَثْبُتُوا كَامِلِينَ وَمُمْتَلِئِينَ فِي كُلِّ مَشِيئَةِ اللهِ».

وما جاء عن بولس:

(رو ١٥:٣٠) فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَبِمَحَبَّةِ الرُّوحِ، أَنْ تُجَاهِدُوا مَعِي فِي الصَّلَوَاتِ مِنْ أَجْلِي إِلَى اللهِ.

وما جاء عن الرب يسوع:

(لو ٢٢:٤٤) وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ، وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ.

كيف ضَرَبَه على (حُق فخذه)؟

الفعل (ضرب) في اللغة العبرية (נגע) (نجع) وقد ورد في العهد القديم ١٤٩ مرة منهم ٩٢ بمعنى لمس وبعض المرات بمعنى اقترب ومرادفاتها ولم تُستَخدم ولا مرة بمعنى ضرب باليد[١١]

وإليك بعض الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة:

(تك ٣:٣) وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ (תגעו) لِئَلاَّ تَمُوتَا.

(١مل ١٩:٥) وَاضْطَجَعَ وَنَامَ تَحْتَ الرَّتَمَةِ. وَإِذَا بِمَلاَكٍ قَدْ مَسَّهُ (נגע) وَقَالَ: قُمْ وَكُلْ.

(أس ٥:٢) فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ أَسْتِيرَ الْمَلِكَةَ وَاقِفَةً فِي الدَّارِ نَالَتْ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْهِ فَمَدَّ الْمَلِكُ لأَسْتِيرَ قَضِيبَ الذَّهَبِ الَّذِي بِيَدِهِ فَدَنَتْ أَسْتِيرُ وَلَمَسَتْ (ותגע) رَأْسَ الْقَضِيبِ.

(أي ٥:١٩) فِي سِتٍّ شَدَائِدَ يُنَجِّيكَ وَفِي سَبْعٍ لاَ يَمَسُّكَ (יגע) سُوءٌ.

(مز ١٠٥:١٥) قَائِلًا: لاَ تَمَسُّوا (תגעו) مُسَحَائِي وَلاَ تُسِيئُوا إِلَى أَنْبِيَائِي

(إش ٦: ٦،٧) فَطَارَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنَ السَّرَافِيمِ وَبِيَدِهِ جَمْرَةٌ قَدْ أَخَذَهَا بِمِلْقَطٍ مِنْ عَلَى الْمَذْبَحِ ٧وَمَسَّ (ויגע) بِهَا فَمِي وَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ قَدْ مَسَّتْ (נגע) شَفَتَيْكَ فَانْتُزِعَ إِثْمُكَ وَكُفِّرَ عَنْ خَطِيَّتِكَ.

(إر ١:٩) وَمَدَّ الرَّبُّ يَدَهُ وَلَمَسَ (ויגע) فَمِي وَقَالَ الرَّبُّ لِي: هَا قَدْ جَعَلْتُ كَلاَمِي فِي فَمِكَ.

(دا ١٠:١٠) وَإِذَا بِيَدٍ لَمَسَتْنِي (נגעה) وَأَقَامَتْنِي مُرْتَجِفًا عَلَى رُكْبَتَيَّ وَعَلَى كَفَّيْ يَدَيَّ.

(زك ٢:٨) لأَنَّهُ هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: بَعْدَ الْمَجْدِ أَرْسَلَنِي إِلَى الأُمَمِ الَّذِينَ سَلَبُوكُمْ لأَنَّهُ مَنْ يَمَسُّكُمْ (הנגע) يَمَسُّ (נגע) حَدَقَةَ عَيْنِهِ.

إذًا فكلمة (ضَرَب) غير دقيقة لأنها في الأصل العبري «مس أو لمس» ولذلك وردت في معظم التراجم الإنجليزية (touched) لمس.

(Darby). (Brenton). (ASV). (DRB). (ERV). (ESV). (GW). (JPS). (KJV). (LITV). (MKJV). (RV). (Webster) And when he saw that he prevailed not against him, he touched the hollow of his thigh; and the hollow of Jacob's thigh was strained, as he wrestled with him.

ما معنى غلب؟ وكيف غلب؟

أرجو أن تلاحظ أن الفعل (غَلَبَ) (ויכל)

(ويكل) في اللغة العبرية الوارد في هوشع، هو نفسه المترجَم (يَقْدِرُ) و (قَدِرْتَ) في (تك ٣٢: ٢٨،٢٥) كالآتي:

(هو ١٢: ٤) «جَاهَدَ مَعَ الْمَلاَكِ وَغَلَبَ (ויכל). بَكَى وَاسْتَرْحَمَهُ».

(تك ٣٢:٢٥) لَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ (יכל) عَلَيْهِ ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ.

(تك ٣٢:٢٨) فَقَالَ: لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدِرْتَ (ותוכל).

ولكن كيف يقول أنه (لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ) ويطلب منه (أَطْلِقْنِي) وهو بضربة استطاع أن يخلع حق فخذه؟

وحُق الفخذ يعتبر واحدًا من أقوى المفاصل في جسم الإنسان ويحتاج إلى قوة رهيبة لخلعه فوق قدرة أي إنسان بدون سلاح.

فهو مثل نصف كرة مثبت بقوة، لكي ينخلع يحتاج أن تحرّك الساق بجملتها بقوة شديدة إلى الخارج، لذلك أقول إن هذا الكائن الذي بلمسة خلع هذا المفصل القوي لم ينهزم بصراع يدوي، وكما أوضحت في البداية أنه لم يكن صراعًا يدويًا.

لذلك عندما أسأل: هل يستطيع الإنسان أن يغلب الله؟ أقول نعم، يستطيع.

لقد قال الرب لعروس النشيد: «حَوِّلِي عَنِّي عَيْنَيْكِ فَإِنَّهُمَا قَدْ غَلَبَتَانِي» (نش ٦:٥). فالله يُغلَب بالدموع والتوبة.

وقد وردت هذه الكلمات في إحدى الترجمات كالآتي:

(YLT) And he overcometh by weeping. And he maketh supplication to Him.

وغلبه بالدموع وخضع له

وقد تسأل: كيف غلب وهو خارج من الصراع يخمع على فخذه؟ إن أي إنسان يدخل صراع من أي نوع ويخرج منتصرًا فهذا يعني أنه حصل على ما أراد من هذا الصراع، من أجل هذا قيل عن يعقوب إنه انتصر لأنه أخذ البركة التي كان يريدها من الصراع وفاز بالرحمة والاسم الجديد والارتباط بالرب إلى الأبد.

فيعقوب هنا لم ينسحب، وظل يصارع قدر طاقته حتى النهاية، ولم يحول عينه عن الرب حتى غلبه بعينيه المملوئتين بدموع التوبة وطلب الرحمة والبركة.

لماذا خلع حُق فخذه؟

يقول القس الياس مقار: «لقد كان الله يصارع مع يعقوب وفي نفس الوقت يعضده، كأنه يصارع ضده بيده اليسرى ويصارع من أجله بيده اليمنى فيعطيه قوة أكبر مثل أب يلاعب ابنه الطفل الصغير»[١٢].

إن الله يحب أن نصارع معه ويسر بأن يسمح وكأننا انتصرنا عليه ويفرح بذلك لأنه أب.

ولقد كان يعقوب يجاهد بكل قواه أمام الله لدرجة أن يطلب منه أن يطلقه، ويعقوب يجيب: «لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي». فباركه. ولكن ضربه. واضح مما سبق أن الرب قصد أن يخلع حُق فخذ يعقوب، والسؤال: لماذا؟

يقول قداسة البابا شنودة الثالث: « كان الله يريد أن يفرح يعقوب بانتصاره، فسمح له أن

ينتصر، وغير اسمه إلى إسرائيل، ولكن ضربه لكي لا يكون انتصاره سبب كبرياء له»[١٣].

ولكن بدراسة القرينة نجد أن هذا الصراع قد حدث مع يعقوب وهو في طريق العودة من بيت خاله لابان، وقبيل اللقاء الخطير المرتقب بعيسو، وكان يعقوب قد أَرْسَلَ رُسُلاً قُدَّامَهُ إِلَى عِيسُوَ أَخِيهِ، وواضح أنه أرسلهم لجس نبض أخيه، وليعرف موقفه بالضبط، وربما قدراته وسلاحه، فذهب الرسل وعادوا إلى يعقوب وقالوا له: «أَتَيْنَا إِلَى أَخِيكَ إِلَى عِيسُو وَهُوَ أَيْضًا قَادِمٌ لِلِقَائِكَ وَأَرْبَعُ مِئَةِ رَجُلٍ مَعَهُ» (تك ٣٢:٦). واضح من تسلسل القصة أن رسل يعقوب لم يبلّغوا عيسو بالرسالة التي أرسلهم بها يعقوب، لأنهم لم يأتوا بأي رد من عيسو، فمن المحتمل أنهم عندما شاهدوه من بعيد ومعه كل هذا العدد الكبير خافوا لئلا يقتلهم فعادوا سريعًا وأدركوا أن له هدف عدائي.

وقد نزل الخبر على يعقوب نزول الصاعقة، وخاصة عندما أدرك أن عيسو على دراية بتحركاته وقادم للقائه، فلقد هرب من بيت خاله سرًا، فكيف عرف عيسو تحركاته؟ هل هو متعطش للانتقام؟ هل هناك جواسيس لعيسو في بيت لابان؟ وهنا يقول الكتاب عن يعقوب: «فَخَافَ يَعْقُوبُ جِدًّا وَضَاقَ بِهِ الأَمْرُ».

والدارس لشخصية يعقوب يعرف أنه كان يثق في قدراته وذكائه ويعتمد على ذراعه البشري بشكل غير عادي، واستطاع بالفعل أن يستغل لحظة ضعف عيسو ويشتري البكورية، ثم خدع أبيه وسرق البركة، ثم خدع لابان وأخذ أفضل الأغنام، وهرب من بيته بخديعة.

وكان يعقوب يعتز بقوته الجسدية كثيرًا، فقد خرج من بيت أبيه من بئر سبع وذهب إلى حاران حيث بيت خاله لابان، قطع مسافة ٨٠٥ كم تقريبًا، وبعدما وصل كان الحجر الذي يوضع على البئر ضخمًا، وكان لابد أن يجتمع كل الرعاة لكي يرفعوه عن البئر لكي تشرب الغنم، ولكن يعقوب أزاحه وحده وسقى غنم خاله «فَكَانَ لَمَّا أَبْصَرَ يَعْقُوبُ رَاحِيلَ بِنْتَ لاَبَانَ خَالِهِ وَغَنَمَ لاَبَانَ خَالِهِ أَنَّ يَعْقُوبَ تَقَدَّمَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنْ فَمِ الْبِئْرِ وَسَقَى غَنَمَ لاَبَانَ خَالِهِ» (تك ٢٩:١٠).

والآن هو في مأزق ويتمنى أن يستجمع كل قواه الجسدية والعقلية لكي يواجه الموقف. وهنا ضرب الله يعقوب في مركز قوته، لقد خلع الرب حُق فخذه حتى لا يعتمد على قوته. لقد جرَّده من القوة التي يعتمد عليها، لقد أراد الله أن يجعله يستسلم ويسلم تمامًا إلى الله، وحتى يختبر أنه «لاَ بِالْقُدْرَةِ وَلاَ بِالْقُوَّةِ بَلْ بِرُوحِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ» (زك ٤: ٦). ويجعله يعرف ويعترف بفضل الله في كل عمل سوف يأتي بعد هذا الحدث.

ويقول الأب بولس الفغالي: «بعد لقاء يعقوب بالربّ عرف بطلان قوّته وحيلته وعمله وجهده، وتأكّد أنّ النصر لا يأتيه إلاّ بعون الله. حينذاك أصبح المنتصر الأكبر على ذاته وعلى الناس واطمأنّ إلى مصيره»[١٤].

المراجع

(١) منقذ بن محمود السقار. هل العهد القديم كلمة الله؟ ص٦٩..

(٢) علاء أبو بكر. البهرين ج ١ س ٢٦٨.

(٣) د. القس منيس عبد النور. شبهات وهمية. ص١١٣.

(4) Enhanced Brown-Driver-Briggs Hebrew and English Lexicon. p. 289.

(٥) ف.ف. بروس. أقوال يسوع الصعبة.ترجمة نجيب جرجور, ص٢٦٤.

(٦) وليم باركلي. تفسير إنجيل يوحنا. ج١، ص٩٢.

(7) Word Studies in the N.T.V.4. p. 563.

(8) Adam Clarke's Commentary on the Bible. p.257.

(٩) الأب تادرس يعقوب ملطي. تفسير سفر التكوين، ص ١٨١.

(10) William L. Holladay.A Concise Hebrew and Aramaic Lexicon of the O.T. p.267

(11) The Complete Word Study Dictionary: Old Testament. p. 341.

(١٢) القس الياس مقار.رجال الكتاب المقدس، ج ١ ، ص٢١٦.

(١٣) تأملات في حياة يعقوب ويوسف ص ٥٥، ٥٦.

(١٤) الأب بولس الفغالي. وصايا الآباء. ص١٥١.

(١٤)

هل هو إله مخادع؟

يسأل البعض: كيف قال الله ليعقوب: «أَنَا أَنْزِلُ مَعَكَ إِلَى مِصْرَ وَأَنَا أُصْعِدُكَ أَيْضًا» (تك ٤٦:٤) بينما مات يعقوب في مصر (تك ٤٩:٣٣)؟

يقولون لقد خدع الله يعقوب إذ شجَّعه على النزول إلى مصر، ووعده بأن يُصعِده من هناك، ولم ينفِّذ ما وعد به.

وللإجابة على هذا السؤال أقول:

في هذه الآية الرائعة نجد وعدًا جميلًا من الرب ليعقوب، حيث كان متقدمًا في السن جدًا، وسمع من أولاده أن يوسف حي في مصر، فكان خائفًا جدًا من النزول إلى مصر، لئلا تكون هناك خدعة أخرى، أو لئلا يموت ويُدفَن في مصر. وهنا ظهر له الرب وشجَّعه وقال له: «يَعْقُوبُ، يَعْقُوبُ!». فَقَالَ: «هأَنَذَا». فَقَالَ: «أَنَا اللهُ، إِلهُ أَبِيكَ. لاَ تَخَفْ مِنَ النُّزُولِ إِلَى مِصْرَ، لأَنِّي أَجْعَلُكَ أُمَّةً عَظِيمَةً هُنَاكَ. ٤أَنَا أَنْزِلُ مَعَكَ إِلَى مِصْرَ، وَأَنَا أُصْعِدُكَ أَيْضًا. وَيَضَعُ يُوسُفُ يَدَهُ عَلَى عَيْنَيْكَ» (تك ٤٦: ٢-٤).

تخيل أن رب الجنود يقول له: «أَنَا أَنْزِلُ مَعَكَ». هذا هو إلهنا الرائع، إنه ليس إله يلتحف السحاب، بل يرافقنا في كل دروب الحياة، وفي كل مراحل عمرنا، لدرجة أن هذه العبارة ترد في (ت ك ح) «أَنَا أَصْحَبُكَ إِلَى مِصْرَ».

ثم يقول له: «وَأَنَا أُصْعِدُكَ أَيْضًا»، والرائع هو أن هذا الوعد يرد مؤكدًا في معظم الترجمات الأخرى كالآتي:

(WEB), (ASV), (HNV), (MKJV) and I will also surely bring you up again.

وبالتأكيد سوف أصعدك مرة ثانية

(GW) and I will make sure you come back again.

وبالتأكيد سوف أرجعك مرة ثانية

ويقول جون جيل (John Gill)[1]: إن الرابي جارشي (Jarchi) يقول إن يعقوب فهم هذه الكلمات على أنها وعد من الرب بأنه سوف يُدفن في أرض كنعان، وليس العودة من مصر، فطالما أن كل أولاده في مصر فلماذا يرجع؟ ولماذا يرجع للمجاعة؟ وما يؤكد هذا هو أن الرب قال له: «أَنَا أَنْزِلُ مَعَكَ إِلَى مِصْرَ، وَأَنَا أُصْعِدُكَ أَيْضًا. وَيَضَعُ يُوسُفُ يَدَهُ عَلَى عَيْنَيْكَ». وهذه العبارة الأخيرة ترد في الترجمات المختلفة كالآتي:

(ت ك ح) «وَيُغْمِضُ يُوسُفُ أَجْفَانَكَ بِيَدَيْهِ عِنْدَ مَوْتِكَ».

(ت ع م) «ويوسُفُ هوَ يُغمِضُ عينَيكَ ساعةَ تموتُ».

(ESV) and Joseph's hand shall close your

eyes.»

ويد يوسُفُ سَيُغمِضُ عينَيكَ

(GNB) Joseph will be with you when you die.»

ويُوسُفُ سيكون معك عند مَوْتِكَ

(GW) Joseph will close your eyes when you die.»

ويوسُفُ سيُغمِضُ عينَيكَ عندما تموتُ

(WEB), (HNV) Yosef will close your eyes.»

ويوسُفُ سيُغمِضُ عينَيكَ

(MSG) And when you die, Joseph will be with you; with his own hand he'll close your eyes.»

وعندما تموتُ، يُوسُفُ سيكون معك، وبيده سيُغمِضُ عينَيكَ

فالرب يؤكد له أن يوسف سيكون بجواره عند موته، وسوف يغمض له عينيه بيديه بعد أن يموت.

وفعلًا تم الله وعده له، فبعد موته طلب يوسف من فرعون أن يصعد ليدفن أبيه في أرض كنعان ووافق فرعون فنقرأ: «فَقَالَ فِرْعَوْنُ: «اصْعَدْ وَادْفِنْ أَبَاكَ كَمَا اسْتَحْلَفَكَ».فَصَعِدَ يُوسُفُ لِيَدْفِنَ أَبَاهُ. وَصَعِدَ مَعَهُ جَمِيعُ عَبِيدِ فِرْعَوْنَ، شُيُوخُ بَيْتِهِ وَجَمِيعُ شُيُوخِ أَرْضِ مِصْرَ، وَكُلُّ بَيْتِ يُوسُفَ وَإِخْوَتُهُ وَبَيْتُ أَبِيهِ... وَفَعَلَ لَهُ بَنُوهُ هكَذَا كَمَا أَوْصَاهُمْ: حَمَلَهُ بَنُوهُ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ وَدَفَنُوهُ فِي مَغَارَةِ حَقْلِ الْمَكْفِيلَةِ» (تك ٥٠: ٥ - ١٣). فقد تم الرب وعده ليعقوب وأصعَد جسده من مصر ليُدفَن في مغارة المكفيلة بكرامة عظيمة، ولم يُدفن في مصر.

ويشير ترجوم يوناثان (Targum of Jonathan) إلى أن المقصود هو أن الرب سيصعده كشعب من أرض مصر «شعب إسرائيل»، وهذا قد تحقق بيد قوية وذراع رفيعة بقيادة موسى.

المراجع

(1) John Gill's Exposition of the Entire Bible, p. 325.

(١٥)

هل هو إله يعلِّم شعبه السلب والنهب؟

قال الرب لموسى: «وَلكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ مَلِكَ مِصْرَ لاَ يَدَعُكُمْ تَمْضُونَ وَلاَ بِيَدٍ قَوِيَّةٍ. فَأَمُدُّ يَدِي وَأَضْرِبُ مِصْرَ بِكُلِّ عَجَائِبِي الَّتِي أَصْنَعُ فِيهَا. وَبَعْدَ ذلِكَ يُطْلِقُكُمْ. وَأُعْطِي نِعْمَةً لِهذَا الشَّعْبِ فِي عُيُونِ الْمِصْرِيِّينَ. فَيَكُونُ حِينَمَا تَمْضُونَ أَنَّكُمْ لاَ تَمْضُونَ فَارِغِينَ. بَلْ تَطْلُبُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا وَمِنْ نَزِيلَةِ بَيْتِهَا أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ وَثِيَابًا. وَتَضَعُونَهَا عَلَى بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ. فَتَسْلِبُونَ الْمِصْرِيِّينَ» (خر ٣: ١٩-٢٢).

يقول د. منقذ بن محمود السقار: «وتتحدث الأسفار أن الله أمر بني إسرائيل بسرقة أصحابهم من المصريين، وأنه شارك بهذا الغش عندما أمال قلوب المصريين إلى الموافقة على إعارة بني إسرائيل ما يطلبونه من ذهب وجواهر وثياب فتقول: «ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «ضَرْبَةً وَاحِدَةً أَيْضًا أَجْلِبُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَى مِصْرَ. بَعْدَ ذلِكَ يُطْلِقُكُمْ مِنْ هُنَا. وَعِنْدَمَا يُطْلِقُكُمْ يَطْرُدُكُمْ طَرْدًا مِنْ هُنَا بِالتَّمَامِ. اتَكَلَّمْ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ أَنْ يَطْلُبَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْ صَاحِبِهِ وَكُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ صَاحِبَتِهَا أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ». وَأَعْطَى الرَّبُّ نِعْمَةً لِلشَّعْبِ فِي عُيُونِ الْمِصْرِيِّينَ.. وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. طَلَبُوا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ وَثِيَابًا. وَأَعْطَى الرَّبُّ نِعْمَةً لِلشَّعْبِ فِي عُيُونِ الْمِصْرِيِّينَ حَتَّى أَعَارُوهُمْ. فَسَلَبُوا الْمِصْرِيِّينَ» (خر ١١: ١-٣ و ١٢: ٣٥،٣٦)[1].

ويقول الأستاذ علاء أبو بكر «كيف يأمر الرب أن تستعير نساء بني إسرائيل حلي المصريات ويتآمر مع نبيه على سرقة هذا الحلي، بل ويسهِّل هذه المأمورية بقدرته في عيون المصريات فيقبلوا طلب الإسرائيليات؟ هل هذا إله أم زعيم عصابة؟ إله يكذب ويسرق؟! فكيف تكون رعيته؟ وهل سيحاسب على الكذب والسرقة؟ كيف وهو الذي علمنا إياها؟ «كَرَاهَةُ الرَّبِّ شَفَتَا كَذِبٍ أَمَّا الْعَامِلُونَ بِالصِّدْقِ فَرِضَاهُ» (أم ١٢:٢٢)[2].

نعم هذه الكلمات تطرح العديد من الأسئلة مثل:

كيف يعلِّم الله شعبه أن تَطْلُبَ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا وَمِنْ نَزِيلَةِ بَيْتِهَا أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ وَثِيَابًا وهي تعلم أنها لن تردها؟ أليس هذا غشًّا وخداعًا؟ وهل الله يُشجِّع شعبه على سلب ونهب الجيران والأصدقاء؟ أليس هذا يتنافى مع طبيعته الأخلاقية؟ ويتنافى مع ما أوصى به شعبه فيما بعد في خروج ٢٠: ١٥- ١٧ بعدم اشتهاء ما للغير؟

وللإجابة على هذه الأسئلة أقول إن هذه القصة تعلمنا حقيقتين عظيمتين عن شخص الله وهما:

(١) عدل الله:

إن هذا الموقف يُظهِر عدل الله وليس ظلمه. فلقد ظلم المصريون بني إسرائيل وسخروهم سنين طويلة في البناء والعمل الشاق وكل أعمال الحقل. فنقرأ: «فَجَعَلُوا عَلَيْهِمْ رُؤَسَاءَ تَسْخِيرٍ لِكَيْ يُذِلُّوهُمْ بِأَثْقَالِهِمْ. فَبَنَوْا لِفِرْعَوْنَ مَدِينَتَيْ مَخَازِنَ: فِيثُومَ، وَرَعَمْسِيسَ. فَاسْتَعْبَدَ الْمِصْرِيُّونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعُنْفٍ. وَمَرَّرُوا حَيَاتَهُمْ بِعُبُودِيَّةٍ قَاسِيَةٍ فِي الطِّينِ وَاللَّبِنِ وَفِي كُلِّ عَمَلٍ فِي الْحَقْلِ. كُلِّ عَمَلِهِمِ الَّذِي عَمِلُوهُ بِوَاسِطَتِهِمْ عُنْفًا» (خر ١:١١-١٤).

ولكن القاضي العادل الساهر لإجراء العدل كان قد قال لأَبْرَامَ حين قطع العهد معه: «اعْلَمْ يَقِينًا أَنَّ نَسْلَكَ سَيَكُونُ غَرِيبًا فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ، وَيُسْتَعْبَدُونَ لَهُمْ. فَيُذِلُّونَهُمْ أَرْبَعَ مِئَةِ سَنَةٍ. ثُمَّ الأُمَّةُ الَّتِي يُسْتَعْبَدُونَ لَهَا أَنَا أَدِينُهَا. وَبَعْدَ ذلِكَ يَخْرُجُونَ بِأَمْلاَكٍ جَزِيلَةٍ» (تك ١٥: ١٣،١٤).

ولذلك كان ما أخذه بنو إسرائيل من المصريين من أمتعة ومجوهرات بمثابة أجرة السنين التي سخرهم فيها المصريون. فلا نجد خداعًا ولا سرقة ولا شهوة هنا. بل أخذ حق طال الأمد قبل الحصول عليه. لذلك يقول د. فرنسس دافدسن: «إن كل ما أخذوه لم يكن إلا أجرة عادلة لما قاموا به من أعمال السخرة»[٣].

ويقول العلامة ترتليانوس: «إن كان الله يأمرنا بألا نكُم ثورًا دارسًا فهل يترك هؤلاء محرومين من أجرة عملهم؟!»[٤]

ويرى دووب في تعليقه على خروج ٣: ٢١، ٢٢ أن قصة الخروج رُوِيَت في لغة تناسب قصة تحرير العبد العبراني التي وردت في تثنية ١٥: ١٢-١٨ فلا يجب أن يُطلَق العبد فارغًا بل يُعوَّض عن سنوات عبوديته. ولهذا يجب أن تُعوَّض إسرائيل عن سنوات محنتها في مصر[٥]. ويعلق كول بالقول: من الصعب القول أيهما جاء أولًا: فإما أن عملية عتق العبد العبراني أثرت في التعبير والصياغة هنا. أو أن تجربة خلاص إسرائيل كانت هي الأساس وأثرت على صياغة قوانين العبد فيما بعد.

وقد كان بنو إسرائيل في أشد الاحتياج لها وهم على أبواب رحلة طويلة في الصحراء. فطلبوا من المصريين ما يساعدهم على السفر. وأخذوا ما أعطاه المصريون لهم برضى. وقد أعطى الله بني إسرائيل نعمة في عيون المصريين. فأعطوهم ما طلبوه.

(٢) سلطان الله:

يُعد حدث الخروج نصرًا كبيرًا لبني إسرائيل على المصريين. بل وللرب على فرعون. فلقد كان فرعون يمثل ذروة القوى البشرية التي تتحدى الله وشعبه. ولذلك كان سقوطه يُعلن للعالم كله استحالة الوقوف في وجه الله أو محاولة إحباط خططه. فكان لابد من هزيمته. ولذلك مدَّ الله يده بقوة على فرعون وشعبه وهزمهم. وسحق آلهتهم. وهكذا أصبح من حقهم أن يأخذوا غنيمة من المصريين. فسلب الغنائم في الحرب كان أمرًا طبيعيًا ليس فيه غش أو خداع. ولقد حدث هذا ليعرف المصريون أن لا إله إلا هو. وأنه سيد كل الكون. وقد قال الله بوضوح: «وَأُكَثِّرُ آيَاتِي وَعَجَائِبِي فِي أَرْضِ مِصْرَ. فَيَعْرِفُ الْمِصْرِيُّونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ حِينَمَا أَمُدُّ يَدِي عَلَى مِصْرَ وَأُخْرِجُ بَنِي

إِسْرَائِيلَ مِنْ بَيْنِهِمْ» (خر ٧: ٣، ٥). وقد أخرج الله شعبه ظافرًا غانمًا. وكأنهم خاضوا حربًا وخرجوا منها محمَّلين بالغنائم. لذلك هتف المرنم قائلًا: «فَأَخْرَجَهُمْ بِفِضَّةٍ وَذَهَبٍ» (مز ١٠٥: ٣٧).

عزيزي القارئ: قد تكون في أزمة معينة، أو مظلومًا، أو سُلِبَت حقوقك، أو متهمًا ظلمًا، ثق أن الله لن يخرجك منها فقط، ولكن سيخرجك بلا خسائر، ظافرًا غانمًا. فهو إله التعويضات.

المراجع

(١) منقذ بن محمود السقار. هل العهد القديم كلمة الله؟ ص٥٦.

(٢) علاء أبو بكر. البهريز ج ١ ص ٢٦٩.

(٣) د. فرنسس دافدسن. تفسير الكتاب المقدس. ج١. ص٢١٢.

(٤) الأب تادرس يعقوب ملطي. الخروج. ص٣٨.

(٥) آلان كول. الخروج. ص٨١.

(١٦)

هل هو إله يُقَسِّي قلوب البشر ليُذلهم؟

كثيرون يسألون: قرأنا في الكتاب المقدس أن الرب بنفسه قال لموسى عن فرعون: «وَلَكِنِّي أُقَسِّي قَلْبَ فِرْعَوْنَ» (خر ٧: ٣).

فما معنى هذه العبارة؟ وهل فعلًا قسَّى الله قلب فرعون لكي يضربه بالضربات العشر؟ وما هو الذنب الذي اقترفه فرعون حتى يعامله الله هكذا؟ وهل من العدالة أن يخلص الله شعبه ويهلك شخصًا وشعبًا آخر؟ وإذا كان الله يريد أن يُظهِر مجده وقوته فهل يختار شخصًا ضعيفًا لكي يستعرض عليه قوته الغير محدودة؟ أما كان يكفي ضربة أو اثنتين فقط ثم بعدها يطلق الشعب؟

وهل من المعقول أن الله هو الذي يقسِّي قلب الإنسان؟ وهل من العدل أن يقسِّي قلب إنسان ثم بعد ذلك يدينه؟

للإجابة على هذه الأسئلة أذكر عدة حقائق هامة وهي:

(١) في الحقيقة الله لا يقسِّي قلب أيّ إنسان. «فهو يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ» (اتى ٢: ٤). وهو لا يُسَر بموت الشرير بل بأن يرجع عن طرقه الرديّة. وذكر المسيح أن الراعي يترك التسعة والتسعين خروفًا ويذهب يفتش عن الضال حتى يجده (لو ١٥: ٤).

(٢) عندما ندرس القصة بتدقيق نجد الإجابة على السؤال الذي يعتبر هو المفتاح الذي يفتح أمامنا هذه القضية وهو: هل كان فرعون في البداية شخصًا وديع القلب وطلب الله لكن الله رفضه وبدأ يقسي قلبه حتى يعانده، وينتهز الله هذه الفرصة كي يضربه الضربات العشر ويتمجد أمام الأمم والشعوب، أم أن فرعون كان قاسي القلب والله استخدم هذه القساوة لكي يُظهِر مجده؟

والحقيقة هي أن فرعون منذ البداية كان شخصًا عنيدًا وقاسيًا ومتحجر القلب. فعندما جلس على العرش جعل رؤساء تسخير على شعب إسرائيل لكي يذلوهم (خر ١:١١). واستعبدهم بعنف، ومَرَّرَ حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن. ثم أمر بقتل كل طفل ذكر يولد لشعب إسرائيل (خر ١: ١٥- ١٩). هل رأيت قساوة أشد من هذه؟

وعندما ندقق في قرائتنا للأحداث، ونبحث في بداية كلام الله لموسى عن هذا الفرعون في (خر ٣: ١٩) نجده يقول: «وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ مَلِكَ مِصْرَ لاَ يَدَعُكُمْ تَمْضُونَ وَلاَ بِيَدٍ قَوِيَّةٍ» فالله يعلن لموسى هنا عن معرفته لهذا الفرعون الذي لن يوافق على خروج الشعب، وأنه قاسي القلب، وذلك حتى لاينزعج موسى في مواجهته لفرعون عندما

يرفض الأخير أن يُطلق الشعب.

وهذا ما حدث فعلًا من البداية عندما أرسل الله موسى وهارون ليقولا له: «هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيُعَيِّدُوا لِي فِي الْبَرِّيَّةِ» (خر ٥: ١). فكان موقفه متسمًا بالتحدي لله كما يقول د. صموئيل شولتز[1]. فقال لموسى وهارون: «مَنْ هُوَ الرَّبُّ حَتَّى أَسْمَعَ لِقَوْلِهِ فَأُطْلِقَ إِسْرَائِيلَ؟ لاَ أَعْرِفُ الرَّبَّ وَإِسْرَائِيلَ لاَ أُطْلِقُهُ». ولم يُطِع فرعون، بل وازداد عصيانًا وقساوة وتحديًا لله وشعبه فمنع التبن الذي كان يُعطَى للشعب لعمل اللبن، حتى يذل الشعب أكثر (خر ٥: ٦- ١١). وهل يستطيع إنسان أن يتحدى الله؟! لقد أعمت العظمة عيني فرعون، فقد كان يعتبر نفسه ابنًا للشمس، ومن أجله يفيض النيل، ومن أجله كانت مصر بكل ما عليها، بل أنه جالس مع الآلهة يتقبل العبادة مثلهم، وكان القَسّم باسمه يعتبر أعظم قسَم يتلوه المصري عندما يقول «وحياة فرعون» وظن فرعون في البداية أن إله إسرائيل إله حفنة من العبيد وأنه إله ضعيف.

وعندما أرسل الله موسى وهارون إليه مرة أخرى، وطرح هارون عصاه أمام فرعون فصارت ثعبانًا، دعا فرعون السحرة ففعلوا كذلك، إلا أن عصا هارون ابتلعت عصيهم (خر ٧: ٨ - ١٢). ولم يتّعظ ويُطع بل نقرأ عنه «فَاشْتَدَّ قَلْبُ فِرْعَوْنَ» (ع ١٣). لذلك شهد الله عنه وقال لِموسَى: «قَلْبُ فِرْعَوْنَ غَلِيظٌ. قَدْ أَبَى أَنْ يُطْلِقَ الشَّعْبَ» (خر ٧:١٤).

ومرة أخرى نقرأ ما كتبه الوحي عن فرعون:

- «فَاشْتَدَّ قَلْبُ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ. ثُمَّ انْصَرَفَ فِرْعَوْنُ وَدَخَلَ بَيْتَهُ وَلَمْ يُوَجِّهْ قَلْبَهُ إِلَى هَذَا أَيْضًا» (خر ٧: ٢٢، ٢٣).

- «فَلَمَّا رَأَى فِرْعَوْنُ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ الْفَرَجُ أَغْلَظَ قَلْبَهُ وَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ» (خر ٨: ١٥).

في كل مرة يحاول موسى مع فرعون أن يسمح لهم بأن يخرجوا من مصر، كان فرعون يُغلظ قلبه ويُقسّيه. وفي المرات العديدة التي كان الوحي يذكر فيها هذه العبارة « كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ» كأن الوحي يريد أن يقول لنا إن هذا هو ما قد رآه الله في قلب فرعون بحسب علمه ومعرفته الغير محدودة فهو قاسي القلب ومتصلف ولايريد أن يطيع الله.

(٣) الدارس المدقق يجد أن الله كان يرسل موسى لينذره قبل كل ضربة من الضربات الست الأولى حتى يرجع عن طريقه، وأرجو أن تراجع الشواهد الآتية: (خر ٧: ١٧؛ ٨: ٢؛ ٨: ١٦، ٢١؛ ٩: ٣، ٨). وكان هناك تدرجًا في الضربات لعل فرعون يرجع عن قساوة قلبه، ويعرف الرب ويطلق شعبه، ولكنه كان عنيدًا قاسيًا.

فقبل الضربة الأولى وهي: «تحويل الماء إلى دم» نجد أن الله أرسل موسى إليه ليحذّره قبل أن يضربه (خر ٧: ١٥- ١٧)، لكنه لم يسمع.

وقبل الضربة الثانية وهي: «الضفادع» أرسل الله موسى إليه أيضًا ليحذّره وينذره قبل أن يضربه، وقال له بوضوح: «هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي. وَإِنْ كُنْتَ تَأْبَى أَنْ تُطْلِقَهُمْ فَهَا أَنَا أَضْرِبُ جَمِيعَ تُخُومِكَ بِالضَّفَادِعِ. فَيَفِيضُ النَّهْرُ ضَفَادِعَ. فَتَصْعَدُ وَتَدْخُلُ إِلَى بَيْتِكَ وَإِلَى مِخْدَعِ فِرَاشِكَ وَعَلَى سَرِيرِكَ وَإِلَى بُيُوتِ عَبِيدِكَ وَعَلَى شَعْبِكَ وَإِلَى تَنَانِيرِكَ وَإِلَى مَعَاجِنِكَ» (خر ٨: ١-٣).

وقبل الضربة الثالثة وهي: «البعوض» أرسل الله أيضًا إليه موسى قبل الضربة ليحذّره، ولكنه لم يسمع. وأرسل فرعون إلى العرافين ليُخرجوا البعوض فلم يستطيعوا، بل وشهدوا وقالوا له: «هَذَا إِصْبَعُ اللهِ» (٨: ١٩). وبالرغم من ذلك يقول الوحي: «فَاشْتَدَّ قَلْبُ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ» (ع ٢٢).

وقبل الضربة الرابعة وهي: «الذُّبَّانُ» قال له موسى: «هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي. فَإِنَّهُ إِنْ كُنْتَ لاَ تُطْلِقُ شَعْبِي هَا أَنَا أُرْسِلُ عَلَيْكَ وَعَلَى عَبِيدِكَ وَعَلَى شَعْبِكَ وَعَلَى بُيُوتِكَ الذُّبَّانَ فَتَمْتَلِئُ بُيُوتُ الْمِصْرِيِّينَ ذُبَّانًا. وَأَيْضًا الأَرْضُ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا. وَلَكِنْ أُمَيِّزُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَرْضَ جَاسَانَ حَيْثُ شَعْبِي مُقِيمٌ حَتَّى لاَ يَكُونَ هُنَاكَ ذُبَّانٌ. لِتَعْلَمَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ فِي الأَرْضِ. وَأَجْعَلُ فَرْقًا بَيْنَ شَعْبِي وَشَعْبِكَ. غَدًا تَكُونُ هَذِهِ الآيَةُ» (خر ٨: ٢٠-٢٣).

وقبل الضربة الخامسة وهي: «موت المواشي» أرسل الرب موسى ليحذّره وقال له: «هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلَهُ الْعِبْرَانِيِّينَ أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي. فَإِنَّهُ إِنْ كُنْتَ تَأْبَى أَنْ تُطْلِقَهُمْ وَكُنْتَ تُمْسِكُهُمْ بَعْدُ فَهَا يَدُ الرَّبِّ تَكُونُ عَلَى مَوَاشِيكَ الَّتِي فِي الْحَقْلِ عَلَى الْخَيْلِ وَالْحَمِيرِ وَالْجِمَالِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَبًّا ثَقِيلًا جِدًّا وَيُمَيِّزُ الرَّبُّ بَيْنَ مَوَاشِي إِسْرَائِيلَ وَمَوَاشِي الْمِصْرِيِّينَ. فَلاَ يَمُوتُ مِنْ كُلِّ مَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ شَيْءٌ». (خر ٩: ١-٤). ولكنه لم يسمع، وتوالت الضربات بعد ذلك حتى الضربة العاشرة، وفرعون في جحود وقساوة.

(٤) لم يكن الرب يحذّره فقط قبل كل ضربة من الضربات الست الأولى، ولكن بعد كل ضربة عندما كان يذهب ويتضرع إلى موسى وهارون لكي يصليا إلى الرب ليرفع عنه الضربة، كان الرب يستجيب:

* فبعد ضربة الضفادع صرخ لِمُوسَى وَهَارُونَ وَقَالَ: «صَلِّيَا إِلَى الرَّبِّ لِيَرْفَعَ الضَّفَادِعَ عَنِّي وَعَنْ شَعْبِي فَأُطْلِقَ الشَّعْبَ لِيَذْبَحُوا لِلرَّبِّ». (خر ٨: ٨) فصليا، ورفع الرب الضربة، لكن للأسف نقرأ: «فَلَمَّا رَأَى فِرْعَوْنُ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ الْفَرَجُ أَغْلَظَ قَلْبَهُ وَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ» (خر ٨:١٥).

* وبعد ضربة «الذُّبَّانُ» استدعى موسى وهارون وقال لهما: «أَنَا أُطْلِقُكُمْ لِتَذْبَحُوا لِلرَّبِّ إِلَهِكُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ. وَلَكِنْ لاَ تَذْهَبُوا بَعِيدًا. صَلِّيَا لأَجْلِي». (٢٨:٧). وصليا، ورفع الرب الضربة، ولكننا نقرأ: «فَارْتَفَعَ الذُّبَّانُ عَنْ فِرْعَوْنَ وَعَبِيدِهِ وَشَعْبِهِ. لَمْ تَبْقَ وَاحِدَةٌ! وَلَكِنْ أَغْلَظَ فِرْعَوْنُ قَلْبَهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ أَيْضًا فَلَمْ يُطْلِقِ الشَّعْبَ» (٧: ٣١-٣٢).

* وبعد ضربة «الْبَرَدُ» أَرْسَلَ فِرْعَوْنُ وَدَعَا مُوسَى وَهَارُونَ وَقَالَ لَهُمَا: «أَخْطَأْتُ هَذِهِ الْمَرَّةَ. الرَّبُّ هُوَ الْبَارُّ وَأَنَا وَشَعْبِي الأَشْرَارُ. صَلِّيَا إِلَى الرَّبِّ وَكَفَى حُدُوثُ رُعُودِ اللهِ وَالْبَرَدُ فَأُطْلِقَكُمْ وَلاَ تَعُودُوا تَلْبَثُونَ» (٩: ٢٧-٢٨).

* وبعد أن رفع الرب الضربة نقرأ: «وَلَكِنْ فِرْعَوْنُ لَمَّا رَأَى أَنَّ الْمَطَرَ وَالْبَرَدَ وَالرُّعُودَ انْقَطَعَتْ عَادَ يُخْطِئُ وَأَغْلَظَ قَلْبَهُ هُوَ وَعَبِيدُهُ. فَاشْتَدَّ قَلْبُ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يُطْلِقْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ عَنْ يَدِ مُوسَى» (٩: ٣٤-٣٥).

* وبعد ضربة «الجراد» دَعَا فِرْعَوْنُ مُوسَى وَهَارُونَ وَقَالَ: «أَخْطَأْتُ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِكُمَا وَإِلَيْكُمَا. وَالآنَ اصْفَحَا عَنْ خَطِيَّتِي هَذِهِ الْمَرَّةَ فَقَطْ وَصَلِّيَا إِلَى الرَّبِّ إِلَهِكُمَا لِيَرْفَعَ عَنِّي هَذَا الْمَوْتَ فَقَطْ» (١٠: ١٦-١٧). وللأسف لم يتراجع عن شره وعناده.

(٥) الدارس المدقق يجد أن عبارتي «اشْتَدَّ قَلْبُ فِرْعَوْنَ». «أَغْلَظَ فِرْعَوْنُ قَلْبَهُ» ترد ٧ مرات في (خر ٧: ١٣؛ ٧: ٢٢؛ ٨: ١٩؛ ٨: ٣٢؛ ٩: ٧؛ ٩: ٣٥). بعد الضربات الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة. أي أن فرعون بكامل حريته وإرادته هو الذي أغلظ قلبه.

لدرجة أن سحرته عندما اعترفوا وقالوا له «هَذَا إِصْبَعُ اللهِ». أي أن هذه هي قوة الله التي لاطاقة لهم ولا لإنسان أن يقف أمامها. فما كان من فرعون إلا أن أغلظ قلبه وقسّاه أكثر فأكثر. هذا الذي كان حريًا به أن يرجع إلى الله ليتوب عن عناد قلبه وقساوته ويسمح لشعب الله حينذاك أن يخرج من أرض مصر ليعبد الله في أرضه. ولكنه لم يفعل واستمر في عناد قلبه فنقرأ «وَلَكِنِ اشْتَدَّ قَلْبُ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ» (خر ٨: ١٩).

في هذا الإطار وردت عبارة «وَلَكِنِّي أُقَسِّي قَلْبَ فِرْعَوْنَ» (خر ٧: ٣). ولكن بعد أن كان فرعون قد قرر وبإصرار أن يعاند المشيئة الإلهية وأن يغلظ قلبه فلا يفهم ويسد أذنيه فلا يسمع. ولذلك فالعبارة تعني أمرين في غاية الأهمية وهما:

الأول: أن الله سيتعامل معه بطول أناة وصبر شديدين. بالرغم من أنه سيستعرض قواه. بل ويتحدى الله بكل فجور. ما سيُظهر قساوته أمام الجميع. فأنت عندما تتعامل مع شخص عصبي وسيئ الأخلاق. بكل أدب وذوق ورقة واحترام. فأنت تُظهِر عدم اتصافه بالذوق والأدب دون أن تقصد. كذلك الله لا ولم يقسّ قلبه. ولكن أظهر قساوة قلبه بسبب طول أناته ورقة محبته.

وفعلًا كان الله طويل الأناة جدًا مع فرعون؛ فأنت لا تجد رحمة ولا رأفة أعظم من هذه. فأن يرسل الله ويحذّره قبل كل ضربة ليرجع عن طريقه. وعندما يُظهِر بوادر توبة يرفع الله الضربة. فهذه أعظم محبة. ولكن للأسف كان فرعون يعود إلى قساوته مرة أخرى. وتركه الله لدرجة أنه وقف أمامه وتحداه. وبذلك أظهر قساوة قلب فرعون.

الثاني: المقصود هو أن الله بعد أن يكلم الإنسان عشرات بل ومئات المرات بطرق مختلفة والإنسان يرفض. يسلمه إلى قساوة قلبه كما قال لشعبه في القديم: «اِسْمَعْ يَا شَعْبِي فَأُحَذِّرَكَ... لاَ يَكُنْ فِيكَ إِلهٌ غَرِيبٌ. وَلاَ تَسْجُدْ لإِلهٍ أَجْنَبِيٍّ. أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ، الَّذِي أَصْعَدَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. فَلَمْ يَسْمَعْ شَعْبِي لِصَوْتِي. وَإِسْرَائِيلُ لَمْ يَرْضَ بِي. فَسَلَّمْتُهُمْ إِلَى قَسَاوَةِ قُلُوبِهِمْ. لِيَسْلُكُوا فِي مُؤَامَرَاتِ أَنْفُسِهِمْ» (مز ٨١: ٨-١٢).

وهذ المعنى ذكره أيضًا شيلدس (B. S. Childs) وهو أن الرب شَدَّد قلب فرعون بمعنى أن الرب أسلمه إلى ذهنه المرفوض ولقساوة قلبه وعناده. ليفعل ما لا يليق[٢].

كما يقول الرسول بولس: «لِذَلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ أَيْضًا فِي شَهَوَاتِ قُلُوبِهِمْ إِلَى النَّجَاسَةِ.... لِذَلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى أَهْوَاءِ الْهَوَانِ.... وَكَمَا لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْقُوا اللهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لاَ يَلِيقُ» (رو ١: ٢٤و٢٦ و٢٨. راجع أيضًا: رو١: ٢٢- ٢٤. ٩: ١٤- ١٧).

لاحظ تكرار عبارة «أَسْلَمَهُمُ اللهُ» أي تركهم الله لشهوات قلوبهم. أو أسلمهم الله لذهنهم الرافض لمحبته وطول أناته. وهذا ما حدث مع فرعون إذ تركه إلى قساوة قلبه. واعتبر الكاتب أن إرادة

السماح تتساوى مع الإرادة القصدية. بمعنى أن كون الله تركه لقلبه القاسي تتساوى مع «قسّى» قلبه. وعندما تركه الله إلى قساوة قلبه لم يحصد إلا الخراب هو وشعبه.

لذلك يقول أيضًا القديس أغسطينوس: «إن الله لا يقسّي الناس بإدخال الخبث في قلوبهم. بل بعدم غرس الرحمة في نفوسهم. وأنه تعالى لا يعمل هذه القساوة في الإنسان بل ربما يصح أن يُقال أنه يُقسّي من يرفض باختياره أن لا يلين. ويُعمي من لا يرضى أن يستنير. ويُقصي عنه من لا يقبل الدعوة. وأنه من العدل والصواب أن يسترجع (الله) تلك الفضائل والنِعَم التي يقدمها للخاطئ مرارًا فيرفضها بجهل واستكبار»[٣].

عزيزي القارئ: لقد خلق الله الإنسان حرًا. وكل منا يختار طريقه. فقد قال الرب للشعب في القديم: «قَدْ جَعَلْتُ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ. الْبَرَكَةَ وَاللَّعْنَةَ. فَاخْتَرِ الْحَيَاةَ لِكَيْ تَحْيَا» (تث ٣٠: ١٩). ووقف يشوع وقال للشعب: «فَاخْتَارُوا لأَنْفُسِكُمُ الْيَوْمَ مَنْ تَعْبُدُونَ...» (يش ٢٤: ١٥). ويقول الرب يسوع: «هَئَنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ. أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي» (رؤ ٣: ٢٠). فالله يعرض ولا يفرض. يعرض حبه وغفرانه ونعمته. ولا يفرض لأنه يحترم حرية إرادة الإنسان. ولكنه يتمنى ويرجو أن نختار طريق الحياة والبركة. فماذا ستختار اليوم؟

عزيزي القارئ: إن الله لا يمكن أن يكون مصدر القساوة أو سببها إنما الإنسان هو الذي يقسّي قلبه «الْيَوْمَ إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ. فَلاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ» (مز ٩٥: ٧،٨). فأرجو أن لا تقسي قلبك. لتصغي إلى صوت التحذير والإنذار. فالله لا يرسل أحدًا إلى جهنم دون أن ينذره عشرات المرات.

المراجع

(١) صموئيل شولتز. العهد القديم يتكلم. ص ٦٤.

(٢) القس صموئيل يوسف. المدخل إلى العهد القديم. ص ١٢٥.

(٣) الغوامض المتعلقة بالمبادئ العمومية الأدبية الواردة في العهدين القديم والجديد ص ٢٢.

(١٧)

هل هو إله منتقم جبار؟

عندما نعود إلى الضربات العشر التي ضرب بها الرب فرعون وكل شعب مصر تثور عدة أسئلة مثل: إن كان فرعون شخصًا عنيدًا وقاسيًا، ولذلك ضربه الله بكل هذه الضربات، لكن ما هو ذنب شعب مصر؟ لماذا لم يوجه الرب الضربات إلى فرعون وحده؟ ولماذا يؤخذ المصريون بذنب فرعون؟ ولماذا كل هذه الضربات؟ لماذا لم يكتفِ بأربع أو خمس ضربات؟ وما ذنب الأبكار الذين ماتوا؟ أليس هذا يؤكد أن إله العهد القديم إله منتقم جبار؟

وللإجابة على هذه الأسئلة يجب علينا أن نتذكر عدة حقائق هامة جدًا وهي:

(١) الملك عادة يُعتبر هو المسئول الأول عن حماية شعبه، ودائمًا يتحمل الشعب نتائج قرارات قائده، فقد يخوض الملك حربًا خاسرة ويدفع الشعب فلذات أكباده نتيجة خطأ القرار، ولذلك فإن فرعون هو صاحب المسئولية في قتل أبكار المصريين، بسبب تكبره وتشامخه على إله إسرائيل ورفضه أن يرسل شعب الله للحرية.

(٢) إن شعب الله تعرَّض لضيق شديد وذل واستعباد على يد المصريين جميعًا، وليس فرعون فقط، لفترة طويلة من الزمن، فنقرأ: «فَاسْتَعْبَدَ الْمِصْرِيُّونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعُنْفٍ، وَمَرَّرُوا حَيَاتَهُمْ بِعُبُودِيَّةٍ قَاسِيَةٍ فِي الطِّينِ وَاللَّبِنِ وَفِي كُلِّ عَمَلٍ فِي الْحَقْلِ. كُلِّ عَمَلِهِمِ الَّذِي عَمِلُوهُ بِوَاسِطَتِهِمْ عُنْفًا» (خر ١: ١٣-١٤). لذلك كان لابد للمصريين أن يختبروا هذا الضيق، فالقاضي العادل كان قد قضى بذلك، فقد قال لأَبْرَامَ: «اعْلَمْ يَقِينًا أَنَّ نَسْلَكَ سَيَكُونُ غَرِيبًا فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ، وَيُسْتَعْبَدُونَ لَهُمْ. فَيُذِلُّونَهُمْ أَرْبَعَ مِئَةِ سَنَةٍ. ثُمَّ الأُمَّةُ الَّتِي يُسْتَعْبَدُونَ لَهَا أَنَا أَدِينُهَا» (تك ١٥: ١٣-١٤، راجع أعمال ٧: ٦-٧).

(٣) كما فقد شعب الله ممتلكاتهم وحريتهم وراحتهم، وعاشوا سنين طويلة يصرخون فيها من شدة العذاب والألم على يد المصريين، فنقرأ: «فَقَالَ الرَّبُّ: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخِّرِيهِمْ. إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ... وَالآنَ هُوَذَا صُرَاخُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَتَى إِلَيَّ، وَرَأَيْتُ أَيْضًا الضِّيقَةَ الَّتِي يُضَايِقُهُمْ بِهَا الْمِصْرِيُّونَ» (خر ٣: ٧،٩)، كان لابد للمصريين أن يختبروا نفس هذا الألم (خر ١١: ٦؛ ١٧: ٣٠).

(٤) كما فقد شعب الله أبنائهم على يد المصريين، فنقرأ: «وَكَلَّمَ مَلِكُ مِصْرَ قَابِلَتَيِ الْعِبْرَانِيَّاتِ اللَّتَيْنِ اسْمُ إِحْدَاهُمَا شِفْرَةُ وَاسْمُ الأُخْرَى فُوعَةُ، وَقَالَ: «حِينَمَا تُوَلِّدَانِ الْعِبْرَانِيَّاتِ

وَتَنْظُرَانِهِنَّ عَلَى الْكَرَاسِيِّ. إِنْ كَانَ ابْنًا فَاقْتُلاَهُ، وَإِنْ كَانَ بِنْتًا فَتَحْيَا»... ثُمَّ أَمَرَ فِرْعَوْنُ جَمِيعَ شَعْبِهِ قَائِلًا: «كُلُّ ابْنٍ يُولَدُ تَطْرَحُونَهُ فِي النَّهْرِ، لكِنَّ كُلَّ بِنْتٍ تَسْتَحْيُونَهَا» (خرا: ١٥-٢٢). كان لابد للمصريين أن يعيشوا هذه المحنة (خر ١١:٥؛ ١٢: ٢٩).

ويصوّر ف.ب. ماير هذا الموقف فيقول: «وفجأة قطع حبل الصمت صراخ أم اندفعت من بيتها لتخبر بأن ملاك الموت بدأ عمله. فأجابتها أم أخرى بعويلها ونحيبها على ابنها البكر ثم ثالثة ورابعة. وكان غير مجدٍ أن يُدعى الكهنة أو الأطباء، أو السحرة أو المنجمون. فكيف يستطيع أن يعين غيره من لم يقدر أن يدفع الموت عن فلذة كبده؟ واشتركت الخادمة التي تطحن على الرحى مع سيدتها الثرية في حزن مشترك لم يميز بين شخص وآخر «لَمْ يَكُنْ بَيْتٌ لَيْسَ فِيهِ مَيْتٌ» بل ولم يعف من الموت قصر فرعون نفسه فسرعان ما ذاعت الأنباء بسرعة البرق بأن ولي العهد مات «وَكَانَ صُرَاخٌ عَظِيمٌ فِي مِصْرَ»، آه يا مصر مهما كانت تلك الليلة مريرة فإنها لا تعادل الإساءات التي لقيها إسرائيل على أيدي المصريين أجيالًا طويلة. لم تكن دموعهم سوى قناة صغيرة بالنسبة لأنهار الدموع التي انسكبت من أعين ذلك الشعب الشجاع الذي أُجبِر على تحويل التراب إلى لبن دون أن ينال أجرًا سوى ضرب السياط.. ومهما كان صراخهم يمزق القلب فليس سوى همس بالنسبة لعويل الأمهات وتنهداتهن إذ كان أطفالهن ينتزعن من أحضانهن»[1].

(٥) لم يكن هدف الله الأول من الضربات العشر مجرد إجراء العدل والقصاص على فرعون وشعب مصر، ولكن أيضًا أن يعرف المصريون وكل مالك الأرض من هو الإله الحقيقي، وليعرف الجميع أنه لا إله إلا هو، وأنه هو إله السماء والأرض، المتسلط على مملكة الناس، سيد كل الكون. وأنه يتحتم على فرعون أن يخضع لسلطانه، إذ ليس غيره إله. فالله بهذه العجائب يُظهِر ذاته ويكشف عن قدرته. وقد قال الله بوضوح: «وَأُكَثِّرُ آيَاتِي وَعَجَائِبِي فِي أَرْضِ مِصْرَ. فَيَعْرِفُ الْمِصْرِيُّونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ حِينَمَا أَمُدُّ يَدِي عَلَى مِصْرَ وَأُخْرِجُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَيْنِهِمْ» (خر ٧: ٣، ٥). وقال موسى لفرعون: «هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: بِهذَا تَعْرِفُ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ: هَا أَنَا أَضْرِبُ بِالْعَصَا الَّتِي فِي يَدِي عَلَى الْمَاءِ الَّذِي فِي النَّهْرِ فَيَتَحَوَّلُ دَمًا» (خر ٧: ١٧). وقد قال الرب لفرعون: «وَلكِنْ لأَجْلِ هذَا أَقَمْتُكَ، لِكَيْ أُرِيَكَ قُوَّتِي، وَلِكَيْ يُخْبَرَ بِاسْمِي فِي كُلِّ الأَرْضِ» (خر ٩:١٦). وهذا ما حدث، فبعد الضربة الثالثة قال العرافون لفرعون: «هذَا إِصْبَعُ اللهِ» (٨:١٩). وبعد ضربة البرد أرسل فرعون ودعا موسى وهارون وقال لهما: «أَخْطَأْتُ هذِهِ الْمَرَّةَ. الرَّبُّ هُوَ الْبَارُّ وَأَنَا وَشَعْبِي الأَشْرَارُ» (٩: ٢٧). وقال موسى للشعب بعد أن خرجوا من أرض مصر: «هَلْ شَرَعَ اللهُ أَنْ يَأْتِيَ وَيَأْخُذَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا مِنْ وَسَطِ شَعْبٍ، بِتَجَارِبَ وَآيَاتٍ وَعَجَائِبَ وَحَرْبٍ وَيَدٍ شَدِيدَةٍ وَذِرَاعٍ رَفِيعَةٍ وَمَخَاوِفَ عَظِيمَةٍ، مِثْلَ كُلِّ مَا فَعَلَ لَكُمُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ فِي مِصْرَ أَمَامَ أَعْيُنِكُمْ؟ إِنَّكَ قَدْ أُرِيتَ لِتَعْلَمَ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الإِلهُ. لَيْسَ آخَرَ سِوَاهُ» (تث ٤: ٣٤- ٣٥). راجع: (خر ٩: ٢٠-٢١).

(٦) ومن أهم الحقائق الكتابية هو أن هذه الضربات العشر كانت موجهة لآلهة المصريين

وليس للمصريين، فقد قال الرب لموسى: «وَأَصْنَعُ أَحْكَامًا بِكُلِّ آلِهَةِ الْمِصْرِيِّينَ. أَنَا الرَّبُّ» (خر ١٢:١٢). فقد كان الله يريد أن يُظهِر بُطل هذه الآلهة الوثنية وضعفها وعجزها عن خلاص نفسها وعابديها، أو كما يقول هربرت لوكير: «إن الهدف من الضربات العشر أن تكشف لفرعون حماقة وثنيته، وبذلك تقتاده لينبذها»[2].

دعني الآن أشرح كيف كانت كل ضربة موجهة إلى آلهة المصريين وليست إلى المصريين:

الضربة الأولى: تحويل الماء دمًا (خر٧: ١٥-٢٥):

يعتبر النيل من أول وأهم آلهة المصريين، وقد كان المصري القديم يقول: «إن بداية الخلق هي السماء، وقد ظلت هي والنيل أكبر أربابه». وكانوا يُطلقون عليه الإله (حابي أو هابي)، وكانوا يعبدونه تعبيرًا عن فضله عليهم، فلقد كانت ومازالت مياهه هي شريان الحياة لمصر، وثروته السمكية تُشكِّل طعامًا هامًا للمصريين، لذلك عبدوه كإله وكانوا يلقون له بعروس في عيده السنوي.

لذلك كانت الضربة شديدة لآلهة المصريين عندما تحولت مياه النيل إلى دم حيث نقرأ: «فَتَحَوَّلَ كُلُّ الْمَاءِ الَّذِي فِي النَّهْرِ دَمًا. وَمَاتَ السَّمَكُ الَّذِي فِي النَّهْرِ وَأَنْتَنَ النَّهْرُ، فَلَمْ يَقْدِرِ الْمِصْرِيُّونَ أَنْ يَشْرَبُوا مَاءً مِنَ النَّهْرِ. وَكَانَ الدَّمُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ» (خر ٧: ٢٠-٢١). وحير المصريون عندما رأوا معبودهم قد أنتن، فما قيمة إله يفسد؟ وما حال عَبَدَتِه إذا رأوه كذلك؟ وهم في أشد الحاجة إلى النيل لحياتهم وحياة بهائمهم وأراضيهم، وكانوا يغتذون بسمكه، فنفقت الأسماك وأنتنت وتصاعدت رائحة النتانة حتى أفسدت الهواء أيضًا، فخزي المصريون وشملتهم الحيرة والخجل لعجز إلههم (هابي) عن حماية نفسه، وبعد أن كانوا يترنمون له بالأناشيد فأصبحوا ينوحون عليه»[3].

الضربة الثانية: ضربة الضفادع (خر٨: ١-١٥):

من بين الآلهة التي كان المصريون يعبدونها الإلهة الضفدعة «هكست»، وزوجها (خنوم) العظيم، وكانوا يظنون أن «هكست» هي التي تساعد النساء عند الولادة، وقد كانت رمزًا للخصوبة (إلهة الخصوبة)[4]. وقد كان لها رأس ضفدع، لذلك كانت هذه الضربة موجهة إليها وهزت هيبتها[5]، فتقرأ: «فَصَعِدَتِ الضَّفَادِعُ وَغَطَّتْ أَرْضَ مِصْرَ... فَمَاتَتِ الضَّفَادِعُ مِنَ الْبُيُوتِ وَالدُّورِ وَالْحُقُولِ. وَجَمَعُوهَا كُوَمًا كَثِيرَةً حَتَّى أَنْتَنَتِ الأَرْضُ» (خر٨: ٦-١٤). وقد كان يستحيل على المصري الذي يُقدسها أن يبيدها، لذلك يعلق القديس أثناسيوس قائلًا: «إن الناس اضطروا من نتن الضفادع أن يتركوا مساكنهم ويذهبوا بعيدًا»[6].

ويقول ف.ب. ماير «اكتظت الأرض بالضفادع فجأة. خرجت من النهر ربوات ربوات، وكان من المستحيل أن يسير المرء خطوة دون أن يسحق بقدميه عشرات منها. ضفادع في البيوت وضفادع في الفراش والأسِرَّة، وضفادع تُخبَز مع الخبز في التنور، وضفادع في المعاجن تختلط بالعجين. ضفادع بأصواتها المزعجة المملة، ضفادع في كل مكان بجلدها البارز القذر. ضفادع من الصباح إلى المساء، ومن المساء إلى الصباح. ومما زاد من شناعة الضربة أن الضفدعة كانت رمز آلهة الإخصاب ولذلك كان مُحرمًا إبادتها»[7].

الضربة الثالثة: ضربة البعوض (خر٨: ١٦-١٩):

وُجِّهَت هذه الضربة إلى أمحتب المقدس «إله الطب» وكان عبارة عن صنم له رأس ذبابة كبيرة.

وكانت الضربة شديدة لكثرة أعداد البعوض إذ تحول كل تراب أرض مصر إلى بعوض، لدرجة أننا نقرأ: «فَصَارَ الْبَعُوضُ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ. كُلُّ تُرَابِ الأَرْضِ صَارَ بَعُوضًا فِي جَمِيعِ أَرْضِ مِصْرَ» (١٧:٨). وقد جلبت الضفادع المتعفنة أسرابًا عديدة من أنواع مختلفة من البعوض ذات اللسعة المؤلمة، حتى أن الْعَرَّافِينَ قالوا لِفِرْعَوْنَ: «هذَا إِصْبَعُ اللهِ» (١٩:٨)[٨].

الضربة الرابعة: ضربة الذباب (خر٨: ٢٠-٣٢):

وقد كانت هذه الضربة موجهة إلى بعل ذبوب إله الذباب، واسمه الأصلي بعل زبول أي رب الحياة. ولما كان الذباب من أخطر ما يؤذي البشر، ويتولد في الأقذار وينقل الجراثيم والأمراض، فكانوا يعبدون الإله بعل ذبوب لكي يمنع عنهم الذباب، ولكي يحميهم من المرض والموت. وكان له شكل ذبابة ذات رأس كبير. ولكن كانت الضربة شديدة فأهانت ذلك الصنم وهزَّت عرشه، لدرجة أننا نقرأ: «فَدَخَلَتْ ذُبَّانٌ كَثِيرَةٌ إِلَى بَيْتِ فِرْعَوْنَ وَبُيُوتِ عَبِيدِهِ. وَفِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ خَرِبَتِ الأَرْضُ مِنَ الذُّبَّانِ» وكان موسى قد قال لفرعون: «هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: وَلكِنْ أُمَيِّزُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَرْضَ جَاسَانَ حَيْثُ شَعْبِي مُقِيمٌ حَتَّى لاَ يَكُونُ هُنَاكَ ذُبَّانٌ. لِكَيْ تَعْلَمَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ فِي الأَرْضِ» (٨: ٢٢،٢٤).

ويقول أحد الآباء الرهبان بدير القديس أنبا مقار: «إن الكلمة العبرية التي تُرجمت «ذباب» تدل على أنه كان أسرابًا ضخمة من حشرات متنوعة، يقال عنها ذباب الكلب، وهو نوع خطير من الذباب ومؤلم للغاية، لأنه يسارع في مهاجمة الأجزاء العارية من الجسم وخاصة الجفون وأركان العيون وفتحة الأنف وتسبب لدغاتها إلتهابًا وتقيحًا... فقد ألهبت أجسادهم كما لو كانت تأكل لحمهم»[٩]. وقد ميَّز الله في هذه الضربة بين أرض جاسان وبقية أرض مصر، وقد عجز بعل ذبوب عن حمايتهم.

الضربة الخامسة: موت المواشي (خر٩: ١-٧):

كانت بعض الحيوانات مقدسة عند المصريين، لذلك عندما قال فِرْعَوْنُ لِموسَى وَهَارُونَ: «اذْهَبُوا اذْبَحُوا لإِلهِكُمْ فِي هذِهِ الأَرْضِ». قالَ له مُوسَى: «لاَ يَصْلَحُ أَنْ نَفْعَلَ هكَذَا، لأَنَّنَا إِنَّمَا نَذْبَحُ رِجْسَ الْمِصْرِيِّينَ لِلرَّبِّ إِلهِنَا. إِنْ ذَبَحْنَا رِجْسَ الْمِصْرِيِّينَ أَمَامَ عُيُونِهِمْ أَفَلاَ يَرْجُمُونَنَا؟ (خر ٨: ٢٥-٢٦). فأهل طيبة كانوا لا يحتملون أن يشاهدوا أحدًا يذبح غنمه، وأهل مندس كانوا لا يستطيعون أن يصبروا على من يذبح ماعزًا، وكما حدثت ثورات في الهند عندما ذُبحت الأبقار التي يقدسها الهنود، كان يمكن أن يحدث في مصر. وقد أثبت المؤرخون القدماء أمثال هيرودوتس، وديودوروس وغيرهما أن المصريين كانوا يعبدون البهائم وكانت هذه الآلهة من الكثرة فأمتلأت بها هياكلهم وكأنها معرض حيوانات، فعبدوا العجل والتمساح والبقرة والعنزة والكبش والقطة والكلب. لذلك كانت ضربة الوبأ على الماشية ضربة ثقيلة موجهة إلى هذه الآلهة، ولاسيما العجل «أبيس» الذي كانوا يظنون أن فيه روح إلههم أوزوريس، والبقرة المقدَّسة «حتحور»، والكبش «خنوم»، والكلب «أنوبيس». وكان المصريون يقدسون المعز والعجل تقديسًا خاصًا ويعدونهما رمز القدرة الجنسية الخالقة[١٠]. فنقرأ: «فَمَاتَتْ جَمِيعُ مَوَاشِي الْمِصْرِيِّينَ. وَأَمَّا مَوَاشِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمْ يَمُتْ مِنْهَا وَاحِدٌ» (خر٩:٦). تخيل معي كيف يعبدون هذه الآلهة بعد أن يرونها جثثًا أمامهم؟! لذلك جاء موت المواشي ضربة موجعة

ضد هذه الآلهة مجتمعة التي عجزت عن حماية نفسها.

الضربة السادسة: الدمامل (خر٩: ٨-١٢):

لقد أصابت هذه الضربة عددًا كبيرًا من آلهة المصريين وخاصة آلهة الطب والشفاء التي عبدها المصريون، وقدموا لها الذبائح، وكانوا يذرون رمادها في الهواء لكي تحمل لهم هذه الذرات البركات، فنبعت هذه الضربة من رماد أتون ذبائحهم. ويذكر بعض المؤرخين أن المصريين كانوا أحيانًا يحرقون بعض العبرانيين على مذابح هذه الآلهة ويذرون رمادهم في الهواء لكي تنزل مع كل ذرة بركة على المصريين[١١]. لذلك قالَ الرَّبُّ لِمُوسَى وَهَارُونَ: «خُذَا مِلْءَ أَيْدِيكُمَا مِنْ رَمَادِ الأَتُونِ، وَلْيُذَرِّهِ مُوسَى نَحْوَ السَّمَاءِ أَمَامَ عَيْنَيْ فِرْعَوْنَ. لِيَصِيرَ غُبَارًا عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ. فَيَصِيرَ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ دَمَامِلَ طَالِعَةً بِبُثُورٍ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ». وقد حدث أننا نقرأ: «وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْعَرَّافُونَ أَنْ يَقِفُوا أَمَامَ مُوسَى مِنْ أَجْلِ الدَّمَامِلِ، لأَنَّ الدَّمَامِلَ كَانَتْ فِي الْعَرَّافِينَ وَفِي كُلِّ الْمِصْرِيِّينَ».

ويبدو أن موسى انتهز فرصة وجود فرعون وحاشيته في الهواء الطلق، وأخذ حفنة رماد وذراها لأعلى، فانتشرت الدمامل بين الناس والبهائم، وجاءت هذه الضربة ضد السحرة والعرافين أيضًا.

الضربة السابعة: ضربة البَرَدْ (خر٩: ١٣-٣٥):

كانت هذه الضربة موجهة لإلهة الطقس نوت، وضد الإله «رشبو» إله العواصف والرياح، فنقرأ: «فَمَدَّ مُوسَى عَصَاهُ نَحْوَ السَّمَاءِ، فَأَعْطَى الرَّبُّ رُعُودًا وَبَرَدًا، وَجَرَتْ نَارٌ عَلَى الأَرْضِ، وَأَمْطَرَ الرَّبُّ بَرَدًا عَلَى أَرْضِ مِصْرَ. فَكَانَ بَرَدٌ، وَنَارٌ مُتَوَاصِلَةٌ فِي وَسَطِ الْبَرَدِ، شَيْءٌ عَظِيمٌ جِدًّا لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ مُنْذُ صَارَتْ أُمَّةً. فَضَرَبَ الْبَرَدُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ جَمِيعَ مَا فِي الْحَقْلِ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ. وَضَرَبَ الْبَرَدُ جَمِيعَ عُشْبِ الْحَقْلِ وَكَسَّرَ جَمِيعَ شَجَرِ الْحَقْلِ. إِلاَّ أَرْضَ جَاسَانَ حَيْثُ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهَا بَرَدٌ» (خر ٩: ٢٣-٢٦). لقد كان لهذه الضربة العظيمة والمفاجئة آثارها المدمرة، وأثبتت عجز الإله «رشبو» والإلهة «نوت» عن ضبط الجو، وحفظ الطبيعة والزرع من الدمار، خاصة وأنها حدثت في أوائل العام الزراعي، إذ يقول الوحي: «لأَنَّ الشَّعِيرَ كَانَ مُسْبِلاً وَالْكَتَّانُ مُبْزِرًا. وَأَمَّا الْحِنْطَةُ وَالْقَطَانِيُّ فَلَمْ تُضْرَبْ لأَنَّهَا كَانَتْ مُتَأَخِّرَةً» (٩: ٣١-٣٢).

ويقول ف. ب. ماير: «وهكذا هبت العواصف، فإنه حالما رفع موسى عصاه صعدت من البحر سحب كثيرة جدًا، وكثيفة جدًا، محملة بالرعد، وغطت الأرض، وصبَّت محتوياتها في رعد وبَرَد ونار وعواصف، بطريقة نادرة جدًا في مصر، فالبَرَد والنار المتواصلة هذه كانت «شَيْءٌ عَظِيمٌ جِدًّا لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ مُنْذُ صَارَتْ أُمَّةً» لقد هلكت الكروم بالبَرَد، والجميز بالصقيع، وتحطمت أشجار الغابات، والكتان والشعير ضُربًا وتلفا بالكلية، أما المواشي والرعاة الذين بقوا في الحقل في العراء، تحديا للإنذار الذي أعطي، فقد قتلتهم حجارة البَرَد التي سقطت من السماء.. أما أرض جاسان فقد نجت من هذه كلها»[١٢].

الضربة الثامنة: ضربة الجراد (خر١٠: ١-٢٠):

كانت ضربة الجراد طعنة قوية موجهة إلى إلهين: الإلهة إيزيس التي كان المصريون يعتبرونها حامية البلاد من الجراد، وكذلك الريح أحد آلهة المصريين، فجعل الله الريح هو الذي يحمل الجراد

لبلادهم. فنقرأ: «فَجَلَبَ الرَّبُّ عَلَى الأَرْضِ رِيحًا شَرْقِيَّةً كُلَّ ذلِكَ النَّهَارِ وَكُلَّ اللَّيْلِ. وَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ، حَمَلَتِ الرِّيحُ الشَّرْقِيَّةُ الْجَرَادَ. فَصَعِدَ الْجَرَادُ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ وَحَلَّ فِي جَمِيعِ تُخُومِ مِصْرَ. شَيْءٌ ثَقِيلٌ جِدًّا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ جَرَادٌ هكَذَا مِثْلَهُ، وَلاَ يَكُونُ بَعْدَهُ كَذلِكَ. وَغَطَّى وَجْهَ كُلِّ الأَرْضِ حَتَّى أَظْلَمَتِ الأَرْضُ. وَأَكَلَ جَمِيعَ عُشْبِ الأَرْضِ وَجَمِيعَ ثَمَرِ الشَّجَرِ الَّذِي تَرَكَهُ الْبَرَدُ. حَتَّى لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ أَخْضَرُ فِي الشَّجَرِ وَلاَ فِي عُشْبِ الْحَقْلِ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ». (خر ١٠: ١٣- ١٥).

الضربة التاسعة: ضربة الظلام (خر ١٠: ٢١-٢٩):

لقد كانت ضربة الظلام ضربة شديدة موجهة ضد الإله «نوت» إله السماء الذي رتب الكواكب في أبراجها. والإلهة «سخمت» إلهة النار والضوء المقدَّس. وإلى الشمس التي كانت أعظم آلهة المصريين. وكانت تُعبَد على أنها الإله الأعلى «رع» الأب اللامع الذي لقَّح الأرض بأشعة الحرارة والضوء. والذي منه اشتق اسم ملك مصر «فرعون». وفي أيام أمنحوتب الثالث نقش المهندسان سوتي وحور نشيدًا توحيديًا للشمس على لوحة محفوظة إلى الآن في المتحف البريطاني. وقد كانت العادة المتَّبعة في مصر منذ زمن طويل أن يُخاطَب إله الشمس آمون باسم أعظم الآلهة. فنقرأ: «فَكَانَ ظَلاَمٌ دَامِسٌ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ. لَمْ يُبْصِرْ أَحَدٌ أَخَاهُ، وَلاَ قَامَ أَحَدٌ مِنْ مَكَانِهِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ. وَلكِنْ جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ لَهُمْ نُورٌ فِي مَسَاكِنِهِمْ» (١٠: ٢٢-٢٣). وقد وصف الشاعر اليوناني «أورفيوس» هذه الضربة في إحدى قصائده قائلًا: «أرتل لليل أبي الآلهة والناس، الذي هو أصل كل الأشياء، فغشيتهم حينئذ ظلمة كئيبة تكاد تُلمس، ولم تقدر آلهتهم على كشفها. وفضلًا عن ذلك كانوا يتعذبون بالجسد حين رأوا النور في جميع منازل الإسرائيليين[١٣].

الضربة العاشرة: موت الأبكار (خر ١١: ٤ – ١٢: ٣٣):

كان الملك نفسه يُعتبر إلهًا عند المصريين، فقد كان المصريون ينظرون إلى فرعون وإيزيس وأزوريس على أنهم الآلهة واهبةِ الحياة. لذلك ضرب الرب أرض مصر بالضربة القاضية وهي موت الأبكار، حتى بكر فرعون الذي يدّعي أنه واهب الحياة. فنقرأ: «فَحَدَثَ فِي نِصْفِ اللَّيْلِ أَنَّ الرَّبَّ ضَرَبَ كُلَّ بِكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بِكْرِ فِرْعَوْنَ الْجَالِسِ عَلَى كُرْسِيِّهِ إِلَى بِكْرِ الأَسِيرِ الَّذِي فِي السِّجْنِ، وَكُلَّ بِكْرِ بَهِيمَةٍ. فَقَامَ فِرْعَوْنُ لَيْلًا هُوَ وَكُلُّ عَبِيدِهِ وَجَمِيعُ الْمِصْرِيِّينَ. وَكَانَ صُرَاخٌ عَظِيمٌ فِي مِصْرَ لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْتٌ لَيْسَ فِيهِ مَيْتٌ» (خر ١٢: ٢٩-٣٠). وكان المصريون ينظرون إلى فرعون من هذا المنظور وبالتالي كان لابد لله أن يتدخل بهذه الطريقة ليعرف المصريون وكل الأرض من هو الإله الحقيقي.

كم نشكر الله لأجل الضربات العشر لأنه بدونها كان من الممكن أن تكون الآلهة الوثنية ملأ بيوتنا في مصر اليوم، ولكن الله برهن على عجز وضعف آلهة المصريين وعدم نفعها، فلم تستطع أن تحميهم، ولا تحمي نفسها.

ولقد فهم المصريون أن هذه الضربات إنما هي أحداث غير طبيعية، وأنها من مصدر إلهي، وذلك من خلال حدوثها في الوقت وبالصورة التي أنبأ بها موسى وهارون، وزوالها أيضًا بناءً على صلاتهما في الوقت الذي حدداه، وعدم امتدادها إلى أرض جاسان حيث كان يقيم شعب الله.

لقد كان فرعون يمثل ذروة القوى البشرية التي

واجهت الله وشعبه، ولذلك فسقوطه يُعد رمزًا مناسبًا لكل زمان، ويُعلن استحالة الوقوف في وجه الله أو محاولة إحباط خططه.

عزيزي القارئ: هل عرفت الإله الحي القدير؟ أرجو أن تتذكر باستمرار ما قاله أدوني بازق: «كَمَا فَعَلْتُ كَذلِكَ جَازَانِيَ اللَّهُ» (قض ١: ٧).

المراجع

(١) ف.ب. ماير. حياة موسى. ترجمة القمص مرقس داود. ص ٧٧, ٨٧.

(٢) هربرت لوكير. كل الملوك والملكات في الكتاب المقدس. ترجمة إدوارد وديع عبد المسيح. ص٢٦١..

(٣) وليم مارش. السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم ج١ ص٢٣١..

(٤) آلان كول. الخروج. ص١٠٤.

(٥) دائرة المعارف الكتابية. ج٥, ٨٧.

(٦) وليم مارش. السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم. ج١, ص٣٣٥.

(٧) ف. ب. ماير. حياة موسى. تعريب القمص مرقس داود. ص ٦٣.

(8) C.F.Keil and F. Delitzsch. William B., Commentary on the O.T. Exodus. p. 298.

(٩) شرح سفر الخروج. ص ١٩٨, ١٩٩.

(10) Rylaasdam. J. Cort. The Interpreter›s Bible Commentary. Exodus. p. 436.

(١١) الأب تادرس يعقوب ملطي. الخروج. ص٥٩.

(١٢) ف. ب. ماير. حياة موسى. تعريب القمص مرقس داود. ص ٦٨, ٦٩.

(١٣) مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدّس الثمين. ص ٧٥.

(١٨)

هل هو إله غيور؟

«ثُمَّ تَكَلَّمَ اللهُ بِجَمِيعِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ: لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلَهَكَ إِلَهٌ غَيُورٌ» (خر ٢٠: ١-٥).

«لاَ تَسْجُدْ لإِلَهٍ آخَرَ لأَنَّ الرَّبَّ اسْمُهُ غَيُورٌ. إِلَهٌ غَيُورٌ هُوَ» (خر ٣٤: ١٤).

«اِحْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَنْسَوا عَهْدَ الرَّبِّ إِلهِكُمُ الذِي قَطَعَهُ مَعَكُمْ وَتَصْنَعُوا لأَنْفُسِكُمْ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا صُورَةَ كُلِّ مَا نَهَاكَ عَنْهُ الرَّبُّ إِلهُكَ. لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ هُوَ نَارٌ آكِلَةٌ إِلهٌ غَيُورٌ» (تث ٤: ٢٣،٢٤).

«لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ إِلهٌ غَيُورٌ فِي وَسَطِكُمْ لِئَلا يَحْمَى غَضَبُ الرَّبِّ إِلهِكُمْ عَلَيْكُمْ فَيُبِيدَكُمْ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ (تث ٦: ١٥).

عدد كبير يسأل:

نحن نعلم أن الغيرة صفة إنسانية بغيضة لا نحب أن نتصف بها. فكيف نقبل أن يوصف بها الله تعالى؟

ولماذا يُطلق الله على نفسه أنه غيور؟ وماذا يقصد بذلك؟

للإجابة على هذه الأسئلة أقول:

أولًا: هناك نوعين من الغيرة:

إن كلمة (الْغَيْرَةُ) (קנא) «قانا» في اللغة العبرية تحمل معنيين: تعني الحماس الشديد للدفاع عن شخص أو شيء أو قضية ما. وكذلك تأتي بمعنى سيئ وهو الحسد[1].

ولذلك نجد أن كلمة (الْغَيْرَةُ) (קנא) «قانا» تُترجم في بعض الآيات (الحسد) مثل:

(تك ٢٦: ١٤) «فَكَانَ لَهُ مَوَاشٍ مِنَ الْغَنَمِ وَمَوَاشٍ مِنَ الْبَقَرِ وَعَبِيدٌ كَثِيرُونَ. فَحَسَدَهُ (ויקנאו) الْفَلَسْطِينِيُّونَ».

(تك ٣٧: ١١) «فَحَسَدَهُ (ויקנאו) إِخْوَتُهُ وَأَمَّا أَبُوهُ فَحَفِظَ الأَمْرَ».

(أم ١٤: ٣٠) «حَيَاةُ الْجَسَدِ هُدُوءُ الْقَلْبِ وَنَخْرُ الْعِظَامِ الْحَسَدُ (קִנְאָה)».

ونجد المعنى الرائع للغيرة في بعض الآيات كالتالي:

(مز ٦٩: ٩) «لأَنَّ غَيْرَةَ (קנאת) بَيْتِكَ أَكَلَتْنِي وَتَعْيِيرَاتِ مُعَيِّرِيكَ وَقَعَتْ عَلَيَّ».

(عد ٢٥: ١١) فِينَحَاسُ بْنُ أَلِعَازَارَ بْنِ هَارُونَ الْكَاهِنُ قَدْ رَدَّ سَخَطِي عَنْ بَنِي إِسْرَائِيل بِكَوْنِهِ غَارَ (בקנאו) غَيْرَتِي (קנאתי) فِي وَسَطِهِمْ حَتَّى لَمْ أُفْنِ بَنِي إِسْرَائِيل بِغَيْرَتِي. (בקנאתי)

(مز ١١٩: ١٣٩) «أَهْلَكَتْنِي غَيْرَتِي (קנאתי) لأَنَّ أَعْدَائِي نَسُوا كَلاَمَكَ».

وكذلك نجد أن اللغة اليونانية لا تختلف عن العبرية. فكلمة (الْغَيْرَةُ) في اللغة اليونانية هي

(ζηλοὶω) «زيلو» مشتقة من أصل يعني «حار». وهو يعبِّر تعبيرًا صادقًا عن نفس كلمة «قيناه» العبرية. فتشير إلى الإحمرار المتصاعد على وجه إنسان منفعل. وهذا الانفعال قد يصدر عن مشاعر مختلفة تتراوح من الحب النزيه إلى الحسد الدنئ. فالأمر كله متعلق بالدافع أو المحرك الذي يحرك هذا الحماس[1].

فنجد كلمة (الْغَيْرَةُ) (ζηλοὶω) «زيلو» تُترجم في بعض الآيات بالمعنى السلبي (الحسد الدنئ):

(يع ٣:١٦) «لأَنَّهُ حَيْثُ الْغَيْرَةُ (ζηλος) وَالتَّحَزُّبُ هُنَاكَ التَّشْوِيشُ وَكُلُّ أَمْرٍ رَدِيءٍ».

(رو ١٣:١٣) «لِنَسْلُكْ بِلِيَاقَةٍ كَمَا فِي النَّهَارِ لاَ بِالْبَطَرِ وَالسُّكْرِ لاَ بِالْمَضَاجِعِ وَالْعَهَرِ لاَ بِالْخِصَامِ وَالْحَسَدِ (ζήλῳ)».

(١كو ٣:٣) «فَإِنَّهُ إِذْ فِيكُمْ حَسَدٌ (ζῆλος) وَخِصَامٌ وَانْشِقَاقٌ أَلَسْتُمْ جَسَدِيِّينَ وَتَسْلُكُونَ بِحَسَبِ الْبَشَرِ؟».

(١كو ٤:١٣) «الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ لاَ تَحْسِدُ (ζηλοι)».

ونجد المعنى الجميل الرائع للغيرة في بعض الآيات كالتالي:

(١كو ٣١:١٢) «وَلَكِنْ جِدُّوا (ζηλοῦτε) لِلْمَوَاهِبِ الْحُسْنَى. وَأَيْضًا أُرِيكُمْ طَرِيقًا أَفْضَلَ».

(١كو ١٢:١٤) «هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا إِذْ إِنَّكُمْ غَيُورُونَ (ζηλωται) لِلْمَوَاهِبِ الرُّوحِيَّةِ اطْلُبُوا لأَجْلِ بُنْيَانِ الْكَنِيسَةِ أَنْ تَزْدَادُوا».

(كو ١٣:٤)» فَإِنِّي اشْهَدُ فِيهِ انَّ لَهُ غَيْرَةً (ζῆλον) كَثِيرَةً لأَجْلِكُمْ. وَلأَجْلِ الَّذِينَ فِي لاَوُدِكِيَّةَ. وَالَّذِينَ فِي هِيَرَابُولِيسَ».

(٢كو ٢:١١) «فَإِنِّي أَغَارُ (ζηλω) عَلَيْكُمْ غَيْرَةَ (ζηλω) اللهِ. لأَنِّي خَطَبْتُكُمْ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ، لأُقَدِّمَ عَذْرَاءَ عَفِيفَةً لِلْمَسِيحِ».

(٢كو ٢:٩) «لأَنِّي أَعْلَمُ نَشَاطَكُمُ الَّذِي أَفْتَخِرُ بِهِ مِنْ جِهَتِكُمْ لَدَى الْمَكِدُونِيِّينَ. أَنَّ أَخَائِيَةَ مُسْتَعِدَّةٌ مُنْذُ الْعَامِ الْمَاضِي. وَغَيْرَتُكُمْ (ζηλος) قَدْ حَرَّضَتِ الأَكْثَرِينَ».

فكل قواميس اللغة أكّدت أن كلمة (الْغَيْرَةُ) سواء العبرية (קנא) «قانا»، أو اليونانية (ζηλόω) تحمل معنيين: معنى رائع جميل يعبر عن مشاعر دافئة نابعة من محبة حقيقية تدفع الشخص لأن يبذل كل ما في وسعه لأجل من يحب سواء كان شخصًا أو موضوعًا أو شيئًا أو قضية. وهذه هي الغيرة السليمة الصحيّة. وأيضًا تحمل معنى سلبيًا شريرًا أقرب إلى الحسد؛ أي أن الشخص الغيور يريد زوال ما بين يدي الآخر. ويكره كل من هو أفضل منه. ويحمل له مزيجًا من مشاعر الحسد والحقد والغضب.

ودافع هذه الغيرة المريضة هو البغضة والشعور بالنقص. وهو اتجاه طفولي يظهر في تصرفات كلها حقد. وأنانية. وحب امتلاك. فهي من أعمال الجسد كما يقول الرسول بولس: «وَأَعْمَالُ الْجَسَدِ ظَاهِرَةٌ: الَّتِي هِيَ زِنىً عَهَارَةٌ نَجَاسَةٌ دَعَارَةٌ عِبَادَةُ الأَوْثَانِ سِحْرٌ عَدَاوَةٌ خِصَامٌ غَيْرَةٌ (ζῆλοι) سَخَطٌ... وَأَمْثَالُ هَذِهِ الَّتِي أَسْبِقُ فَأَقُولُ لَكُمْ عَنْهَا كَمَا سَبَقْتُ فَقُلْتُ أَيْضًا: إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هَذِهِ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ» (غلا ٥: ١٩-٢٠). وأنا أطلق عليها الغيرة المريضة المدمرة.

وبكل يقين أقول: إن كل الآيات التي تتحدث

عن غيرة الله لا تعني الحسد أو الأنانية أو الغيرة المريضة. ولكنها تعني الغيرة المقدسة الصحية بهدف حماية شيء مقدس. ويقول د. القس فهيم عزيز: «الله ليس غيورًا في طبيعته بل في عمله. غيور لا لنفسه بل لخير الإنسانية»[2].

ثانيًا: تعبير بشري يوضح حقًا إلهيًا:

ذكرت سابقًا أن الكتاب المقدَّس هو رسالة الله للبشرية. ولذلك عندما يريد الله أن يعلن عن ذاته لابد أن يستخدم تعبيرات بشرية وإلا لن نفهم شيئًا. ولذلك من نعمة الله علينا أنه لا يخاطبنا بلغته. ولا بلغة الملائكة بل بلغتنا واصطلاحاتنا لنفهم ما يقول. فنجد الروح القدس يستخدم اللغة البشرية للتعبير عن المعاني الروحية والأحداث الإلهية حتى يفهمها الإنسان. وإلاَّ لكان الله يكلم الإنسان بلغة لا يفهمها. فكيف يتعامل الله مع الإنسان بغير لغة الإنسان؟

واستخدام الصفات البشرية في وصف الله تُعرَف في علم اللاهوت بمنهج «أنثروبومورفيزم» (Anthropomorphism) أي (تشبيه الله بالإنسان) أو تشبيه الله بصفات بشرية بهدف وصول المعاني الإلهية للإنسان بلغة قريبة إلى فهم الإنسان.

ولهذا السبب نجد نصوصًا كثيرة في الكتاب المقدَّس، ينسب الله فيها إلى ذاته تشبيهات مألوفة لدى الإنسان مثل: «كرسي الله»، «يد الله»، «عينا الله»، «أقسم الرب»، «ذراع الرب»، «فم الرب»، «حزن الله» «غيرة الله»، «ندم الله».. إلخ. كما لو كان الله إنسانًا.

وتشبيه الله بصفات بشرية بهدف وصول المعاني الإلهية للإنسان ليس قاصرًا على الكتاب المقدس فقط بل نجده في القرآن أيضًا فمكتوب عن الله: «ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين» (آل عمران ٣:٥٤)، و «المكر» صفة بشرية بغيضة. ويُنسَب إلى الله قوله أيضًا: «إن كيدي متين» (الأعراف ٧:١٨٣)، و «الكيد» أيضًا صفة بشرية سيئة؟!

إن الوحي الإلهي عندما يقول عن الله إنه يحب ويكره ويفرح ويحزن ويتحسّر ويندم ويغار..إلخ. هو لا يقصد أن الله له حواس أو مشاعر مثل مشاعرنا. إنما يريد أن يؤكد على مدى تفاعل الله مع البشر. وأن يبين أن له مواقف إزاء ما يفعله البشر. وتعبير (غيرة الله) يستخدمه الوحي ليؤكد على ثلاثة أمور هامة وهي:

(١) الله يغار لأنه يحب:

عندما أراد الرب أن يعبِّر عن عمق علاقته بشعبه وتوحده بهم شبه هذه العلاقة «بعلاقة العهد» الذي دخله الله مع شعبه. وبعلاقة الزوج بزوجته فيقول: «لَكِنْ هَئَنَذَا أَتَمَلَّقُهَا وَأَذْهَبُ بِهَا إِلَى الْبَرِّيَّةِ وَأُلاَطِفُهَا... وَهِيَ تُغَنِّي هُنَاكَ كَأَيَّامِ صِبَاهَا وَكَيَوْمِ صُعُودِهَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَقُولُ الرَّبُّ أَنَّكِ تَدْعِينَنِي «رَجُلِي» وَلاَ تَدْعِينَنِي بَعْدُ «بَعْلِي»... وَأَخْطُبُكِ لِنَفْسِي إِلَى الأَبَدِ. وَأَخْطُبُكِ لِنَفْسِي بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ وَالإِحْسَانِ وَالْمَرَاحِمِ. أَخْطُبُكِ لِنَفْسِي بِالأَمَانَةِ فَتَعْرِفِينَ الرَّبَّ» (هو ٢: ١٤-٢٠).

ونجد إشعياء يتغنَّى بحب الله لشعبه على مستوى الخطبة والزواج أيضًا فيقول: «لأَنَّ بَعْلَكِ هُوَ صَانِعُكِ رَبُّ الْجُنُودِ اسْمُهُ وَوَلِيُّكِ قُدُّوسُ إِسْرَائِيلَ. إِلَهَ كُلِّ الأَرْضِ يُدْعَى. لأَنَّهُ كَامْرَأَةٍ مَهْجُورَةٍ وَمَحْزُونَةِ الرُّوحِ دَعَاكِ الرَّبُّ وَكَزَوْجَةِ الصِّبَا إِذَا رُذِلَتْ قَالَ إِلَهُكِ» (إش ٥٤: ٥-٦).

ويؤكد الرب أيضًاعلى لسان إرميا قائلًا: «اذْهَبْ وَنَادِ فِي أُذُنَيْ أُورُشَلِيمَ: هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: قَدْ ذَكَرْتُ لَكِ غَيْرَةَ صِبَاكِ مَحَبَّةَ خِطْبَتِكِ ذِهَابَكِ وَرَائِي فِي الْبَرِّيَّةِ فِي أَرْضٍ غَيْرِ مَزْرُوعَةٍ» (إر ٢:٢. راجع أيضًا: خر٢٠: ٢-٦؛ إش ٦: ٩: ٦و٧؛ حز ١٦، هو ١).

ولذلك فإن الرب يغار على شعبه كما يغار الزوج على زوجته. ولذلك لا يدهشنا حقًا أن نجد مع لغة الزيجة التي يتحدث بها الله تعبيرًا عن محبته لشعبه. الشعور بالغيرة التي كان يغير بها الله على عروسه أي شعبه الذي اختاره لنفسه حينما كانت إسرائيل تذهب وراء آلهة غريبة فنقرأ: «اِحْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَقْطَعَ عَهْدًا مَعَ سُكَّانِ الأَرْضِ فَيَزْنُونَ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ وَيَذْبَحُونَ لآلِهَتِهِمْ فَتُدْعَى وَتَأْكُلُ مِنْ ذَبِيحَتِهِمْ وَتَأْخُذُ مِنْ بَنَاتِهِمْ لِبَنِيكَ فَتَزْنِي بَنَاتُهُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِنَّ وَيَجْعَلْنَ بَنِيكَ يَزْنُونَ وَرَاءَ آلِهَتِهِنَّ» (خر ٣٤:١٤و١٥). فالله يعتبر عبادة الأوثان زنى. فيقول: «هَلْ رَأَيْتَ مَا فَعَلَتِ الْعَاصِيَةُ إِسْرَائِيلُ؟ انْطَلَقَتْ إِلَى كُلِّ جَبَلٍ عَالٍ وَإِلَى كُلِّ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ وَزَنَتْ هُنَاكَ. وَكَانَ مِنْ هَوَانِ زِنَاهَا أَنَّهَا نَجَّسَتِ الأَرْضَ وَزَنَتْ مَعَ الْحَجَرِ وَمَعَ الشَّجَرِ. وَفِي كُلِّ هَذَا أَيْضًا لَمْ تَرْجِعْ إِلَيَّ أُخْتُهَا الْخَائِنَةُ يَهُوذَا بِكُلِّ قَلْبِهَا بَلْ بِالْكَذِبِ. يَقُولُ الرَّبُّ» (إر ٣: ٦-٩).

وما أروع ما قاله العلامة أوريجانوس: «إن أي إنسان عاقل يحب زوجته يغار عليها. فعندما يدخل شخص إلى زانية لا يغضب إذا وجد عندها أشخاصًا آخرين. ولكن من يدخل إلى زوجته ويرى غريبًا فإنه يغضب ويغتاظ جدًا. عند الزانية لا يغار الواحد من الآخر. ولا يريد أن يطرد الواحد الآخر. ولكن إذا أحبها بصدق فإنه يريد أن يحررها منهم. ولا يريد أن يرتبط بها أحد سواه»[٤].

وغيرة الله لا تتخذ رد فعل أعمى. ولكن هي نتيجة عقلانية للحب الصادق. وهي غيرة مقدسة لحماية علاقة الحب. وهي نتيجة لعمق الحب. إنه يريد ولاءً مطلقًا. يريد صدىً لمحبته.

لذلك نجد الرب يعتبر فتور المحبة خطية فيقول:

«لَكِنْ عِنْدِي عَلَيْكِ أَنَّكِ تَرَكْتِ مَحَبَّتَكِ الأُولَى. فَاذْكُرْ مِنْ أَيْنَ سَقَطْتَ وَتُبْ، وَاعْمَلِ الأَعْمَالَ الأُولَى. وَإِلَّا فَإِنِّي آتِيكِ عَنْ قَرِيبٍ وَأُزَحْزِحُ مَنَارَتَكِ مِنْ مَكَانِهَا. إِنْ لَمْ تَتُبْ» (رؤ ٢: ٤-٥).

وما هي المحبة الأولى؟

المحبة الأولى هي ببساطة محبة أول المعرفة أو محبة فترة الخطبة (إر ٢: ٢. ٢كو ١١: ٢) إنها محبة الخطيبة لخطيبها. محبة الزوجة المُحبة لزوجها (أف ٥: ٢٣-٢٦).

لقد كان القديس أغسطينوس يقول: «أحبب الرب بكل قلبك وافعل ما تشاء». إن المحبة هي كل شيء فهي بمثابة الروح في الجسد متى ضاعت المحبة أصبحنا أمام جثة ميتة لا قيمة لها.

(٢) الله غيور لذلك يؤدب ويعاقب:

عندما يقول الرب عن نفسه إنه «غيور» كان يريد أن يؤكد على فكرة أنه سيؤدب عروسه عندما تخون. ولكن أرجو أن تلاحظ أن الرب قبل أن يقول: «لأَنَّ الرَّبَّ اسْمُهُ غَيُورٌ. إِلَهٌ غَيُورٌ هُوَ». يقول: «هَا أَنَا قَاطِعٌ عَهْدًا. قُدَّامَ جَمِيعِ شَعْبِكَ أَفْعَلُ عَجَائِبَ لَمْ تُخْلَقْ فِي كُلِّ الأَرْضِ وَفِي جَمِيعِ الأُمَمِ فَيَرَى جَمِيعُ الشَّعْبِ الَّذِي أَنْتَ فِي وَسَطِهِ فِعْلَ الرَّبِّ. إِنَّ الَّذِي أَنَا فَاعِلُهُ مَعَكَ رَهِيبٌ» (خر ٣٤: ١٠-١٤).

وقبل أن يقول: «لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ إِلهٌ غَيُورٌ فِي وَسَطِكُمْ لِئَلا يَحْمَى غَضَبُ الرَّبِّ إِلهِكُمْ عَلَيْكُمْ

فَيُبِيدَكُمْ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ» يقول: «فَاحْتَرِزْ لِئَلا تَنْسَى الرَّبَّ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ» (تث ٦: ١٥).

وهناك شواهد عديدة تؤكد أن الغيرة تقود الرب إلى تأديب شعبه إذا انحرف وخان. راجع: (تث ٤: ٢٣. ٢٤. يش ٢٤: ١٩. حز ٢٣: ٢٢ -٣٠. حز ٣٦: ٥-٨). هذا العقاب والتأديب هو لخير شعبه. إنه يؤدب ليعالج ويصلح. يؤدب كأب. فالتأديب برهان المحبة. أنت لا يمكن أن تؤدب ابن الجيران إذا أخطأ ولكن تؤدب ابنك. قال الحكيم:

«مَنْ يَمْنَعُ عَصَاهُ يَمْقُتُ ابْنَهُ وَمَنْ أَحَبَّهُ يَطْلُبُ لَهُ التَّأْدِيبَ» (أم ١٣: ٢٤).

«لاَ تَمْنَعِ التَّأْدِيبَ عَنِ الْوَلَدِ لأَنَّكَ إِنْ ضَرَبْتَهُ بِعَصًا لاَ يَمُوتُ. تَضْرِبُهُ أَنْتَ بِعَصًا فَتُنْقِذُ نَفْسَهُ مِنَ الْهَاوِيَةِ» (أم ٢٣: ١٣ و١٤). (أم ١٨:١٣).

وقال كاتب الرسالة إلى العبرانيين: «يَا ابْنِي لاَ تَحْتَقِرْ تَأْدِيبَ الرَّبِّ، وَلاَ تَخُرْ إِذَا وَبَّخَكَ. لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ. وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ» (عب ١٢: ٦).

ويقول الرب:

«أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا. إِنْ تَعَوَّجَ أُؤَدِّبْهُ بِقَضِيبِ النَّاسِ وَبِضَرَبَاتِ بَنِي آدَمَ» (٢صم ١٤:٧).

«إِنِّي كُلُّ مَنْ أُحِبُّهُ أُوَبِّخُهُ وَأُؤَدِّبُهُ. فَكُنْ غَيُورًا وَتُبْ» (رؤ ٣:١٩).

ما هي أهداف التأديب؟

ويقول بولس «نُؤَدَّبُ مِنَ الرَّبِّ لِكَيْ لاَ نُدَانَ مَعَ الْعَالَمِ» (١كو ١١: ٣٢).

«إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمُ اللهُ كَالْبَنِينَ. فَأَيُّ ابْنٍ لاَ يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِلاَ تَأْدِيبٍ، قَدْ صَارَ الْجَمِيعُ شُرَكَاءَ فِيهِ. فَأَنْتُمْ نَغُولٌ لاَ بَنُونَ. ثُمَّ قَدْ كَانَ لَنَا آبَاءُ أَجْسَادِنَا مُؤَدِّبِينَ، وَكُنَّا نَهَابُهُمْ. أَفَلاَ نَخْضَعُ بِالأَوْلَى جِدًّا لأَبِي الأَرْوَاحِ، فَنَحْيَا؟ لأَنَّ أُولَئِكَ أَدَّبُونَا أَيَّامًا قَلِيلَةً حَسَبَ اسْتِحْسَانِهِمْ، وَأَمَّا هَذَا فَلأَجْلِ الْمَنْفَعَةِ، لِكَيْ نَشْتَرِكَ فِي قَدَاسَتِهِ. وَلَكِنَّ كُلَّ تَأْدِيبٍ فِي الْحَاضِرِ لاَ يُرَى أَنَّهُ لِلْفَرَحِ بَلْ لِلْحَزَنِ. وَأَمَّا أَخِيرًا فَيُعْطِي الَّذِينَ يَتَدَرَّبُونَ بِهِ ثَمَرَ بِرٍّ لِلسَّلاَمِ» (عب ١٢: ٧-١١).

لذلك أقول الويل لمن لا يعاقبه الله. فإن تُرك الإنسان بلا تأديب سيحصد الكارثة الأبدية. لذلك قال داود: «طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي تُؤَدِّبُهُ يَا رَبُّ وَتُعَلِّمُهُ مِنْ شَرِيعَتِكَ» (مز ٩٤:١٢). راجع (مز ٦:١. مز ٣٨:١. مز ١١٨:١٨).

(٣) يغار فيحمي شعبه:

يغار الرب لأن اسمه – الذي دعيَ على شعبه " قدوس. فيحمي شعبه من الأعداء «أَنَا الرَّبُّ هَذَا اسْمِي وَمَجْدِي لاَ أُعْطِيهِ لآخَرَ وَلاَ تَسْبِيحِي لِلْمَنْحُوتَاتِ» (إش ٤٢: ٨). راجع (إش ٤٨: ١١).

ويغار الرب على شعبه غيرة أب على أبنائه. وزوج على زوجته (إش ٥٩: ١٧-١٩). فلا يتركه فريسة للأعداء. لكنه يحارب عنه. وينقذه ويخلصه من أعدائه. ويَعتبر أي إهانة لشعبه كأنها عليه هو فنقرأ: «لِذَلِكَ هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: [الآنَ أَرُدُّ سَبْيَ يَعْقُوبَ وَأَرْحَمُ كُلَّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَأَغَارُ عَلَى اسْمِي الْقُدُّوسِ» (حز ٣٩: ٢٥. راجع: ٣٦: ٢٣).

وعندما يرى شعبه مضطهد ومظلوم فهو يخلصهم نقرأ: «الرَّبُّ كَالْجَبَّارِ يَخْرُجُ. كَرَجُلِ حُرُوبٍ يُنْهِضُ غَيْرَتَهُ. يَهْتِفُ وَيَصْرُخُ وَيَقْوَى عَلَى أَعْدَائِهِ» (إش ٤٢: ١٣. راجع: خر ٣٩: ٢٥. إش ٣٧: ٣٢. زك ١: ١٤. يؤ ٢: ١٨. صف ١: ١٨).

لذلك كان الناس في ظروفهم الصعبة يصرخون إلى غيرة الرب لإنقاذهم:

فيقولون له: «تَطَلَّعْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَانْظُرْ مِنْ مَسْكَنِ قُدْسِكَ وَمَجْدِكَ. أَيْنَ غَيْرَتُكَ وَجَبَرُوتُكَ؟» (إش ٦٣: ١٥). وهكذا نرى يؤئيل النبي ينادي بصوم وتذلل وتوبة أمام الرب «فَيَغَارُ الرَّبُّ لأَرْضِهِ وَيَرِقُّ لِشَعْبِهِ» (يؤ ٢: ١٨).

بل إن غيرة الرب لخلاص شعبه قادته إلى التجسد. هكذا قال إشعياء: «لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا. وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ. وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا، إِلَهًا قَدِيرًا، أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلاَمِ. لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ وَلِلسَّلاَمِ لاَ نِهَايَةَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ، لِيُثَبِّتَهَا وَيَعْضُدَهَا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ مِنَ الآنَ إِلَى الأَبَدِ. غَيْرَةُ رَبِّ الْجُنُودِ تَصْنَعُ هَذَا» (إش ٩: ٦، ٧).

ما هو المطلوب منا أمام غيرة الله؟

غيرة حقيقية على عمل الرب:

إن الرب يريدنا «شَعْبًا خَاصًّا غَيُورًا فِي أَعْمَالٍ حَسَنَةٍ» (تي ٢: ١٤). وقال إرميا قديمًا: «مَلْعُونٌ مَنْ يَعْمَلُ عَمَلَ الرَّبِّ بِرِخَاءٍ» (إر ٤٨: ١٠). إنه يريد منا رد فعل إيجابي أمام غيرته علينا، فنغار عليه، وعلى مجده، وعلى كنيسته، وكلمته وأن يكون اهتمامنا بعمله صادقًا، ومحبتنا له تملأ القلب، وتكريسنا لشخصه كاملاً.

قال الأسقف Ray: «إن الغيرة رغبة ملتهبة لإكرام الله، ولعمل مشيئته، ولطلب وجهه. الغيرة تعني شيئًا واحدًا أن أكون بالكامل بين يدي الله».

عندما سمع عزرا أن الزرع المقدس (شعب الله) اختلط بالأمم وعاشوا في الشر والفساد مزق ثيابه، ونتَّف شعر ذقنه ورأسه، وكان يصلي صارخًا وباكيًا من أجل شعب الرب ليلًا ونهارًا، وقام بدور إيجابي لإصلاح ما يمكن إصلاحه. (عز ٩: ١-١٠).

وعندما سمع نحميا «إِنَّ الْبَاقِينَ الَّذِينَ بَقُوا مِنَ السَّبْيِ هُنَاكَ فِي الْبِلاَدِ هُمْ فِي شَرٍّ عَظِيمٍ وَعَارٍ. وَسُورُ أُورُشَلِيمَ مُنْهَدِمٌ وَأَبْوَابُهَا مَحْرُوقَةٌ بِالنَّارِ» يقول: «جَلَسْتُ وَبَكَيْتُ وَنُحْتُ أَيَّامًا وَصُمْتُ وَصَلَّيْتُ أَمَامَ إِلَهِ السَّمَاءِ» (نح ١: ٤). وقد كان نحميا «سَاقِيًا لِلْمَلِكِ» وهذه الوظيفة تعادل اليوم «مدير مكتب الرئيس، أو أمين رئاسة الجمهورية»، كان ناجحًا جدًا في عمله. وفي مركز مرموق للغاية. وكان يمكن أن يلتمس العذر لنفسه، أو يفكر في إرسال مساعدة لهم، أو يكتفي بالصلاة لأجلهم، لكنه تجاوب وترك منصبه وعاد لبلده ليفعل شيئًا.

ونقرأ عن بولس الذي يقول عن نفسه:

(أع ٢٠: ٢٤) «وَلَكِنَّنِي لَسْتُ أَحْتَسِبُ لِشَيْءٍ وَلاَ نَفْسِي ثَمِينَةٌ عِنْدِي حَتَّى أُتَمِّمَ بِفَرَحٍ سَعْيِي وَالْخِدْمَةَ الَّتِي أَخَذْتُهَا مِنَ الرَّبِّ يَسُوعَ لأَشْهَدَ بِبِشَارَةِ نِعْمَةِ اللهِ».

(أع ٢٠: ٣١) «لِذَلِكَ اسْهَرُوا مُتَذَكِّرِينَ أَنِّي ثَلاَثَ سِنِينَ لَيْلًا وَنَهَارًا لَمْ أَفْتُرْ عَنْ أَنْ أُنْذِرَ بِدُمُوعٍ كُلَّ وَاحِدٍ».

(٢كو ١١: ٢، ٣) «فَإِنِّي أَغَارُ عَلَيْكُمْ غَيْرَةَ اللهِ، لأَنِّي خَطَبْتُكُمْ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ، لأُقَدِّمَ عَذْرَاءَ عَفِيفَةً لِلْمَسِيحِ. وَلَكِنَّنِي أَخَافُ أَنَّهُ كَمَا خَدَعَتِ الْحَيَّةُ حَوَّاءَ بِمَكْرِهَا، هَكَذَا تُفْسَدُ أَذْهَانُكُمْ عَنِ الْبَسَاطَةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ».

(٢كو ١١: ٢٣) «مَنْ يَضْعُفُ وَأَنَا لاَ أَضْعُفُ؟ مَنْ

يَعْثُرُ وَأَنَا لاَ أَلْتَهِبُ؟». وهي ترد في ترجمة (ك ح) كالآتي:

«أَهُنَالِكَ مَنْ يَضْعُفُ وَلاَ أَضْعُفُ أَنَا. وَمَنْ يَتَعَثَّرُ وَلاَ أَحْتَرِقُ أَنَا؟».

ونقرأ عن أبولس: «ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى أَفَسُسَ يَهُودِيٌّ اسْمُهُ أَبُلُّوسُ إِسْكَنْدَرِيُّ الْجِنْسِ رَجُلٌ فَصِيحٌ مُقْتَدِرٌ فِي الْكُتُبِ. كَانَ هَذَا خَبِيرًا فِي طَرِيقِ الرَّبِّ. وَكَانَ وَهُوَ حَارٌّ بِالرُّوحِ يَتَكَلَّمُ وَيُعَلِّمُ بِتَدْقِيقٍ مَا يَخْتَصُّ بِالرَّبِّ... كَانَ بِاشْتِدَادٍ يُفْحِمُ الْيَهُودَ جَهْرًا مُبَيِّنًا بِالْكُتُبِ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ» (أع ١٨: ٢٤-٢٨).

ونقرأ عن أبفراس: «يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ ابَفْرَاسُ، الَّذِي هُوَ مِنْكُمْ، عَبْدٌ لِلْمَسِيحِ، مُجَاهِدٌ كُلَّ حِينٍ لأَجْلِكُمْ بِالصَّلَوَاتِ، لِكَيْ تَثْبُتُوا كَامِلِينَ وَمُمْتَلِئِينَ فِي كُلِّ مَشِيئَةِ اللهِ. فَإِنِّي اشْهَدُ فِيهِ انَّ لَهُ غَيْرَةً كَثِيرَةً لأَجْلِكُمْ، وَلأَجْلِ الَّذِينَ فِي لاَوُدِكِيَّةَ، وَالَّذِينَ فِي هِيَرَابُولِيسَ» (كو ٤: ١٢-١٣).

شروط الغيرة الصحية:

(١) حسب المعرفة:

قال الرسول بولس عن اليهود: «لأَنِّي أَشْهَدُ لَهُمْ أَنَّ لَهُمْ غَيْرَةً لِلَّهِ وَلَكِنْ لَيْسَ حَسَبَ الْمَعْرِفَةِ» (رو ١٠: ٢).

وما قيمة الغيرة بلا معرفة؟ بل وماذا تفعل في صاحبها؟ إنها لا تقود إلا إلى الإرهاب والتطرف، فبولس قبل أن يتغير كان يهوديًا غيورًا جدًا، ولذلك كان يضطهد كنيسة الله بإفراط ويتلفها، وكان ينفث تهددًا وقتلًا في شعب الرب. وأرجو أن تفكر في الأسئلة الآتية:

ماذا تفعل الغيرة بلا طهارة؟

ماذا تفعل الغيرة بلا حكمة؟

ماذا تفعل الغيرة بلا رؤية؟

(٢) غيرة في الحسنى:

قال الرسول بولس: «حَسَنَةٌ هِيَ الْغَيْرَةُ فِي الْحُسْنَى كُلَّ حِينٍ» (غلا ٤: ١٨).

صلاتي أن يملأ الرب كنيسته هذه الأيام بشعب لديه غيرة في الحسنى بمعنى:

غيرة في المواهب الروحية:

«وَلَكِنْ جِدُّوا لِلْمَوَاهِبِ الْحُسْنَى» (١كو ١٢: ٣١).

«اِتْبَعُوا الْمَحَبَّةَ وَلَكِنْ جِدُّوا لِلْمَوَاهِبِ الرُّوحِيَّةِ» (١كو ١٤: ١).

غيرة في العطاء:

«لأَنِّي أَعْلَمُ نَشَاطَكُمُ الَّذِي أَفْتَخِرُ بِهِ مِنْ جِهَتِكُمْ لَدَى الْمَكِدُونِيِّينَ، أَنَّ أَخَائِيَةَ مُسْتَعِدَّةٌ مُنْذُ الْعَامِ الْمَاضِي. وَغَيْرَتُكُمْ قَدْ حَرَّضَتِ الأَكْثَرِينَ» (٢كو ٩: ٢).

غيرة على بيته:

«لأَنَّ غَيْرَةَ بَيْتِكَ أَكَلَتْنِي وَتَعْيِيرَاتِ مُعَيِّرِيكَ وَقَعَتْ عَلَيَّ» (مز ٦٩: ٩).

غيرة تقود للتوبة:

(رؤ ٣: ١٩) «إِنِّي كُلُّ مَنْ أُحِبُّهُ أُوَبِّخُهُ وَأُؤَدِّبُهُ. فَكُنْ غَيُورًا وَتُبْ».

المراجع

(1) William L. Holladay. A Concise Hebrew and Aramaic Lexicon of the Old Testament. p. 279.

(2) Walter Bauer. A Greek – English Lexicon of the New Testament. p. 348. ..

(٣) د. القس فهيم عزيز. الوصايا العشر ص ٦٣..

(٤) الأب تادرس يعقوب ملطي. سفر الخروج. ص ٢٤٩..

(١٩)

هل هو إله ظالم؟

يسأل عدد كبير من الأصدقاء قائلين: نجد صعوبة كبيرة في فهم كلمات الرب: «لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ» (خر ٢٠: ٥). وقد كرر الرب هذه الكلمات أكثر من مرة (راجع: خر ٣٤: ٦-٧؛ تث ٥:٩). فأين العدالة؟ وما هو ذنب الأبناء والأحفاد حتى يعاقبهم الرب؟!

وللإجابة على هذا السؤال أقول:

عندما ندرس كلمة الله بعمق سنجد الملاحظات الآتية:

١ ـ عدالة الشريعة المدنية:

عندما أعطى الله موسى الشريعة المدنية لتنظيم المجتمع اليهودي قال له: «لاَ يُقْتَلُ الآبَاءُ عَنِ الأَوْلاَدِ، وَلاَ يُقْتَلُ الأَوْلاَدُ عَنِ الآبَاءِ. كُلُّ إِنْسَانٍ بِخَطِيَّتِهِ يُقْتَلُ» (تث ٢٤: ١٦). وهنا نجد العدالة. فما ذنب الابن حتى يُقتل بسبب خطية ارتكبها الأب أو العكس؟!

وهذا ما نفَّذه الملك أَمَصْيَا بْنُ يُوآشَ مَلِكِ يَهُوذَا الذي كان ملكًا تقيًا. فنقرأ الآتي: «وَلَمَّا تَثَبَّتَتِ الْمَمْلَكَةُ بِيَدِهِ، قَتَلَ عَبِيدَهُ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمَلِكَ أَبَاهُ. وَلكِنَّهُ لَمْ يَقْتُلْ أَبْنَاءَ الْقَاتِلِينَ حَسَبَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ شَرِيعَةِ مُوسَى، حَيْثُ أَمَرَ الرَّبُّ قَائِلًا: «لاَ يُقْتَلُ الآبَاءُ مِنْ أَجْلِ الْبَنِينَ، وَالْبَنُونَ لاَ يُقْتَلُونَ مِنْ أَجْلِ الآبَاءِ. إِنَّمَا كُلُّ إِنْسَانٍ يُقْتَلُ بِخَطِيَّتِهِ»» (٢مل ١٤: ٦).

إن عقاب الابن على جريمة ارتكبها الآب أو العكس شيء لا يقبله العقل أو المنطق. تخيل أن قاضي يحكم على طفل بالإعدام لأن أبيه قتل شخص ما عمدًا!!! أليس هذا جنون؟

٢ ـ عدالة القانون السماوي:

إن كان الله يدين الظلم، ويطلب البر والحق والعدل في القانون الأرضي فهل يكون القانون السماوي ظالمًا؟ كلا. لقد كان أحد الأمثال الشائعة في تلك الفترة بين شعوب الديانات الوثنية والحضارات القديمة «الآبَاءُ أَكَلُوا الْحِصْرِمَ وَأَسْنَانُ الأَبْنَاءِ ضَرِسَتْ». ولكننا نجد الرب يدخل في حوار مع شعبه لكي يريحه من كل جانب ويطمئن قلبه ولا يجعله يقلق من جهة هذا الاعتقاد، وحتى يمكن أن يواجه الحياة بتفاؤل وإشراقة أمل. فقال لهم على فم حزقيال النبي: «مَا لَكُمْ أَنْتُمْ تَضْرِبُونَ هذَا الْمَثَلَ عَلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، قَائِلِينَ: الآبَاءُ أَكَلُوا الْحِصْرِمَ وَأَسْنَانُ الأَبْنَاءِ ضَرِسَتْ؟ حَيٌّ أَنَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، لاَ يَكُونُ لَكُمْ مِنْ بَعْدُ أَنْ تَضْرِبُوا هذَا الْمَثَلَ فِي إِسْرَائِيلَ. هَا كُلُّ النُّفُوسِ هِيَ لِي. نَفْسُ الأَبِ كَنَفْسِ الابْنِ، كِلاَهُمَا لِي. اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ» (حز ١٨: ١-٥).

وكرر نفس الشيء على لسان إرميا قائلًا: «لاَ يَقُولُونَ بَعْدُ: الآبَاءُ أَكَلُوا حِصْرِمًا، وَأَسْنَانُ الأَبْنَاءِ ضَرِسَتْ. بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ يَمُوتُ بِذَنْبِهِ. كُلُّ إِنْسَانٍ يَأْكُلُ الْحِصْرِمَ تَضْرَسُ أَسْنَانُهُ» (إر ٣١:٢٩). «والمقصود بالموت هنا الموت الروحي بالانفصال عن الله، والموت الأبدي». وأسهب في الشرح على لسان حزقيال مؤكدًا له أنه لو أن هناك إنسانًا بارًا فَعَلَ حَقًّا وَعَدْلًا، وَسَلَكَ فِي فَرَائِضِ الرب وَحَفِظَ أَحْكَامِهِ لِيَعْمَلَ بها، فإنه حَيَاةً يَحْيَا. ولكن هذا الشخص البار إِنْ وَلَدَ ابْنًا مُعْتَنِفًا سَفَّاكَ دَمٍ، نَجَّسَ نفسه وحياته، فإنه لاَ يَحْيَا، بل مَوْتًا يَمُوتُ. دَمُهُ يَكُونُ عَلَى نَفْسِهِ. وهذا الشخص الشرير إِنْ وَلَدَ ابْنًا رَأَى جَمِيعَ خَطَايَا أَبِيهِ الَّتِي فَعَلَهَا، وَلَمْ يَفْعَلْ مِثْلَهَا، بَلْ بَذَلَ خُبْزَهُ لِلْجَوْعَانِ، وَكَسَا الْعُرْيَانَ ثَوْبًا، وَأَجْرَى أَحْكَامَ الرب وَسَلَكَ فِي فَرَائِضِهِ، فَإِنَّهُ لاَ يَمُوتُ بِإِثْمِ أَبِيهِ بل حَيَاةً يَحْيَا. ثم يؤكد الرب قائلًا: «الاِبْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ، وَالأَبُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الابْنِ. بِرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ، وَشَرُّ الشِّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ» (حز ١٨:١-٢٥).

٣ ـ الرب يسر بالرحمة:

إننا نعبد إلهًا محبًا ومحبته لا حدود لها، أما غضبه فله حدود وهذه الحدود متمثلة في عودة الشرير وطلب غفران الله، هذا الإله المحب المهيب يدخل في عتاب مع الشعب ويقول لهم: «مَاذَا وَجَدَ فِيَّ آبَاؤُكُمْ مِنْ جَوْرٍ حَتَّى ابْتَعَدُوا عَنِّي وَسَارُوا وَرَاءَ الْبَاطِلِ وَصَارُوا بَاطِلًا؟ وَلَمْ يَقُولُوا: أَيْنَ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، الَّذِي سَارَ بِنَا فِي الْبَرِّيَّةِ؟» (إر ٢: ٥- ٦). ويقول أيضًا على لسان زكريا: «ارْجِعُوا إِلَيَّ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ، فَأَرْجِعَ إِلَيْكُمْ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ. لاَ تَكُونُوا كَآبَائِكُمُ الَّذِينَ نَادَاهُمُ الأَنْبِيَاءُ الأَوَّلُونَ قَائِلِينَ: هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: ارْجِعُوا عَنْ طُرُقِكُمُ الشِّرِّيرَةِ وَعَنْ أَعْمَالِكُمُ الشِّرِّيرَةِ. فَلَمْ يَسْمَعُوا وَلَمْ يُصْغُوا إِلَيَّ» (زك ١: ٣-٤).

لو أن هذا الإله القدوس البار يعاقب الأبناء بذنب الآباء ما كان قد دخل معهم في حوار هنا وطلب التوبة، لكن هذا الإله الغفور يُسَرُّ بِالرَّأْفَةِ، لا يعذِّب شخصًا بارًا لأن أباه شرير! كلا. إنه يريد أن هذا الشرير يعود عن طرقه الرديئة، فهو يريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون، لذلك يقول لحزقيال: «هَلْ مَسَرَّةً أُسَرُّ بِمَوْتِ الشِّرِّيرِ؟ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. أَلاَ بِرُجُوعِهِ عَنْ طُرُقِهِ فَيَحْيَا؟ (حز ١٨:٢٣). نعم مسرة الرب هي برجوع الشرير عن طرقه الشريرة، وطلب رحمته ونعمته.

ويقول ميخا: «مَنْ هُوَ إِلهٌ مِثْلُكَ غافِرٌ الإِثْمَ وَصَافِحٌ عَنِ الذَّنْبِ لِبَقِيَّةِ مِيرَاثِهِ! لاَ يَحْفَظُ إِلَى الأَبَدِ غَضَبَهُ، فَإِنَّهُ يُسَرُّ بِالرَّأْفَةِ. يَعُودُ يَرْحَمُنَا، يَدُوسُ آثَامَنَا، وَتُطْرَحُ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ جَمِيعُ خَطَايَاهُمْ» (مي ٧: ١٨-١٩).

والسؤال الذي يطرح نفسه: إن كان الله رؤوف ورحيم وبار وعادل فما هو المقصود بعبارة: «أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ؟»

وللرد نقول:

(١) إعلان أن الله لا يتهاون مع الخطية:

عندما ندرس الآية بتدقيق نجد أن الرب يقول: «لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ» (خر ٢٠: ٥). فهو يؤكد هنا أن العقاب سيستمر طالما أن الأبناء نهجوا نفس نهج آبائهم في الإثم والخطية. وهكذا يقول القديس يوحنا ذهبي الفم:

«ليس معنى هذا أن إنسانًا يتحمل وزر غيره، ولكن مادام هذا الإنسان لا يزال يرتكب نفس الخطايا التي فعلها أباؤه ولم ينصلح حاله، فبعدل يستحق العقاب أيضًا»[1]. ويقول ج. س. كونيل: «إن الله لا يعاقب الأبناء على ذنوب آبائهم، إلاَّ إذا ما اقترف الأبناء الذنوب عينها التي اقترفها آباؤهم، فإنهم يعانون بالطريقة عينها (مِنْ مُبْغِضِيَّ)»[2].

إذًا الله لا يعاقب الأبناء والأحفاد بخطايا آبائهم بل بخطاياهم هم. فالأبناء هنا يسيرون على نهج آبائهم في بغض الله. فقد أضاف عبارة «مِنْ مُبْغِضِيَّ»، وفي تثنية ٥:٩ يقول: «مِنَ الَّذِينَ يُبْغِضُونَنِي» أي لو استمر الأبناء في شرور والديهم حتى الجيل الثالث والرابع بل وإلى ألف جيل، فكما يقول آلان كول (R. Alan Cole) تعبير «فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ» كانت عبارة نمطية شائعة في اللغة السامية تشير إلى معنى الاستمرار، وليس المقصود بها معنى حسابيًا، كما إنها تنطبق على أولئك الذين يكرهون الرب، الذين يرفضون أن يعيشوا طبقًا لمشيئته[3].

(٢) تأكيد أن الله طويل الروح وكثير الرحمة:

فالفعل (أَفْتَقِدُ) في اللغة العبرية هو (פקד) (بقاد) وهو لا يعني فقط «أعاقب» بل يحمل عدة معانٍ منها: (يزور، يراقب، يشرف، يلاحظ، يفتقد، يعين، يحاسب، يعد، ينظر، يعاقب، يتعهد)[4].

(to attend to, muster, number, reckon, to visit, punish, appoint, look after, care for, to oversee, miss, commit, count, deliver to keep)[5]

وقد ورد هذا الفعل في العهد القديم ٢٩٥ مرة، وأرجو أن تتأمل معي في بعض الآيات التي ورد فيها الفعل (أَفْتَقِدُ) (פקד)[1]:

(تك ٢١:١) «وَافْتَقَدَ (פקד) الرَّبُّ سَارَةَ كَمَا قَالَ وَفَعَلَ الرَّبُّ لِسَارَةَ كَمَا تَكَلَّمَ».

(تك ٥٠:٢٤) وَقَالَ يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ: (أَنَا أَمُوتُ وَلَكِنَّ اللهَ سَيَفْتَقِدُكُمْ (פקד) وَيُصْعِدُكُمْ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي حَلَفَ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ).

(تك ٥٠:٢٥) وَاسْتَحْلَفَ يُوسُفُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلًا: اللهُ سَيَفْتَقِدُكُمْ (פקד) فَتُصْعِدُونَ عِظَامِي مِنْ هُنَا.

(مز ٨:٤) فَمَنْ هُوَ الإنسان حَتَّى تَذْكُرَهُ وَابْنُ آدَمَ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ (תפקדנו)!

(مز ١٧:٣) جَرَّبْتَ قَلْبِي. تَعَهَّدْتَهُ (פקדת) لَيْلًا. مَحَّصْتَنِي. لاَ تَجِدُ فِيَّ ذُمُومًا. لاَ يَتَعَدَّى فَمِي.

(مز ٣١:٥) فِي يَدِكَ أَسْتَوْدِعُ (אפקיד) رُوحِي. فَدَيْتَنِي يَا رَبُّ إِلَهَ الْحَقِّ.

(مز ٦٥:٩) تَعَهَّدْتَ (פקדת) الأَرْضَ وَجَعَلْتَهَا تَفِيضُ. تُغْنِيهَا جِدًّا. سَوَاقِي اللهِ مَلآنَةٌ مَاءً. تُهَيِّئُ طَعَامَهُمْ لأَنَّكَ هَكَذَا تُعِدُّهَا.

(مز ٨٠:١٤) يَا إِلَهَ الْجُنُودِ ارْجِعْ. اطَّلِعْ مِنَ السَّمَاءِ وَانْظُرْ وَتَعَهَّدْ (ופקד) هَذِهِ الْكَرْمَةَ.

(مز ١٠٦:٤) اذْكُرْنِي يَا رَبُّ بِرِضَا شَعْبِكَ. تَعَهَّدْنِي (פקדני) بِخَلاَصِكَ.

(إش ٦٢:٦) عَلَى أَسْوَارِكِ يَا أُورُشَلِيمُ أَقَمْتُ (הפקדתי) حُرَّاسًا لاَ يَسْكُتُونَ كُلَّ النَّهَارِ وَكُلَّ اللَّيْلِ عَلَى الدَّوَامِ. يَا ذَاكِرِي الرَّبِّ لاَ تَسْكُتُوا.

(إر ١:١٠) اُنْظُرْ! قَدْ وَكَّلْتُكَ (הפקדתיך) هَذَا الْيَوْمَ عَلَى الشُّعُوبِ وَعَلَى الْمَمَالِكِ لِتَقْلَعَ وَتَهْدِمَ وَتُهْلِكَ وَتَنْقُضَ وَتَبْنِيَ وَتَغْرِسَ.

(إر ١٥:١٥) أَنْتَ يَا رَبُّ عَرَفْتَ. اذْكُرْنِي وَتَعَهَّدْنِي (ופקדני) وَانْتَقِمْ لِي مِنْ مُضْطَهِدِيَّ. بِطُولِ أَنَاتِكَ لاَ تَأْخُذْنِي. اعْرِفِ احْتِمَالِي الْعَارَ لأَجْلِكَ.

(إر ٢:٢٣) لِذَلِكَ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ عَنِ الرُّعَاةِ الَّذِينَ يَرْعَوْنَ شَعْبِي: «أَنْتُمْ بَدَّدْتُمْ غَنَمِي وَطَرَدْتُمُوهَا وَلَمْ تَتَعَهَّدُوهَا (ופקדתם). هَئَنَذَا أُعَاقِبُكُمْ عَلَى شَرِّ أَعْمَالِكُمْ يَقُولُ الرَّبُّ».

(إر ٤:٢٣) وَأُقِيمُ عَلَيْهَا رُعَاةً يَرْعَوْنَهَا فَلاَ تَخَافُ بَعْدُ وَلاَ تَرْتَعِدُ وَلاَ تُفْقَدُ (ופקדו) يَقُولُ الرَّبُّ.

ولهذا فآية موضوعنا ترد في التراجم المختلفة كالآتي:

(ك ح) «لأني أنا الرب إلهك، إله غيور، أفتقد آثام الآباء في البنين حتى الجيل الثالث والرابع من مبغضي».

(ESV), (ASV) for I Jehovah thy God am a jealous God, visiting the iniquity of the fathers upon the children, upon the third and upon the fourth generation of them that hate me,

(KJV), (MKJV), (Darby), (LITV) for I am Jehovah your God, a jealous God, visiting the iniquity of fathers on sons, on the third and on the fourth generation, to those that hate Me;

(JPS), (Webster), (RV), (DRB) for I the LORD thy God am a jealous God, visiting the iniquity of the fathers upon the children, upon the third and upon the fourth generation of them that hate me;

لذلك يرى البعض أن المقصود من كلمة (أَفْتَقِدُ) (פקד) هو أن الرب عندما يرى تيار الشر والفساد من عبادة أوثان وسحر وشعوذة وزيغان عن الرب بدأ يستشري في جيل معين فهو يتمهل عليهم ولا يفنيهم مباشرة، ولكن يضعهم تحت الملاحظة، ويرسل لهم مئات بل آلاف التحذيرات لكي يرجعوا عن شرهم، ويستمر في مراقبتهم جيلًا بعد جيل، ولكن عندما يرى أن شرهم كثر وتضخم، وانتشر وزاد من جيل إلى جيل فيأتي العقاب الجماعي بعد عدة أجيال، بعد أن يكون قد أعطاهم زمانًا طويلاً للتوبة والرجوع ولم يحدث، بل وأصروا على فعل الشر ونشره في بقية الشعوب، وأصبحت خطيتهم مثل السرطان المميت.

إذًا فالمعنى عكس ما قصده المشكك فالرب يقول إنه يترك زمانًا للتوبة مع التحذيرات والإنذارات والملاحظة حتى الجيل الثالث والرابع وإن لم يتوبوا يأتي العقاب الجماعي لأنهم لم يستغلوا زمان التوبة.

فهذه الآية تذكّرنا بالصورة التي قدمها المسيح في مثل التينة التي لم تثمر وكان يجب أن تُقطع ولكن جاء الصوت: «اتْرُكْهَا هَذِهِ السَّنَةَ أَيْضًا حَتَّى أَنْقُبَ حَوْلَهَا وَأَضَعَ زِبْلًا. ٩فَإِنْ صَنَعَتْ ثَمَرًا وَإِلاَّ فَفِيمَا بَعْدُ تَقْطَعُهَا» (لو١٣: ٨،٩).

(٣) يؤكد أن للخطية نتائج بعيدة المدى:

للخطية عقاب روحي وأبدي ونفسي وصحي ومالي واجتماعي، أما العقاب الروحي والأبدي فيُرفَع بالاعتراف والتوبة والإيمان، فلا يكون شيء من الدينونة على الذين في المسيح (رو ٨: ٢)، ولا يعاقب الله أحدًا على خطية غيره، فكل واحد مسئول عن نفسه. غير أن العقاب الصحي والمالي والاجتماعي يظل يعاني منه الإنسان وقد

يستمر إلى الجيل الثالث والرابع. تخيل شخصًا سقط في خطية الإدمان، وعاش سنينًا، وباع كل ما يملك، وقُبِض عليه، وسُجِن لمدة سنتين، وبعد ذلك تاب وآمن، لكن الكبد الذي تهرأ من المخدرات والمسكرات سيظل كما هو، وكذلك ربما يعاني سنينًا من نظرة المجتمع له، وسيدفع أبناؤه ثمنًا غاليًا، من سمعة سيئة، وديون، وهناك أمراض وراثية بسبب ممارسة الجنس خارج نطاق الزواج، يدفع الأبناء ثمنها، وهناك ديون بسبب إسراف الآباء أو سوء إدارتهم يضطر الأبناء إلى سدادها، وهناك صيت سيء بسبب سوء تصرف الآباء يلوث سمعة العائلة.

يقول قداسة البابا شنوده الثالث: «الأبناء يحملون ذنوب آبائهم على الأقل في قوانين الوراثة الطبيعية فالأب الفاسد أو المذنب كثيرًا ما يُورِّث ابنه أمراضًا في الجسد، أو يورِّثه طباعًا رديئة، أشياء كثيرة يرثها الأبناء لا ذنب لهم فيها، سواء في صحتهم، أو في طباعهم، بالإضافة إلى ما يرثونه من جهة الحالة الاجتماعية أو السمعة وما يشبهها، يرث الأبناء الكثير من آبائهم، كما يرثون الشكل أو الطبع أو العقل مثلًا، أما من جهة خلاص النفس، فلا ذنب للابن في خطية أبيه، لا يهلك بسببها في مصيره الأبدي»[٧].

ومرة أخرى أؤكد أن ابن السارق قد يعاني ضيقه مادية، أو سمعة سيئة، أو مشاكل اجتماعية بسبب خطية أبيه، ولكنه لن يُدان بسبب خطية أبيه، والأب المستهتر في علاقاته الجنسية قد يمرض بمرض معدٍ مثل الإيدز فينقله لابنه، والأب يُدان أمام الله علي زناه، ويحمل الابن هذا المرض أو غيره من الأمراض الوراثية ويجني ثمار شر أبيه ولكنه لا يدان أمام الله لأنه لم يزن.

(٤) إعلان أن هناك مسئولية جماعية:

إننا نعيش في عالم تقع فيه علينا مسئولية كبيرة من نحو الآخرين، فكل ما نفعله له تأثير على من حولنا، فالأعمال الصالحة التي نفعلها تأتي بالبركة ليس على أنفسنا فقط بل على غيرنا أيضًا، كما أن أعمالنا السيئة لها ذات التأثير، فالجنين الذي يتغذى على دم أم غضوب يحمل ثمار هذا الغضب في صحته الجسدية والنفسية، وكثيرًا ما يحل بالأطفال البؤس والشقاء نتيجة شر والديهم أو قرار خاطئ اتخذوه، وكثيرًا ما تتبارك الكنيسة كلها بسبب وجود قائد مبارك فيها والعكس صحيح، والجندي المهمل قد يسبِّب هزيمة الجيش كله، والخطية الحادثة في جيل تؤثر على الأجيال التي تأتي بعده، فعندما يأتي جيل مبارك يقود الكنيسة برؤية واضحة وبحماس فإن الكنيسة تتبارك لأجيال من بعده، وإذا جاء مثلًا جيل شرير يقود دولة فإنه يدمرها وتظل الأجيال التالية من بعدهم تدفع الثمن، ألم يكن ابن العبد قديمًا يخرج للدنيا وارثًا العبودية، ومن يولد تحت الاحتلال يخرج للدنيا محتلًا.

عزيزي القارئ: إن كل ما تفعله لا يؤثر عليك فقط، بل أيضًا على أبنائك وأحفادك والمجتمع بأكمله فلتحذر.

المراجع

(١) دير القديس أنبا مقار. شرح سفر الخروج. ص ٤٦١.

(٢) ج. س. كونيل. مركز المطبوعات المسيحية. تفسير الكتاب المقدّس ج١. ص٢٤٤.

(٣) آلان كول. التفسير الحديث. الخروج. ص١٧٧...

(4) Karl Feyerabend. *Langenschebrew Pocket Hebrew Dictionary to the O. T. . U. S. A. .* pp. 178 -188

(5) Enhanced Brown-Driver-Briggs Hebrew and English Lexicon. p. 394.

(6) Strong's Exhaustive Concordance Lexicon Entries. Hebrew and Greek. p. 284.

(٧) البابا شنودة الثالث. الوصايا العشر. ص ٣٦- ٣٩.

(٢٠)

هل هو إله جبار وقاس؟

«وَأَخَذَ ابْنَا هَارُونَ: نَادَابُ وَأَبِيهُو، كُلٌّ مِنْهُمَا مِجْمَرَتَهُ وَجَعَلاَ فِيهِمَا نَارًا وَوَضَعَا عَلَيْهَا بَخُورًا، وَقَرَّبَا أَمَامَ الرَّبِّ نَارًا غَرِيبَةً لَمْ يَأْمُرْهُمَا بِهَا. فَخَرَجَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ وَأَكَلَتْهُمَا، فَمَاتَا أَمَامَ الرَّبِّ. ٣فَقَالَ مُوسَى لِهَارُونَ: «هذَا مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ قَائِلًا: فِي الْقَرِيبِينَ مِنِّي أَتَقَدَّسُ، وَأَمَامَ جَمِيعِ الشَّعْبِ أَتَمَجَّدُ». فَصَمَتَ هَارُونُ» (لا ١٠: ١-٣).

كيف ولماذا أحرق الله ناداب وأبيهو ابني هارون؟

ما هي النار الغريبة؟

هل كانت الجريمة تستحق كل هذا العقاب؟

ألم يكن هذا العقاب قاسيًا جدًا على هارون؟

أولًا: منْ هما ناداب وأبيهو؟

هما أكبر أبناء هارون وأليشابع بنت عميناداب أخت نحشون (خر ٦: ٢٣، عد ٢:٣، ١أخ ٢٤: ١). وُلدا في أرض مصر، وهناك عاينا أعظم أعمال الله وعجائبه مع شعبه، وقد صعدا هما وهارون أبيهما وسبعين من شيوخ إسرائيل مع موسى إلى جبل سيناء لحضور الاحتفال الذي جرى بعد إبرام العهد بين الله وبين بني إسرائيل، وكان هؤلاء ممثلين عن بني إسرائيل، واقترب موسى وحده إلى الرب، حيث أعطاه لوحي الشريعة، وهناك شاهدوا مجد الرب فوق الجبل (خر ٢٤: ١- ١٠). وبعد أن انتهى موسى من إعداد خيمة الاجتماع وهيأها لخدمات العبادة، احتفل بتنصيب هارون وأبنائه الأربعة كأول كهنة للرب في إسرائيل، فغسلهم بالماء، ومسحهم بالزيت وألبسهم الملابس الكهنوتية: أقمصة ومناطق وقلانس وسروايل زاهية خاصة بهم (خر ٢٨ ؛ ٤٠: ١٣- ١٦ ؛ لا ٨)، وقدَّم عنهم ذبيحة خطية وكبش محرقة وكبش ملء، وأمرهم بملازمة خيمة الاجتماع سبعة أيام (لا ٨) وفي اليوم الثامن دعا موسى هارون وبنيه الأربعة، فبدأ هارون يمارس عمله الكهنوتي حيث قدَّم ذبائح عن نفسه وعن الشعب، وعندما أظهر الشعب وقادته خضوعهم للوصايا الإلهية «تَرَاءَى مَجْدُ الرَّبِّ لِكُلِّ الشَّعْبِ وَخَرَجَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ وَأَحْرَقَتْ عَلَى الْمَذْبَحِ الْمُحْرَقَةَ وَالشَّحْمَ. فَرَأَى جَمِيعُ الشَّعْبِ وَهَتَفُوا وَسَقَطُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ» (لا ٩:٢٣، ٢٤).

ثانيًا: ما هي خطيتهما التي استحقا عليها كل هذا العقاب؟

(١) استخدما نارًا غريبة لم يأمرهما بها الرب:

لقد تقدَّم كل من ناداب وأبيهو ابني هارون من الرب حاملين كلٌ منهما مجمرته، وجعل فيها نارًا، ووضع عليها بخورًا، إلا أنها كانت نارًا غريبة فنقرأ: «وَقَرَّبَا أَمَامَ الرَّبِّ نَارًا غَرِيبَةً لَمْ يَأْمُرْهُمَا بِهَا». وهي تأتي في الترجمات الأخرى:

(ك ح) «ثُمَّ وَضَعَ نَادَابُ وَأَبِيهُو، ابْنَا هارون، فِي مِجْمَرَتَيْهِمَا نَارًا غَيْرَ مُقَدَّسَةٍ، وَبَخُورًا عَلَى خِلاَفِ

مَا أَمَرَهُمَا الرَّبُّ. وَقَرَّبَا أَمَامَ الرَّبِّ».

(ت ع م) «... وجعل فيها نارا ووضع عليها بخورا، وقرب أمام الرب نارًا غير مقدسة لم يأمرهما بها».

(ت ك) «... فجعل فيها نارا ووضع عليها بخورا، وقربا أمام الرب نارًا غير مقدسة لم يأمرهما بها».

(ISV) and brought it into the LORD's presence as unauthorized fire that he had never prescribed for them.

وَقَرَّبَا أَمَامَ الرَّبِّ نارًا غير مصرَّح بها لم يقرِّبها إطلاقًا لهم

(GNB) But this fire was not holy, because the LORD had not commanded them to present

ولكن هذه النار كانت غير مقدسة لم يأمرهما بتقديمها

فهي نار غير مقدسة، لم يأمرهما بها الرب، وتوصف بأنها كانت «نارًا غريبة» وذلك لأنها لم تُؤخَذ من النار المتقدة على الدوام على مذبح المحرقة «نَارٌ دَائِمَةٌ تَتَّقِدُ عَلَى الْمَذْبَحِ. لاَ تَطْفَأُ» (لا ٦: ١٣). التي كان يهوه نفسه قد أوقدها وأمر باستخدامها، وكان الكاهن الذي يُقدِّم البخور مُلزَم أن يأخذ من هذه النار بحسب الأمر الإلهي «وَيَأْخُذُ مِلْءَ الْمَجْمَرَةِ جَمْرَ نَارٍ عَنِ الْمَذْبَحِ مِنْ أَمَامِ الرَّبِّ وَمِلْءَ رَاحَتَيْهِ بَخُورًا عَطِرًا دَقِيقًا وَيَدْخُلُ بِهِمَا إِلَى دَاخِلِ الْحِجَابِ» (لا ١٦: ١٢).

فالخطية الأساسية هنا ترد في عبارة «لَمْ يَأْمُرْهُمَا بِهَا». لقد فعلا شيئًا لم يأمر به الله، بالرغم من معرفتهما بوصاياه وتعليماته، فأبوهما هارون، وعمهما موسى، شاهدا مجد الرب في مصر، وكانا مع موسى على الجبل، مما ألقى مسئولية أكبر على عاتقهما، كما أنهما كانا في مركز القيادة، فإن استهانا بالمقدَّسات ينحرف كل الشعب وراءهما، ثم إن النار المقدسة كانت في متناول يدهما، فأي عذر لهما عندما جلبا نارًا غريبة؟!

لكن يبدو أن ناداب وأبيهو أرادا تغيير الطقس الموضوع بعمل شيء مخالف، ورفضا الطريقة التي أوصى بها الرب، وقررا أن يتقدما منه بطريقتهما الخاصة، ودائمًا يكون الدافع هو: «لماذا لا أصنع شيئًا خلاف المعتاد؟ لماذا لا أصنع طريقًا آخر؟ لماذا لا أجذب الأنظار؟» ولرغبة الرب في وضع حد سريع لهذا الانحراف ومقاومة الشر كي لا يؤدي إلى الانشقاقات، وما أسهل زيغان الإنسان في ذلك العهد، لذا كان الردع سريعًا، وجاءت العقوبة الإلهية فورية، «فَخَرَجَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ وَأَكَلَتْهُمَا، فَمَاتَا أَمَامَ الرَّبِّ». فإلهنا نار آكلة تأكل كل شر وشبه شر.

(٢) تعديا على رئيس الكهنة:

المفروض أن من يقدم البخور هو الكاهن الذي قدَّم الذبيحة وكان في ذلك الوقت هو هارون وليس أحد أبنائه الذين كانوا يناولونه فقط «ثُمَّ ذَبَحَ الْخُرْقَةَ فَنَاوَلَهُ بَنُو هَارُونَ الدَّمَ فَرَشَّهُ عَلَى الْمَذْبَحِ مُسْتَدِيرًا. ١٣ثُمَّ نَاوَلُوهُ الْخُرْقَةَ بِقِطَعِهَا وَالرَّأْسَ فَأَوْقَدَهَا عَلَى الْمَذْبَحِ» (لا ٩: ١٢، ١٣). وليس هذا فقط بل في وجود رئيس الكهنة ما كان يحق لهما تقديم البخور، لكن للأسف أخذا دور أبيهما، وهو تساهل ولم ينتهرهما. وهنا يقول «أوزوالد

ت. ألس» (Oswald T. Allis): «كان تقدمهما على أبيهما في أول مرة يتم فيها هذا العمل الخطير تطفلًا، وعجرفة أيضًا، وكان الهدف تمجيد أنفسهما، بل وحب الظهور القاتل»[1].

(٣) حولا هيكل الرب إلى حلبة صراع ومنافسة:

يوضح «أوزوالد ت. ألس» (Oswald T. Allis) أن خطية ناداب وأبيهو أنهما فعلا ما فعلا بمقتضى رأيهما الخاص كليةً وليس بمقتضى أمر الرب أو موسى، فقد أوقدا البخور في غير وقته، لأنه كان من المفروض أن يقترن تقديم البخور بذبيحة الصباح أو ذبيحة المساء (خر ٣٠: ٧، ٨). إلى جانب أنهما قدما البخور في وقت واحد، بينما كان من المفروض أن يقدمه واحد فقط، مما يؤكد وجود غيرة مرّة، ومنافسة مريضة بينهما، وكل واحد يصارع ليصبح هو رئيس الكهنة، وبذلك حوَّلا مكان العبادة إلى حلبة مصارعة.

(٤) كانا في حالة سكر:

جاء في التقليد اليهودي أن ناداب وأبيهو قدما نارًا غريبة وهما في حالة سكر، ولم يكونا في وعيهما، مما أفقدهما التمييز بين الخطأ والصواب وبين النجس والطاهر. ولذلك نجد أن الوصية الإلهية لهارون بالتحذير من شرب الخمر جاءت عقب هذه الحادثة مباشرة فنقرأ: «وَقَالَ الرَّبُّ لِهَارُونَ: «خَمْرًا وَمُسْكِرًا لاَ تَشْرَبْ أَنْتَ وَبَنُوكَ مَعَكَ عِنْدَ دُخُولِكُمْ إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ لِكَيْ لاَ تَمُوتُوا. فَرْضًا دَهْرِيًّا فِي أَجْيَالِكُمْ وَلِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمُقَدَّسِ وَالْمُحَلَّلِ وَبَيْنَ النَّجِسِ وَالطَّاهِرِ وَلِتَعْلِيمِ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَمِيعَ الْفَرَائِضِ الَّتِي كَلَّمَهُمُ الرَّبُّ بِهَا بِيَدِ مُوسَى» (لا ١٠: ٨-١٠).

كانا يجب أن يُدرِكا أنه ينبغي أن يستعدا بكل حرص وقداسة قبل الدخول إلى المقدس حيث يستعلن حضور الرب، لكن للأسف يبدو أنهما دخلا القدس وهما سكارى، أو ربما سكرا داخل القدس، مما أربك عقلهما وأظلم إدراكهما الأدبي بحيث لم يفطنا إلى الفرق بين ما هو مقدس وما هو دون ذلك، وفقدا القدرة على التمييز بين النار المقدسة التي كان يجب أن تُقدَّم للرب وغيرها، فقدما نارًا غريبة، وتنافسا على تقديم البخور، وتجاوزا حدودهما، وأصبحا غير أهل لوظيفتهما المقدسة، فأحرقتهم نار الرب المنحدرة من السماء.

وبالتأكيد ما كان يمكن لناداب وأبيهو أن يقدما على ارتكاب خطية ميتة مثل هذه لو لم يكونا قد سكرا بتعاطيهما الخمر بلا رادع قبل ذلك مرات عديدة.

فيبدو أنهما لم يتدربا في شبابهما على فضيلة ضبط النفس، ويبدو أن ميل أبيهما إلى السلبية والاستسلام وعدم وقوفه بقوة في وجه الخطأ انعكس على تربية أبنائه، إذ سمح لهما باتِّباع ميولهما كما سمح لبني إسرائيل من قبل بعمل العجل الذهبي وعبادته. فلم يستطيعا توقير أقدس وظيفة، ولم يتعلما احترام سلطة أبيهما، ولم يتحققا من ضرورة الطاعة الكاملة لمطاليب الرب. إن تدليل هارون الخاطئ لابنيه جعلهما يتعرضان لدينونة الله. وجعلت هارون نفسه يجتاز في أكبر أزمة، إذ يرى اثنين من أولاده يحترقان أمامه. وكان رد فعله عندما قال له موسى: «هَذَا مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ قَائِلًا: فِي الْقَرِيبِينَ مِنِّي أَتَقَدَّسُ وَأَمَامَ جَمِيعِ الشَّعْبِ أَتَمَجَّدُ». يقول: «فَصَمَتَ هَارُونُ» لأنه يدرك أنْ عليه جزءًا كبيرًا من المسئولية.

ويعلق القديس جيروم قائلًا: «الخمر تفقد

الكاهن اتزانه وتَعقُّلَه فلا يعرف أن يميز بين الطاهر والنجس، ويفقد قدرته على تعليم الشعب الوصايا الإلهية». ويضيف: «ليحفظ الله عقولهم من غباء السكر، ويمكنهم من فهم ممارسة واجباتهم في خدمة الله».

وقال آخر: «يجب على من يقترب من الأقداس أن لا يسكر بالخمر، وأن يكون قادرًا على أن يميز لشعبه بين الصواب والخطأ، والطاهر والنجس، وأن لا يدنو من المنبر وهو غائب العقل. ليس من النبيذ فقط، بل ومن كل شيء يغيِّب العقل؛ من محبة المال، والغضب، والشهوة، وحب الظهور، ووهم السلطة، والقلق على أمور الدنيا، وما يشبه ذلك».

ثالثًا: دروس هامة:

(١) لا يوجد مَنْ هو أكبر من أن يُجَرَّب:

عزيزي القارئ: احترس من عدو الخير فليس له كبير فها هو هنا يُسقِط ابنى هارون الكبيرين اللذين شاهدا مجد الرب على الجبل (خر ٢٤: ٩، ١٠)، واختارهما الله لكرامة الكهنوت، وقضوا سبعة أيام في الخيمة! وأسقط موسى، وأسقط داود، وإيليا وبطرس...الخ! وفي بجاحة تقدم إلى الرب يسوع ليجربه وهو يعلم أنه رب المجد كلي القداسة والطهارة، وكانت المعركة شرسة، فاحترس، وكن يقظًا دائمًا سواء كنت قسيسًا أو شيخًا أو شماسًا... الخ لأن إبليس خصمنا كأسد زائر يجول ملتمسًا من يبتلعه هو. لذلك قال المسيح: «اِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلَّا تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ» (مت ٢٦: ٤١). وعلمنا أن نصلي: «وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لَكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ» (مت ٦:١٣).

(٢) لا يوجد مكان يحمينا من التجارب:

لقد أسقط عدو الخير ناداب وأبيهو وهما في داخل القدس! ومن قبل ذلك أسقط أبوينا الأولين وهما في الجنة! وجاء المجرب إلى يسوع وهاجمه وهو على جناح الهيكل، وجرَّبه أيضًا وهو في البرية وحده بعيدًا عن صخب الحياة وضوضائها. ونحن كثيرًا ما نظن أن المجتمع والبيئة التي نعيش فيها، والناس والأحداث هي سبب كل الشرور التي نحن فيها، وإننا إذا ابتعدنا سوف نحيا في قداسة، وهذا غير صحيح. يعلق الأب مرقس داود قائلًا: «إن الذين يعتزلون في البراري والمغاير ظنًا منهم بأنهم يهربون من أعدائهم الروحيين لا يمكن إلا أن يجدوهم هنالك أيضًا». فالمشكلة ليست في المجتمع ولا في الناس ولا في الظروف إنها في داخلنا، فمن يريد أن يعيش للمسيح بطهارة ونقاء سيعيش مهما كانت الظروف المحيطة، ويمكن للإنسان أن يكون وحده في غرفة مغلقة ويفكر أنجس وأشر الأفكار. فكما قال أحد الحكماء: «إن موطن الداء في داخلنا لا في أطراف أصابعنا». لذلك لنصرخ مع داود: «قَلْبًا نَقِيًّا اخْلُقْ فِيَّ يَا اللهُ وَرُوحًا مُسْتَقِيمًا جَدِّدْ فِي دَاخِلِي» (مز ٥١: ١٠).

(٣) احترس من لحظات المجد والنجاح:

لقد أسقط عدو الخير ناداب وأبيهو بعد أن شاهدا مجد الرب على الجبل (خر ٢٤: ٩، ١٠). وبعد أن احتفل موسى بتنصيبهما كهنة للرب، وبعد أن قضوا ٧ أيام في خيمة الاجتماع! ألم يُسقِط نوح بعد حادثة الطوفان، التي رأي فيها سلطان الله على كل الكون، فسكر وتعرى! ألم يُسقِط لوط أيضًا بعد أن خرج بمعجزة من سدوم! ألم يُسقِط داود بعد أن أصبح ملكًا؟ إن عدو الخير لا يتورع عن الهجوم على أقدس الناس في أقدس الأماكن وبعد أمجد اللحظات.

لذلك كن يقظًا عند النجاح والمجد والشهرة، فإن كان هناك العشرات الذين سقطوا بعد الفشل فهناك المئات بل والألوف الذين سقطوا بعد النجاح.

إن إيليا، بعد انتصار عظيم ومجد غير عادي في مواجهة أخآب وأنبياء البعل، وبعد أن نزلت نار الرب من السماء وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب والمياه التي في القناة، وبعد أن نزل المطر الغزير استجابة لصلاته (١مل ١٨)، نجده بعد ذلك مباشرة يهرب إلى بئر سبع ويطلب الموت لنفسه بعد تهديدات إيزابل له (١مل١٩: ٣، ٤).

احترس عند النجاح، فقد يصيبك النجاح بشيء من الغرور، أو الثقة الزائدة في النفس، أو الاتكال على ما تملك من مال أو جاه أو نفوذ، وقد يجعلك النجاح أكثر انشغالًا بأعمالك ونجاحك على حساب علاقتك الشخصية بالرب وخدمته فتسقط.

(٤) أهمية القداسة لخدام الرب:

بعد أن سقط ناداب وأبيهو في الخطية، جاءت العقوبة الإلهية فورية «فَخَرَجَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ وَأَكَلَتْهُمَا، فَمَاتَا أَمَامَ الرَّبِّ». والعجيب هنا هو أن النار قتلتهما لكنها لم تحرقهما، بل بقي جسدهما كاملًا، وحتى قميصيهما لم يحترقا، ليعلم الجميع أن هذه النار تختلف عن أي نار أخرى، وإنها تمثل عقوبة إلهية.[٢] فقال موسى لهارون: «هذَا مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ قَائِلًا: فِي الْقَرِيبِينَ مِنِّي أَتَقَدَّسُ، وَأَمَامَ جَمِيعِ الشَّعْبِ أَتَمَجَّدُ». فَصَمَتَ هَارُونُ» (لا ١٠: ٢، ٣).

وهنا يذكِّر موسى هارون أخاه بقول للرب كان قد سمعه من قبل وأخبره به، أو ربما يكون موسى بقوله هذا يشير لقول الرب «وَلْيَتَقَدَّسْ أَيْضًا الْكَهَنَةُ الَّذِينَ يَقْتَرِبُونَ إِلَى الرَّبِّ لِئَلاَّ يَبْطِشَ بِهِمِ الرَّبُّ» (خر ١٩: ٢٢). والمعنى هنا هو أن الله عيَّن الكهنة ليقدسوه وسط الشعب كوسطاء بينه وبينهم، فعليهم أن يعيشوا حياة مقدسة لائقة بخدام الله لإعلان قداسة الإله الذي يمثلونه. فعندما يعيش الكاهن حياة مقدسة سيظهر الله قداسته فيه، وهذا هو معنى «فِي الْقَرِيبِينَ مِنِّي أَتَقَدَّسُ». أما لو أهمل الكهنة في قداستهم، فإنهم سيتعرضوا لتأديبات قاسية وعلانية أكثر من الشعب. فإن كان ينبغي أن كل المؤمنين يطيعوا الله ووصاياه فكم بالأحرى خدامه، وهؤلاء إن لم يطيعوه تكون دينونتهم أعظم. والله يتمجد ويظهر قداسته بعقابهم وأنه رافض للخطية أيًا كان مصدرها. وهذا معنى «وَأَمَامَ جَمِيعِ الشَّعْبِ أَتَمَجَّدُ». ولاحظ هنا أن الله استغنى بهذه الضربة عن نصف عدد الكهنة مرة واحدة بالرغم من أن الكاهنين الاثنين المتبقين لن يكفيا خدمة ملايين الشعب، ولكن هذا ليؤكد مدى اهتمامه بالقداسة، وبأهمية طاعة وصاياه.

(٥) مَنْ يعرف أكثر يُدان أكثر:

لقد كان العقاب رهيبًا، لأن من يعرف أكثر يُدان أكثر. فقد كان مركز ناداب وأبيهو أعلى مركز في إسرائيل بعد موسى وهارون، ولقد أكرمهما الله بنوع خاص، إذ سمح لهما مع الشيوخ السبعين برؤية مجده في الجبل، ولذلك معصيتهما لم يعف عنها ولا استخف بها، بل كل هذا زاد من شناعة خطيتهما في نظر الله، إذ كونهما قد حصلا على نور عظيم، وأصبحا مثل رؤساء إسرائيل الذين صعدوا إلى الجبل، وكان لهما امتياز الشركة مع يهوه والسكنى في نور مجده، لذلك لم يكن لهما

عذر أو يخدعا أنفسهما بأنه يمكنهما أن يخطئا ويعفو الرب عنهما، وأنه لكونهما قد حصلا على هذه الكرامة لن يدقق الرب معهما ويعاقبهما على إثمهما. تلك خدعة قاتلة. إن النور العظيم والامتيازات العظيمة الممنوحة للإنسان ينبغي أن تُقابل بتجاوب ومسئولية أكبر من الفضيلة والقداسة يتناسب مع النور المُعطَى له. فالرب لا يقبل شيئًا أقل من هذا. إن البركات أو الامتيازات العظيمة ينبغي ألا تخدِّر الإنسان ليطمئن ويكون عديم الاحتراس أو الحذر. وينبغي ألا يبيح له ذلك ارتكاب الخطية، أو يظن من ينال البركات أن الرب لن يكون مدققًا معه. إن كل الميزات الممنوحة من الرب هي وسائله وطرقه لإدخال الحماسة في النفس، وبث الحرارة في القلب، والتصميم في الإرادة لتميم إرادته المقدسة.

(٦) احترس من السكر بالخمر:

ذكرت سابقًا أن ناداب وأبيهو قدما نارًا غريبة لأنهما كانا في حالة سكر. لذلك لم يكونا في وعيهما، مما أفقدهما التمييز بين الخطأ والصواب وبين النجس والطاهر. وهذا ما تفعله الخمر في مدمنها.

يقول د. أحمد عكاشة عن الخمر: «إنّه يخدّر الجهاز العصبي ويضعف سيطرة الإنسان على الانفعالات والمهارات الحركية المختلفة. ومع زيادة كميّة الخمر يمتدّ التأثير إلى جزء معيّن من المخّ (المخيخ) فيفقد المتعاطي سيطرته على التوازن والكلام وهكذا يهتزّ إذا مشى»[٣].

ويقول د. محمد نجيب عمور: «إنّ تناول الخمر بكميّات كبيرة له تأثير بالغ الضرر على خلايا المخّ وأنسجته، إذ يؤدي إلى ضمور هذه الخلايا وموتها، حيث يفقد الإنسان القدرة على تذكّر الأحداث التي يمر بها، بل ويفقد القدرة على الحكم السليم على الأمور».

ويضيف قائلًا: «ومعروف علميًا أنّ خلايا المخّ من النوع الذي لا يستطيع الجسم تعويضه. فإذا ماتت خلية فقد قُضي عليها إلى الأبد[٤]»

وفي هذا الشأن يقول أيضًا د. آدمز (Anthony Adams) أستاذ البصريات بجامعة كاليفورنيا: «إذا نحن حرّكنا شيئًا أمام أيّ شارب للخمر بسرعة فإنّه يجد صعوبة في متابعته».

كم يتسبب الإدمان في زيادة حوادث الطرق، وفي جرائم قتل واغتصاب بشعة، وفشل دراسي، وسرقة، وأمراض جسدية عديدة.

قال توماس إديسون: «إنني أمتنع كليًا عن تناول المشروبات الكحولية، لأن لرأسي وظيفة أخرى أفضل».

عزيزي أترك معك بعض الآيات للتأمل:

(أم ٢٣:٢٠) «لاَ تَكُنْ بَيْنَ شِرِّيبِي الْخَمْرِ بَيْنَ الْمُتَلِفِينَ أَجْسَادَهُمْ»

(أم ٢٣: ٢٩-٣٠) «لِمَنِ الْوَيْلُ؟ لِمَنِ الشَّقَاوَةُ؟ لِمَنِ الْخُصَامَاتُ؟ لِمَنِ الْكَرْبُ لِمَنِ الْجُرُوحُ بِلاَ سَبَبٍ؟ لِمَنِ ازْمِهْرَارُ الْعَيْنَيْنِ؟ ٣٠لِلَّذِينَ يُدْمِنُونَ الْخَمْرَ».

(١كو ٦: ١٠) «... وَلاَ سَارِقُونَ وَلاَ طَمَّاعُونَ وَلاَ سِكِّيرُونَ وَلاَ شَتَّامُونَ وَلاَ خَاطِفُونَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ».

(أف ٥:١٨) «وَلاَ تَسْكَرُوا بِالْخَمْرِ الَّذِي فِيهِ الْخَلاَعَةُ، بَلِ امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ».

(٦) لنقترب من الله بالطريقة التي أوصى

بها، وبالكيفية التي عينها:

لقد عاقب الرب ناداب وأبيهو لأنهما «قَرَّبَا أَمَامَ الرَّبِّ نَارًا غَرِيبَةً لَمْ يَأْمُرْهُمَا بِهَا». لقد رفضا الطريقة التي أوصى بها الرب، وقررا أن يقتربا منه بطريقتهما الخاصة. ولذلك قصد الرب أن يعلم شعبه وجوب الاقتراب منه بالكيفية التي قد عينها. إنه لا يقبل طاعة ناقصة مبتورة. لقد أعلن إشعياء اللعنة على من يحيدون عن وصايا الرب ولا يُفرقون بين الأشياء المقدسة والأشياء النجسة قائلًا: «وَيْلٌ لِلْقَائِلِينَ لِلشَّرِّ خَيْرًا وَلِلْخَيْرِ شَرًّا الْجَاعِلِينَ الظَّلاَمَ نُورًا وَالنُّورَ ظَلاَمًا الْجَاعِلِينَ الْمُرَّ حُلْوًا وَالْحُلْوَ مُرًّا. وَيْلٌ لِلْحُكَمَاءِ فِي أَعْيُنِ أَنْفُسِهِمْ وَالْفُهَمَاءِ عِنْدَ ذَوَاتِهِمْ. وَيْلٌ لِلأَبْطَالِ عَلَى شُرْبِ الْخَمْرِ وَلِذَوِي الْقُدْرَةِ عَلَى مَزْجِ الْمُسْكِرِ... لِذَلِكَ كَمَا يَأْكُلُ لَهِيبُ النَّارِ الْقَشَّ وَيَهْبِطُ الْحَشِيشُ الْمُلْتَهِبُ يَكُونُ أَصْلُهُمْ كَالْعُفُونَةِ وَيَصْعَدُ زَهْرُهُمْ كَالْغُبَارِ لأَنَّهُمْ رَذَلُوا شَرِيعَةَ رَبِّ الْجُنُودِ وَاسْتَهَانُوا بِكَلاَمِ قُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ» (إش ٥: ٢٠-٢٤). فلا يخدع أحد نفسه بكونه يظن أن بعضًا من وصايا الرب غير جوهرية، أو أنه يقبل بديلًا عما قد أمر به. يقول إرميا: «مَنْ ذَا الَّذِي يَقُولُ فَيَكُونَ وَالرَّبُّ لَمْ يَأْمُرْ؟» (مرا ٣: ٣٧). والرب لم يقدم في كلامه أمرًا يمكن أن يعصاه الناس أو يطيعوه حسب مشيئتهم، دون أن يتحملوا العواقب. فإذا اختار الناس طريقًا آخر غير الطاعة الكاملة فسيجدون أن «عَاقِبَتَهَا طُرُقُ الْمَوْتِ» (أم ١٤: ١٢).

وللأسف إلى اليوم كثير من الناس يريدون أن يقتربوا من الرب ولكن بطرقهم هم وليس من خلال الطريق الذي رسمه الرب! هناك من يقول لماذا لا أتقدم إلى الله بأعمالي؟ ولماذا لا أستطيع أن أتقدم إلى الله بصدقاتي؟ أو بمجهودي وإنتاجي الشخصي وأفكاري وطرقي. أقول إن هذه كلها مجرد «نَار غَرِيبَة» لم يأمر بها الرب.

صديقي: إذا أردت أن تعرف الطريق الصحيح إلى الله فكر في هذه الكلمات:

«أَنَا هُوَ الْبَابُ. إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ وَيَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَجِدُ مَرْعًى» (يو ١٠:٩).

«أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي» (يو ١٤:٦).

المراجع

(1) Oswald T. Allis . The Old Testament: Its Claims and Its Critics, p. 259.

(٢) تاريخ الشرق الأدنى القديم. تاريخ اليهود ص٢٣٧.

(٣) د. أحمد عكاشة. الإدمان خطر. ص ٧٧.

(٤) د. محمد نجيب عمور. ما لا تعرفه عن الخمر. ص١٧.

(٢١)

هل هو إله يطلب ذبائح بشرية؟

«أَمَّا كُلُّ مُحَرَّمٍ يُحَرِّمُهُ إِنْسَانٌ لِلرَّبِّ مِنْ كُلِّ مَا لَهُ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ وَمِنْ حُقُولِ مُلْكِهِ فَلاَ يُبَاعُ وَلاَ يُفَكُّ. إِنَّ كُلَّ مُحَرَّمٍ هُوَ قُدْسُ أَقْدَاسٍ لِلرَّبِّ. كُلُّ مُحَرَّمٍ يُحَرَّمُ مِنَ النَّاسِ لاَ يُفْدَى. يُقْتَلُ قَتْلاً» (لا ٢٧: ٢٨، ٢٩).

هل الله يحض على تقديم ذبائح بشرية؟

أولًا: الله يرفض الذبائح البشرية:

إن أي دارس للعهد القديم يعرف أن الله يرفض تمامًا الذبائح البشرية. ويدين بشدة من يفعل ذلك فيقول لشعبه:

«مَتَى قَرَضَ الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ أَمَامِكَ الأُمَمَ الَّذِينَ أَنْتَ ذَاهِبٌ إِلَيْهِمْ لِتَرِثَهُمْ وَوَرِثْتَهُمْ وَسَكَنْتَ أَرْضَهُمْ ٣٠فَاحْتَرِزْ مِنْ أَنْ تُصَادَ وَرَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَادُوا مِنْ أَمَامِكَ وَمِنْ أَنْ تَسْأَلَ عَنْ آلِهَتِهِمْ: كَيْفَ عَبَدَ هؤُلاَءِ الأُمَمُ آلِهَتَهُمْ فَأَنَا أَيْضًا أَفْعَلُ هكَذَا؟ لا تَعْمَلْ هكَذَا لِلرَّبِّ إِلهِكَ لأَنَّهُمْ قَدْ عَمِلُوا لآلِهَتِهِمْ كُلَّ رِجْسٍ لَدَى الرَّبِّ مِمَّا يَكْرَهُهُ إِذْ أَحْرَقُوا حَتَّى بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ بِالنَّارِ لآلِهَتِهِمْ. ٣٢كُلُّ الْكَلاَمِ الَّذِي أُوصِيكُمْ بِهِ احْرِصُوا لِتَعْمَلُوهُ. لا تَزِدْ عَلَيْهِ وَلا تَنْقُصْ مِنْهُ» (تث ١٢: ٢٩-٣٢).

«مَتَى دَخَلْتَ الأَرْضَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، لاَ تَتَعَلَّمْ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ رِجْسِ أُولئِكَ الأُمَمِ. ١٠لاَ يُوجَدْ فِيكَ مَنْ يُجِيزُ ابْنَهُ أَوِ ابْنَتَهُ فِي النَّارِ...»

(تث ١٨: ٩-١٠).

وعندما ضرب الرب فرعون وشعبه بالضربة العاشرة وهي (موت الأبكار)، طلب الرب من شعبه أن يكون كل بكر فاتح رحم له، لكنه أوصى بوضوح عدة مرات أن كل بكر من البهائم الطاهرة يُقدَّم ذبيحة، بينما كل بكر من البشر يُفدَى بذبيحة حيوانية، وبذلك يكون كأنه قُدِّم للرب ذبيحة، شهادة علي فداء الرب لهم وتخليصهم من العبودية فنقرأ:

«وَيَكُونُ مَتَى أَدْخَلَكَ الرَّبُّ أَرْضَ الْكَنْعَانِيِّينَ كَمَا حَلَفَ لَكَ وَلآبَائِكَ وَأَعْطَاكَ إِيَّاهَا أَنَّكَ تُقَدِّمُ لِلرَّبِّ كُلَّ فَاتِحِ رَحِمٍ وَكُلَّ بِكْرٍ مِنْ نِتَاجِ الْبَهَائِمِ الَّتِي تَكُونُ لَكَ. الذُّكُورُ لِلرَّبِّ. وَلَكِنَّ كُلَّ بِكْرِ حِمَارٍ تَفْدِيهِ بِشَاةٍ. وَإِنْ لَمْ تَفْدِهِ فَتَكْسِرُ عُنُقَهُ. وَكُلَّ بِكْرِ إِنْسَانٍ مِنْ أَوْلاَدِكَ تَفْدِيهِ.

«وَيَكُونُ مَتَى سَأَلَكَ ابْنُكَ غَدًا: مَا هَذَا؟ تَقُولُ لَهُ: بِيَدٍ قَوِيَّةٍ أَخْرَجَنَا الرَّبُّ مِنْ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. وَكَانَ لَمَّا تَقَسَّى فِرْعَوْنُ عَنْ إِطْلاَقِنَا أَنَّ الرَّبَّ قَتَلَ كُلَّ بِكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بِكْرِ النَّاسِ إِلَى بِكْرِ الْبَهَائِمِ. لِذَلِكَ أَنَا أَذْبَحُ لِلرَّبِّ الذُّكُورَ مِنْ كُلِّ فَاتِحِ رَحِمٍ وَأَفْدِي كُلَّ بِكْرٍ مِنْ أَوْلاَدِي» (خر ١٣: ١١-١٥).

وكرر الوصية مرة أخرى:

«لِي كُلُّ فَاتِحِ رَحِمٍ وَكُلُّ مَا يُولَدُ ذَكَرًا مِنْ

مَوَاشِيكَ بِكْرًا مِنْ ثَوْرٍ وَشَاةٍ. وَأَمَّا بِكْرُ الْحِمَارِ فَتَفْدِيهِ بِشَاةٍ. وَإِنْ لَمْ تَفْدِهِ تَكْسِرْ عُنُقَهُ. كُلَّ بِكْرٍ مِنْ بَنِيكَ تَفْدِيهِ وَلاَ يَظْهَرُوا أَمَامِي فَارِغِينَ» (خر ٣٤: ١٩،٢٠).

ويكرر أيضًا:

«كُلُّ فَاتِحِ رَحِمٍ مِنْ كُلِّ جَسَدٍ يُقَدِّمُونَهُ لِلرَّبِّ مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْبَهَائِمِ يَكُونُ لَكَ. غَيْرَ أَنَّكَ تَفْدِي فِدَاءَ بِكْرِ الإِنسان وَبِكْرَ الْبَهِيمَةِ النَّجِسَةِ تَفْدِي فِدَاءَهُ. وَفِدَاؤُهُ مِنِ ابْنِ شَهْرٍ تَفْدِيهِ حَسَبَ تَقْوِيمِكَ فِضَّةً خَمْسَةَ شَوَاقِلَ عَلَى شَاقِلِ الْقُدْسِ. هُوَ عِشْرُونَ جِيرَةً» (عد ١٨: ١٥،١٦).

ثانيًا: ماذا تقول القرينة؟

بعد أن تأكدنا من أن الله يرفض ويحذِّر الإنسان بشدة من تقديم ذبائح بشرية، ويوصي بأن البكر من الناس يُفدَى بذبيحة حيوانية، دعنا ندرس الإصحاح الذي وردت فيه الآية موضوع سؤالنا:

إن الموضوع الرئيسي للإصحاح السابع والعشرين من سفر اللاويين هو: تقييم النذور وكيفية الفكاك. وينقسم الإصحاح إلى:

(لا ٢٧: ١-٨) يتحدث عن نذر الأشخاص:

«وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: إِذَا أَفْرَزَ إِنْسَانٌ نَذْرًا حَسَبَ تَقْوِيمِكَ نُفُوسًا لِلرَّبِّ فَإِنْ كَانَ تَقْوِيمُكَ لِذَكَرٍ مِنِ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً إِلَى ابْنِ سِتِّينَ سَنَةً يَكُونُ تَقْوِيمُكَ خَمْسِينَ شَاقِلَ فِضَّةٍ عَلَى شَاقِلِ الْقُدْسِ. وَإِنْ كَانَ أُنْثَى يَكُونُ تَقْوِيمُكَ ثَلاَثِينَ شَاقِلًا. وَإِنْ كَانَ مِنِ ابْنِ خَمْسِ سِنِينَ إِلَى ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً يَكُونُ تَقْوِيمُكَ لِذَكَرٍ عِشْرِينَ شَاقِلًا وَلأُنْثَى عَشَرَةَ شَوَاقِلَ. وَإِنْ كَانَ مِنِ ابْنِ شَهْرٍ إِلَى ابْنِ خَمْسِ سِنِينَ يَكُونُ تَقْوِيمُكَ لِذَكَرٍ خَمْسَةَ شَوَاقِلِ فِضَّةٍ وَلأُنْثَى يَكُونُ تَقْوِيمُكَ ثَلاَثَةَ شَوَاقِلِ فِضَّةٍ. وَإِنْ كَانَ مِنِ ابْنِ سِتِّينَ سَنَةً فَصَاعِدًا فَإِنْ كَانَ ذَكَرًا يَكُونُ تَقْوِيمُكَ خَمْسَةَ عَشَرَ شَاقِلًا. وَأَمَّا لِلأُنْثَى فَعَشَرَةَ شَوَاقِلَ. وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا عَنْ تَقْوِيمِكَ يُوقِفُهُ أَمَامَ الْكَاهِنِ فَيُقَوِّمُهُ الْكَاهِنُ. عَلَى قَدْرِ مَا تَنَالُ يَدُ النَّاذِرِ يُقَوِّمُهُ الْكَاهِنُ».

وهنا يوصي الرب بشدة على أن النفوس التي تُنذَر للرب يجب أن تُفدَى بالفضة، وهذا يؤكد ما ذكرناه من قبل أن الله يرفض تقديم النفوس، ويحدد هنا مقدار الفضة.

(لا ٢٧: ٩-١٣) يتحدث عن البهائم:

«وَإِنْ كَانَ بَهِيمَةً مِمَّا يُقَرِّبُونَهُ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ فَكُلُّ مَا يُعْطِي مِنْهُ لِلرَّبِّ يَكُونُ قُدْسًا. لاَ يُغَيِّرُهُ وَلاَ يُبْدِلُهُ جَيِّدًا بِرَدِيءٍ أَوْ رَدِيئًا بِجَيِّدٍ. وَإِنْ أَبْدَلَ بَهِيمَةً بِبَهِيمَةٍ تَكُونُ هِيَ وَبَدِيلُهَا قُدْسًا. وَإِنْ كَانَ بَهِيمَةً نَجِسَةً مِمَّا لاَ يُقَرِّبُونَهُ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ يُوقِفُ الْبَهِيمَةَ أَمَامَ الْكَاهِنِ فَيُقَوِّمُهَا الْكَاهِنُ جَيِّدَةً أَمْ رَدِيئَةً. فَحَسَبَ تَقْوِيمِكَ يَا كَاهِنُ هَكَذَا يَكُونُ. فَإِنْ فَكَّهَا يَزِيدُ خُمْسَهَا عَلَى تَقْوِيمِكَ...».

وهنا يتحدث عن نذر البهائم الطاهرة والنجسة.

(لا ٢٧: ١٤،١٥) يتحدث عن نذر البيوت.

(لا ٢٧: ١٦-٢٥) يتحدث عن نذر الحقول.

(لا ٢٧: ٢٦-٣٤) يتحدث عن قواعد خاصة في الفك.

آية ٢٦ لَكِنَّ الْبِكْرَ الَّذِي يُفْرَزُ بِكْرًا لِلرَّبِّ مِنَ الْبَهَائِمِ فَلاَ يُقَدِّسُهُ أَحَدٌ. ثَوْرًا كَانَ أَوْ شَاةً فَهُوَ لِلرَّبِّ.

كانت الأبكار مخصصة للرب بحسب حكم

الشريعة. وكان يجب على كل شخص أن يلتزم بتقديم أبكار الحيوانات الطاهرة للرب. ولذلك لا يصح أن ينذرها لأنها أصلًا للرب. وهذه الآية ترد بوضوح أكثر في بعض الترجمات مثل:

(ت ع م) «لا يجوز لأحد أن يكرس للرب أبكار البهائم، سواء من البقر أو من الغنم، فهي مخصصة للرب».

(ت ك) «وأما البكر من البهائم، وهو من حق الرب، فلا يقدسه أحد، سواء أكان من البقر أم من الغنم، فهو للرب».

آية ٢٧ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْبَهَائِمِ النَّجِسَةِ يَفْدِيهِ حَسَبَ تَقْوِيمِكَ وَيَزِيدُ خُمْسَهُ عَلَيْهِ. وَإِنْ لَمْ يُفَكَّ فَيُبَاعُ حَسَبَ تَقْوِيمِكَ

أما بالنسبة لأبكار الحيوانات النجسة فإما أن تُبَاع ويوضع ثمنها في الخزينة، أو يفديها صاحبها بدفع ثمنها بحسب تقييم الكاهن مضافًا إليه الخُمس. وهذه الآية ترد في الترجمات الأخرى كالآتي:

(ك ح) «أما إن كان من البهائم النجسة، فعلى صاحبه أن يفديه حسب تقديرك، ويضيف على ذلك خمسه وإن لم يفده يباع وفقا لتقويمك».

(ت ع م) «وإن كان بكر البهيمة نجسًا، يُفدَى على حسب تقويم الكاهن بزيادة خمسه، وإلا يبيعه الكاهن على حسب تقويمه».

ونأتي إلى الأعداد موضع التساؤل وهي تتحدث عن المحرَّم من البشر

أَمَّا كُلُّ مُحَرَّمٍ يُحَرِّمُهُ إِنْسَانٌ لِلرَّبِّ مِنْ كُلِّ مَا لَهُ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ وَمِنْ حُقُولِ مُلْكِهِ فَلاَ يُبَاعُ وَلاَ يُفَكُّ. إِنَّ كُلَّ مُحَرَّمٍ هُوَ قُدْسُ أَقْدَاسٍ لِلرَّبِّ. كُلُّ مُحَرَّمٍ يُحَرَّمُ مِنَ النَّاسِ لاَ يُفْدَى. يُقْتَلُ قَتْلًا

يستكمل الكاتب هنا الحديث عن القواعد الخاصة بالفك، ولا يتطرق إطلاقًا للحديث عن الذبائح البشرية، فيقول إن المحرَّمات للرب لا تُبَاعُ وَلاَ تُفَكُّ بل تُقْتَلُ قتلًا.

ويقول د. رأفت شوقي «إن الكتاب المقدَّس يُحرِّم بتاتًا الذبائح البشرية، ومن يستنتج من (لا ٢٧: ٢٨، ٢٩) إباحة تقديم الذبائح البشرية يسئ التفسير، لأن هذا الفصل لا يتكلم مطلقًا عن الذبائح، بل عن الأشياء المحرَّمة للرب»[1].

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه الآن: ما هي الأشياء المحرَّمة للرب؟ ومن الذي حرَّمها؟

ثالثًا: ما المقصود بـ «كُلُّ مُحَرَّمٍ»؟

إن كلمة «مُحَرَّم» في اللغة العبرية هي (חרם) (حرم) وتعني (خصص، أو يغلق على). وتطلق عادة على الأشياء أو الأشخاص أو الجماعات التي يجب أن تُدَمَّر تمامًا، أو المحكوم عليها بالإبادة، أو المخصصة للهلاك.[2]

ويضيف قاموس (Brown) أن الكلمة تعني (مخصص أو محظور، أو عُيِّن للتدمير التام)[3]

وقد وردت (חרם) (حرم) ومشتقاتها ٥٠ مرة في العهد القديم، وقد تُرجِمَت أيضًا (يهلك) في (خر ٢٢:٢٠).

«مَنْ ذَبَحَ لِآلِهَةٍ غَيْرِ الرَّبِّ وَحْدَهُ يُهْلَكُ (יחרם)».

وتُرجِمَت (يبيد) في (إش ١١:١٥)

«وَيُبِيدُ (והחרים) الرَّبُّ لِسَانَ بَحْرِ مِصْرَ وَيَهُزُّ يَدَهُ عَلَى النَّهْرِ بِقُوَّةِ رِيحِهِ وَيَضْرِبُهُ إِلَى سَبْعِ سَوَاقٍ وَيُجِيزُ فِيهَا بِالأَحْذِيَةِ».

وأرجو أن تتأمل بعض المواقف والآيات التي

وردت فيها هذه الكلمة حتى ندرك معناها بصورة أفضل:

(تث ٧: ١،٢) «مَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلى الأَرْضِ التِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا وَطَرَدَ شُعُوبًا كَثِيرَةً مِنْ أَمَامِكَ: الحِثِّيِّينَ وَالجِرْجَاشِيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالكَنْعَانِيِّينَ وَالفِرِزِّيِّينَ وَالحِوِّيِّينَ وَاليَبُوسِيِّينَ سَبْعَ شُعُوبٍ أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكَ وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ أَمَامَكَ وَضَرَبْتَهُمْ فَإِنَّكَ تُحَرِّمُهُمْ (تحرم). لا تَقْطَعْ لهُمْ عَهْدًا وَلا تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ».

(تث ١٣:١٥) «فَضَرْبًا تَضْرِبُ سُكَّانَ تِلكَ المَدِينَةِ بِحَدِّ السَّيْفِ وَتُحَرِّمُهَا (تحرم) بِكُلِّ مَا فِيهَا مَعَ بَهَائِمِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ».

(تث ٢٠: ١٦،١٧) «وَأَمَّا مُدُنُ هَؤُلاءِ الشُّعُوبِ التِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلا تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَا بَل تُحَرِّمُهَا تَحْرِيمًا (تحرم تحريم): الحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالكَنْعَانِيِّينَ وَالفِرِزِّيِّينَ وَالحِوِّيِّينَ وَاليَبُوسِيِّينَ كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ»

(قض ٢١: ١١) «وَهذَا مَا تَعْمَلُونَهُ: تُحَرِّمُونَ كُلَّ ذَكَرٍ وَكُلَّ امْرَأَةٍ عَرَفَتِ اضْطِجَاعَ ذَكَرٍ».

(١صم ١٥: ٢،٣) «هَكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ:.. اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلًا وَامْرَأَةً، طِفْلًا وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلًا وَحِمَارًا».

(١صم ١٥:٨) «وَأَمْسَكَ أَجَاجَ مَلِكَ عَمَالِيقَ حَيًّا، وَحَرَّمَ جَمِيعَ الشَّعْبِ بِحَدِّ السَّيْفِ».

من المواقف والآيات السابقة ندرك أن المقصود «بالمُحَرَّم للرب» الجماعة أو الشخص الذي يجب أن يُقتَل بناء على أمر الرب، أو أمر رئيس الكهنة أو القاضي بناء على الشريعة التي أمرت بقتله، لأنه خطير على المجتمع، فلا يجوز التعامل معه، فقد أفسد حياته بالعبادات الوثنية والشرور والرجاسات المختلفة. فقد كان الله يأمر بقتل السحرة والعرافين، فيقول: «لاَ تَدَعْ سَاحِرَةً تَعِيشُ» (خر ٢٢: ١٨). ويقول أيضًا: «وَإِذَا كَانَ فِي رَجُلٍ أَوِ امْرَأَةٍ جَانٌّ أَوْ تَابِعَةٌ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. بِالْحِجَارَةِ يَرْجُمُونَهُ. دَمُهُ عَلَيْهِ» (لا ٢٠: ٢٧). وكذلك أمر بقتل القاتل عمدًا والزاني، وكذلك أمر بقتل كل «مَنْ ذَبَحَ لإِلهَةٍ غَيْرِ الرَّبِّ» (خر ٢٠:٢٢). وأيضًا كل «مَنْ جَدَّفَ عَلَى اسْمِ الرَّبِّ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. يَرْجُمُهُ كُلُّ الْجَمَاعَةِ رَجْمًا. الْغَرِيبُ كَالْوَطَنِيِّ عِنْدَمَا يُجَدِّفُ عَلَى الاسْمِ يُقْتَلُ» (لا ٢٤: ١٦). وكذلك كل من يُزيغ إنسانًا عن عبادة الله يُقتل (تث ١٣: ٥، ٩، ١٥)، حتى إن كانت مدينة كاملة تُقتل بأكملها، وفي ذلك يقول الكتاب «فَضَرْبًا تَضْرِبُ سُكَّانَ تِلكَ المَدِينَةِ بِحَدِّ السَّيْفِ وَتُحَرِّمُهَا بِكُلِّ مَا فِيهَا مَعَ بَهَائِمِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. تَجْمَعُ كُل أَمْتِعَتِهَا إِلى وَسَطِ سَاحَتِهَا وَتُحْرِقُ بِالنَّارِ المَدِينَةَ وَكُل أَمْتِعَتِهَا كَامِلَةً لِلرَّبِّ إِلهِكَ فَتَكُونُ تَلًّا إِلى الأَبَدِ لا تُبْنَى بَعْدُ» (تث ١٣: ١٥، ١٦). وقد يبدو لنا في هذا الأمر قسوة، لكننا إذا عدنا إلى ذلك العصر لوجدنا بعض الشعوب الوثنية المحيطة كان يلذ لها تقديم أولادها ذبائح بشرية للآلهة، إلى جانب ممارسة الزنا والرجاسات كجزء لا يتجزأ من العبادة، فندرك لماذا حرَّم الله هذه الشعوب، ولو لم يعامَلوا بهذه القسوة لتفشَّت عبادتهم وسط شعب الله.

ويؤكد هذا د. القس منيس عبد النور قائلًا: «الأشياء «المحرَّمة للرب» بمعنى أنها تخصَّصت للقضاء عليها وقتلها. ولا يمكن فداؤها البتة. ولم يكن الحكم بالموت يصدر إلا من: (١) الله رأسًا. (٢) من القضاة المقامين منه. ولم يكن مأذونًا

للإسرائيلي أن يقتل إنسانًا ولو كان عبدًا له (خر ٢١: ٢٠). ولا نجد مطلقًا إشارة هنا إلى أوامر من الله بتقديم ذبائح بشرية. فالمقصود مما جاء في اللاويين هو أن لا يضع بنو إسرائيل الأشياء المحرمة (أي المحكوم عليها من الله بالموت) في صف النذور التي يمكن فداؤها»[٤].

ويقول الأرشيدياكون نجيب جرجس: «تحريم الناس كان في الغالب للأشخاص الخطرين أو الشعوب المتمادية في الشر والتي يعتبر وجودها خطرًا على المجتمع وعلى شعب الله بالخصوص. والرب برحمته كان يطيل أناته جدًا على الأشرار حتى تكون لهم فرص للتوبة وحتى لا يكون لهم عذرًا، كما فعل بالشعوب الكنعانية التي أمهلها عدة قرون (تك ١٥:١٦، ١٩، ٢١) فإذا ما تكامل شرهم كان يقضي بهلاكهم رحمة بالشعوب والأشخاص الذين حولهم. وكل محرَّم من الناس كان لا يفدى بل يُقتل وهو في حكم المحكوم عليهم بالإعدام لخطورتهم»[٥].

وقد أكد الرب على قتل المحرَّم في آية ٢٩ بوضوح: «كُلُّ مُحَرَّمٍ يُحَرَّمُ مِنَ النَّاسِ لاَ يُفْدَى. يُقْتَلُ قَتْلًا».

وقد وردت هذه الآية في التراجم المختلفة كالآتي:

(ك ح) «كل ما يصدر الأمر بتحريمه من الناس لا يفدى بل يقتل حتما».

(ت ك) «كل حرام يحرَّم من البشر لا يفدى، بل يقتل قتلا».

(ESV) No one devoted, who is to be devoted for destruction from mankind, shall be ransomed; he shall surely be put to death.

«لا أحد يُحرَّم من البشر للهلاك، يُفدَى، يجب التأكد من أن ينفَّذ فيه حكم الموت».

فمن يصدر عليهم حكم من الرب بأن يقتلوا مثل عماليق أو عخان بن كرمي أو شخص قاتل عمدًا فلا يجوز فداؤهم بل يجب أن يقتلوا. ويكرر الرب قائلًا: «وَلاَ تَأْخُذُوا فِدْيَةً عَنْ نَفْسِ الْقَاتِلِ الْمُذْنِبِ لِلْمَوْتِ، بَلْ إِنَّهُ يُقْتَلُ» (عد ٣٥:٣١).

وقد تسأل ما المقصود بما ورد في ع ٢٨

«أَمَّا كُلُّ مُحَرَّمٍ يُحَرِّمُهُ إِنْسَانٌ لِلرَّبِّ مِنْ كُلِّ مَا لَهُ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ وَمِنْ حُقُولِ مُلْكِهِ فَلاَ يُبَاعُ وَلاَ يُفَكُّ. إِنَّ كُلَّ مُحَرَّمٍ هُوَ قُدْسُ أَقْدَاسٍ لِلرَّبِّ».

إن هذه الآية ترد في الترجمة السبعينية «كل محرَّم من وسط الناس» بدلًا من «كُلُّ مُحَرَّمٍ يُحَرِّمُهُ إِنْسَانٌ»[٦]. فتحريم الأشخاص هو إما من الله مباشرة وبأوامر منه أو بواسطة رئيس الكهنة أو السلطات العليا، ولم نقرأ في كل العهد القديم عن إنسان عادي حرَّم شخصًا أو جماعة.

ويرى عدد آخر من اللاهوتيين أن المقصود بها أنه إذا كرَّس أي إنسان من ممتلكاته شيئًا لخدمة الرب فإنه لا يجب أن يبيعه، أو يفكه «أي يعيد شراءه» لأنه أصبح ملكًا للرب.

وهذا المعنى نراه واضحًا في التراجم المختلفة كالآتي:

(GNB) None of you may sell or buy back what you have unconditionally dedicated to the LORD, whether it is a human being, an animal, or land. It belongs permanently to the LORD.

لا أحد منكم يبيع أو يعيد شراء ما خُصص بدون

قيد أو شرط للرب. سواء كان هو إنسان. حيوان . أو الأرض. إنه ملك للرب بشكل دائم.

(DRB) Anything that is devoted to the Lord, whether it be man, or beast, or field, shall not be sold: neither may it be redeemed. Whatsoever is once consecrated shall be holy of holies to the Lord.

أي شيء يكرَّس للرب. سواء أكان رجلًا . أو حيوان . أو حقل. فلا يباع ولا يُفتَدى. طالما كُرِّس فهو قدس أقداس للرب.

(ERV) «There is a special kind of gift that people give to the LORD. It belongs only to him, and it cannot be bought back or sold. This gift belongs to the LORD. This type of gift includes people, animals, and fields from the family property.

هناك نوع خاص من التقدمات التي يقدمها الشعب للرب. وهي تختص به فقط. ولا يمكن شراؤها مرة أخرى أو بيعها. فهذه التقدمات تختص بالرب. وهي تشمل الناس والحيوانات والحقول من ممتلكات العائلة.

(WYC) Everything that is dedicated to the Lord, whether it is a man, or a beast, or the field of his inheritance, shall not be sold, nor shall it be able to be bought back; once something is dedicated, it shall be a most holy thing to the Lord.

إن كل شيء يُكرَّس للرب. سواء شخص . حيوان. أو حقل. لا يجب أن يُبَاع أو يُعاد شراءه. بمجرد أن أي شيء يُكرَّس. يجب أن يكون قدس أقداس للرب.

(NLT) «However, anything specially set apart for the Lord—whether a person, an animal, or family property—must never be sold or bought back. Anything devoted in this way has been set apart as holy, and it belongs to the Lord.

إن أي شيء كُرِّس خصيصًا للرب. سواء شخص. حيوان . أو ممتلكات عائلية. لا يجب أبدًا أن يُبَاع أو يُشتَرى مرة أخرى. أي شيء كُرِّس بهذه الطريقة يجب أن يُخصص. إنه ملك للرب.

(NLV) But nothing that a man sets apart to the Lord of all he has, of man or animal or his own land, will be sold or bought. Everything that has been set apart is most holy to the Lord.

ولكن لا شيء يكرِّسه إنسان للرب من ممتلكاته. سواء أكان رجلًا . أو حيوانًا. أو حقله. فلا يباع ولا يُشترى. كل شيء كُرِّس هو قدس أقداس للرب.

المراجع

(١) د. رأفت شوقي. دراسات علمية في سفر اللاويين ص ٥٦.

(2) Strong›s Exhaustive Concordance Lexicon Entries. Hebrew and Greek. p. 316.

(3) Enhanced Brown-Driver-Briggs Hebrew and English Lexicon. p. 285.

(٤) د. القس منيس عبد النور. شبهات وهمية. ص١٧٩.

(٥) نجيب جرجس. تفسير الكتاب المقدَّس- سفر اللاويين ص ٣٩١.

(6) Adam Clarke's Commentary on the Bible, p.247.

(٢٢)

هل هو إله يُذل ويجرِّب عبيده؟

«جَمِيعَ الْوَصَايَا الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ تَحْفَظُونَ لِتَعْمَلُوهَا لِتَحْيُوا وَتَكْثُرُوا وَتَدْخُلُوا وَتَمْتَلِكُوا الأَرْضَ الَّتِي أَقْسَمَ الرَّبُّ لآبَائِكُمْ. وَتَتَذَكَّرُ كُلَّ الطَّرِيقِ الَّتِي فِيهَا سَارَ بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ هَذِهِ الأَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الْقَفْرِ لِيُذِلَّكَ وَيُجَرِّبَكَ لِيَعْرِفَ مَا فِي قَلْبِكَ أَتَحْفَظُ وَصَايَاهُ أَمْ لا؟ فَأَذَلَّكَ وَأَجَاعَكَ وَأَطْعَمَكَ الْمَنَّ الَّذِي لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُهُ وَلا عَرَفَهُ آبَاؤُكَ لِيُعَلِّمَكَ أَنَّهُ لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنسان بَلْ بِكُلِّ مَا يَخْرُجُ مِنْ فَمِ الرَّبِّ يَحْيَا الإِنسان» (تث ٨: ١-٣).

كيف يقول الوحي هنا أن الرب «يُذل الإنسان ويُجرِّبه» لِيَعْرِفَ مَا فِي قَلْبِهِ أَيَحْفَظُ وَصَايَاهُ أَمْ لا؟ هل الله يجهل ما في قلب الإنسان؟ وهل هو يريد أن يُذل الإنسان؟

أولًا: الله يعرف كل شيء:

يعلن لنا الوحي أن الله يعرف كل شيء، فيقول الرب على لسان إرميا: «إِذَا اخْتَبَأَ إِنْسَانٌ فِي أَمَاكِنَ مُسْتَتِرَةٍ أَفَمَا أَرَاهُ أَنَا، يَقُولُ الرَّبُّ؟ (إر ٢٣: ٢٤). وقال تلاميذ المسيح في صلاتهم: «أَيُّهَا الرَّبُّ الْعَارِفُ قُلُوبَ الْجَمِيعِ...» (أع ١: ٢٤). فهو فاحص القلوب ومختبر الكلى، يعرف كل الخبايا والأسرار. قال داود عن معرفة الله له: «أَنْتَ عَرَفْتَ جُلُوسِي وَقِيَامِي. فَهِمْتَ فِكْرِي مِنْ بَعِيدٍ. مَسْلَكِي وَمَرْبَضِي ذَرَّيْتَ، وَكُلَّ طُرُقِي عَرَفْتَ. لأَنَّهُ لَيْسَ كَلِمَةٌ فِي لِسَانِي، إِلاَّ وَأَنْتَ يَا رَبُّ عَرَفْتَهَا كُلَّهَا. مِنْ خَلْفٍ وَمِنْ قُدَّامٍ حَاصَرْتَنِي، وَجَعَلْتَ عَلَيَّ يَدَكَ» (مز ١٣٩: ٢-٥). إلى جانب أن الماضي والحاضر والمستقبل مكشوف أمامه فهو فوق الزمن، لذلك كل تفاصيل حياتنا مكشوفة ومعروفة لديه منذ الأزل.

إن الفعل (يَعْرِف) في اللغة العبرية هو (יָדַע) (يدع)، وقد ورد في العهد القديم ٩٢٧ مرة، وهو لا يعني فقط «يعرف شيء كان يجهله» ولكن «يكشف ويعلن عن شيء معروف». وأرجو أن تلاحظ معنى الفعل (يَعْرِف) (יָדַע) كما ورد في الآيات التالية وستجد أنه يعني «يعلن ويؤكد بالبرهان العملي عن شيء معروف»[1]:

(تك ١٢: ١١) «وَحَدَثَ لَمَّا قَرُبَ أَنْ يَدْخُلَ مِصْرَ أَنَّهُ قَالَ لِسَارَايَ امْرَأَتِهِ: إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ (יָדַעְתִּי) أَنَّكِ امْرَأَةٌ حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ».

فلم يكن أبرام يجهل أن ساراي امرأته جميلة بل هو يعلن عن شيء معروف.

(تك ٢٢: ١٢) «فَقَالَ: لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلاَمِ وَلاَ تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا لأَنِّي الآنَ عَلِمْتُ (יָדַעְתִּי) أَنَّكَ خَائِفٌ اللهَ فَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي».

لم يكن الرب يجهل أن إبراهيم يخافه بل أعلن هذا بالبرهان العملي.

(تك ٣٩: ٦) «فَتَرَكَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ فِي يَدِ

يُوسُفَ. وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ يَعْرِفُ (ידע) شَيْئًا إِلَّا الْخُبْزَ الَّذِي يَأْكُلُ. وَكَانَ يُوسُفُ حَسَنَ الصُّورَةِ وَحَسَنَ الْمَنْظَرِ».

(تك ٣٩:٨) «فَأَبَى وَقَالَ لِامْرَأَةِ سَيِّدِهِ: هُوَذَا سَيِّدِي لاَ يَعْرِفُ (ידע) مَعِي مَا فِي الْبَيْتِ وَكُلُّ مَا لَهُ قَدْ دَفَعَهُ إِلَى يَدِي».

(تك ٤٢:٣٤) «وَأَحْضِرُوا أَخَاكُمُ الصَّغِيرَ إِلَيَّ فَأَعْرِفَ (ואדעה) أَنَّكُمْ لَسْتُمْ جَوَاسِيسَ بَلْ أَنَّكُمْ أُمَنَاءُ فَأُعْطِيَكُمْ أَخَاكُمْ وَتَتَّجِرُونَ فِي الأَرْضِ».

(خر ٣:٧) «فَقَالَ الرَّبُّ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخِّرِيهِمْ. إِنِّي عَلِمْتُ (ידעתי) أَوْجَاعَهُم».

ويقول د. القس الدكتور منيس عبد النور: «لا توجد آية واحدة في الكتاب المقدس تنفي علم الله بكل شيء. أما العبارات التي تفيد أنه يمتحن الناس ليعرف قلوبهم فليس معناها أنه يجهل خفايا القلوب. ولكن معناها أن الله يمتحن الناس ليعلّمنا أنه سبحانه يُدخِل الإنسان في ظروف مخصوصة ليتضح بالبرهان صدق معرفة الله السابقة لخفايا القلب.

وللإيضاح نقول مثلًا إن أستاذ الكيمياء، عندما يشرح حقيقة علمية لتلاميذه يقول لهم: دعوني أمزج هذا الحامض بهذه المادة لنرى ماذا تكون النتيجة، وهو يعرف مقدمًا نتيجة المزج المزمع عمله. هكذا الحال عندما يرسل الله التجارب إلى الإنسان، فهو يقصد بها امتحانًا ليس هو نفسه في حاجة إليه. ولكنه يقصد خير الإنسان نفسه وتبرير طرق معاملاته للناس»[1].

وأرجو أن تلاحظ كيف وردت في العديد من التراجم الإنجليزية:

(ISV) «Remember how the LORD your God led you all the way these 40 years in the desert, to humble and test you in order to make known what was in your heart, whether or not you would keep his commands.

ليجعل ما في قلبك معروفًا

(CEV) Don't forget how the LORD your God has led you through the desert for the past forty years. He wanted to find out if you were truly willing to obey him and depend on him.

يريد أن يُخرِج أو يُظهِر

(Brenton) ...and that the things in thine heart might be made manifest.

بمعنى يجعل ما في قلبك معلنًا

(DRB) and that the things that were known in thy heart might be made known.

يريد أن يجعل الأشياء التي في قلبك معروفة

ثانيًا: نوعان من التجارب:

يعلن لنا الكتاب المقدس أن هناك نوعان من التجارب وهما:

(١) التجارب الشريرة:

ويمكن أن نطلق عليها التجارب الداخلية، وهي التي قال عنها الرسول يعقوب: «لاَ يَقُلْ أَحَدٌ إِذَا جُرِّبَ إِنِّي أُجَرَّبُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ. لأَنَّ اللَّهَ غَيْرُ مُجَرَّبٍ بِالشُّرُورِ وَهُوَ لاَ يُجَرِّبُ أَحَدًا. وَلَكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُجَرَّبُ إِذَا انْجَذَبَ وَانْخَدَعَ مِنْ شَهْوَتِهِ. ثُمَّ الشَّهْوَةُ إِذَا

حَبِلَتْ تَلِدُ خَطِيَّةً، وَالْخَطِيَّةُ إِذَا كَمَلَتْ تُنْتِجُ مَوْتًا» (يع ١: ١٤،١٣).

وهذه الكلمات ترد في ترجمة (ك ح):

«وإذا تعرَّض أحد لتجربة ما، فلا يقل: «إن الله يجربني!» ذلك لأن الله لا يمكن أن يجربه الشر، وهو لا يجرب به أحدًا ولكن الإنسان يسقط في التجربة حين يندفع مخدوعًا وراء شهوته فإذا ما حبلت الشهوة ولدت الخطيئة. ومتى نضجت الخطيئة، أنتجت الموت».

إن الله لا يجرِّب الإنسان قط بهذا النوع من التجارب، لأن الله لا يجرِّب أحدًا بالشرور. إنما هذه التجارب الرديئة مصدرها الشيطان الذي يجرِّب الإنسان بهدف إسقاطه في الخطية، ولذلك لُقِّب الشيطان بالمجرِّب فنقرأ:

«فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمُجَرِّبُ وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزًا» (مت ٤:٣).

«مِنْ أَجْلِ هذَا إِذْ لَمْ أَحْتَمِلْ أَيْضًا، أَرْسَلْتُ لِكَيْ أَعْرِفَ إِيمَانَكُمْ، لَعَلَّ الْمُجَرِّبَ يَكُونُ قَدْ جَرَّبَكُمْ، فَيَصِيرَ تَعَبُنَا بَاطِلًا» (١تس ٣:٥).

(٢) التجارب التي تُذكي الإيمان:

الهدف من هذه التجارب امتحان الإنسان حتى يظهر معدنه الحقيقي المخفي عن الناس، والله يُجرِّب الإنسان، أو نقول يسمح بهذا النوع من التجارب ليعلن الجمال الخفي للنفوس التي تحبه من كل قلبها، وهذا النوع من التجارب قال عنه الكتاب المقدَّس: «احْسِبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقَعُونَ فِي تَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ، عَالِمِينَ أَنَّ امْتِحَانَ إِيمَانِكُمْ يُنْشِيءُ صَبْرًا. وَأَمَّا الصَّبْرُ فَلْيَكُنْ لَهُ عَمَلٌ تَامٌّ، لِكَيْ تَكُونُوا تَامِّينَ وَكَامِلِينَ غَيْرَ نَاقِصِينَ فِي شَيْءٍ... طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي يَحْتَمِلُ التَّجْرِبَةَ، لأَنَّهُ إِذَا تَزَكَّى يَنَالُ «إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ» الَّذِي وَعَدَ بِهِ الرَّبُّ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ» (يع ١:٢-٥). واضح هنا أن هدف التجربة أن نكون كاملين وناضجين، وأن ننال «إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ». وعندما يسمح بتجربة فهو يعطي المنفذ كما يقول الرسول بولس: «وَلَكِنَّ اللهَ أَمِينٌ الَّذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضًا الْمَنْفَذَ لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا» (١كو ١٠: ١٣).

وبنفس هذا المعنى أدخل الله شعبه في امتحان صعب ليوجه أنظارهم إليه، ولينقيهم من كل شر، وعندما ندرس المعنى الأصلي لكلمة «يُجَرِّبَكَ» سيتضح المعنى أكثر.

فما معنى الفعل «يُجَرِّبَكَ»؟

إن الفعل «يُجرِّب» في اللغة العبرية هو (נסה) (نصه) وهو يأتي من جذر بمعنى (يختبر، يحاول إثبات، يبرهن، يفحص، يثبت، يجرب، يحاول، يغرِّي).

put to the proof or test, to test, to attempt, adventure, assay, prove, tempt, try

وقد ورد الفعل «يُجرِّب» في العهد القديم ٣٦ مرة منهم ٢٧ مرة بمعنى «إثبات شيء» أو «يختبر ليثبت ويبرهن شيء يعرفه جيدًا». وأرجو أن تتأمل معي بعض الآيات التي وردت فيها الكلمة العبرية (נסה) «يُجرِّب»[2]:

«وَحَدَثَ بَعْدَ هَذِهِ الأُمُورِ أَنَّ اللهَ امْتَحَنَ (נסה) إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ لَهُ: (يَا إِبْرَاهِيمُ). فَقَالَ: هَئَنَذَا». «فَصَرَخَ إِلَى الرَّبِّ. فَأَرَاهُ الرَّبُّ شَجَرَةً فَطَرَحَهَا فِي الْمَاءِ فَصَارَ الْمَاءُ عَذْبًا. هُنَاكَ وَضَعَ لَهُ فَرِيضَةً وَحُكْمًا وَهُنَاكَ امْتَحَنَهُ (נסה)».

(خر ٤:١٦) «فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: هَا أَنَا أُمْطِرُ لَكُمْ خُبْزًا مِنَ السَّمَاءِ! فَيَخْرُجُ الشَّعْبُ وَيَلْتَقِطُونَ حَاجَةَ الْيَوْمِ بِيَوْمِهَا. لأَمْتَحِنَهُمْ (אנסה) أَيَسْلُكُونَ فِي نَامُوسِي أَمْ لاَ؟».

(خر٢٠:٢٠) «فَقَالَ مُوسَى لِلشَّعْبِ: لاَ تَخَافُوا. لأَنَّ اللهَ إِنَّمَا جَاءَ لِيَمْتَحِنَكُمْ (נסות) وَلِتَكُونَ مَخَافَتُهُ أَمَامَ وُجُوهِكُمْ حَتَّى لاَ تُخْطِئُوا».

(١صم ١٧:٣٩) «فَتَقَلَّدَ دَاوُدُ بِسَيْفِهِ فَوْقَ ثِيَابِهِ وَعَزَمَ أَنْ يَمْشِيَ لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ جَرَّبَ (נסה). فَقَالَ دَاوُدُ لِشَاوُلَ: لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَمْشِيَ بِهَذِهِ لأَنِّي لَمْ أُجَرِّبْهَا (נסית) وَنَزَعَهَا دَاوُدُ عَنْهُ».

(١مل ١٠:١) «وَسَمِعَتْ مَلِكَةُ سَبَا بِخَبَرِ سُلَيْمَانَ لِمَجْدِ الرَّبِّ. فَأَتَتْ لِتَمْتَحِنَهُ (נסתו) بِمَسَائِلَ».

(مز ٢٦:٢) «جَرِّبْنِي يَا رَبُّ وَامْتَحِنِّي (ונסני). صُفَّ كُلْيَتَيَّ وَقَلْبِي».

(مز ٩٥:٩) حَيْثُ جَرَّبَنِي (נסוני) آبَاؤُكُمْ. اخْتَبَرُونِي. أَبْصَرُوا أَيْضًا فِعْلِي».

(دا ١٢:١) «جَرِّبْ (נס) عَبِيدَكَ عَشَرَةَ أَيَّامٍ. فَلْيُعْطُونَا الْقَطَانِيَّ لِنَأْكُلَ وَمَاءً لِنَشْرَبَ».

ماذا تقول القرينة؟

آية ١ جَمِيعَ الْوَصَايَا الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ تَحْفَظُونَ لِتَعْمَلُوهَا لِتَحْيُوا وَتَكْثُرُوا وَتَدْخُلُوا وَتَمْتَلِكُوا الأَرْضَ الَّتِي أَقْسَمَ الرَّبُّ لآبَائِكُمْ.

إن ما يريده الرب لشعبه هو أن يحيوا ويكثروا ويدخلوا أرض الموعد. والطريق لذلك هو أن يحفظ شعبه وصاياه عمليًا وتطبيقيًا وليس نظريًا فقط. وعليهم أن يسلموا وصاياها وتطبيقها إلى أولادهم من جيل إلى جيل.

ولم يكن هدف الوصايا أن يتحكم الله في الإنسان. كلا. بل أن يعيش الإنسان ملء الحياة. وإياك أن تظن أن الوصايا قيد. إن الوصايا طريق حياة. تخيل الشارع بدون قوانين مرور. وكل واحد يفعل ما يحلو له. كيف سيكون شكل الشارع؟ وما أبعد الفارق بين وصاياه التي قال عنها المرنم: «نَامُوسُ الرَّبِّ كَامِلٌ يَرُدُّ النَّفْسَ. شَهَادَاتُ الرَّبِّ صَادِقَةٌ تُصَيِّرُ الْجَاهِلَ حَكِيمًا. وَصَايَا الرَّبِّ مُسْتَقِيمَةٌ تُفَرِّحُ الْقَلْبَ. أَمْرُ الرَّبِّ طَاهِرٌ يُنِيرُ الْعَيْنَيْنِ» (مز ١٩: ٧،٨) وبين قوانين المرور.

آية ٢ وَتَتَذَكَّرُ كُل الطَّرِيقِ الَّتِي فِيهَا سَارَ بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ هَذِهِ الأَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الْقَفْرِ لِيُذِلَّكَ وَيُجَرِّبَكَ لِيَعْرِفَ مَا فِي قَلْبِكَ أَتَحْفَظُ وَصَايَاهُ أَمْ لاَ؟

فهو يريد منهم أن يتذكروا أعماله العظيمة وعجائبه القوية التي عملها معهم من أول الضربات العشرة وحتى قبل عبور الأردن. وهو فعل ذلك لكي يثبت حقه في قلب كل إنسان. ولكي يدرك كل إنسان أن الذي أخطأ نال عقابه والذي تمسك بوصايا الرب نال مكافأته خلال الأربعين سنة. ولقد أتاهك لكي تتجه كل الأنظار إليه. وتتعلق كل القلوب به. وقد فعل ذلك لكي يذلك بمعنى يعلمك التواضع. ولكي يكشف ما هو خفي في داخل قلبك. ويجعلك تعرف نفسك على حقيقتها. ولكي تعرف نقاط قوتك وتنميها. ونقاط ضعفك وتعالجها.

عزيزي القارئ: إن التجارب لخيرنا فعندما يسمح الله بتجربتنا إنما ذلك ليقيمنا وليس ليسقطنا. ليرفعنا وليس ليكسرنا. تخيل مدرس في مدرسة الأحد يريد أن يمتحن تلاميذه. هل يمتحنهم

ليصيبهم بالفشل أم ليدفعهم للأمام؟ إنه يمتحننا لنقيِّم أنفسنا ونعرف مستوانا ونتقدم للأمام.

وعندما يسمح الله بتجربة هو لا يتخذ منا موقف المتفرج. بل المتوحد بنا. فهو فينا ونحن فيه. نحن جزء منه. ألا يقول الرسول بولس: «لأَنَّنَا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ. مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ» (أف ٥: ٣٠). ولذلك نسمع المسيح يقول بفمه الطاهر: «لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي. عُرْيَانًا فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضًا فَزُرْتُمُونِي. مَحْبُوسًا فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ» (مت ٢٥: ٣٥ ـ ٣٦). والسؤال: متى كان جائعًا أو عطشانًا أو مريضًا أو غريبًا أو محبوسًا؟ ولا نجد إجابة سوى في أولاده. فهو يتألم لآلامنا ويحزن لأحزاننا. ألم يقل إشعياء النبي: «فِي كُلِّ ضِيقِهِمْ تَضَايَقَ وَمَلاَكُ حَضْرَتِهِ خَلَّصَهُمْ». ألم يقل زكريا: «لأَنَّهُ مَنْ يَمَسُّكُمْ يَمَسُّ حَدَقَةَ عَيْنِهِ» (زك ٢: ٨) وهي تأتي في بعض الترجمات كالآتي:

(TLB) For he who harms you sticks his finger in Jehovah's eye

من يؤذيكم يضع إصبعه في عين يهوه

(DRB) for he that toucheth you, toucheth the apple of my eye:

لأَنَّهُ مَنْ يَمَسُّكُمْ يَمَسُّ حَدَقَةَ عَيْنِي

(ERV) «If anyone even touches you, it is as if they did it to the pupil of my eye.

لأَنَّهُ مَنْ يَمَسُّكُمْ يَمَسُّ حَدَقَةَ عَيْنِي

(GNB) Anyone who strikes you strikes what is most precious to me.

من يضربكم يضرب أثمن شيء عندي

(ISV) because whoever injures you injures the pupil of my eye.

ألم يقل الرب لشاول عندما ظهر له في طريق دمشق: «شَاوُلُ شَاوُلُ لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟» (أع ٩: ٤). لم يقل له لماذا تضطهد بطرس أو أندراوس أو يوحنا. بل تضطهدني أنا. فعندما تمد يدك على أي واحد فيهم كأنك مددتها علىّ أنا.

وعندما يسمح الله لنا بالتجارب فهو لا يتركنا فريسة في يد العدو. بل يعدّنا ويؤهلنا للانتصار قبل الدخول في التجربة. ألم يقل لبطرس: «سِمْعَانُ سِمْعَانُ هُوَذَا الشَّيْطَانُ طَلَبَكُمْ لِكَيْ يُغَرْبِلَكُمْ كَالْحِنْطَةِ! وَلَكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ لِكَيْ لاَ يَفْنَى إِيمَانُكَ. وَأَنْتَ مَتَى رَجَعْتَ ثَبِّتْ إِخْوَتَكَ» (لو ٢٢: ٣١ ـ ٣٢). لقد طلب الرب يسوع من أجله قبل أن يغربله الشيطان. وما أروع ما قاله لابان ليعقوب عندما كان يطارده ولحق به في جبل جلعاد: «فِي قُدْرَةِ يَدِي أَنْ أَصْنَعَ بِكُمْ شَرًّا وَلَكِنْ إِلَهُ أَبِيكُمْ كَلَّمَنِيَ الْبَارِحَةَ قَائِلًا: احْتَرِزْ مِنْ أَنْ تُكَلِّمَ يَعْقُوبَ بِخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ» (تك ٣١: ٢٩) يقول «إِلَهُ أَبِيكُمْ» لأنه لا يعرفه. وقد التقى به وحذّره من أن يمد يده بالسوء ليعقوب قبل أن يلتقي به بيوم. هل كان يعقوب يدري بما يفعله الرب لأجله؟! نحن لا نعلم ماذا سيواجهنا في الغد لكننا نثق أنه اليوم يعدنا ويصلي لأجلنا ويسهر علينا لكي ننتصر في الغد.

هل الله يريد أن يذل الإنسان؟

تقول آية ٣ «فَأَذَلَّكَ وَأَجَاعَكَ وَأَطْعَمَكَ الْمَنَّ الَّذِي لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُهُ وَلاَ عَرَفَهُ آبَاؤُكَ لِيُعَلِّمَكَ أَنَّهُ لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ بَلْ بِكُلِّ مَا يَخْرُجُ مِنْ فَمِ الرَّبِّ يَحْيَا الإِنْسَانُ». فهل الله يريد أن يذل

الإنسان؟ لكي أجاوبك على هذا السؤال بوضوح، أسأل سؤالًا مفتاحيًا: هل الله أجاعهم؟ ألا تقول الآية: «فَأَذَلَّكَ وَأَجَاعَكَ»؟ في الحقيقة الله لم يجيعهم بل أطعمهم أفضل الأطعمة، فتقول تكملة الآية: «وَأَطْعَمَكَ الْمَنَّ الَّذِي لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُهُ وَلا عَرَفَهُ آبَاؤُكَ». والمنّ اسم عبري معناه (ما هو هذا؟ أو هبة) أنزله الله على بني إسرائيل طوال مدة إقامتهم في البرية، وكان كافيًا لملايين الناس، وكان المن كبزرة الكزبرة أبيض وطعمه كطعم قطائف بزيت، ومنظره كمنظر المقل (عد ١١: ٧ و ٨) وكان ينزل يومًا فيومًا مدة أربعين سنة ما عدا أيام السبت، فما كان يُحفَظ من المنّ في اليوم السادس إلى اليوم السابع كان يبقى جيدًا وصالحًا للأكل - وذلك ليعلمهم تقديس يوم السبت - ولكن ما كان يُحفَظ من يوم إلى آخر من أيام الأسبوع فإنه كان يفسد ويتولد فيه الدود، فهو لم يجيعهم. إذًا المقصود بكلمة «وَأَجَاعَكَ»: أي لم يجعل لديهم مخزونًا من الطعام فيتكلوا عليه، بل جعلهم في احتياج يومي للطعام ليتعلموا الاتكال الدائم عليه والثقة الكاملة فيه، ليتعلموا أن من أعطاهم طعام اليوم سيعطيهم طعام الغد، وأنه لن يتخلى عنهم يومًا واحدًا. وهي تأتي في ترجمة:

(BBE) And he made low your pride and let you be without food and gave you manna for your food.

أي وتركك بدون طعام وأعطاك المنّ لتأكل...

وبالمثل عندما يقول «فَأَذَلَّكَ» فالرب لم يذلهم بالمعنى المعروف اليوم بدليل أنه في الآية التالية يقول: «ثِيَابُكَ لَمْ تَبْلَ عَلَيْكَ وَرِجْلُكَ لَمْ تَتَوَرَّمْ هَذِهِ الأَرْبَعِينَ سَنَةً». فقد أطعمهم المنّ السماوي، وحفظهم من أخطار الطريق، وجعل ثيابهم سليمة بطريقة معجزية طوال الأربعين سنة. والسؤال إذًا ما المقصود بكلمة «فَأَذَلَّكَ»؟

الكلمة العبرية (يُذل) هي (ענה) (عناه) وقد وردت في العهد القديم ٨٢ مرة، وهي لا تعني فقط (يُذل) إنما تعني أيضًا (يذل نفسه، ويتضع، ويخضع).

abase self, submit self, weaken, be bowed down, become low, to humble oneself ,to humble[4].

وقد تُرجِمَت عدة مرات في العهد القديم يخضع ويتضع ويذل نفسه كما في الآيات التالية:

(تك ١٦:٩) «فَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: ارْجِعِي إِلَى مَوْلاَتِكِ وَاخْضَعِي (התעני) تَحْتَ يَدَيْهَا».

(خر ١٠:٣) «فَدَخَلَ مُوسَى وَهَارُونُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَالاَ لَهُ: هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلَهُ الْعِبْرَانِيِّينَ إِلَى مَتَى تَأْبَى أَنْ تَخْضَعَ (לענת) لِي؟ أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي».

(لا ١٦:٣١) «سَبْتُ عُطْلَةٍ هُوَ لَكُمْ وَتُذَلِّلُونَ (ועניתם) نُفُوسَكُمْ فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً».

(مز ٣٥:١٣) «أَمَّا أَنَا فَفِي مَرَضِهِمْ كَانَ لِبَاسِي مِسْحًا. أَذْلَلْتُ (ועניתי) بِالصَّوْمِ نَفْسِي. وَصَلاَتِي إِلَى حِضْنِي تَرْجِعُ».

(إش ٥٨:٣) «يَقُولُونَ: لِمَاذَا صُمْنَا وَلَمْ تَنْظُرْ ذَلَّلْنَا (ענינו) أَنْفُسَنَا وَلَمْ تُلاَحِظْ؟ هَا إِنَّكُمْ فِي يَوْمِ صَوْمِكُمْ تُوجِدُونَ مَسَرَّةً وَبِكُلِّ أَشْغَالِكُمْ تُسَخِّرُونَ».

وهنا عندما يقول: «فَأَذَلَّكَ» فالمقصود جعلك لا

تفتخر بنفسك كما وردت في ترجمة

(BBE) And he made low your pride and let you be without food and gave you manna for your food.

إلى جانب أنها وردت في معظم الترجمات الإنجليزية الأخرى «وجعلك متواضعًا»:

(Darby) And he humbled thee, and suffered thee to hunger, and fed thee with the manna,

وجعلك متواضعًا وَأَجَاعَكَ وَأَطْعَمَكَ الْمَنَّ

(ISV), (RV), (ASV), (ERV), (YLT), (LITV), (ESV) And he humbled you and let you hunger and fed you with manna,

وجعلك متواضعًا وَأَجَاعَكَ وَأَطْعَمَكَ الْمَنَّ

(Bishops), (Geneva), (Webster) Therefore he humbled thee, and made thee hungry, and fed thee with MAN,

ولذلك جعلك متواضعًا وَأَجَاعَكَ وَأَطْعَمَكَ الْمَنَّ

MKJV), (KJV) And He humbled you and) allowed you to hunger, and then He fed you with manna,

وجعلك متواضعًا وَسمح لك بالجوع وَأَطْعَمَكَ الْمَنَّ

لقد أتاهم في البرية حتى يكون كل اتكالهم واعتمادهم عليه، وتتجه كل أنظارهم إليه. لقد جربهم حتى لا يفتخروا بقوتهم، أو بعددهم، وحتى يدركوا أن الله هو مصدر قوتهم.

عزيزي القارئ: إن الله لا يذل شعبه بل يكرمه، ولا يؤذي خليقته بل يباركها، فعندما نعود إلى قصة الخلق نرى أن الله خلق الإنسان على صورته، فميَّزه عن سائر الكائنات الأخرى بالعقل المفكر، والإرادة الحرة، والقدرة على الإبداع والابتكار، والقدرة على التعلم المستمر، والتواصل مع الله ومع الآخرين، وجعله تاجًا للخليقة، ووكيله في الأرض، بل وأعطاه مسئولية إدارة الخليقة فنقرأ: «وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنسان عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ» (تك ١: ٢٦) وأشرك الإنسان معه في تسمية الحيوانات وقد كان ممكنًا لله أن يسميها في لحظات، ولكننا نقرأ «وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلَهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَكُلَّ طُيُورِ السَّمَاءِ فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى مَاذَا يَدْعُوهَا وَكُلُّ مَا دَعَا بِهِ آدَمُ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسْمُهَا» (تك ٢: ١٨و١٩).

للأسف كثيرًا ما نظن أننا لكي نعظم الله لابد أن نحط من قيمة الإنسان، وكأن الإنسان منافس لله. وهذا غير صحيح بالمرة. لقد كان القديس ايرونيموس في القرن الثالث يقول: (مجد الله هو الإنسان الحي)[5] أي أنه كلما أصبحت حياة الإنسان أكثر إنسانية وكرامة ورفعة كلما فرح قلب الله. نعم ويتمجد الله عندما يرى أبناءه قيامًا مرفوعي الرأس. فالله يريد الإنسان ناضجًا متكاملًا أمامه في شخصيته وقدراته وحياته. لذلك أريد أن أقول إن أي نظرية سياسية أو دينية أو روحية أو اقتصادية تقلل من قيمة الإنسان ليست مسيحية.

فلم يخلق الله الإنسان لكي يذله ويعذِّبه في الأرض في رحلة مليئة بالمصائب والكوارث والقدر المحتوم والعمر المحدود. لقد خلق الله الإنسان ووضعه

في الجنة. فمنذ البداية وهو يريد خير الإنسان وسعادته وراحته.

فهو يريد راحة الإنسان. ولذلك يقول المرنم: «الَّذِي يُشْبِعُ بِالْخَيْرِ عُمْرَكِ...» (مز ١٠٣: ٥). ألم يقل «بِجَمِيعِ خَلَقْتُهُ وَجَبَلْتُهُ وَصَنَعْتُهُ» (إش ٤٣: ٧). وعندما جاء المسيح قال: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ» (يو ١٠: ١٠). وهي تأتي في اليونانية (περισσὸν ἔχωσιν) بمعنى «يأخذون الحياة بفيض وغزارة» أو «يعيشون الحياة بملئها».

كان القديس مكسيموس المعترف يقول: «إن الله يتعطش لكي يؤله الإنسان». وكان القديس إيريناوس أسقف ليون في القرن الثاني يقول: «صار الإله إنسانًا ليصير الإنسان إلهًا».[٦] أليست هذه الكلمات صدى لما قاله الرسول بولس: «من أجلكم افتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره» (٢ كو ٨: ٩). إن تأليه الإنسان لا يختبره الإنسان بعد الموت بل هنا والآن.

إن الله لا يريد للإنسان وجودًا ناقصًا أو مبتورًا. إنه يريد للإنسان كل الوجود. إنه يريد أن يشرك الإنسان في ملئه ويرفعه إلى مستواه.

إن الله أب. والأب يُسَّر بأن يصبح ابنه مثله مكتمل الرجولة. ويتمنى أن يرى ابنه في غاية السعادة والراحة والاستقرار. ولا ينكسر قلبه إلا عندما يرى ابنه حزينًا بائسًا مريضًا عاجزًا ضعيفًا. لذلك نكرر إن الله يريد أن يؤله الإنسان ويشركه في مجده. ألم يقل الرسول بطرس: «لِكَيْ تَصِيرُوا بِهَا شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإلهية» (٢بط ١: ٤).

المراجع

(1) Strong's Exhaustive Concordance Lexicon Entries. Hebrew and Greek. p. 317.

(٢) د. القس الدكتور منيس عبد النور. شبهات وهمية. ص١٩٤.

(3) Enhanced Brown-Driver-Briggs Hebrew and English Lexicon. p. 287..

(4) Enhanced Brown-Driver-Briggs Hebrew and English Lexicon. p. 289.

(٥) الأب فاضل سيداروس اليسوعي (المجتمع ميزان الكنيسة) ١٩٧٩ م.

(٦) كوستي بندلي. إله الإلحاد المعاصر. ص ٦٣.

لماذا نذر يفتاح هذا النذر؟

وهل نفَّذ يفتاح نذره في ابنته وقدمها محرقة للرب؟

وهل يرضى الله بذلك ويقبل ذبائح بشرية؟

وكيف يُسجِّل كاتب الرسالة إلى العبرانيين اسمه كأحد أبطال الإيمان بعد هذا التصرف الأحمق ونحن لم نقرأ أنه ندم وطلب الغفران؟

وما الفائدة الروحية التي تعود علينا من هذه القصة؟

وللإجابة على هذه الأسئلة أقول:

هناك ثلاثة آراء حول هذه القصة وهي:

الرأي الأول:

حاول أصحاب هذا الرأي حل هذه الإشكالية فقالوا إن يفتاح عندما نذر وقال: «الْخَارِجُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَبْوَابِ بَيْتِي لِلِقَائِي عِنْدَ رُجُوعِي بِالسَّلاَمَةِ مِنْ عِنْدِ بَنِي عَمُّونَ يَكُونُ لِلرَّبِّ، وَأُصْعِدُهُ مُحْرَقَةً». لم يكن يقصد بشرًا بل حيوانًا. ويرى أصحاب هذا الرأي أن يفتاح تمم نذره وقدَّم حيوانًا ما محرقة للرب.

ولكن بدراسة النص نجد أن يفتاح لم يكن يقصد حيوانًا، لأنه من غير المعقول أن يتوقع خروج حيوان للقائه. وأكبر دليل على ذلك هو أن كلمة «الْخَارِجُ» في اللغة العبرية هي (היוצא) «هيتصا» وهي في صيغة المذكر التي تشير إلى شخص وليس إلى شيء، ولا تحتمل الإشارة إلى حيوان وإنسان معًا.

إلى جانب أن كلمة «لِلِقَائِي» (ع ٣١) لا تصف ملاقاة حيوان لإنسان، بل إنسان لإنسان، لأنها تشير إلى تصميم وإرادة ومشاعر، فهي تشير إلى شخص يخرج للتهنئة والترحيب بشخص آخر، وكما يقول وليم مارش: «لأن البهيمة لا تخرج للقائه»[٣].

الرأي الثاني:

يجزم أصحاب هذا الرأي بأن يفتاح قدَّم ابنته محرقة وذبيحة بشرية للرب ويقولون إن يفتاح فعل ذلك للأسباب الآتية:

١ ـ لقد تصرف يفتاح في موقف النذر كأي رجل وثني، يجري في عروقه الدم الكنعاني، فقد كان لايزال وثني الطبع والنزعة في قلبه وتفكيره، إلى جانب أن الذبائح البشرية كانت تمارس وسط جيران إسرائيل، وكان الكنعانيون يقدمون أبناءهم وبناتهم ذبائح للإله مولك، وكانت هذه العادات أيضًا سائدة في سوريا في ذلك الزمان، وكذلك في آسيا الصغرى، وقد فعل يفتاح ذلك مجاراة للعوائد الدينية التي كانت سائدة في ذلك الوقت: فيذكر هربرت لوكير[٤] أن ماريوس قدَّم ابنته بعد الانتصار على الكمبريين «الجومريين». وكذلك نذر ملك كريت عقب عاصفة هوجاء أن يقدِّم للإله نبتون أول مَنْ يخرج من القصر للقائه بعد عودته سالمًا. وكذلك قدَّم أجامنون ابنته إفيجينيا للإله. ويرى آرثر كندال[٥] أن ما فعله يفتاح يشبه ما فعله ملك موآب الذي قدَّم ابنه ذبيحة بشرية لاسترضاء الإله كموش وليصنع خلاصًا من يد إسرائيل ويهوذا وآدوم (٢مل ٣:٢٧).

٢ ـ يبدو أن يفتاح كان شخصًا متسرعًا وعاطفيًا، وقد قدَّم نذره قبل الحرب، وربما كان يظن أن أول مَنْ سيخرج للقائه هو أحد العبيد، أو إحدى الجواري، ولم يكن يظن أبدًا أن تكون

ابنته وحيدته هي أول من يقابله. ولكن كثيرًا ما تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن. وفي كل الأحوال يظل نذر يفتاح نذرًا غير حكيمًا ومتهورًا، وينم عن مشاعر منفلتة وغير منضبطة، وقرارًا أحمق غير محسوب العواقب. وقد دفعت ابنة يفتاح حياتها ثمنًا من أجل نذر أحمق من أب متسرع.

٣ ـ كان يفتاح يعيش شرقي الأردن في منطقة جلعاد، ولم يكن يعرف أن الله يمنع بشدة تقديم ذبائح بشرية (تث ١٢:٣١). وقد نذر يفتاح نذره لأنه كان يريد أن يقدِّم أعز وأغلى ما لديه للرب، ولم يكن يدري أن الرب لا يقبل مثل هذه الذبائح. فحدث ما حدث بسبب جهله للوصية، ولأنه لم يأخذ مشورة أحد.

الرأي الثالث:

يرى عدد كبير من العلماء أن يفتاح لم يقدِّم ابنته ذبيحة دموية للرب كما هو شائع، بل عزلها وكرسها لخدمة الرب في الهيكل، فظلت عذراء طوال حياتها. وأنا أتفق تمامًا مع هذا الرأي للأسباب الآتية:

(١) إن مَنْ ينادون بأن يفتاح قدَّم ابنته ذبيحة يقولون إن يفتاح نفسه قال في (آية ٣١): «فَالْخَارِجُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَبْوَابِ بَيْتِي لِلِقَائِي عِنْدَ رُجُوعِي بِالسَّلاَمَةِ مِنْ عِنْدِ بَنِي عَمُّونَ يَكُونُ لِلرَّبِّ، وَأُصْعِدُهُ مُحْرَقَةً». ويقولون إن عبارة «وَأُصْعِدُهُ مُحْرَقَةً» تؤكد أنه قدمها ذبيحة.

ولكن المفسر الكبير آدم كلارك (Adam Clar-ke) يقول: إن العلماء المتخصصون في اللغة العبرية يقولون لنا: إن أدق ترجمة للعبارة الواردة في نذر يفتاح «يَكُونُ لِلرَّبِّ، وَأُصْعِدُهُ مُحْرَقَةً» (והיה ליהוה והעליתיהו עולה) هي «يَكُونُ لِلرَّبِّ، أو أُصْعِدُهُ مُحْرَقَةً»[٦].

وهكذا وردت في ترجمة:

(MKJV) surely it shall belong to Jehovah, or I will offer it up a burnt offering.

بالتأكيد يكون للرب أو أقدمه محرقة.

(YLT) it hath been to Jehovah, or I have offered up for it--a burnt-offering.›

يكون للرب أو أصعده له ذبيحة محرقة.

أي إن كان الخارج إنسانًا فسيُقدَّمه للرب، أما إذا كان حيوانًا فسيُصعِدَه محرقة. وكأنه يقصد أن يقول: إن كان الخارج من بيتي مناسبًا كذبيحة للرب سأُقدِّمه ذبيحة. وإن كان من الخارج مناسبًا للخدمة سأكرِّسه لخدمة الرب في خيمة الاجتماع. فربما يكون أول من يقابله كلب أو حيوان غير طاهر فلا يقدر أن يقدمه محرقة، أو ربما شخص غير مناسب كان في زيارة بيته قريب أو جار له مثلًا فلا يحق له نذره للرب.

وبغض النظر عن كلام آدم كلارك (Adam Clar-ke) دعنا ندرس ما قاله يفتاح بتدقيق: «فَالْخَارِجُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَبْوَابِ بَيْتِي لِلِقَائِي عِنْدَ رُجُوعِي بِالسَّلاَمَةِ مِنْ عِنْدِ بَنِي عَمُّونَ يَكُونُ لِلرَّبِّ، وَأُصْعِدُهُ مُحْرَقَةً».

فما معنى عبارة «يَكُونُ لِلرَّبِّ»؟

ذُكِرَتْ هذه العبارة عند الحديث عن البكر في خروج ١٣ وعن الحديث عن النذر فنقرأ:

«قَدِّسْ لِي كُلَّ بِكْرٍ، كُلَّ فَاتِحِ رَحِمٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْبَهَائِمِ. إِنَّهُ لِي»...

أَنَّكَ تُقَدِّمُ لِلرَّبِّ كُلَّ فَاتِحِ رَحِمٍ، وَكُلَّ بِكْرٍ مِنْ نِتَاجِ الْبَهَائِمِ الَّتِي تَكُونُ لَكَ. الذُّكُورُ لِلرَّبِّ.... وَكُلُّ بِكْرِ إِنْسَانٍ مِنْ أَوْلاَدِكَ تَفْدِيهِ. «وَيَكُونُ مَتَى سَأَلَكَ ابْنُكَ غَدًا قَائِلًا: مَا هذَا؟ تَقُولُ لَهُ: بِيَدٍ قَوِيَّةٍ أَخْرَجَنَا الرَّبُّ مِنْ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. وَكَانَ لَمَّا تَقَسَّى فِرْعَوْنُ عَنْ إِطْلاَقِنَا أَنَّ الرَّبَّ قَتَلَ كُلَّ بِكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بِكْرِ النَّاسِ إِلَى بِكْرِ الْبَهَائِمِ. لِذلِكَ أَنَا أَذْبَحُ لِلرَّبِّ الذُّكُورَ مِنْ كُلِّ فَاتِحِ رَحِمٍ، وَأَفْدِي كُلَّ بِكْرٍ مِنْ أَوْلاَدِي». (خر ١٣: ٢، ١٢-١٥).

لقد أعلن الله بوضوح أن «كُلَّ بِكْرٍ، كُلَّ فَاتِحِ رَحِمٍ، مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْبَهَائِمِ، إِنَّهُ لِي». فهل معنى ذلك أنه يُذبَح للرب؟ كلا. كان كل بكر من البهائم الطاهرة يقدم ذبيحة للرب، بينما البكر من البشر يُفدَى بذبيحة حيوانية. وهذا يعني أنه قُدِّم للرب، بالرغم من أنه فُدِي بحيوان طاهر علامة على فداء الرب لهم وتخليصهم من العبودية.

أما عن معنى عبارة «وَأُصْعِدَهُ مُحْرَقَةً» يقول د. القس رياض قسيس: «إن أصل كلمة (مُحْرَقة) في اللغة العبرية يفيد معنى التكريس وليس فقط الاحتراق بالنار، أو الذبيحة الدموية المحترقة. فأصل الكلمة العبرية هو «علاه» وهو يماثل الفعل «علا» أي (ارتفع وصعد) بالعربية. فالمحرقة «علاه» تشير في أصلها إلى ما يتم رفعه أو إصعاده إلى المذبح كتعبير ظاهر وعلني على التخصيص والتكريس للرب»[٧]. وقد كرَّس يفتاح ابنته وخصصها لخدمة الرب.

وهذا ما يؤكده قاموس ستروخ إذ نجد أن الكلمة (עולה) تعني تقدمه، وإصعاد، ويصعد. وهي أصلًا من الفعل (עלה) أي صعد.

وكذلك قاموس برون إذ يقول: إن الكلمة (עולה) تعني تقدمه، أو يصعد. وللتأكيد هي مشتقة من الفعل (עלה) أي صعد. والفعل (علا) الذي أتت منه (عولاه) لايحمل معنى الحرق، إذ معناها الحقيقي يرفع.

لذلك فالترجمه الحرفية يجب أن تكون «وَأُصْعِدَهُ تقدمَةً». لأن كلمة محرقة غير دقيقة لأنها تعني الإحراق فقط. ولكن الكلمة العبرية تعني يُصعِد بمعنى محرقة للحيوان أو تكريس كنذير للرب للإنسان.

ويؤكد ذلك مراجع لغوية كثيرة فعلى سبيل المثال في (MSDict Concise Oxford English Dictionary) يوضح أن المقصود بهذه الكلمة «إما محرقة أو يكون مكرسًا للرب».

وفي (Hardware abstraction -Wikipedia, the free encyclopedia) يؤكد أيضًا أنها تحمل المعنيين فإما محرقة أو يعيش في محضر الرب لو إنسان «أي نذير يخدم الرب طول عمره ولا يتزوج».

يتضح من ذلك أن يفتاح قصد بنذره أن أول من يخرج من بيته سيقدمه محرقة ليهوه إذا كان حيوانًا طاهرًا. وإذا كان إنسان سيصعده ليهوه فيخدم يهوه طوال حياته. ولا يتزوج أو يعمل أي عمل آخر.

أما عن معنى وَأُصْعِدَهُ مُحْرَقَةً فهو لا يعني إحراق شخص ولكن العدد له معنى لفظي

وجاء في قاموس (Treasury of Scriptural Knowledge) أن «وَأُصْعِدَهُ مُحْرَقَةً» ترجمتها الدقيقة «وأصعد أو سأصعد له (فالهاء تعود علي يهوه وليس الشخص) محرقة» (והעליתיהו עולה) وقد ذكر د. راندولف (Dr. Randolph) وآخرون أن معنى «وَأُصْعِدَهُ» أن الهاء (ה) تشير إلى الذي تُقدَّم له الذبيحة وليس المحرقة ذاتها.

وهذا يعني أنه يتحدث عن أمرين مستقلين، إن كان إنسانًا يكون نذير للرب، ويقدم محرقة للرب.

(٢) من المستحيل أن يفعل يفتاح مثلما كان يفعل الوثنيون المجاورون له، أو يتصرف بحسب العادات الشائعة في ذلك الوقت وهو الذي نقرأ عنه: «كَانَ رُوحُ الرَّبِّ عَلَى يَفْتَاحَ» (قض ١١:٢٩). وبالتالي كان يعرف طرق الرب، ويتكلم بكلام الرب، وكان يُدرك أن الرب هو مصدر النصرة (قض ١١:٩)، وكان كلامه مع شيوخ جلعاد أمام الرب فنقرأ: «فَتَكَلَّمَ يَفْتَاحُ بِجَمِيعِ كَلاَمِهِ أَمَامَ الرَّبِّ» (قض ١١:١١). وكتب في رسائله إلى ملك بني عمون: «لِيَقْضِ الرَّبُّ الْقَاضِي الْيَوْمَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَنِي عَمُّونَ» (قض ١١:٢٧). ويعلق آرثر كندال على هذه العبارة قائلًا: «إن يفتاح بحلول روح الرب عليه أصبح بطلًا روحيًا مؤيَّدًا من الله ليحقق الخلاص لشعبه»[٨]. ويقول مؤلف كتاب (Treasury of Scriptural Knowledge) «من المستحيل أن يكون يفتاح تحت سلطان روح الله ولا يمنعه الروح من أن تتنجس يديه بدماء ابنته»[٩]

(٣) من غير المعقول أن يكون يفتاح قدم ابنته ذبيحة مجاراة للعوائد الدينية الوثنية التي كانت سائدة في ذلك الوقت في العديد من البلاد المجاورة له. ويحسبه كاتب الرسالة إلى العبرانيين أحد أبطال الإيمان. فيقول: «وَمَاذَا أَقُولُ أَيْضًا؟ لأَنَّهُ يُعْوِزُنِي الْوَقْتُ إِنْ أَخْبَرْتُ عَنْ جِدْعُونَ، وَبَارَاقَ، وَشَمْشُونَ، وَيَفْتَاحَ، وَدَاوُدَ، وَصَمُوئِيلَ، وَالأَنْبِيَاءِ، الَّذِينَ بِالإِيمَانِ...» (عب ١١:٣٢).

(٤) منْ يدرس بدقة حوارات يفتاح مع شيوخ جلعاد (قض ١١: ٤-١١) أو يدرس مفاوضاته مع بني عمون (قض ١١: ١٢-٢٨) يدرك أنه لم يكن شخصًا متسرعًا أو متهورًا. بل كان شديد التعقل والتروي والحذر. إلى جانب أنه لم ينطق بنذره وهو في ساحة القتال حيث المخاوف والضغوط الشديدة تجعل الإنسان كثيرًا ما ينطق بما لا يعي، وإنما نذر نذره قبل الحرب بكثير وهو في حالة تفكير وتروي وتأمل (قض ١١: ٢٩-٣١).

(٥) لا يوجد لدينا أي دليل على أن يفتاح لم يكن يعرف الوصية الكتابية التي تؤكد أن الله يبغض الذبائح البشرية. بل العكس، فمنْ يدرس حوار يفتاح مع بني عمون (قض ١١: ١٢-٢٨) يدرك أنه كان ملمًا بالشريعة والوصايا وبكل تاريخ بني إسرائيل. إلى جانب أن وصية أساسية مثل كراهية الرب للذبائح البشرية، لا تحتاج أن يكون ملمًا بكل تفاصيل الشريعة والناموس ليعرفها. فالمسلم لا يحتاج إلى معرفة تفاصيل الديانة المسيحية حتى يعرف أن المسيحية لا تبيح الطلاق مثلًا فهذا أمر بديهي، وهكذا كراهية الرب للذبائح البشرية، فالرب كان قد حذَّر بشدة من ممارستها فقد قال لهم:

«مَتَى قَرَضَ الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ أَمَامِكَ الأُمَمَ الَّذِينَ أَنْتَ ذَاهِبٌ إِلَيْهِمْ لِتَرِثَهُمْ، وَوَرِثْتَهُمْ وَسَكَنْتَ أَرْضَهُمْ، فَاحْتَرِزْ مِنْ أَنْ تَسْأَلَ عَنْ آلِهَتِهِمْ قَائِلًا: كَيْفَ عَبَدَ هؤُلاَءِ الأُمَمُ آلِهَتَهُمْ، فَأَنَا أَيْضًا أَفْعَلُ هكَذَا؟ لاَ تَفْعَلْ هكَذَا لِلرَّبِّ إِلهِكَ، لأَنَّهُمْ قَدْ عَمِلُوا لآلِهَتِهِمْ كُلَّ رِجْسٍ لَدَى الرَّبِّ مِمَّا يَكْرَهُهُ، إِذْ أَحْرَقُوا حَتَّى بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ بِالنَّارِ لآلِهَتِهِمْ» (تث ١٢:٣١).

وقال أيضًا: «مَتَى دَخَلْتَ الأَرْضَ الَّتِي يُعْطِيكَ

الرَّبُّ إِلهُكَ. لاَ تَتَعَلَّمُ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ رِجْسِ أُولئِكَ الأُمَمِ. لاَ يُوجَدْ فِيكَ مَنْ يُجِيزُ ابْنَهُ أَوِ ابْنَتَهُ فِي النَّارِ...» (تث ١٨: ٩-١٠).

وقد كان الأنبياء يحذرون الشعب بشدة من هذه الممارسات الوثنية.

(٦) لم يذكر الوحي إطلاقًا أن يفتاح قدَّم ابنته ذبيحة. فلقد كانت الذبائح تُقدَّم على المذبح في خيمة الشهادة وبواسطة الكهنة. وبالطبع كان من المستحيل أن يُمسك أحد الكهنة بسكين ويذبحها. وكان من المستحيل أن يسمحوا بذلك، لأنهم يعرفون أن الشريعة تدين ذلك. هذا إلى جانب أن الكاهن في ذلك الوقت هو فنيحاس ابن أليعازر الغيور وقد كان معروفًا بتشدده في تطبيق الناموس. وكان من المستحيل أن يسمح بتقديم محرقة بشرية لأنه يعرف الناموس جيدًا ويطبقه بحرص شديد.

ولم نقرأ أن يفتاح أمسك بسكين وذبحها. وأشعل النار فيها كما كانت عادة تقديم الذبائح في ذلك الوقت. فضلًا عن ذلك لم يكن يفتاح كاهنًا حتى يفعل ذلك. ولكن كل ما نقرأه: «وَكَانَ عِنْدَ نِهَايَةِ الشَّهْرَيْنِ أَنَّهَا رَجَعَتْ إِلَى أَبِيهَا. فَفَعَلَ بِهَا نَذْرَهُ الَّذِي نَذَرَ. وَهِيَ لَمْ تَعْرِفْ رَجُلًا» (ع ٣٩).

إن يفتاح فعل بابنته كما نذر، أي كرسها لخدمة خيمة الاجتماع. ولتظل عذراء بتول. وهذا ليس أمرًا جديدًا. فنحن نقرأ عن «الْمُتَجَنِّدَاتِ اللَّوَاتِي تَجَنَّدْنَ عِنْدَ بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ» (خر ٣٨:٨). إلى جانب أن تواجد بعض النساء في الهيكل كان عادة مألوفة (١صم ٢:٢٢). فقد كن يقمن بخدمة الطهي والغسيل والترتيب والتنظيم وما إلى ذلك. وكذلك نقرأ عن بنات شيلوه (قض ٢١: ١٩-٢٣).

حيث كانت لهن خدمة مرتبطة بمكان العبادة.

(٧) عند رؤية يفتاح لابنته وهو في طريق العودة منتصرًا اغتم ومزق ثيابه حزنًا وقال لها: «آهِ يَا بِنْتِي! قَدْ أَحْزَنْتِنِي حُزْنًا وَصِرْتِ بَيْنَ مُكَدِّرِيَّ. لأَنِّي قَدْ فَتَحْتُ فَمِي إِلَى الرَّبِّ وَلاَ يُمْكِنُنِي الرُّجُوعُ». (قض ١١:٣٥).

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا كل هذا الحزن إذا كان ينوي تكريس ابنته لخدمة خيمة الاجتماع؟

والإجابة ببساطة تكمن في أن ابنة يفتاح كانت وحيدة لا أخ ولا أخت لها. فلم يكن له ابن أو ابنة غيرها (قض ١١:٣٤). وكانت لاتزال عذراء لم تتزوج بعد (قض ١١: ٣٨،٣٧). وبذلك ستُحرَم ابنته من الزواج وإنجاب الأولاد. الأمر الذي كان يُعتبر مسألة حياة أو موت بالنسبة للمرأة في ذلك الوقت (تك ٣٠:١). لقد كان الموت الجسدي أرحم للمرأة من أن لا يكون لها زرع بشر «راجع قصة حنة وفننة» (١صم١). أما هو فسيُحرَم من النسل والأحفاد. وهو أحد الأمور الهامة جدًا في الشرق الى اليوم. لأن استمرارية الشخص تتم من خلال ذريته. وحيث أن ابنة يفتاح لن تتزوج ولن تنجب أبناء فهذه تعتبر مأساة حياة (١صم ١٨:١٨). لأن هذا يعني انتهاء عشيرة يفتاح نفسه. فلا يوجد عنده ابن أو ابنة أخرى لإقامة نسل له. لأنه كان من الممكن رغم أنها ابنة أن يُحسَب زوجها في المستقبل ابن له بالنَسَب وبخاصة أنه قاض ومكانة القاضي كبيرة جدًا في إسرائيل. ولكنه رغم ذلك لم يتراجع عن نذره وضحى باحتمالية إقامة نسل لابنته وانتهاء اسمه من الأنساب نهائيًا وهذا الأمر محزن جدًا. لقد تطابقت لحظة النصر مع لحظة المأساة تمامًا. إلى جانب أنه في العهد القديم كانت واحدة من

علامات رضى الله على الإنسان، واحتلال مكانة وكرامة عند الناس هي أن يكون للشخص نسل.

(٨) من المستحيل أن يكون يفتاح قد كسر وصية الله ولا نجد أي إشارة لذلك في كل الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. فقد أدان الكتاب المقدس كل رجال الله عندما أخطأوا. فأدان موسى عندما أخطأ (عد ٢٠: ١٢-١٣، تث ٣٢: ٥٠-٥٢). وكذلك داود عندما أخطأ. بل ونجد كاتب سفر القضاة يدين جدعون قبل هذه القصة مباشرة (٨:٢٧) فلو كان يفتاح قد ارتكب عملًا إجراميًا مثل هذا كنا نتوقع أن تتم إدانته وإلا فما الفائدة الروحية التي ستعود علينا من تسجيل هذه القصة؟

إلى جانب أنه كما يقول هربرت لوكير: «كان لا يمكن لأي أب أن يُقْدِم على إنهاء حياة ابن حتى لو كان مجرمًا دون موافقة السلطات»[١٠].

(٩) إن ما طلبته ابنة يفتاح منه يؤكد أنه لم يقدمها ذبيحة. فقد قالت له: «اتْرُكْنِي شَهْرَيْنِ فَأَذْهَبَ وَأَنْزِلَ عَلَى الْجِبَالِ وَأَبْكِيَ عَذْرَاوِيَّتِي أَنَا وَصَاحِبَاتِي» (ع ٣٧). فهي تقول بوضوح: «أَبْكِيَ عَذْرَاوِيَّتِي» وترد في الترجمة العربية المشتركة «أبكي بُتوليَّتي» وليس أبكي على موتي. ويكرر الوحي للتأكيد في الآية التالية قائلًا: «فَذَهَبَتْ وَبَكَتْ عَذْرَاوِيَّتَهَا». وترد أيضًا في الترجمة العربية المشتركة «فذهَبَت وبكَت بُتولِيَّتَها». مما يؤكد أن يفتاح أوفي بنذره وكرسها لخدمة هيكل الرب وتعيش بتول. وقد تسأل: لماذا تبكي عذراويتها؟ ببساطة لأن عدم الإنجاب في ذلك الوقت كان يعتبر عارًا. بل وعقابًا إلهيًا. لقد قالت رَاحِيلُ لِيَعْقُوبَ: «هَبْ لِي بَنِينَ. وَإِلاَّ فَأَنَا أَمُوتُ!» (تك ٣٠:١).

إلى جانب أنه في ذلك الوقت كما يقول وليم مارش: «كل واحدة كانت تتوقع أنها ستلد المسيح الموعود به»[١١]. فكانت تتمنى أن تتزوج وتنجب ليكون لها فرصة مجئ المخلص من أبنائها أو من ذريتها. وهذه هي البركة التي كان يحلم بها كل رجل وكل امرأة في اليهودية قبل مجئ المسيح.

ويقول د. القس رياض قسيس: «لو كان الموت مصير ابنة يفتاح فلماذا تطلب أن تبتعد عن أبيها لمدة شهرين لتموت بعد هذه المدة وهي ابنته الوحيدة؟ ألم يكن من الأفضل - لو كان الموت حقًا نصيبها- أن تبقى مع والدها لتودعه وتودع الحياة؟ ألا تتطلب عاطفة الأبوة والبنوة ذلك؟ ومن يعلم أنه سيموت بعد شهرين هل يقضيهما في النحيب على الجبال أم بالاستمتاع بالحياة؟»[١٢]

(١٠) إن قول الكتاب «وَكَانَ عِنْدَ نِهَايَةِ الشَّهْرَيْنِ أَنَّهَا رَجَعَتْ إِلَى أَبِيهَا. فَفَعَلَ بِهَا نَذْرَهُ الَّذِي نَذَرَ. وَهِيَ لَمْ تَعْرِفْ رَجُلًا» (قض ١١: ٣٩)- يحسم الأمر بأن يفتاح كرسها لخدمة الرب ولم يقدمها ذبيحة. فلو كان قد قدمها ذبيحة للرب لما أضاف الوحي عبارة «وَهِيَ لَمْ تَعْرِفْ رَجُلًا» لأنه ذكر من قبل مرتين أنها بكت عذراويتها. ولكن أضافها ليؤكد أنها عاشت عذراء بتول لم تعرف رجلًا. وهذا ما يقوله المفسر الكبير آدم كلارك (Adam Clarke) «لقد استمرت عذراء كل أيام حياتها»[١٣]. ويؤيده كل من متى هنري (Matthew Henry)، وجون وسلي (John Wesley).

(١١) كان بإمكان يفتاح أن يتراجع عن نذره ولا يكون عليه لوم. وذلك بأن يفديها بدفع ثلاثين شاقل

فضة «وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: إِذَا أَفْرَزَ إِنْسَانٌ نَذْرًا حَسَبَ تَقْوِيمِكَ نُفُوسًا لِلرَّبِّ فَإِنْ كَانَ تَقْوِيمُكَ لِذَكَرٍ مِنِ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً إِلَى ابْنِ سِتِّينَ سَنَةً يَكُونُ تَقْوِيمُكَ خَمْسِينَ شَاقِلَ فِضَّةٍ عَلَى شَاقِلِ الْمُقْدِسِ. وَإِنْ كَانَ أُنْثَى يَكُونُ تَقْوِيمُكَ ثَلاَثِينَ شَاقِلًا». (لا ٢٧: ١-٤). وبلا شك كانت ابنته الوحيدة أغلى من آلاف شواقل الفضة. إلى جانب أنه كان هناك تقليد في إسرائيل تم تشريعه يعفي الشخص من نذره إذا كان هذا النذر يتعلق بالابن أو الابنة كمحرقة وقد افتدى شاول ابنه يوناثان من نذر مثل هذا. عندما نذر شاول أن يقتل كل من يأكل قبل المساء حيث كان الشعب في حالة حرب. ولم يكن ابنه يوناثان قد سمع بهذا الحلف. فأكل ولما عرف شاول قال: «هكَذَا يَفْعَلُ اللهُ وَهكَذَا يَزِيدُ إِنَّكَ مَوْتًا تَمُوتُ يَا يُونَاثَانُ». ولكن كل الشعب والجنود كانوا يحبون يوناثان وتدخلوا لدى شاول واستطاعوا أن يقنعوه بالعفو عنه ويقول الكتاب: «فَافْتَدَى الشَّعْبُ يُونَاثَانَ فَلَمْ يَمُتْ» (١صم ١٤: ٤٠-٤٥).

وكل دارس للعهد القديم يعرف أن هناك فرقًا بين النذور والبكور. فالنذور اختيارية أما البكور فإلزامية. فعندما نذرت حنة ابنها صموئيل للرب كان يمكن أن تفديه بمبلغ معين من الفضة. فدية عن النذير. ولكن فداؤه بالمال يعتبر أقل قيمة من تقديمه للرب. لأن كون الإنسان نذيرًا للرب هو كرامة عظيمة. فمن الأفضل أن يلتزم الإنسان بالنذر (وهذا ما فضَّلته ابنة يفتاح) وهذا هو معنى يكون للرب.

(١٢) يؤكد من ينادون بأن يفتاح قدَّم ابنته ذبيحة دموية رأيهم بما جاء في عددي ٣٩ و ٤٠ «فَصَارَتْ عَادَةٌ فِي إِسْرَائِيلَ أَنَّ بَنَاتِ إِسْرَائِيلَ يَذْهَبْنَ مِنْ سَنَةٍ إِلَى سَنَةٍ لِيَنُحْنَ عَلَى بِنْتِ يَفْتَاحَ الْجِلْعَادِيِّ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ فِي السَّنَةِ». فيقولون لو كان يفتاح قد أبقاها عذراء مقدسة مكرسة للرب طوال حياتها فلماذا نقرأ أن بنات إسرائيل كن يذهبن وينحن عليها أربعة أيام كل سنة؟

ولكن الدارس المدقق لكلمة الله يعرف أن الفعل «يَنُحْنَ» في اللغة العبرية هو (لتنوت) ويعني «يمدح أو يحتفل» وقد تُرجِمَت في (قض ١١:٥) «يُثْنُونَ».

وقد وردت هذه الآية في الترجمات المختلفة كالآتي:

(HNV), (WEB), (ASV) that the daughters of Israel went yearly to celebrate the daughter of Jephthah the Gileadite four days in a year.

أَنَّ بَنَاتِ إِسْرَائِيلَ يَذْهَبْنَ سنوياً لِيَحْتفلنَ بِبِنْتِ يَفْتَاحَ الْجِلْعَادِيِّ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ فِي السَّنَةِ

(Darby) That from year to year the daughters of Israel go to celebrate the daughter of Jephthah the Gileadite four days in the year.

مِنْ سَنَةٍ إِلَى سَنَةٍ أَنَّ بَنَاتِ إِسْرَائِيلَ كن يَذْهَبْنَ لِيَحْتفلنَ بِبِنْتِ يَفْتَاحَ الْجِلْعَادِيِّ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ فِي السَّنَةِ

(GW) That for four days every year the girls in Israel would go out to sing the praises of the daughter of Jephthah, the man from Gilead.

أَنَّ بَنَاتِ إِسْرَائِيلَ يَخرجنَ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ كل السَّنَةِ لينشدن بالثناء بِبِنْتِ يَفْتَاحَ الْجِلْعَادِيِّ.

وكما يقول د. القس رياض قسيس: «إن هذا معناه أن بنات إسرائيل كن يمدحن ويشدن بتضحية هذه الفتاة لعذراويتها مقابل انتصار شعبها على الأعداء. وكان هذا التقليد السنوي لتشجيعها ومدحها وتكريمها عندما كانت حية. أما بعد موتها فقد أضحى هدف الزيارة تقديم الثناء لهذه الفتاة الباذلة. ولإحياء ذكرى الانتصار على الأعداء أيضًا»[١٤] وحيث أن هذا التقليد لم يأتِ ذكره في أي مكان آخر في العهد القديم ففي الغالب كان قاصرًا على منطقة جلعاد.

ما الذي تقوله لنا قصة يفتاح الجلعادي؟ أو لماذا قصد الوحي تسجيلها؟

(أ) تحرر من صغر النفس:

هل تعلم من هو يفتاح؟ نقرأ في بداية القصة: «وَكَانَ يَفْتَاحُ الْجِلْعَادِيُّ جَبَّارَ بَأْسٍ، وَهُوَ ابْنُ امْرَأَةٍ زَانِيَةٍ» (قض ١١:١). تخيل أنه ابن امرأة زانية! كيف كان المجتمع ينظر له في طفولته؟ وكم لاقى من تعيير من زملائه؟ إن هذه النشأة كانت كفيلة أن تغرس فيه الشعور بالنقص والعجز وتقوده إلى الانسحاب من المجتمع والإنطواء ثم الفشل. لكن ها نحن أمام جبار بأس. الرجل الذي خلَّص شعبه من أعدائه.

ليس المهم كم عمرك؟ ولا إلى أي عائلة تنتمي. ولا ابن من أنت؟ ولكن هل وضعت يدك في يد الرب بثقة قائلًا مع بولس: «أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي» (في٤:١٣)؟ هل تثق في قدراتك وامكانياتك دون أن تحسب حساب لكلام الناس؟ إياك أن تجعل البيئة أو العائلة معطلاً لمستقبلك بل لتكن دافعًا لك. لقد كان الكاردينال أنتونيللي الذي احتل مركزًا مرموقًا في الفاتيكان ابنًا لواحد من رجال العصابات. وكريستوفر كولومبس مكتشف العالم الجديد كان والده يجلس على الشاطئ وينسج شباك الصيد ويبيعها ليقتات منها. وشكسبير الشاعر العظيم وأبو المسرح في إنجلترا كان ابنًا لبائع صوف. ولم يتنكَّر لأصله بل يفخر به. وسوفوكليس الشاعر اليوناني القديم كان ابنًا لحداد.

لقد قيل عن أحد العظماء أنه كان يصلي كل صباح قائلًا: «ربي هبني قدرة على تكوين فكرة طيبة عن نفسي هذا اليوم».

(ب) عظمة نعمة الله:

ربما تسأل لماذا يسجل لنا الوحي في الكتاب المقدس قصة ابن امرأة زانية؟ أقول لك هذه هي عظمة نعمة الله. ففي افتتاحية إنجيل متى يذكر البشير أسماء ثلاث زانيات في سلسلة نسب المسيح وهن: ثامار (مت ١:٣) وقصتها بالكامل موجودة في سفر التكوين ص ٣٨. وراحاب (مت ٥:١) والقصة كاملة في (يش٢). وبثشبع (مت ٦:١) وقصتها موجودة في (٢صم ١١). ولا أظن أن البشير متى كتب هذه الأسماء بصورة عشوائية غير مقصودة إنما كُتِبَت من أجلي ومن أجلك.

إنه يريد أن يقول لنا: «يوجد رجاء أمام أشر الخطاة. والإنجيل في الواقع هو بشارة أمل ورجاء وغفران». يقول القديس أغسطينوس في اعترافاته «أنا علَّمت الشيطان خطايا».

والأنبا موسى الأسود كان في الماضي زعيم عصابة. وبولس في المرحلة الأولى من عمره كان ينفث تهددًا وقتلًا في شعب الرب.

ليس عيبًا أن تخطئ فكلنا في الموازين إلى فوق. إنما العيب أن تستمر في الخطأ. وليست الكارثة أن تخطئ بل أن تصاب باليأس بعد الخطأ. فنور نعمة

المسيح يستطيع أن يبدد ظلمة أشر الأشرار.

(٣) كل إنسان يحمل حمل نفسه:

إن قصة يفتاح تقول لنا أننا لن نُدان على خطايا والدينا، ولن ندخل السماء على حساب بر والدينا «اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. اَلاِبْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ، وَالأَبُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الابْنِ. بِرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ، وَشَرُّ الشِّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ» (حز ١٨: ٢٠).

(٤) اتخاذ الموقف الصحيح من النذور:

لا توجد في كل الكتاب المقدس وصية واحدة حثنا على أن ننذر للرب، هو يعلمنا فقط ضرورة الوفاء بالنذر فنقرأ:

«إِذَا نَذَرْتَ نَذْرًا لِلرَّبِّ إِلهِكَ فَلاَ تُؤَخِّرْ وَفَاءَهُ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ يَطْلُبُهُ مِنْكَ فَتَكُونُ عَلَيْكَ خَطِيَّةٌ. وَلكِنْ إِذَا امْتَنَعْتَ أَنْ تَنْذُرَ لاَ تَكُونُ عَلَيْكَ خَطِيَّةٌ» (تث ٢٣: ٢١، ٢٢).

«إِذَا نَذَرْتَ نَذْرًا للهِ فَلاَ تَتَأَخَّرْ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ، لأَنَّهُ لاَ يُسَرُّ بِالْجُهَّالِ. فَأَوْفِ بِمَا نَذَرْتَهُ. أَنْ لاَ تَنْذُرَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَنْذُرَ وَلاَ تَفِيَ» (جا ٥: ٤، ٥).

لأن النذر يعني وضع الله تحت شرط، فيقول الواحد منا إذا نجحت في الامتحان، أو الانتخاب سأقدم للرب كذا، أو إذا كسبت في الهجرة العشوائية، أو إذا شُفيت سأقدم كذا للكنيسة. بينما كلمة الله تعلمنا أن المؤمن يعطي بسخاء وبفرح وفي كل الظروف وأرجو أن تتأمل في هذه الآيات:

(تث ٢٦: ١، ٢) «وَمَتَى أَتَيْتَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا وَامْتَلَكْتَهَا وَسَكَنْتَ فِيهَا، فَتَأْخُذُ مِنْ أَوَّلِ كُلِّ ثَمَرِ الأَرْضِ الَّذِي تُحَصِّلُ مِنْ أَرْضِكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ وَتَضَعُهُ فِي سَلَّةٍ وَتَذْهَبُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلهُكَ لِيُحِلَّ اسْمَهُ فِيهِ».

(أم ١١: ٢٥) «النَّفْسُ السَّخِيَّةُ تُسَمَّنُ، وَالْمُرْوِي هُوَ أَيْضًا يُرْوَى».

(مت ٥: ٤٢) «مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ».

(لو ٣: ١١) «فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ:«مَنْ لَهُ ثَوْبَانِ فَلْيُعْطِ مَنْ لَيْسَ لَهُ، وَمَنْ لَهُ طَعَامٌ فَلْيَفْعَلْ هكَذَا».

(لو ٦: ٣٨) « أَعْطُوا تُعْطَوْا، كَيْلاً جَيِّدًا مُلَبَّدًا مَهْزُوزًا فَائِضًا يُعْطُونَ فِي أَحْضَانِكُمْ. لأَنَّهُ بِنَفْسِ الْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ».

(أع ٢٠: ٣٥) «فِي كُلِّ شَيْءٍ أَرَيْتُكُمْ أَنَّهُ هكَذَا يَنْبَغِي أَنَّكُمْ تَتْعَبُونَ وَتَعْضُدُونَ الضُّعَفَاءَ، مُتَذَكِّرِينَ كَلِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ أَنَّهُ قَالَ: مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ».

(رو ١٢: ٨) «الْمُعْطِي فَبِسَخَاءٍ».

(٢كو ٩: ٧) «لأَنَّ الْمُعْطِيَ الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللهُ».

(١تي ٦: ١٧، ١٨) « أَوْصِ الأَغْنِيَاءَ فِي الدَّهْرِ الْحَاضِرِ أَنْ لاَ يَسْتَكْبِرُوا، وَلاَ يُلْقُوا رَجَاءَهُمْ عَلَى غَيْرِ يَقِينِيَّةِ الْغِنَى، بَلْ عَلَى اللهِ الْحَيِّ الَّذِي يَمْنَحُنَا كُلَّ شَيْءٍ بِغِنًى لِلتَّمَتُّعِ. وَأَنْ يَصْنَعُوا صَلاَحًا، وَأَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءَ فِي أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، وَأَنْ يَكُونُوا أَسْخِيَاءَ فِي الْعَطَاءِ، كَرَمَاءَ فِي التَّوْزِيعِ».

(٥) إما أن تدفن الماضي أو يدفنك الماضي:

هناك شخصيات عندما تجتاز أزمة معينة، تميل لأن تعيش في الماضي، ويجدون لذة في اجترار الألم، ورثاء الذات، ولوم الماضي بكل ما فيه، أقول لهؤلاء لن تحصدوا إلا الفشل وخيبة الأمل، والتقوقع على النفس، والاستسلام للعواطف الداخلية وللصراعات والتمزقات النفسية، ومثل هذا الإنسان تراه يعيش وحيدًا منعزلًا عن الناس وينطوي على

نفسه وتراه شارد الذهن غير قادر على التركيز في أي شيء، فالأزمة سيطرت على فكره وكيانه فيهمل الدراسة إذا كان طالبًا، أو العمل إذا كان عاملًا، أو الأسرة...الخ وتراه في حيرة وقلق وحزن وأحيانا يقود هذا إلى أمراض جسدية ونفسية.

إياك أن تيأس أو تستسلم، فاليأس لا يتفق مع الإيمان إطلاقًا لأن الإيمان أمل ورجاء وتفاؤل، الإيمان هو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى. الإيمان بالله هو الإيمان بالإنسان أيضًا، لأن الإنسان هو صنعه يد الله. الإيمان بالله يعني أن الله معي وبه أستطيع أن أتخطى كل العقبات والصعاب والأزمات. ادرس ماضيك، وتعلم منه ولكن احذر العيش فيه، وادفنه قبل أن يدفنك.

(٦) علينا أن نفكر في النتائج قبل أن نتكلم أو نقرر أو نتصرف:

إن معظم مشاكلنا تأتي بسبب التسرع، في الكلام، في القرارات، في الحكم على الأمور، في التصرفات، في ردود الأفعال، في التعبير عن مشاعرنا سواء وقت الغضب، أو الفرح، أو الحب، في عدم القدرة على السيطرة على مشاعرنا وقت الغضب.

«إِذًا يَا إِخْوَتِي الأَحِبَّاءَ، لِيَكُنْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُسْرِعًا فِي الاِسْتِمَاعِ، مُبْطِئًا فِي التَّكَلُّمِ».

أتمنى قبل أن تقول أي كلمة أن تسأل نفسك هذه الأسئلة:

هل هذا الكلام أنا متأكد من صحته؟

هل من الضروري أن أقوله؟

هل دافعه مقدس؟

هل سيبني منْ يسمعه؟

هل يمجد الله؟

هل توقيته مناسب؟ وما هو أفضل أسلوب لتقديمه؟

وبأي نبرة صوت؟ وبأي ملامح وجه؟

أخيرًا أترك معك هذه الآيات:

(أم ١٣: ٣) «مَنْ يَحْفَظُ فَمَهُ يَحْفَظُ نَفْسَهُ. مَنْ يَفْغَرُ شَفَتَيْهِ فَلَهُ هَلاَكٌ».

(أم ١٨: ٢١) «اَلْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ فِي يَدِ اللِّسَانِ وَأَحِبَّاؤُهُ يَأْكُلُونَ ثَمَرَهُ».

(أم ٢١: ٢٣) «مَنْ يَحْفَظُ فَمَهُ وَلِسَانَهُ يَحْفَظُ مِنَ الضِّيقَاتِ نَفْسَهُ».

(مت ١٥: ١١) «لَيْسَ مَا يَدْخُلُ الْفَمَ يُنَجِّسُ الإِنسان بَلْ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ هَذَا يُنَجِّسُ الإِنسان».

(٧) أهمية إكرام الوالدين:

إن ابنة يفتاح عظيمة في ولائها لأبيها ولأسرتها فهي الفتاه الفخورة بأبيها، ومن هو هذا الأب؟ إنه الابن غير الشرعي، ابن الزنا، الرجل الذي تنكَّر له إخوته وطردوه لأنه أخ غير شرعي لهم، ولكنها فخورة به، فلم تخجل منه أو تتنكر له أو تزدري بأصله.

وعندما أخبرها أبوها بالنذر قالَتْ لَهُ: «يَا أَبِي، هَلْ فَتَحْتَ فَاكَ إِلَى الرَّبِّ؟ فَافْعَلْ بِي كَمَا خَرَجَ مِنْ فِيكَ، بِمَا أَنَّ الرَّبَّ قَدِ انْتَقَمَ لَكَ مِنْ أَعْدَائِكَ بَنِي عَمُّونَ» (قض ١١: ٣٦).

من هذا الكلام نجد أنفسنا أمام فتاة عظيمة في تقديرها لأبيها، وحرصها على أن يظل وفيًا مرفوع الرأس لا يتراجع عن وعده أو كلمته، والحقيقة أن في هذا ولاء للرب أكثر مما هو للأب فهي لا ترى نفسها

ثمينة على أن تُقدَّم للرب.

لقد كان أمامها فرصة للهروب عندما سمح لها أباها بأن تذهب إلى الجبال لمدة شهرين لتبكي عذراويتها. ولكنها عادت بكل رضى وشجاعة، وبمنتهى الولاء.

ما هو موقفك من والديك؟ أترك معك آيتين لتفكر فيهما:

(خر ٢٠:١٢) «أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِتَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ».

(أم ٣٠:١٧) «اَلْعَيْنُ الْمُسْتَهْزِئَةُ بِأَبِيهَا وَالْمُحْتَقِرَةُ إِطَاعَةَ أُمِّهَا تُقَوِّرُهَا غِرْبَانُ الْوَادِي وَتَأْكُلُهَا فِرَاخُ النَّسْرِ».

(٨) الولاء والطاعة للوطن:

إن شخصية يفتاح نرى فيها نموذج للرجل الوطني. فعندما طلب منه شيوخ جلعاد أن يخلص بني إسرائيل من بني عمون، لم يتهرَّب أو يتكاسل، رغم صعوبة المهمة، وشدة المخاطر والتحديات، لكنه لبى نداء الواجب وسط ظروف في منتهى القسوة.

ما هو موقفك من بلدك؟

عندما كان شعب الله في السبي، وكانوا يشعرون بإحباط شديد، وتسيطر عليهم مشاعر السلبية والانسحاب كان صوت الرب لهم على لسان إرميا النبي:

«هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ لِكُلِّ السَّبْيِ الَّذِي سَبَيْتُهُ مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى بَابِلَ. ابْنُوا بُيُوتًا وَاسْكُنُوا وَاغْرِسُوا جَنَّاتٍ وَكُلُوا ثَمَرَهَا. خُذُوا نِسَاءً وَلِدُوا بَنِينَ وَبَنَاتٍ وَخُذُوا لِبَنِيكُمْ نِسَاءً وَأَعْطُوا بَنَاتِكُمْ لِرِجَالٍ فَيَلِدْنَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ وَاكْثُرُوا هُنَاكَ وَلاَ تَقِلُّوا. وَاطْلُبُوا سَلاَمَ الْمَدِينَةِ الَّتِي سَبَيْتُكُمْ إِلَيْهَا وَصَلُّوا لأَجْلِهَا إِلَى الرَّبِّ لأَنَّهُ بِسَلاَمِهَا يَكُونُ لَكُمْ سَلاَمٌ» (إر ٢٩: ٤-٧).

وطلب منا الخضوع للسلاطين طالما هم خدام للصلاح:

«لِتَخْضَعْ كُلُّ نَفْسٍ لِلسَّلاَطِينِ الْفَائِقَةِ لأَنَّهُ لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلاَّ مِنَ اللهِ وَالسَّلاَطِينُ الْكَائِنَةُ هِيَ مُرَتَّبَةٌ مِنَ اللهِ حَتَّى إِنَّ مَنْ يُقَاوِمُ السُّلْطَانَ يُقَاوِمُ تَرْتِيبَ اللهِ وَالْمُقَاوِمُونَ سَيَأْخُذُونَ لأَنْفُسِهِمْ دَيْنُونَةً. فَإِنَّ الْحُكَّامَ لَيْسُوا خَوْفًا لِلأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بَلْ لِلشِّرِّيرَةِ. أَفَتُرِيدُ أَنْ لاَ تَخَافَ السُّلْطَانَ؟ افْعَلِ الصَّلاَحَ فَيَكُونَ لَكَ مَدْحٌ مِنْهُ ٤لأَنَّهُ خَادِمُ اللهِ لِلصَّلاَحِ! وَلَكِنْ إِنْ فَعَلْتَ الشَّرَّ فَخَفْ لأَنَّهُ لاَ يَحْمِلُ السَّيْفَ عَبَثًا إِذْ هُوَ خَادِمُ اللهِ مُنْتَقِمٌ لِلْغَضَبِ مِنَ الَّذِي يَفْعَلُ الشَّرَّ» (رو ١٣: ١-٤).

وطلب أن نصلي من أجل الملوك والحكام:

«فَأَطْلُبُ أَوَّلَ كُلِّ شَيْءٍ أَنْ تُقَامَ طِلْبَاتٌ وَصَلَوَاتٌ وَابْتِهَالاَتٌ وَتَشَكُّرَاتٌ لأَجْلِ جَمِيعِ النَّاسِ، ٢لأَجْلِ الْمُلُوكِ وَجَمِيعِ الَّذِينَ هُمْ فِي مَنْصِبٍ، لِكَيْ نَقْضِيَ حَيَاةً مُطْمَئِنَّةً هَادِئَةً فِي كُلِّ تَقْوَى وَوَقَارٍ. ٣لأَنَّ هَذَا حَسَنٌ وَمَقْبُولٌ لَدَى مُخَلِّصِنَا اللهِ» (اتي ٢: ١،٢).

المراجع

(١) هربرت لوكير. كل نساء الكتاب المقدس، ص٢٤٤.

(٢) منقذ بن محمود السقار. هل العهد القديم كلمة الله؟ ص٧٤.

(٣) وليم مارش. السنن القويم في تفسير العهد القديم، ج٣، ص٣٣١.

(٤) هربرت لوكير. كل نساء الكتاب المقدس، ص٢٤٣.

(٥) آرثر كندال. التفسير الحديث للكتاب المقدس. ج ٧،٨، ص١٤٥.

(6) Adam Clarke's Commentary on the Bible, p.257.

(٧) د. القس رياض قسيس. لماذا لا نقرأ الكتاب الذي قرأه المسيح؟، ص٣٣.

(٨) آرثر كندال. التفسير الحديث للكتاب المقدس. ج ٧،٨، ص١٤٥.

(9) Treasury of Scriptural Knowledge, p. 94.

(١٠) هربرت لوكير. كل نساء الكتاب المقدس، ص٢٤٤.

(١١) وليم مارش. السنن القويم في تفسير العهد القديم، ج٣، ص٣٣٣.

(١٢) د. القس رياض قسيس. لماذا لا نقرأ الكتاب الذي قرأه المسيح؟، ص٣٦.

(13) Adam Clarke's Commentary on the Bible, p.258.

(١٤) د. القس رياض قسيس. لماذا لا نقرأ الكتاب الذي قرأه المسيح؟، ص٣٣.

(٢٤)

هل هو إله لا يعرف الرحمة ولا الرأفة؟

«وَضَرَبَ أَهْلَ بَيْتَشَمْسَ لأَنَّهُمْ نَظَرُوا إِلَى تَابُوتِ الرَّبِّ. وَضَرَبَ مِنَ الشَّعْبِ خَمْسِينَ أَلْفَ رَجُلٍ وَسَبْعِينَ رَجُلًا. فَنَاحَ الشَّعْبُ لأَنَّ الرَّبَّ ضَرَبَ الشَّعْبَ ضَرْبَةً عَظِيمَةً. وَقَالَ أَهْلُ بَيْتَشَمْسَ: «مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَقِفَ أَمَامَ الرَّبِّ الإِلَهِ الْقُدُّوسِ هَذَا. وَإِلَى مَنْ يَصْعَدُ عَنَّا؟» وَأَرْسَلُوا رُسُلًا إِلَى سُكَّانِ قَرْيَةِ يَعَارِيمَ قَائِلِينَ: «قَدْ رَدَّ الْفِلِسْطِينِيُّونَ تَابُوتَ الرَّبِّ. فَانْزِلُوا وَأَصْعِدُوهُ إِلَيْكُمْ». (١صم ٦: ١٩-٢٠).

يقول د. منقذ بن محمود السقار «وتتحدث التوراة عن رحمة الله وحلمه، فتقول: «اَلرَّبُّ حَنَّانٌ وَرَحِيمٌ طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ» (مز ١٤٥:٨)، ثم تنقضه حين تذكر ما حصل مع أهل بيت شمس الذين رأوا التابوت فقتلهم جميعًا، وكانوا أكثر من خمسين ألف رجل «وَضَرَبَ أَهْلَ بَيْتَشَمْسَ لأَنَّهُمْ نَظَرُوا إِلَى تَابُوتِ الرَّبِّ. وَضَرَبَ مِنَ الشَّعْبِ خَمْسِينَ أَلْفَ رَجُلٍ وَسَبْعِينَ رَجُلًا» (١صم ٦:١٩) فهل يستحق هذا الفعل هذه العقوبة؟ والله حنان رحوم بطيء الغضب!»[١]

نعم يسأل عدد كبير من الناس: لماذا ضرب الرب من أَهْلَ بَيْتَشَمْسَ أكثر من خمسين ألف رجل لمجرد أنهم نظروا إلى التابوت؟ وما هو الذنب الذي ارتكبه أَهْلَ بَيْتَشَمْسَ حتى أنهم استحقوا الموت؟ وإن كانوا قد أخطأوا فأين رأفة ورحمة الله؟

للإجابة على هذه الأسئلة لابد أن نعرف: ما هو تابوت العهد؟ وإلى أي شيء كان يشير؟ وكيفية التعامل معه؟ والخلفية التاريخية لهذه القصة؟ وما المقصود بعبارة «نَظَرُوا إِلَى تَابُوتِ الرَّبِّ»؟

أولًا: ما هو تابوت العهد؟

تابوت العهد: كان عبارة عن صندوق صنع من خشب السنط على شكل مستطيل، طوله ذراعان ونصف أي ١٣٠ سم (الذراع حوالي ٥٢سم)، وعرضه ذراع ونصف أي ٧٨ سم، وارتفاعه ذراع ونصف أيضًا، مغشى بذهب نقي من داخل ومن خارج، وله أربع حلقات من ذهب على قوائمه الأربعة، على جانبه الواحد حلقتان، وعلى جانبه الثاني حلقتان، وصنعت عصوان من خشب السنط وغشيتا بذهب، وأدخلت العصوان في الحلقات على جانبي التابوت ليحمل التابوت بهما، وتبقى العصوان في حلقات التابوت لا تنزعان منها، (خر ٢٥: ١٠- ٢٢)[٢].

وكان غطاء التابوت أو «كرسي الرحمة» (Mercy seat) أو مكان «الكفارة للرضى» هو غطاء من ذهب نقي، أبعاده مثل أبعاد التابوت ذاته، طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف، وعليه كروبان (ملاكان) من ذهب صنعة خراط على طرفي الغطاء، كروب واحد على الطرف من هنا، وكروب آخر على الطرف من هناك، وكان الكروبان باسطين أجنحتهما إلى فوق، مظللين بأجنحتهما على

الغطاء ووجهاهما كل واحد إلي الآخر. نحو الغطاء يكون وجها الكروبين (خر ٢٥: ١٧- ٢٠؛ عب ٩: ٥).

وقد صُنِع التابوت بحسب أمر الرب لموسى، ومثله مثل خيمة الاجتماع التي كان التابوت جزءًا منها. صُنِع حسب المثال المفعم بالمعاني الذي أعلنه الرب لموسى على الجبل: «بِحَسَبِ جَمِيعِ مَا أَنَا أُرِيكَ مِنْ مِثَالِ الْمَسْكَنِ، وَمِثَالِ جَمِيعِ آنِيَتِهِ هكَذَا تَصْنَعُونَ» (خر ٢٥: ٩). «وَانْظُرْ فَاصْنَعْهَا عَلَى مِثَالِهَا الَّذِي أُظْهِرَ لَكَ فِي الْجَبَلِ» (خر ٢٥: ٤٠). وقد كان التابوت تجسيدًا للفداء الموعود والمرسوم في السموات (عب ٨: ٥، ٢٣). وقد كان تابوت العهد موضوعًا داخل الحجاب في قدس الأقداس. وكان من أهم المقدسات الموجودة في الهيكل قبل السبي البابلي.

ما يحتويه التابوت:

كان الغرض المعلن منذ البداية أن يوضع بداخل التابوت شهادة خلاص الله. فقد قال الرب لموسى: «وَتَضَعُ فِي التَّابُوتِ الشَّهَادَةَ الَّتِي أُعْطِيكَ» (خر ٢٥: ١٦؛ تث ١٠: ٥). لذلك كان التابوت يحوي في داخله الآتي:

(١) لوحا الشهادة: لقد طلب الله من موسى قائلًا: «وَتَضَعُ فِي التَّابُوتِ الشَّهَادَةَ الَّتِي أُعْطِيكَ» (خر ٢٥: ١٦، ٢١) وقد كانا مكتوبان بإصبع الله. فنقرأ: «ثُمَّ أَعْطَى مُوسَى عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَهُ فِي جَبَلِ سِينَاءَ لَوْحَيِ الشَّهَادَةِ: لَوْحَيْ حَجَرٍ مَكْتُوبَيْنِ بِإِصْبَعِ اللهِ» (خر ٣١: ١٨). وقد كان مكتوب عليهما الكلمات العشر التي تشكل الأساس المكتوب لعهد الله الفدائي مع إسرائيل (خر ٣٤: ٢٨، ٢٩). «عهد الرب» (١مل ٨: ٢١). وقد كان اللوحان موضوعين في التابوت كدليل على عهد الفداء. لاحظ تبادل كلمتي «الشهادة والعهد» في «لوحي الشهادة» (خر ٣١: ١٨) «ولوحي العهد» (تث ٩: ١١).

(٢) المن: وَقَالَ مُوسَى: «هذَا هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي أَمَرَ بِهِ الرَّبُّ. مِلْءُ الْعُمِرِ مِنْهُ يَكُونُ لِلْحِفْظِ فِي أَجْيَالِكُمْ. لِكَيْ يَرَوُا الْخُبْزَ الَّذِي أَطْعَمْتُكُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ حِينَ أَخْرَجْتُكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ». وَقَالَ مُوسَى لِهَارُونَ: «خُذْ قِسْطًا وَاحِدًا وَاجْعَلْ فِيهِ مِلْءَ الْعُمِرِ (نحو نصف جالون) مَنًّا. وَضَعْهُ أَمَامَ الرَّبِّ لِلْحِفْظِ فِي أَجْيَالِكُمْ». كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى وَضَعَهُ هَارُونُ أَمَامَ الشَّهَادَةِ لِلْحِفْظِ» (خر ١٦: ٣٣، ٣٤).

(٣) عصا هرون التي أفرخت: فبعد أن تمرد قورح وجماعته، ودافع الله عن مركز موسى وهرون بأن جعل عصا هرون أفرخت فنقرأ: «وَفِي الْغَدِ دَخَلَ مُوسَى إِلَى خَيْمَةِ الشَّهَادَةِ وَإِذَا عَصَا هَارُونَ لِبَيْتِ لاَوِي قَدْ أَفْرَخَتْ. أَخْرَجَتْ فُرُوخًا وَأَزْهَرَتْ زَهْرًا وَأَنْضَجَتْ لَوْزًا» (عد ١٧: ٨). قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «رُدَّ عَصَا هَارُونَ إِلَى أَمَامِ الشَّهَادَةِ لأَجْلِ الْحِفْظِ، عَلاَمَةً لِبَنِي التَّمَرُّدِ، فَتَكُفَّ تَذَمُّرَاتُهُمْ عَنِّي لِكَيْ لاَ يَمُوتُوا». ١١فَفَعَلَ مُوسَى كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ. كَذلِكَ فَعَلَ» (عد ١٧: ١٠-١١). (عب ١٠:١٧).

لقد كان التابوت يعني بالنسبة لبني إسرائيل أربعة أمور عظيمة وهي:

(١) ظهور الله: عندما ظهر الله لموسى على جبل سيناء، وعده أن حضوره سيستمر مع شعبه في أثناء رحلاتهم. وأن سحابة المجد

(خر ١٣: ٢١؛ ١٤: ١٩، ٢٠) ستظهر باستمرار بين أجنحة الكروبين فوق غطاء التابوت. فنقرأ «ثُمَّ غَطَّتِ السَّحَابَةُ خَيْمَةَ الاجْتِمَاعِ وَمَلأَ بَهَاءُ الرَّبِّ الْمَسْكَنَ» (خر ٤٠: ٣٤). وقال له: «وَأَنَا أَجْتَمِعُ بِكَ هُنَاكَ وَأَتَكَلَّمُ مَعَكَ، مِنْ عَلَى الْغِطَاءِ مِنْ بَيْنِ الْكَرُوبَيْنِ اللَّذَيْنِ عَلَى تَابُوتِ الشَّهَادَةِ، بِكُلِّ مَا أُوصِيكَ بِهِ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ» (٢٥: ١٠- ٢٢).

(٢) الإعلان: لقد وعد الله موسى منذ البدء أن يكلمه من بين الكروبين اللذين على تابوت الشهادة (خر٢٥: ٢٢). فنقرأ: «فَلَمَّا دَخَلَ مُوسَى إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ لِيَتَكَلَّمَ مَعَهُ، كَانَ يَسْمَعُ الصَّوْتَ يُكَلِّمُهُ مِنْ عَلَى الْغِطَاءِ الَّذِي عَلَى تَابُوتِ الشَّهَادَةِ مِنْ بَيْنِ الْكَرُوبَيْنِ» (عد ٧: ٨٩).

(٣) الإرشاد والعناية الإلهية: كان الله يعمل من خلال التابوت لإرشاد شعبه وحمايتهم. فأصبح ارتفاع السحابة عن مسكن الشهادة، ايذانًا بارتحالهم في برية سيناء (عد ١٠: ١١). وكان تابوت عهد الرب يسير أمامهم «ليلتمس لهم منزلًا» (عدد١٠: ٣٥). كما حدث أمام أريحا (يش ٦: ١٢). فهو «رب الجنود» (١صم ٦: ٢؛ ١صم ١٧: ٤٥).

(٤) الكفارة: في «يوم الكفارة» الذي كان مرة كل عام (لا١٦: ٢- ١٩). كان هرون ينضح على الغطاء سبع مرات من الدم بإصبعه، أولًا من دم ثور ذبيحة الخطية عن نفسه، ثم من دم تيس الخطية عن الشعب «فَيُكَفِّرُ عَنِ الْقُدْسِ مِنْ نَجَاسَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمِنْ سَيِّئَاتِهِمْ مَعَ كُلِّ خَطَايَاهُمْ» (لا١٦: ١٦.)

«لأَنَّهُ فِي هذَا الْيَوْمِ يُكَفِّرُ عَنْكُمْ (بني إسرائيل) لِتَطْهِيرِكُمْ. مِنْ جَمِيعِ خَطَايَاكُمْ أَمَامَ الرَّبِّ تَطْهُرُونَ» (لا ١٦: ٣٠).

لقد كان التابوت من أهم مقدسات بني إسرائيل، لقد دعي ٣٤ مرة «تابوت الله» لارتباطه الوثيق بالله. فقد كان رمزًا لوجود الله بين شعبه. وقد دعي ٣١ مرة باسم «تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ» (تث ١٠: ٨؛ يش ٣: ٦، ١١؛ عد ١٠: ٣٣؛ قض ٢٠: ٢٧ إلخ.) وهي تسمية ذات مغزى هام لأنها تشير إلى عهد لله معهم. وهكذا أصبح التابوت أكثر من مجرد رمز أو ضمان وجود الله. لدرجة أن المثول أمام التابوت كان مرادفًا للمثول أمام الرب[٢] «وَعِنْدَ ارْتِحَالِ التَّابُوتِ كَانَ مُوسَى يَقُولُ: «قُمْ يَا رَبُّ، فَلْتَتَبَدَّدْ أَعْدَاؤُكَ وَيَهْرُبْ مُبْغِضُوكَ مِنْ أَمَامِكَ» (عد ١٠: ٣٥؛ يش ٦: ٨). ويقول المرنم: «قُمْ يَا رَبُّ إِلَى رَاحَتِكَ، أَنْتَ وَتَابُوتُ عِزِّكَ» (مز ١٣٢: ٨).

كيفية التعامل مع تابوت العهد:

لقد عين موسى بناء على أمر الرب بَنِي قَهَاتَ مِنْ بَيْنِ بَنِي لاَوِي «لِحِرَاسَةِ التَّابُوتِ وَالْمَائِدَةِ وَالْمَنَارَةِ وَأَمْتِعَةِ الْقُدْسِ، وَالْحِجَابِ وَكُلِّ خِدْمَتِهِ. (عد ٣: ٣١، ٣٢). وقبل الارتحال كان يجب أن يَأْتِي هَارُونُ وَبَنُوهُ «وَيُنَزِّلُونَ حِجَابَ السَّجْفِ وَيُغَطُّونَ بِهِ تَابُوتَ الشَّهَادَةِ. وَيَجْعَلُونَ عَلَيْهِ غِطَاءً مِنْ جِلْدِ تُخَسٍ، وَيَبْسُطُونَ مِنْ فَوْقُ ثَوْبًا كُلُّهُ أَسْمَاجُونِيٌّ، وَيَضَعُونَ عِصِيَّهُ» (عد ٤: ٥، ٦). ثم يأتي بَنِي قَهَاتَ ويحملون التابوت. فقد كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلًا: «وَمَتَى فَرَغَ هَارُونُ وَبَنُوهُ مِنْ تَغْطِيَةِ الْقُدْسِ وَجَمِيعِ أَمْتِعَةِ الْقُدْسِ عِنْدَ ارْتِحَالِ الْمَحَلَّةِ، يَأْتِي بَعْدَ ذلِكَ بَنُو قَهَاتَ لِلْحَمْلِ وَلكِنْ لاَ يَمَسُّوا الْقُدْسَ لِئَلاَّ يَمُوتُوا. ذلِكَ حِمْلُ بَنِي قَهَاتَ فِي خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ» (عد ٤: ١٥).

ثانيًا: الخلفية التاريخية لما حدث مع قرية بَيْتَشَمُسَ:

بعدما انتصر الْفِلِسْطِينِيُّونَ على بني إِسْرَائِيل في المعركة الأولى عند حجر المعونة حوالي عام ١٠٨٠ ق.م. قتلوا منهم ثلاثين ألف رجل. ومات ابنا عالي، حُفني وفينحاس (اصم ٤: ١٠، ١١). أخذوا تابوت العهد إلى أشدود، ووضعوه بقرب داجون إلههم. وفي الغد فوجئ الفلسطينيون بأن دَاجُونَ سَاقِطٌ عَلَى وَجْهِهِ عَلَى الأَرْضِ أَمَامَ تَابُوتِ الرَّبِّ. وَرَأْسُ دَاجُونَ وَيَدَاهُ مَقْطُوعَةٌ عَلَى الْعَتَبَةِ. وَثَقُلَتْ يَدُ الرَّبِّ عَلَى الأَشْدُودِيِّينَ. وَضَرَبَهُمُ الرب بِالْبَوَاسِيرِ (اصم ٥: ١-٥).

فنُقل الفلسطينيون تَابُوتُ الرب إِلَى جَتَّ. فكانت يَدَ الرَّبِّ عَلَى الْمَدِينَةِ بِاضْطِرَابٍ عَظِيمٍ جِدًّا. وَضَرَبَ أَهْلَهَا أَيضًا بِالْبَوَاسِيرِ. (اصم ٥: ٦-٩).

فَأَرْسَلُوا تَابُوتَ اللهِ إِلَى عَقْرُونَ. وَكَانَ لَمَّا دَخَلَ تَابُوتُ اللهِ إِلَى عَقْرُونَ أن يَدُ اللهِ كانت ثَقِيلَةً جِدًّا هُنَاكَ. وَالنَّاسُ الَّذِينَ لَمْ يَمُوتُوا ضُرِبُوا بِالْبَوَاسِيرِ (اصم ٥: ١٠-١٢). فكان صراخ عظيم في كل بلاد الفلسطينيين. فجمع الشعب كل أقطاب الفلسطينيين وقالوا لهم:: «أَرْسِلُوا تَابُوتَ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ فَيَرْجِعَ إِلَى مَكَانِهِ وَلاَ يُمِيتَنَا نَحْنُ وَشَعْبَنَا» (اصم ٥: ١١).

وبعد سبعة أشهر أعاد الفلسطينيون التابوت إلي إسرائيل ومعه تقدمات من الذهب. «قربان إثم». وعملوا عَجَلَةً جَدِيدَةً وَأحضروا بَقَرَتَيْنِ مُرْضِعَتَيْنِ لَمْ يَعْلُهُمَا نِيرٌ وربطُوا الْبَقَرَتَيْنِ إِلَى الْعَجَلَةِ. وَأَرْجِعُوا وَلَدَيْهِمَا عَنْهُمَا إِلَى الْبَيْتِ. ويا للعجب. إذ بالبقرتين المرضعتين المربوطتين إلي العَجَلة التي وَضَع عليها الفلسطينيون التابوت، استقامتا في الطريق على التخم الشمالي الغربي ليهوذا إِلَى قرية بَيْتَشَمُسَ ولم تلتفتا إلى الوراء إلي ولديهما المحبوسين في البيت خلفهما. وَلَمْ تَمِيلاَ يَمِينًا وَلاَ شِمَالًا (اصم ٦: ١-١٢). فلقد كانت قرية بَيْتَشَمُسَ أول بلد يدخلها تابوت العهد بعد هزيمة ثقيلة من الفلسطينيين، وغياب للتابوت لمدة سبعة أشهر، وبعد العديد من الضربات التي وجهها للفلسطينيين، وها هو يعود بطريقة معجزية. وحالما عاد إذا بكل الجماهير سواء من قرية بَيْتَشَمُسَ أو القرى المحيطة بها تتجمع لمتابعة هذا الحدث العظيم. ولكي نعرف لماذا حمي غضب الرب على قرية بَيْتَشَمُسَ لابد أن نعرف المقصود بعبارة «نَظَرُوا إِلَى تَابُوتِ الرَّبِّ».

ثالثًا: ما المقصود بعبارة «نَظَرُوا إِلَى تَابُوتِ الرَّبِّ»؟

إن الفعل «نَظَرُوا» في اللغة العبرية هو (ראה) (رأي) وهو يحمل معنى «نظر إلى» أو «نظر في» أو «حدق النظر»[٤].

وهي ترد في الترجمات المختلفة كالآتي:

(ك ح) «وَعَاقَبَ الرَّبُّ أَهْلَ بَيْتِ شَمْسَ...لأَنَّهُمْ نَظَرُوا إِلَى مَا بِدَاخِلِ تَابُوتِ الرَّبِّ

(ت ك) وضرب الرب أهل بيت شمس، لأنهم نظروا إلى ما في تابوت الرب

(KJV). (NIV). (ASV). (NLT). (NCB). (YLT). (NKJV):

Then He struck the men of Beth-Shemesh, because they had looked into the ark of the LORD

لأنهم نظروا في داخل التابوت

ونفس هذا المعنى تقريبًا يرد في ترجمات

(KJV). (NIV). (ASV). (NLT). (NCB). (YLT). (NKJV):

(they looked into the ark of the LORD)

نظروا إلى ما في تابوت الرب

(WB) because they had looked inside the Ark of the Lord

لأنهم نظروا إلى ما بداخل تابوت الرب

(CEV) looked inside the sacred chest

نظروا داخل التابوت المقدس

(JPS) because they had gazed upon the ark of the LORD

لأنهم حدَّقوا النظر في داخل التابوت

وأيضًا نجد نفس المعنى في النص المازوراتي

יט וַיַּךְ בְּאַנְשֵׁי בֵית-שֶׁמֶשׁ, כִּי רָאוּ בַּאֲרוֹן יְהוָה, וַיַּךְ בָּעָם שִׁבְעִים אִישׁ, חֲמִשִּׁים אֶלֶף אִישׁ; וַיִּתְאַבְּלוּ הָעָם, כִּי-הִכָּה יְהוָה בָּעָם מַכָּה גְדוֹלָה.

And He smote of the men of Beth-she-mesh, because they had gazed upon the ark of the LORD.

لأنهم حدَّقوا النظر في داخل التابوت

والتحديق في تابوت عهد الرب، أو النظر في داخله كان يعتبر خطية كبيرة تستوجب القتل. فالتابوت كان يجب أن يكون مستترًا عن الشعب فقد قالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «فِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ فِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ تُقِيمُ مَسْكَنَ خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ وَتَضَعُ فِيهِ تَابُوتَ الشَّهَادَةِ. وَتَسْتُرُ التَّابُوتَ بِالْحِجَابِ» (خر ٤٠:٣). وكان يجب على هَارُونَ وبنوه أن يغتسلوا قبل اقترابهم من القدس لِئَلاَّ يَمُوتُوا. فقد قال الرب لموسى:»عِنْدَ دُخُولِهِمْ إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ يَغْسِلُونَ بِمَاءٍ لِئَلاَّ يَمُوتُوا. أَوْ عِنْدَ اقْتِرَابِهِمْ إِلَى الْمَذْبَحِ لِلْخِدْمَةِ لِيُوقِدُوا وَقُودًا لِلرَّبِّ» (خر ٣٠:٢٠). وكان دخول هَارُونَ للقدس بحساب لِئَلاَّ يَمُوتَ «وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: كَلِّمْ هَارُونَ أَخَاكَ أَنْ لاَ يَدْخُلَ كُلَّ وَقْتٍ إِلَى الْقُدْسِ دَاخِلَ الْحِجَابِ أَمَامَ الْغِطَاءِ الَّذِي عَلَى التَّابُوتِ لِئَلاَّ يَمُوتَ. لأَنِّي فِي السَّحَابِ أَتَرَاءَى عَلَى الْغِطَاءِ» (لا ١٦:٢). وكان يجب على هارون أن يقدم ذبيحة خطية أولًا عن نفسه فَلاَ يَمُوتُ. فحتى رئيس الكهنة نفسه أمام عدل الله كان لابد أن يكون مفدي بالدم، الذي يرمز لدم المسيح ليستطيع أن يتقدم أمام الرب «وَيُقَدِّمُ هَارُونُ ثَوْرَ الْخَطِيَّةِ الَّذِي لَهُ وَيُكَفِّرُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ بَيْتِهِ وَيَذْبَحُ ثَوْرَ الْخَطِيَّةِ الَّذِي لَهُ وَيَأْخُذُ مِلْءَ الْمَجْمَرَةِ جَمْرَ نَارٍ عَنِ الْمَذْبَحِ مِنْ أَمَامِ الرَّبِّ وَمِلْءَ رَاحَتَيْهِ بَخُورًا عَطِرًا دَقِيقًا وَيَدْخُلُ بِهِمَا إِلَى دَاخِلِ الْحِجَابِ وَيَجْعَلُ الْبَخُورَ عَلَى النَّارِ أَمَامَ الرَّبِّ فَتُغَشِّي سَحَابَةُ الْبَخُورِ الْغِطَاءَ الَّذِي عَلَى الشَّهَادَةِ فَلاَ يَمُوتُ» (لا ١٦:١٠ - ١٣). لقد كان المبدأ المعروف أن «كُلُّ مَنِ اقْتَرَبَ إِلَى مَسْكَنِ الرَّبِّ يَمُوتُ» (عد ١٧:١٣). وقد قال الرَّبُّ لِهَارُونَ: «فَيَحْفَظُونَ حِرَاسَتَكَ وَحِرَاسَةَ الْخَيْمَةِ كُلَّهَا. وَلكِنْ إِلَى أَمْتِعَةِ الْقُدْسِ وَإِلَى الْمَذْبَحِ لاَ يَقْتَرِبُونَ. لِئَلاَّ يَمُوتُوا هُمْ وَأَنْتُمْ جَمِيعًا» (عد ١٨:٣).

وقد أكد الرب بوضوح شديد قائلًا: «عِنْدَ ارْتِحَالِ الْمَحَلَّةِ يَأْتِي بَنُو قَهَاتَ لِلْحِمْلِ وَلكِنْ لاَ يَمَسُّوا الْقُدْسَ لِئَلاَّ يَمُوتُوا. ذلِكَ حِمْلُ بَنِي قَهَاتَ فِي خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ... وَأَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ: لاَ تَقْرِضَا سِبْطَ عَشَائِرِ الْقَهَاتِيِّينَ مِنْ بَيْنِ اللاَوِيِّينَ. بَلِ افْعَلاَ

لهُمْ هَذَا فَيَعِيشُوا وَلا يَمُوتُوا عِنْدَ اقْتِرَابِهِمْ إِلَى قُدْسِ الأَقْدَاسِ. يَدْخُلُ هَارُونُ وَبَنُوهُ وَيُقِيمُونَهُمْ كُلَّ إِنْسَانٍ عَلَى خِدْمَتِهِ وَحِمْلِهِ ٢٠وَلا يَدْخُلُوا لِيَرَوْا الْقُدْسَ لَحْظَةً لِئَلا يَمُوتُوا» (عد ٤: ١٤-١٩).

لذلك عندما يعلن الرب وصية واضحة ويؤكّد عدة مرات أن من يخالفها يُقتَل. فمن الغباء عندما ينفذ الرب العقاب فيمن يخالف الوصية أن نقول: قد أخطأ!

لقد خالف أَهْلَ بَيْتَشَمْسَ وصية الرب بوضوح. لقد كان القانون الإلهي واضح جدًا هنا بأن من يقترب من التابوت. أو يلمس التابوت. أو ينظر في داخله يموت. ولكن للأسف كسر أَهْلَ بَيْتَشَمْسَ الوصية فنقرأ: «وَضَرَبَ أَهْلَ بَيْتَشَمْسَ لأَنَّهُمْ نَظَرُوا إِلَى تَابُوتِ الرَّبِّ» (١صم ٦: ١٩) فاستحقوا العقاب. فهل بعد ذلك نلوم الله؟!

وربما تسأل: وأين رحمة الله؟

كون أهل قرية بَيْتَشَمْسَ اقتربوا من تابوت عهد الرب بهذه الطريقة فهذه جريمة كبرى. لأن هذا يعني أنهم لا يعرفون معنى وقيمة التابوت. ونسوا أنه رمز حضور الله وسط شعبه. ونسوا ما فعله التابوت في داجون إله الفلسطينيين. وما فعله في أهل أشدود. وأهل جت وأهل عقرون! ونسوا سحابة المجد التي كانت تغطي التابوت! ونسوا أين وكيف كان الرب يظهر ويتراءَ لموسى! وكيف أجبر الرب البقرتين المرضعتين المربوطتين إلى العَجَلة التي وَضَع عليها الفلسطينيون التابوت. فاستقامتا في الطريق دون أن تلتفتا إلى الوراء إلي ولديهما المحبوسين في البيت خلفهما (١صم ٦: ١٢)!

لقد كانت ضربتهم عظيمة لأنهم كانوا يعرفون الوصية جيدًا. لأن كل سكان قرية بيت شمس هم من أبناء هارون. وهذه هي خطيهم الكبرى.

رابعًا: ما معنى الفعل «وَضَرَبَ»؟

إن الفعل «وَضَرَبَ» في اللغة العبرية هو (נכה) (نكه) وفي قواميس اللغة يعني ضَرَبَ ضربًا مبرحًا قد يؤدي إلى القتل أو يسبب جروحًا وإصابات فقط. وقد ورد نفس الفعل في العهد القديم عشرات المرات بمعاني عديدة مثل[٥]:

(تث ٢٥: ٢) «فَإِنْ كَانَ الْمُذْنِبُ مُسْتَوْجِبَ الضَّرْبِ يَطْرَحُهُ الْقَاضِي وَيَجْلِدُونَهُ أَمَامَهُ عَلَى قَدْرِ ذَنْبِهِ بِالْعَدَدِ».

(إش ١:٥) «عَلَى مَ تُضْرَبُونَ بَعْدُ؟ تَزْدَادُونَ زَيَغَانًا! كُلُّ الرَّأْسِ مَرِيضٌ وَكُلُّ الْقَلْبِ سَقِيمٌ».

(٢أخ ٢٢:٦) «فَرَجَعَ لِيَبْرَأَ فِي يَزْرَعِيلَ بِسَبَبِ الضَّرَبَاتِ الَّتِي ضَرَبُوهُ بِهَا فِي الرَّامَةِ عِنْدَ مُحَارَبَتِهِ حَزَائِيلَ مَلِكَ أَرَامَ. وَنَزَلَ أَخَزْيَا بْنُ يَهُورَامَ مَلِكُ يَهُوذَا لِيَزُورَ يُورَامَ بْنِ أَخْآبَ فِي يَزْرَعِيلَ لأَنَّهُ كَانَ مَرِيضًا».

(أم ١٣:٢٣) «لاَ تَمْنَعِ التَّأْدِيبَ عَنِ الْوَلَدِ لأَنَّكَ إِنْ ضَرَبْتَهُ بِعَصًا لاَ يَمُوتُ».

(زك ٦:١٣) «فَيَسْأَلُهُ: مَا هَذِهِ الْجُرُوحُ فِي يَدَيْكَ؟ فَيَقُولُ: هِيَ الَّتِي جُرِحْتُ بِهَا فِي بَيْتِ أَحِبَّائِي».

(إش ٦:٥٠) «بَذَلْتُ ظَهْرِي لِلضَّارِبِينَ وَخَدَّيَّ لِلنَّاتِفِينَ. وَجْهِي لَمْ أَسْتُرْ عَنِ الْعَارِ وَالْبَصْقِ».

(خر ١٣:٢) «ثُمَّ خَرَجَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَإِذَا رَجُلاَنِ عِبْرَانِيَّانِ يَتَخَاصَمَانِ فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: «لِمَاذَا تَضْرِبُ صَاحِبَكَ؟»».

(تك ١١:١٩) وَأَمَّا الرِّجَالُ الَّذِينَ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ فَضَرَبَاهُمْ بِالْعَمَى مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ فَعَجِزُوا

عَنْ أَنْ يَجِدُوا الْبَابَ.

(خر ٣: ٢٠) «فَأَمُدُّ يَدِي وَأَضْرِبُ مِصْرَ بِكُلِّ عَجَائِبِي الَّتِي أَصْنَعُ فِيهَا. وَبَعْدَ ذَلِكَ يُطْلِقُكُمْ».

(خر ٩: ٢٥) «فَضَرَبَ الْبَرَدُ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ جَمِيعَ مَا فِي الْحَقْلِ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ. وَضَرَبَ الْبَرَدُ جَمِيعَ عُشْبِ الْحَقْلِ وَكَسَّرَ جَمِيعَ شَجَرِ الْحَقْلِ».

(تث ٢٨: ٢٢) «يَضْرِبُكَ الرَّبُّ بِالسُّلِّ وَالْحُمَّى وَالْبَرَدَاءِ وَالالْتِهَابِ وَالْجَفَافِ وَاللفْحِ وَالذُّبُولِ فَتَتَّبِعُكَ حَتَّى تُفْنِيَكَ».

لذلك عندما يقول «وَضَرَبَ أَهْلَ بَيْتَشَمْسَ لأَنَّهُمْ نَظَرُوا إِلَى تَابُوتِ الرَّبِّ. وَضَرَبَ مِنَ الشَّعْبِ خَمْسِينَ أَلْفَ رَجُلٍ وَسَبْعِينَ رَجُلًا. فَنَاحَ الشَّعْبُ لأَنَّ الرَّبَّ ضَرَبَ الشَّعْبَ ضَرْبَةً عَظِيمَةً» (١صم ٦: ١٩).

فهذا لا يعني أنهم ماتوا جميعًا. فلم يذكر الوحي إطلاقًا أنهم ماتوا. ولكن كانت الضربة عظيمة. وبعضهم مات وبعضهم أصيب بمرض ما أو وبأ أو شيء من هذا القبيل مثلما حدث مع الفلسطينيين. قُتِل البعض وضُرِب البعض الآخر بالبواسير «وَالنَّاسُ الَّذِينَ لَمْ يَمُوتُوا ضُرِبُوا بِالْبَوَاسِيرِ. فَصَعِدَ صُرَاخُ الْمَدِينَةِ إِلَى السَّمَاءِ» (١صم ٥: ١٢).

خامسًا: كم عدد الذين ضربهم الرب؟

لم يرد إطلاقًا أن الرب قتل ٥٠٠٧٠ رجلاً. فالنص يميز بوضوح بين ال خمسين ألف شخص وال ٧٠ رجل فيقول: «وَضَرَبَ مِنَ الشَّعْبِ خَمْسِينَ أَلْفَ رَجُلٍ وَسَبْعِينَ رَجُلًا» (١صم ٦: ١٩).

(KJV) even he smote of the people fifty thousand and threescore and ten men

«وَضَرَبَ مِنَ الشَّعْبِ خَمْسِينَ أَلْفَ رَجُلٍ وَسَبْعِينَ رَجُلًا».

(ASV) he smote of the people seventy men, and fifty thousand men;

(NKJV) He struck fifty thousand and seventy men of the people.

وجد الترجمة السبعينية تشير بوضوح إلى ضربة طاعون كبيرة.

(LXX) Καὶ οὐκ ἠσμένισαν οἱ υἱοὶ Ιεχονιου ἐν τοῖς ἀνδράσιν Βαιθσαμυς, ὅτι εἶδαν κιβωτὸν κυρίου· καὶ ἐπάταξεν ἐν αὐτοῖς ἑβδομήκοντα ἄνδρας καὶ πεντήκοντα χιλιάδας ἀνδρῶν. καὶ ἐπένθησεν ὁ λαός, ὅτι ἐπάταξεν κύριος ἐν τῷ λαῷ πληγὴν μεγάλην σφόδρα.

And the sons of Jechonias were not pleased with the men of Baethsamys, because they saw the ark of the Lord; and [the Lord] smote among them seventy men, and fifty thousand men: and the people mourned, because the Lord had inflicted on the people, a very great plague.

لذلك يرى معظم العلماء أن الذين قتلوا هم ال ٧٠ رجلاً فقط الذين نظروا في داخل التابوت. فمن غير المنطقي أن ينظر ٥٠٠٠٠ شخص في داخل التابوت. أما الخمسين ألف فقد أُصيبوا بأمراض وجروح مختلفة. ربما لأن الخمسين ألف الذين ضُربوا ولكن لم يقتلوا هم من أتوا من أماكن مختلفة ليروا التابوت ويحتفلوا برجوعه. بينما

السبعين رجلًا كانوا من الكهنة من سكان قرية بيتشمس. وبسبب سماحهم للسبعين بفعل ذلك، وربما لرغبتهم هم أيضًا أن ينظرو في داخل التابوت لكنهم لم يستطيعوا من الزحام، وربما لجهلهم، وعدم تقديرهم لتابوت الرب. فقد كنا نتوقع من الشعب أن يسقطوا على وجوههم عند معاينتهم للتابوت، ويقدموا توبة للرب، ويستدعوا الكهنة واللاويين لحمله والاحتفال به. لكنهم في تجاهل للشريعة التفوا حول التابوت وأرادوا تفحص ما فيه.

ولذلك نجد الترجمة الكاثوليكية توضح أن عدد الذين ضُربوا كانوا خمسين ألفًا، مات منهم ٧٠ رجلاً فتقول:

(ت ك) وضرب الرب أهل بيت شمس، لأنهم نظروا إلى ما في تابوت الرب، وقتل من الشعب سبعين رجلا، وكانوا خمسين ألف رجل. فحزن الشعب، لأن الرب ضرب الشعب هذه الضربة الشديدة.

وهناك عدد من الترجمات يذكر أن الذين ماتوا ٧٠ رجلاً فقط مثل:

(ت ع م) «وضرَبَ الرَّبُّ أهلَ بَيتِ شَمسَ لأنَّهُم نظَروا إلى تابوتِ العَهدِ. فماتَ مِنهُم سَبعونَ رَجُلًا...».

(ك ح) «وَعَاقبَ الرَّبُّ أَهْلَ بَيْتِ شَمُسَ فَقَتَلَ مِنْهُمْ سَبْعِينَ رَجُلًا لأَنَّهُمْ نَظَرُوا إِلَى مَا بِدَاخِلِ تَابُوتِ الرَّبِّ...».

(NIV) But God struck down some of the inhabitants of Beth Shemesh, putting seventy of them to death because they looked into the ark of the LORD.

«ولكن ضرَبَ الرَّبُّ أهلَ بَيتِ شَمسَ، وأماتَ منهم سبعين شخصًا لأنَّهُم نظَروا إلى داخل تابوتِ الرب...».

(NLT) But the Lord killed seventy men from Beth-shemesh because they looked into the Ark of the Lord.

«ولكن الرَّبُّ قتل سَبْعِينَ رَجُلًا من أَهْلَ بَيْتِ شَمُسَ لأَنَّهُمْ نَظَرُوا إِلَى مَا بِدَاخِلِ تَابُوتِ الرَّبِّ...».

(ESV) And he struck some of the men of Beth-shemesh, because they looked upon the ark of the LORD. He struck seventy men of them.

«وضرَبَ الرَّبُّ بعضًا من أهلَ بَيتِ شَمسَ، لأَنَّهُمْ نَظَرُوا إِلَى مَا بِدَاخِلِ تَابُوتِ الرَّبِّ. فضرب سَبْعِينَ رَجُلًا منهم...».

(NCB) But some of the men of Beth Shemesh looked into the Ark of the Lord. So God killed seventy of them.

«ولكن بعضًا من رجال بَيتِ شَمسَ نَظَرُوا إِلَى مَا بِدَاخِلِ تَابُوتِ الرَّبِّ. لذلك قتل الله سَبْعِينَ رَجُلًا منهم...».

(CEV) Some of the men of Beth-Shemesh looked inside the sacred chest, and the LORD God killed seventy of them.

«بعضًا من رجال بَيتِ شَمسَ نَظَرُوا إِلَى مَا بِدَاخِلِ التَّابُوتِ المقدس، والرب قتل سَبْعِينَ رَجُلًا منهم...».

سادسًا: هل من المعقول أن يكون بقرية صغيرة ٥٠٠٧٠ رجلاً؟؟

الكل يسأل: إذا كان الرجال في قرية أَهْلَ بَيْتَشَمُسَ ٥٠٠٧٠ فقط، إذن كم يكون عدد سكان كل القرية إذا أضفنا لذلك النساء والأطفال والعجزة؟؟ وهل توجد قرية بها كل هذا العدد؟

في الحقيقة لم يذكر الكتاب المقدس أن عدد سكان قرية بيتشمس خمسون ألفًا، بل يقول إن الرب ضرب من الشعب ٥٠٠٧٠ رجلًا، وذلك لأن انتقال التابوت من مكان إلى آخر لم يكن من الحوادث العادية، فكانت تتبعه جماهير غفيرة، فكم بالحري عند سماع بني إسرائيل خبر عودة تابوت عهد الرب، الذي هو كان من أقدس الأشياء عندهم، وخاصة بعدما سمعوا ما عمله التابوت في أرض الفلسطينيين، فلهذا اجتمعوا من كل المدن المحيطة مسرعين لرؤية التابوت.

والأمر الثاني هو: بيت شمس لم تكن قرية صغيرة لكنها مدينة كبيرة من مدن الملجأ لبني هارون، ولم تكن مجرد مدينة عادية، بل لها مسارح حواليها أي قرى تابعة لها، وأيضًا جبل ووادٍ متسع فنقرأ:

(١أخ ٦:٥٩) «وَعَاشَانَ وَمَسَارِحَهَا، وَبَيْتَشَمُسَ وَمَسَارِحَهَا».

(يش ١٥:١٠) «وَامْتَدَّ التُّخُمُ مِنْ بَعَلَةَ غَرْبًا إِلَى جَبَلِ سَعِيرَ، وَعَبَرَ إِلَى جَانِبِ جَبَلِ يَعَارِيمَ مِنَ الشِّمَالِ، هِيَ كَسَالُونُ. وَنَزَلَ إِلَى بَيْتِ شَمْسٍ وَعَبَرَ إِلَى تِمْنَةَ».

(يش ٢١:١٦) «وَعَيْنَ وَمَسْرَحَهَا، وَيُطَّةَ وَمَسْرَحَهَا، وَبَيْتَ شَمْسٍ وَمَسْرَحَهَا. تِسْعَ مُدُنٍ مِنْ هَذَيْنِ السِّبْطَيْنِ».

المراجع

(١) د. منقذ بن محمود السقار. هل العهد القديم كلمة الله؟. ص٨٦..

(٢) دائرة المعارف الكتابية. الجزء الثانى. ص٢٩٢.

(٣) معجم اللاهوت الكتابي. ص٣١١..

(4) karl Feyerabend. Pocket Hebrew Dictionary. Hebrew - English. to the Old Testament. p. 312..

(5) William L. Holladay. A Concise Hebrew and Aramaic Lexicon of the Old Testament. p. 345. .

(٢٥)

كم عدد الذين قتلهم الرب من بَيتِ شَمسَ؟

يقول د. منقذ بن محمود السقار: «ومن الاختلافات أيضًا ما جاء في النصين العبراني واليوناني عن قصة أهل قرية بيتشمس الذين رأوا تابوت الرب، فعاقبهم بقتل ما يربو على خمسين ألف من أهل تلك القرية البائسة، كما يذكر ذلك النص العبراني، حين يقول: «وَضَرَبَ أَهْلَ بَيْتَشَمْسَ لأَنَّهُمْ نَظَرُوا إِلَى تَابُوتِ الرَّبِّ. وَضَرَبَ مِنَ الشَّعْبِ خَمْسِينَ أَلْفَ رَجُلٍ وَسَبْعِينَ رَجُلًا. فَنَاحَ الشَّعْبُ لأَنَّ الرَّبَّ ضَرَبَ الشَّعْبَ ضَرْبَةً عَظِيمَةً» (١صم ٦:١٩).

لكن هذا الرقم الكبير للقتلى أقضّ مضاجع كتّاب النص اليوناني، فأنقصوه من خمسين ألف إلى سبعين شخصًا فقط، حيث يقول نص الكاثوليك: «وضرب الرب أهل بيت شمس، لأنهم نظروا إلى تابوت الرب، وقتل من الشعب سبعين رجلًا، وكانوا خمسين ألف رجل، فناح الشعب» ومثله في الترجمة العربية المشتركة التي جعلت القتلى سبعين، وحذفت من النص أي ذكر للخمسين ألف، فقالت: «وضرب الرب أهل بيت شمس، لأنهم نظروا إلى تابوت العهد، فمات منهم سبعون رجلًا، فناحوا لهذه الضربة»[1].

للإجابة أقول:

نعم يوجد بعض الاختلافات في الترجمات بخصوص عدد الرجال الذين ضُربوا بسبب نظرهم إلى تابوت عهد الرب، هناك من يذكر خمسين ألف رجل وسبعين رجلًا وهناك من يذكر سبعين فقط فدعنا ندرس الأمر بدقة:

أولًا: التراجم العربية التي أشارت إلى الخمسين ألف مع اختلاف التعبير:

(ت ف) «وَضَرَبَ أَهْلَ بَيْتَشَمْسَ لأَنَّهُمْ نَظَرُوا إِلَى تَابُوتِ الرَّبِّ. وَضَرَبَ مِنَ الشَّعْبِ خَمْسِينَ أَلْفَ رَجُلٍ وَسَبْعِينَ رَجُلًا. فَنَاحَ الشَّعْبُ لأَنَّ الرَّبَّ ضَرَبَ الشَّعْبَ ضَرْبَةً عَظِيمَةً.»

(ت ع) وضرب الرب أهل بيت شمس، لأنهم نظروا إلى ما في تابوت الرب، وقتل من الشعب سبعين رجلا، وكانوا خمسين ألف رجل. فحزن الشعب، لأن الرب ضرب الشعب هذه الضربة الشديدة.

(ت ك) «وضرَبَ الرَّبُّ أَهلَ بَيت شَمْس، لأَنَّهم نَظَروا إِلى ما في تابوتِ الرَّبّ، وقتَلَ مِنَ الشَّعبِ سَبْعينَ رَجُلًا، وكانوا خَمْسينَ أَلفَ رَجُل. فحَزِنَ الشَّعبُ، لأَنَّ الرَّبَّ ضَرَبَ الشَّعبَ هذه الضَّربَةَ الشَّديدة».

ثانيًا: التراجم العربية التي كتبت سبعين

فقط:

(ك ح) «وعاقب الرب أهل بيت شمس فقتل منهم سبعين رجلًا لأنهم نظروا إلى ما بداخل تابوت الرب. فناح الشعب لأن الرب أوقع بهم كارثة عظيمة.»

(ت س) «وضرب الرب أهل بيت شمس لأنهم نظروا إلى تابوت العهد. فمات منهم سبعون رجلًا فناحوا لهذه الضربة العظيمة».

(ت ع م) «وضرَبَ الرَّبُّ أهلَ بَيتِ شَمسَ لأنَّهُم نظَروا إلى تابوتِ العَهدِ. فماتَ مِنهُم سَبعونَ رَجلًا. فناحوا لهذِهِ الضَّربةِ العظيمةِ».

ثالثًا: التراجم الإنجليزية التي تذكر أنهم ٥٠٠٧٠

(ASV) And he smote of the men of Beth-shemesh, because they had looked into the ark of Jehovah, he smote of the people seventy men, and fifty thousand men; and the people mourned, because Jehovah had smitten the people with a great slaughter.

(Bishops) And he smote of the men of Bethsames, because they had loked in the arke of the Lorde, and he slue among the people fiftie thousand and three score and ten men: And the people lamented, because the Lorde had slaine the people with so great a slaughter.

(DRB) But he slew of the men of Beth-sames, because they had seen the ark of the Lord, and he slew of the people seventy men, and fifty thousand of the common people. And the people lamented, because the Lord had smitten the people with a great slaughter.

(Geneva) And hee smote of the men of Beth-shemesh, because they had looked in the Arke of the Lord: he slew euen among the people fiftie thousand men and three score and ten men; the people lamented, because the Lord had slaine the people with so great a slaughter.

(KJV) And he smote the men of Bethshemesh, because they had looked into the ark of the LORD, even he smote of the people fifty thousand and threescore and ten men: and the people lamented, because the LORD had smitten many of the people with a great slaughter.

(KJV١٦١١-) And he smote the men of Bethshemesh, because they had looked into the Arke of the Lord, euen he smote of the people fiftie thousand, and threescore and tenne men: and the people lamented, because the Lord had smitten many of the people with a great slaughter.

(KJVA) And he smote the men of Bethshemesh, because they had looked into the ark of the LORD, even he smote of the people fifty thousand and threescore and ten men: and the people lamented, because the LORD had smitten many of the people with a great slaughter.

(RV) And he smote of the men of Beth-shemesh, because they had looked into the ark of the LORD, even he smote of the people seventy men, and fifty thousand men: and the people mourned, because the LORD had smitten the people with a great slaughter.

(Webster) And he smote the men of Beth-shemesh, because they had looked into the ark of the LORD, even he smote of the people fifty thousand and seventy men: and the people lamented, because the LORD had smitten many of the people with a great slaughter.

رابعًا: التراجم الإنجليزية التي ذكرت أنهم سبعون فقط

(BBE) But the Lord sent destruction on seventy men of the people of Beth-shemesh for looking into the ark of the Lord; and great was the sorrow of the people for the destruction which the Lord had sent on them.

(CEV) Some of the men of Beth-Shemesh looked inside the sacred chest, and the LORD God killed seventy of them. This made the people of Beth-Shemesh very sad.

(Darby) And he smote among the men of Beth-shemesh, because they had looked into the ark of Jehovah, and smote of the people seventy men; and the people lamented, because Jehovah had smitten the people with a great slaughter.

(ESV) And he struck some of the men of Beth-shemesh, because they looked upon the ark of the LORD. He struck seventy men of them, and the people mourned because the LORD had struck the people with a great blow.

وتعلق الترجمة قائلة:

* Hebrew of the people seventy men, fifty thousand men

النص العبري يذكر سبعين رجل وخمسين ألف رجل

(GNB) The LORD killed seventy of the men of Beth Shemesh because they looked inside the Covenant Box. And the people mourned because the LORD had caused such a great slaughter among them.

(NIV) But God struck down some of the men of Beth Shemesh, putting seventy* of them to death because they had looked into the ark of the Lord. The people mourned because of the heavy blow the Lord had dealt them.

وتعلق الترجمة قائلة:

A few Hebrew manuscripts; most Hebrew manuscripts and Septuagint 50,070

في قليل من المخطوطات سبعون أما غالبية المخطوطات العبرية والترجمة السبعينية تحتوي على ٥٠٠٧٠

ونجد نفس التعليق في:

NAB, NIV, NRSV, NLT

وجد في ترجمتين في محاوله تفسيرية كتبتا

(LITV) And he struck among the men of Beth-shemesh, because they looked into the ark of Jehovah. Yea, He struck seventy among the people, fifty out of a thousand men. And the people mourned because Jehovah destroyed among the people with a great destruction.

سبعين من الشعب، خمسين من كل الف رجل

ترجمة أخرى

(YLT) And He smiteth among the men of Beth-Shemesh, for they looked into the ark of Jehovah, yea, He smiteth among the people seventy men--fifty chief men; and the people mourn, because Jehovah smote among the people--a great smiting.

سبعين رجل وخمسين رجل رئيس

النص العبري

(HOT) ויך באנשי בית־שמש כי ראו בארון יהוה ויך בעם שבעים איש חמשים אלף איש ויתאבלו העם כי־הכה יהוה בעם מכה גדולה:

النص المازوراتي:

19 And He smote of the men of Beth-shemesh, because they had gazed upon the ark of the LORD, even He smote of the people seventy men, and fifty thousand men; and the people mourned, because the LORD had smitten the people with a great slaughter.	יט וַיַּךְ בְּאַנְשֵׁי בֵית-שֶׁמֶשׁ, כִּי רָאוּ בָּאֲרוֹן יְהוָה, וַיַּךְ בָּעָם שִׁבְעִים אִישׁ, חֲמִשִּׁים אֶלֶף אִישׁ; וַיִּתְאַבְּלוּ הָעָם, כִּי-הִכָּה יְהוָה בָּעָם מַכָּה גְדוֹלָה.

ضرب سَبْعِينَ رَجُل وخَمْسِينَ أَلْفَ رَجُل

وأيضًا ترجمة المؤسسة اليهودية

JPS) And He smote of the men of Beth-) shemesh, because they had gazed upon the ark of the LORD, even He smote of the people seventy men, and fifty thousand men; and the people mourned, because the LORD had .smitten the people with a great slaughter

ضرب سَبْعِينَ رَجُل وخَمْسِينَ أَلْفَ رَجُل

المخطوطات:

مخطوطة لننجراد ١٠٠٨ م

وصورة إحدى صفحاتها

ونص العدد

Hebrew OT: Westminster Leningrad Codex שמואל א 6:19

וַיַּךְ בְּאַנְשֵׁי בֵית־שֶׁמֶשׁ כִּי רָאוּ בָּאֲרוֹן יְהוָה וַיַּךְ בָּעָם שִׁבְעִים אִישׁ חֲמִשִּׁים אֶלֶף אִישׁ וַיִּתְאַבְּלוּ הָעָם כִּי־הִכָּה יְהוָה בָּעָם מַכָּה גְדוֹלָה׃

وترجمته

وَضَرَبَ أَهْلَ بَيْتَشَمْسَ لأَنَّهُمْ نَظَرُوا إِلَى تَابُوتِ الرَّبِّ. وَضَرَبَ مِنَ الشَّعْبِ خَمْسِينَ أَلْفَ رَجُلٍ وَسَبْعِينَ رَجُلًا. فَنَاحَ الشَّعْبُ لأَنَّ الرَّبَّ ضَرَبَ الشَّعْبَ ضَرْبَةً عَظِيمَةً

مخطوطة اليبوا من القرن العاشر

صورة المخطوطة المحتوية على العدد

Hebrew OT: Aleppo Codex

ויך באנשי בית שמש כי ראו בארון יהוה ויך בעם שבעים איש חמשים אלף איש ויתאבלו העם כי הכה יהוה בעם מכה גדולה

وَضَرَبَ أَهْلَ بَيْتَشَمْسَ لأَنَّهُمْ نَظَرُوا إِلَى تَابُوتِ الرَّبِّ. وَضَرَبَ مِنَ الشَّعْبِ خَمْسِينَ أَلْفَ رَجُلٍ وَسَبْعِينَ رَجُلًا. فَنَاحَ الشَّعْبُ لأَنَّ الرَّبَّ ضَرَبَ الشَّعْبَ ضَرْبَةً عَظِيمَةً

وأيضًا

Hebrew OT: BHS (Consonants Only)

ויך באנשי בית—שמש כי ראו בארון יהוה ויך בעם שבעים איש חמשים אלף איש ויתאבלו העם כי—הכה יהוה בעם מכה גדולה:

Hebrew Bible

ויך באנשי בית שמש כי ראו בארון יהוה ויך בעם שבעים איש חמשים אלף איש ויתאבלו העם כי הכה יהוה בעם מכה גדולה:

الترجمة السبعينية من القرن الثالث قبل الميلاد

(LXX) Καὶ οὐκ ἠσμένισαν οἱ υἱοὶ Ιεχονιου ἐν τοῖς ἀνδράσιν Βαιθσαμυς, ὅτι εἶδαν κιβωτὸν κυρίου· καὶ ἐπάταξεν ἐν αὐτοῖς ἑβδομήκοντα ἄνδρας καὶ πεντήκοντα χιλιάδας ἀνδρῶν. καὶ ἐπένθησεν ὁ λαός, ὅτι ἐπάταξεν κύριος ἐν τῷ λαῷ πληγὴν μεγάλην σφόδρα.

وترجمتها الإنجليزية:

1:19 And the sons of Jechonias were not pleased with the men of Baethsamys, because they saw the ark of the Lord; and [the Lord] smote among them seventy men, and fifty thousand men: and the people mourned, because the Lord had inflicted on the people, a very great plague.

وترجمتها العربية:

وأبناء يكنيا لم يُسروا من رجال بيت شمس لأنهم نظروا تابوت الرب، والرب ضرب منهم سبعين رجل وخمسين ألف رجل وناح الشعب لأن الرب ضربهم بوباء شديد

الفولجاتا اللاتينية للقديس جيروم من القرن الرابع

(Vulgate) percussit autem de viris bethsamitibus eo quod vidissent arcam Domini et percussit de populo septuaginta viros et quinquaginta milia plebis luxitque populus quod percussisset Dominus plebem plaga magna

وترجمتها الإنجليزية:

But he slew of the men of Bethsames, because they had seen the ark of the Lord, and he slew of the people seventy men, and fifty thousand of the common people. And the people lamented, because the Lord had smitten the people with a great slaughter.

وَضَرَبَ أَهْلَ بَيْتَشَمْسَ لأَنَّهُمْ نَظَرُوا إِلَى تَابُوتِ

الرَّبَّ. وَضَرَبَ مِنَ الشَّعْبِ سَبْعِينَ رَجُلًا رَجُلٍ وَ خَمْسِينَ أَلْفَ. فَنَاحَ الشَّعْبُ لأَنَّ الرَّبَّ ضَرَبَ الشَّعْبَ ضَرْبَةً عَظِيمَةً.

وأيضًا البشيتا من القرن الرابع

And the Lord somte the men of Beth she-
mesh because they worshipped the ark of the
Lord and the Lord smote five thousand and
seventy men of the people; and the people
mourned because the Lord had smitten many
.of the people with a great slaughter

فكل هذه الأدلة من التراجم والنسخ والمخطوطات قبل وبعد الميلاد تؤكد أن العدد هو خَمْسِينَ أَلْفَ رَجُلٍ وَسَبْعِينَ رَجُلًا.

وايضًا تعليق نت بايبل:

is surprisingly lar- ٥٠,٠٧٠ ١rtc The number
ge. although it finds almost unanimous textual
support in the MT and in the ancient versi-
ons. Only a few medieval Hebrew mss lack
instead. Howe- «٧٠» reading simply «٥٠,٠٠٠»
ver. there does not seem to be sufficient exter-
rather than ٧٠ nal evidence to warrant reading
although that is done by a number of ٥٠,٠٧٠
recent translations (e.g., NAB, NIV, NRSV,
NLT). The present translation (reluctantly)
.follows the MT and the ancient versions here

ويؤكد أن العدد ٥٠٠٠٠ و ٧٠ هو الموجود في المخطوطات العبرية

وبهذا يتضح أن الترجمات التي كتبت سبعين رجلاً خمسين ألف رجل، أو التي كتبت خمسين ألف رجل وسبعين رجلاً هي الأدق.

المراجع

(١) د. منقذ بن محمود السقار، هل العهد القديم كلمة الله؟، ص٨٦.

(٢٦)

هل هو إله سريع الندم؟

هذه العبارة الصغيرة «نَدِم الله» سببَّت هجومًا شديدًا وشرسًا على الكتاب المقدس فمثلًا:

يقول د. منقذ بن محمود السقار: «تنسب التوراة إلى الله الندم على أمور صنعها، والندم فرع من الجهل. ومن ذلك «نَدِمْتُ عَلَى أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ شَاوُلَ مَلِكًا، لأَنَّهُ رَجَعَ مِنْ وَرَائِي وَلَمْ يُقِمْ كَلاَمِي» (اصم ١٥:١١).

وتذكر التوراة أنه لما عبد بنو إسرائيل العجل غضب الرب عليهم وَقَالَ لِمُوسَى: «... فَالآنَ اتْرُكْنِي لِيَحْمَى غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ، فَأُصَيِّرَكَ شَعْبًا عَظِيمًا». فَتَضَرَّعَ مُوسَى أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِهِ، وَقَالَ: ارْجِعْ عَنْ حُمُوَّةِ غَضَبِكَ، وَانْدَمْ عَلَى الشَّرِّ بِشَعْبِكَ. اُذْكُرْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ عَبِيدَكَ الَّذِينَ حَلَفْتَ لَهُمْ بِنَفْسِكَ وَقُلْتَ لَهُمْ: أُكَثِّرُ نَسْلَكُمْ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأُعْطِي نَسْلَكُمْ كُلَّ هذِهِ الأَرْضِ الَّتِي تَكَلَّمْتُ عَنْهَا فَيَمْلِكُونَهَا إِلَى الأَبَدِ». فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ» (خر ٣٢: ٩ - ١٤).

وفي مرة أخرى «كَانَ الرَّبُّ مَعَ الْقَاضِي، وَخَلَّصَهُمْ مِنْ يَدِ أَعْدَائِهِمْ كُلَّ أَيَّامِ الْقَاضِي، لأَنَّ الرَّبَّ نَدِمَ مِنْ أَجْلِ أَنِينِهِمْ» (قض ٢:١٨).

ومثله ندم الرب بعد أن قتل مقتلة كبيرة في بني إسرائيل، فقد «فَجَعَلَ الرَّبُّ وَبًا فِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمِيعَادِ. فَمَاتَ مِنَ الشَّعْبِ مِنْ دَانٍ إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ سَبْعُونَ أَلْفَ رَجُل. وَبَسَطَ الْمَلاَكُ يَدَهُ عَلَى أُورُشَلِيمَ لِيُهْلِكَهَا. فَنَدِمَ الرَّبُّ عَنِ الشَّرِّ وَقَالَ لِلْمَلاَكِ الْمُهْلِكِ الشَّعْبَ: «كَفَى! الآنَ رُدَّ يَدَكَ» (اصم ٢٤: ١٥-١٦). ومثل هذا الندم في الأسفار كثير (انظر تك ١٨:٢٠؛ إر ٢٦:١٩؛ ١١:٤٢؛ عا ٧:٦)[1].

ويقول دكتور مصطفى محمود: «نرى الله يفعل الفعل ثم يندم عليه، ويختار رسوله ثم يكتشف أنه أخطأ الاختيار، وكأنه لا يدري من أمر نفسه شيئًا، ولا يعرف ماذا يخبئه الغيب»[2].

ويضيف أيضًا: «رب عجيب.. ما يلبث أن يندم على ما يفعل.. والرب في حالة خطأ وندم بطول التوراة وعرضها... كيف يخطئ الرب ويندم، هوذا خلط ودشت من الكلام تكتبه أقلام وليس وحيًا ولا تنزيلًا.. والاعتراض بأن كلمة «الله يندم» هي كلمة مجازية مثل كلمة « الله يغضب» هو اعتراض غير سليم، لأن الندم معناه الرجوع عن الخطأ، ولا يصلح مجازًا ولا فعلًا أن نقول إن الله يخطئ، كما لا يصلح مجازًا أن نقول إن الله يكذب أو يظلم أو يجهل.. هذه كلمات لا يصح إطلاقها على الله ولو مجازًا»[3].

وأيضًا يقول د. مصطفى محمود: «الصورة التي صوَّرتها التوراة لله صورة مليئة بالتشويش والتناقض وسوء الفهم.. فهو في معظم صفحات الكتاب إله ندمان يفعل الفعل ثم ما

يلبث أن يدرك أنه أخطأ ويندم عليه ويرجع عنه.. ولا ينفع الاعتذار بأن كلمة يندم واردة بمعنى يغفر.. وهو اعتذار أفحش من التهمة.. فمعناه أن النبي لا يعرف أبجدية اللغة التي يخاطب بها أتباعه.. ومعناه أن الله لم يحفظ لسانه من التخبط والذلل.. ومعناه في الحالين أن كتاب التوراة ليس كتابًا محفوظًا من الله.. وإنما هو مجموعة عبارات أُلقيت على عواهنها وقيلت كيفما إتفق بما فيها من ضلال الخاطر وسقطات اللسان وعجز التعبير..»[٤].

وللرد على هذه الاتهامات أقول:

أولًا ـ لماذا يندم الإنسان؟

يندم الإنسان لأنه يتخذ قرارات ثم يكتشف بعد فترة من الزمن أنه أخطأ فيها، أو يقول كلامًا ثم يكتشف أنه في غير مكانه، أو يتصرف تصرفًا ثم يدرك أنه غير صحيح. وكل هذا بسبب ضعفه البشري، أو لعدم رؤيته الكاملة لنتائج أقواله أو أفعاله، أو لعدم قدرته على رؤية المستقبل لنقص المعلومات لديه، أو لظهور متغيرات جديدة لم تكن في حساباته. أو كما يقول نيافة الأنبا غريغوريوس: «إن الندم في الإنسان يرجع إلى جهل الإنسان وقصور علمه. فيندم لأنه لم تأتِ النتائج كما كان يتوقعها، أو كما كانت في حسبانه»[٥].

ثانيًا ـ الله لا يندم بالمفهوم البشري:

يعلن لنا الكتاب المقدس أكثر من مرة أن الله لا يندم كما يندم الإنسان، لأن الندم في الإنسان دليل جهله وعدم علمه، ودليل ضعفه. أما الله فهو يجل عن الجهل ويجل عن الضعف. مكتوب عنه: «لَيْسَ اللهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبَ، وَلاَ ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ. هَلْ يَقُولُ وَلاَ يَفْعَلُ؟ أَوْ يَتَكَلَّمُ وَلاَ يَفِي؟» (عد ١٩:٢٣). وهي ترد في ترجمة (NIV):

God is not a man, that he should lie, nor a son of man, that he should change his mind. Does he speak and then not act? Does he promise and not fulfill?

ومكتوب أيضًا: «نَصِيحُ إِسْرَائِيلَ لاَ يَكْذِبُ وَلاَ يَنْدَمُ لأَنَّهُ لَيْسَ إِنْسَانًا لِيَنْدَمَ» (١صم ١٥:٢٩).

بكل تأكيد الله لا يندم لأن الندم رد فعل لحدث سابق له. فالحدث قبل الندم، والندم بعد الحدث. و«قبل وبعد» مرتبطان بالزمن، والله فوق الزمن ليس عنده ماضٍ وحاضر ومستقبل فكل التاريخ حاضر أمامه، صفحة واحدة.

والله لا يندم لأن الندم ينتج عن معلومات جديدة، وليس عند الله معلومات جديدة، فهو يعرف كل شيء أزلاً. «مَعْلُومَةٌ عِنْدَ الرَّبِّ مُنْذُ الأَزَلِ جَمِيعُ أَعْمَالِهِ» (أع ١٥:١٨). فهو لا يفاجأ بحدث أو موقف، ولا تظهر متغيرات جديدة لم تكن في حساباته. فليس عنده ما نطلق عليه أنه غير متوقع. فكل شيء عريان ومكشوف أمامه.

والله لا يندم لأن الندم تغيير في المشاعر تجاه موقف أو أمر ما. والتغيير إما أن يكون للأفضل أو للأسوأ. والله لايتغير. «لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلاَ ظِلُّ دَوَرَانٍ» (يع ١: ١٧). وقد قال الله عن نفسه: «لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ لاَ أَتَغَيَّرُ» (ملا ٣:٦). وهو القوي القادر على كل شيء، وضابط كل شيء فعلام يندم؟!!

تخيل أنك ترى الآن نملة تسير أمامك على الأرض، بالنسبة للنملة المسافة التي قطعتها في المشي ماضٍ، وقد استغرقت في المشي زمنًا طويلًا بالنسبة لها، والطريق الذي أمامها مستقبل

طويل. أما بالنسبة لك فأنت ترى ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وتعرف إن كان سيواجهها بقعة ماء، أو طريق مسدود، أو بلاّعة...الخ. هي تفاجأ أما أنت فلا تفاجأ بشيء. فكم بالحري بالنسبة لله. إن التاريخ كله من لحظة البداية وحتى النهاية مكشوف أمامه. كل ما حدث وما سيحدث. ولا يفاجأ بحدث ولا بمعلومة جديدة. لذلك يقول: «لأَنِّي أَنَا اللهُ وَلَيْسَ آخَرَ. الإِلهُ وَلَيْسَ مِثْلِي. ١٠مُخْبِرٌ مُنْذُ الْبَدْءِ بِالأَخِيرِ، وَمُنْذُ الْقَدِيمِ بِمَا لَمْ يُفْعَلْ، قَائِلًا: رَأْيِي يَقُومُ وَأَفْعَلُ كُلَّ مَسَرَّتِي» (إش ٤٦: ٩،١٠).

أو تخيل أن هناك شخصًا يرصد بالرادار كل شوارع القاهرة، فيرى كل الأماكن المزدحمة وكل الأماكن الهادئة. بينما أنت تسير بسيارتك في الطريق إلى عملك وأخذت قرارًا بأن تسير في شارع معين فتجده في منتهى الزحمة، فتندم وقد تتخذ طريقًا آخر. ولكن من يراك بالرادار هل يفاجأ بذلك. كلا.

أما بالنسبة لله فهو لا يرى الشوارع فقط إنه يعرف القلوب والأفكار والنيات والضمائر. فهو يرى في الظلام كما يرى في النور، وهو فاحص القلوب ومختبر الكلى. لذلك هو لا يفاجأ بتصرف بشري، ولا يتخذ قرارًا ثم يكتشف أنه كان غير صحيح لأن البيانات لم تكن كاملة لديه.

ثالثًا: استخدام التعبيرات البشرية عن الله:

الكتاب المقدّس هو رسالة الله للبشرية، ولذلك هو لا يخاطبنا بلغته، ولا بلغة الملائكة بل بلغتنا واصطلاحاتنا لندرك حقائق الأمور. لذلك نجد الروح القدس يستخدم اللغة البشرية للتعبير عن المعاني الروحية والأحداث الإلهية حتى يفهمها الإنسان.

وإلاَّ كان الله يكلم الإنسان بلغة لا يفهمها. فكيف يتعامل الله مع الإنسان بغير لغة الإنسان؟ واستخدام الصفات البشرية في وصف الله تُعرَف في علم اللاهوت بمنهج «أنثروبومورفيزم» (Anthropomorphism) أي (تشبيه الله بالإنسان) أو تشبيه الله بصفات بشرية بهدف وصول المعاني الإلهية للإنسان بلغة قريبة إلى فهم الإنسان.

ولهذا السبب نجد نصوصًا كثيرة في الكتاب المقدّس، ينسب الله فيها إلى ذاته تشبيهات مألوفة لدى الإنسان مثل: «كرسي الله»، «يد الله»، «عينا الله»، «أقسم الرب»، «ذراع الرب»، «فم الرب»، «حزن الله»، «ندم الله»...الخ كما لو كان الله إنسانًا.

إنه من فضل نعمته يتكلم معنا مثلما يتكلم الأب مع ابنه الصغير، أو الأم مع طفلها الرضيع. فعندما تسأله إن كان يريد ماء ليشرب، تقول له «امبو». وإذا أرادت أن تعرف إن كان جائعًا، ويريد أن يأكل، تقول له «م»، لكي تتواصل معه.

وعندما نفنّد التعبيرات التي أطلقها الوحي على شخص الله سنجد أنها مجرد تعبيرات بشرية لتبسيط الحق الإلهي لنا. فمثلًا عندما نفكر في تعبير «كرسي الله» بالطبع الله لا يجلس على كرسي، ولا يوجد كرسي يسع الله. فهل الله محدود لدرجة أنه يجلس على كرسي؟! وأين هذا الكرسي؟! ألم يقل عن نفسه: «أَمَا أَمْلأُ أَنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، يَقُولُ الرَّبُّ؟» (إر ٢٣:٢٤).

وقال عنه سليمان: «لأَنَّهُ هَلْ يَسْكُنُ اللهُ حَقًّا عَلَى الأَرْضِ؟ هُوَذَا السَّمَاوَاتُ وَسَمَاءُ السَّمَاوَاتِ لاَ تَسَعُكَ» (١مل ٨: ٢٧).

وقال استفانوس: «كَمَا يَقُولُ النَّبِيُّ: السَّمَاءُ

كُرْسِيِّي لِي، وَالأَرْضُ مَوْطِئٌ لِقَدَمَيَّ» (أع ٧: ٤٨، ٤٩).

ولكن الوحي عندما أراد أن يعبر عن سيادة وسلطان الله استخدم هذا التعبير.

وتشبيه الله بصفات بشرية بهدف وصول المعاني الإلهية للإنسان ليس قاصر على الكتاب المقدس فقط، بل نجده في القرآن أيضًا، فيُنسَب إلى الله قوله: {يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} (سورة يس ٣٠).

يقول الشيخ الطنطاوي في تفسيره:

«والحسرة: الغم والحزن على ما فات، والندم عليه ندمًا لا نفع من ورائه، كأن المتحسر قد انحسرت عنه قواه وذهبت، وصار في غير استطاعته إرجاعها. و«يا» حرف نداء و «حسرة» منادى ونداؤها على المجاز بتنزيلها منزلة العقلاء.

والمراد بالعباد: أولئك الذين كذَّبوا الرسل، وآثروا العمى على الهدى، ويدخل فيهم دخولا أوليا أصحاب تلك القرية المهلكة...»[٦]

وأيضًا جاء في تفسير الصابوني:

«أي يا أسفًا على هؤلاء المكذبين لرسل الله المنكرين لآياته ويا حسرةً عليهم، ما جاءهم رسولٌ إلا كذبوه واستهزءوا به..»[٧]

وجاء في كتاب تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن للسعدي:

«أي ما أعظم شقاءهم، وأطول عناءهم، وأشد جهلهم، حيث كانوا بهذه الصفة القبيحة، التي هي سبب لكل شقاء وعذاب ونكال...»[٨].

و«الحسرة» أصعب من الحزن والندم؟! ومكتوب عن الله أيضًا في القرآن: «ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين» (آل عمران ٣: ٥٤). و «المكر» صفة بشرية بغيضة. ويُنسب إلى الله قوله أيضًا: «إن كيدي متين» (الأعراف ٧: ١٨٣). و «الكيد» أيضًا صفة بشرية سيئة؟!

وقال الإمام فخر الدين الرازي: «جميع الأعراض النفسانية، أعني الرحمة والفرح والسرور والغضب والحياء والمكر والاستهزاء، لها أوائل ولها غايات، مثاله الغضب، فإن أوله غليان دم القلب، وغايته إرادة إيصال الضرب إلى المغضوب (عليه) فلفظ الغضب في حق الله لا يحمل على أدلة الذي هو غليان دم القلب، بل على غرضه هو إرادة الإضرار، وكذلك الحياء له أول وهو انكسار يحصل في النفس، وله غرض وهو ترك الفعل، فلفظ الحياء في حق الله يحمل على ترك الفعل لا على انكسار النفس».

وقال الشيخ محيى الدين بن العربي في الباب الثالث من الفتوحات المكية: «جميع ما وصف الحق تعالى به نفسه من خلق وإحياء وإماتة ومنع وعطاء ومكر واستهزاء وكيد وفرح وغضب ورضا وضحك وتبشيش وقدم ويد ويدين وأيد وعين وأعين، وغير ذلك كله نعت صحيح لربنا، ولكن على حد ما تقبله ذاته، وما يليق بجلاله»[٩].

نأتي الآن للسؤال الهام:

ما الذي قصده الوحي بعبارة: «نَدِم الله»؟

لقد قصد الوحي أكثر من معنى:

(١) يقصد تغير إعلان القضاء:

إن الله لا يغير قضاءه، وحاشا لله أن يتخذ قرارات ويرجع فيها، ألم يقل الرسول يعقوب عن

الله: «الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلاَ ظِلُّ دَوَرَانٍ» (يع ١: ١٧). وقال هو عن نفسه في سفر ملاخي: «لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ لاَ أَتَغَيَّرُ» (ملا ٣: ٦).

ولو درسنا كل المرات التي وردت فيها عبارة: «فَنَدِمَ الرَّبُّ» ونسأل: هل فوجئ الله بمعلومات جديدة، أو تصرفات لم تكن في حساباته؟ كلا، فالله بعلمه السابق يعرف كل شيء، فمثلًا عندما يقول في سفر إرميا: «تَارَةً أَتَكَلَّمُ عَلَى أُمَّةٍ وَعَلَى مَمْلَكَةٍ بِالْقَلْعِ وَالْهَدْمِ وَالإِهْلاَكِ، فَتَرْجِعُ تِلْكَ الأُمَّةُ الَّتِي تَكَلَّمْتُ عَلَيْهَا عَنْ شَرِّهَا، فَأَنْدَمُ عَنِ الشَّرِّ الَّذِي قَصَدْتُ أَنْ أَصْنَعَهُ بِهَا. وَتَارَةً أَتَكَلَّمُ عَلَى أُمَّةٍ وَعَلَى مَمْلَكَةٍ بِالْبِنَاءِ وَالْغَرْسِ، فَتَفْعَلُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيَّ، فَلاَ تَسْمَعُ لِصَوْتِي، فَأَنْدَمُ عَنِ الْخَيْرِ الَّذِي قُلْتُ إِنِّي أُحْسِنُ إِلَيْهَا بِهِ» (إر ١٨: ٧-١٠).

فهل الله سيغير قراره؟ كلا، هل الله لا يعرف بعلمه السابق إن كانوا سيفعلون الخير أم الشر؟ بكل تأكيد يعرف. إنما يستخدم هذه اللغة ليحثهم على فعل الخير، وليعلن لهم أنهم أحرار في اختيار طريقهم، وأنهم سيحصدون نتائج اختياراتهم. لذلك تَارَةً يَتَكَلَّمُ عَلَى أُمَّةٍ بِالْهَدْمِ وَالإِهْلاَكِ، فَتَرْجِعُ تِلْكَ الأُمَّةُ عَنْ شَرِّهَا، فَيَنْدَمُ عَنِ الشَّرِّ الَّذِي تكلم به. والحقيقة هي أن الله لم يفاجأ بأن هذه الأمة تراجعت عن الشر، فهو بعلمه السابق يعرف كل شيء، إنما توعدها بالخراب حتى تتوب وترجع عن شرها، وعندما تابت لم يغير القضاء بل إعلان القضاء لهم. وكذلك عندما يتَكَلَّمُ عَلَى أُمَّةٍ بِالْبِنَاءِ وَالْغَرْسِ، فَتَفْعَلُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيه، ولاَ تَسْمَعُ لِصَوْتِه، فَيَنْدَمُ عَنِ الْخَيْرِ الَّذِي قال إِنَّه سيحْسِنُ إِلَيْهَا بِهِ. ونفس الشيء حدث عندما قال الرب لموسى: «رَأَيْتُ هَذَا الشَّعْبَ وَإِذَا هُوَ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ. فَالآنَ اتْرُكْنِي لِيَحْمَى غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ فَأُصَيِّرَكَ شَعْبًا عَظِيمًا». فَتَضَرَّعَ مُوسَى أَمَامَ الرَّبِّ من أجل الشعب فنقرأ: «فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ» (خر ٣٢: ٩-١٤). وهي ترد في ترجمة

(NKJV) «So the Lord relented from the harm which He said He would do to His people».

هل فوجئ الله بتضرع موسى؟ كلا، هل كان ناسيًا لعهده الذي ذكره موسى في تضرعه؟ كلا، إنما هي لغة بشرية ليحرك بها قلب موسى وكل الشعب ليبتعدوا عن الشر ويعيشوا في مخافة الله، وليدركوا أن هناك خطر قادم إن لم يتوبوا. وأرجو أن تقرأ مزمور ١٠٦ وسترى كيف أن هذه العبارة لا تبرهن إلا على عمق محبته ورأفته للشعب، فهو يحذرهم وينذرهم ويتوعدهم بالخراب لكي يرتدعوا ويتوبوا، فنقرأ: «وَنَدِمَ حَسَبَ كَثْرَةِ رَحْمَتِهِ» (مز ١٠٦: ٤٥). وهذا لا يتعارض مع إلوهية الله وقداسته، فالندم هنا هو الحزن بحسب الرحمة الإلهية!

(٢) الحزن والألم:

مرات يستخدم الوحي تعبير «نَدِمَ الرَّبُّ» ليعبر عن كيف أن الشر والخطية يُحزن وتكسر قلب الله، وكم كان يتمنى أن يعيش الإنسان في مخافته، ويصنع مشيئته، ولكنه خلقه حرًا يفعل ما يشاء، فنقرأ: «وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإنسان قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإنسان فِي الأَرْضِ وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ» (تك ٦: ٥،٦).

ونفس الفكرة نجدها بعد اختيار شاول ملكًا حيث نقرأ: «وَكَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى صَمُوئِيلَ: «نَدِمْتُ

عَلَى أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ شَاوُلَ مَلِكًا، لأَنَّهُ رَجَعَ مِنْ وَرَائِي وَلَمْ يُقِمْ كَلاَمِي» (اصم ١٥:١١). ونسأل: هل فوجئ الله بتصرف شاول؟ كلا. إن الله بعلمه السابق يعرف كل شيء. لكنه يستخدم تعبيرًا بشريًا ليعبر عن مدى حزنه على تصرف شاول، وترد هذه الآية في ترجمة (NIV) كالآتي:

«I am grieved that I have made Saul king, because he has turned away from me and has not carried out my instructions.»

فعندما يقول الوحي الإلهي عن الله: «فَحَزِنَ وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ» أو «نَدِمْتُ». فهي صياغة إنسانية بشرية بإرشاد الروح القدس حتى يدركها الإنسان، ويفهمها بعقله المحدود، يعبر بها الله للإنسان عن حجم الكارثة. فهي كلمات تعبر من ناحية عن عمق الشر الكامن في الإنسان، ومدى فساده وابتعاده وزيغانه، ورفضه للتوبة والرجوع إلى الله خالقه، بل وأصل ومصدر حياته. ورغبته في السير وراء إبليس وإغراءاته، وشهوات قلبه.

وتعبر من ناحية أخرى عن عمق محبة الله المتألمة النازفة. فبعد أن سُر الله بخلق الإنسان، وقال عنه إنه «حَسَنٌ جِدًّا» (تك ١:٣١) فإذا بهذا الإنسان موضع سرور الله قد هوى في بئر الخطية والشر. فكأن الله يقول أليس هذا هو الإنسان الذي خلقته على صورتي، وأحطته بمحبتي، ومنحته كل المواهب والإمكانيات التي تجعله يعمل ما يسرني. فلماذا أهانني بأفعاله الأثيمة، وجرحني بزيغانه بعيدًا عني، وعناد قلبه ورفضه للتوبة، والإستجابة لعمل روحي في داخله؟

إنه باختصار تعبير بشري يبين مدى نفور الله من الشر والخطية من جانب، ومدى محبة وشفقة الله على الإنسان الذي سقط وحلَّ به العقاب الإلهي من جانب آخر.

المراجع

(١) د. منقذ بن محمود السقار. هل العهد القديم كلمة الله؟. ص٩٤.

(٢) د. مصطفي محمود. التوراة ص ١٢.

(٣) د. مصطفي محمود. التوراة ص ٢١- ٢٥.

(٤) المرجع السابق ص ٤٣- ٤٦.

(٥) الأنبا غريغوريوس. مقالات في الكتاب المقدَّس ج٣ ص ١١٥- ١١٩.

(٦) الشيخ الطنطاوي. الوسيط في تفسير القرآن الكريم.

(٧) الصابوني. تفسير صفوة التفاسير.

(٨) السعدي. تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن. تفسير السعدي. سورة يس ٣٠.

(٩) الشيخ محيي الدين بن عربي الحاتمي. الفتوحات المكية. ص٣٧٩.

(٢٧)

هل هو إله دموي؟

وَقَالَ صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ: «إِيَّايَ أَرْسَلَ الرَّبُّ لِتَسْحِكَ مَلِكًا عَلَى شَعْبِهِ إِسْرَائِيلَ. وَالآنَ فَاسْمَعْ صَوْتَ كَلاَمِ الرَّبِّ. هكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ: إِنِّي قَدِ افْتَقَدْتُ مَا عَمِلَ عَمَالِيقُ بِإِسْرَائِيلَ حِينَ وَقَفَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ صُعُودِهِ مِنْ مِصْرَ. فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلًا وَامْرَأَةً، طِفْلًا وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلًا وَحِمَارًا» (١صم ١٥: ١-٣).

هذا النص يطرح العديد من الأسئلة مثل:

كيف يطلب النبي صموئيل من شاول الملك أن يضرب عماليق بناء على أمر الرب؟

وكيف يطلب الرب من شاول أن يقتل الرجال والنساء الكبار والصغار، وحتى الأطفال الرضَّع، والأبقار والأغنام والجمال والحمير؟

هل إله العهد القديم هو فعلًا إله حروب وسفك دماء؟ وهل هو فعلًا لا يعرف الرأفة ولا الرحمة؟ هل هو فعلًا إله عنصري يقف إلى جوار بني إسرائيل ضد كل الشعوب الأخرى؟

ومنْ هو عماليق؟ وما الذي فعله؟ ولماذا لم يسامحه الرب؟

للإجابة على هذه الأسئلة أقول:

أولًا: منْ هو عماليق؟

جاء في دائرة المعارف الكتابية أن عماليق اسم سامي يعني «المحارب» أو «ساكن الوادي»[1]. وكلمة عملاق في اللغة تعني الطويل. ويبدو أن قبائل العماليق كانت تتميز بشيء من الطول والجسامة (عد ١٣: ٢٧-٣٣). وعماليق هو أحد أبناء أليفاز بكر عيسو أمير أدوم (تك ٣٦: ١٢-١٦؛ ١أخ ١:٣٦). وهو جد العمالقة، وهم شعب من أقدم سكان سورية الجنوبية «عَمَالِيقُ أَوَّلُ الشُّعُوبِ» (عد ٢٤: ٢٠). وكانوا يقيمون في البدء قرب قادش في جنوب فلسطين. وكانوا هناك عند مجيء العبرانيين من مصر (عد ١٣: ٢٩، ١٤: ٢٥). وكانت بلادهم تُرى من فوق جبل عبارم (عد ٢٠: ٢٤؛ تث ٣٤: ١-٣).

وهم شعب بدو رُحَّل يتجولون في المنطقة ما بين شمالي سيناء والنقب جنوبي كنعان، إلى الجنوب من بئر سبع بما في ذلك منطقة العربة إلى الشمال من إيلات وعصيون جابر، وربما إلى بعض الأجزاء الشمالية من شبه جزيرة العرب. ونقرأ أن شاول الملك ضرب «عَمَالِيقَ مِنْ حَوِيلَةَ حَتَّى مَجِيئِكَ إِلَى شُورَ الَّتِي مُقَابِلَ مِصْرَ» (١صم ١٥:٧). ويبدو أنها نفس المنطقة التي كان يسكنها قبلًا بنو إسماعيل الذين «سَكَنُوا مِنْ حَوِيلَةَ إِلَى شُورَ الَّتِي أَمَامَ مِصْرَ حِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ أَشُّورَ» (تك ٢٥:١٨).

كما مد العمالقة نفوذهم شمالًا في فلسطين

وأفرايم كما نفهم من وجود جبل باسمهم في أرض أفرايم بالقرب من نابلس الحالية، حيث دفن عبدون بن هليل الفرعتوني قاضي إسرائيل (قض ١٢:١٣).

ونقرأ في سفر صموئيل الأول أن العمالقة «قَدْ غَزُوا الْجَنُوبَ وَصِقْلَغَ» (١صم ٣٠: ١-٢). وما جاء في سفر القضاة عن تحالف العمالقة مع المديانيين وملوك الشرق في غاراتهم على بني إسرائيل (قض ٦: ٣، ٣٣)، قد يكون دليلًا على أن العمالقة كانوا في وقت من الأوقات قد زحفوا شرقًا واختلطوا بالقبائل العربية في شمالي شبه جزيرة العرب.

ثانيًا: لماذا طلب الله من شاول الملك أن يحرّم عماليق؟

(١) لأن الله قاضٍ عادل:

منذ بدء الخليقة وضع الله نظامًا للبشر وهو أن الأعمال التي يعملها الإنسان سواء كانت صالحة أم شريرة لها نتائج وتبعات، والنتائج من ذات الأفعال، وهذا ما يسميه علماء اللاهوت بالنتيجة الطبيعية للأفعال البشرية. فما نطلق عليه عقابًا أو قضاءً إلهيًا ما هو إلا نتيجة طبيعية للأعمال الشريرة، فبكل تأكيد نتيجة الفعل الخاطىء لابد أن تكون من ذات الفعل وهي ليست عقابًا له.

في ضوء هذا نقول إن الرب عندما طلب من شاول تحريم عماليق وساعده على ذلك فهذا لأنه قاضٍ عادل، ولأن هذه هي النتيجة الطبيعية لأفعالهم. فبعد خروج بني إسرائيل مباشرة من مصر وقبل وصولهم إلى سيناء، كان الشعب العماليقي هم أول شعب يبادر ويهاجم بني إسرائيل بدون مبرر، لذلك يقول الرب: «إِنِّي قَدِ افْتَقَدْتُ مَا عَمِلَ عَمَالِيقُ بِإِسْرَائِيلَ حِينَ وَقَفَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ صُعُودِهِ مِنْ مِصْرَ» (١صم ١٥:٢). وكانوا يريدون تدمير بني إسرائيل تدميرًا كاملًا فنقرأ: «وَأَتَى عَمَالِيقُ وَحَارَبَ إِسْرَائِيلَ فِي رَفِيدِيمَ» (خر ١٧:٨).

وإذا رجعنا لسفر التكوين نعرف أن هؤلاء العماليق كانوا يسكنون في الصحراء قرب قادش كما هو مدون في تكوين ١٤ ولكن يبدو أنهم ارتحلوا مسافة كبيرة لا لشيء سوى الفتك ببني إسرائيل بعد أن علموا بخروجهم من مصر. لقد هاجموا بني إسرائيل بدون سبب، فيبدو أنهم شعب يحب الحرب وسفك الدماء، وأرجو أن تلاحظ خسة ودناءة هذا الشعب فيما فعله مع بني إسرائيل: «وقال الرب لموسى: «اُذْكُرْ مَا فَعَلَهُ بِكَ عَمَالِيقُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ خُرُوجِكَ مِنْ مِصْرَ. كَيْفَ لاقَاكَ فِي الطَّرِيقِ وَقَطَعَ مِنْ مُؤَخَّرِكَ كُلَّ الْمُسْتَضْعِفِينَ وَرَاءَكَ وَأَنْتَ كَلِيلٌ وَمُتْعَبٌ وَلَمْ يَخَفِ اللهَ» (تث ٢٥:١٧-١٩). لقد قتل الضعفاء من الشعب أي العجزة، والمرضى، والمسنين، والأمهات المرضعات وأطفالهن.

ولم يهدأ الشعب العماليقي بل استمروا في مسلسل الاعتداء على الشعب الإسرائيلي محاولين القضاء عليه فتحالفوا مع الكنعانيين لتدمير إسرائيل فنقرأ: «فَنَزَلَ الْعَمَالِقَةُ وَالْكَنْعَانِيُّونَ السَّاكِنُونَ فِي ذلِكَ الْجَبَلِ وَضَرَبُوهُمْ وَكَسَّرُوهُمْ إِلَى حُرْمَةَ» (عد ١٤:٤٥).

وللأسف لم يتراجع الشعب العماليقي عن حبه للقتل وسفك الدماء ويظهر هذا في سفر القضاة، فقد اتحدوا مع عجلون ملك موآب وبني عمون وضربوا إسرائيل وامتلكوا مدينة النخل فنقرأ: «فَجَمَعَ إِلَيْهِ (عِجْلُونَ مَلِكَ مُوآبَ) بَنِي عَمُّونَ وَعَمَالِيقَ. وَسَارَ وَضَرَبَ إِسْرَائِيلَ وَامْتَلَكُوا مَدِينَةَ النَّخْلِ. فَعَبَدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عِجْلُونَ مَلِكَ مُوآبَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً» (قض ٣: ١٢-١٤).

وكذلك تحالفوا مرة أخرى مع المديانيين لتدمير إسرائيل فنقرأ: «وَإِذا زَرَعَ إِسْرَائِيلُ، كَانَ يَصْعَدُ الْمِدْيَانِيُّونَ وَالْعَمَالِقَةُ وَبَنُو الْمَشْرِقِ، يَصْعَدُونَ عَلَيْهِمْ، وَيَنْزِلُونَ عَلَيْهِمْ وَيُتْلِفُونَ غَلَّةَ الأَرْضِ إِلَى مَجِيئِكَ إِلَى غَزَّةَ، وَلاَ يَتْرُكُونَ لإِسْرَائِيلَ قُوتَ الْحَيَاةِ، وَلاَ غَنَمًا وَلاَ بَقَرًا وَلاَ حَمِيرًا. لأَنَّهُمْ كَانُوا يَصْعَدُونَ بِمَوَاشِيهِمْ وَخِيَامِهِمْ وَيَجِيئُونَ كَالْجَرَادِ فِي الْكَثْرَةِ وَلَيْسَ لَهُمْ وَلِجِمَالِهِمْ عَدَدٌ. وَدَخَلُوا الأَرْضَ لِكَيْ يُخْرِبُوهَا. (قض ٦: ٣-٥).

وعندما كان داود مطاردًا أمام شاول، غزا العمالقة الجنوب وضربوا صقلغ، التي كان قد منحها ملك جت لداود، وأحرقوها بالنار وسبوا النساء اللواتي كن فيها، وكان من بينهن زوجتا داود: أخينوعم اليزرعيلية وأبيجايل الكرملية فنقرأ: «وَلَمَّا جَاءَ دَاوُدُ وَرِجَالُهُ إِلَى صِقْلَغَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، كَانَ الْعَمَالِقَةُ قَدْ غَزَوُا الْجَنُوبَ وَصِقْلَغَ، وَضَرَبُوا صِقْلَغَ وَأَحْرَقُوهَا بِالنَّارِ وَسَبُوا النِّسَاءَ اللَّوَاتِي فِيهَا. لَمْ يَقْتُلُوا أَحَدًا لاَ صَغِيرًا وَلاَ كَبِيرًا، بَلْ سَاقُوهُمْ وَمَضَوا فِي طَرِيقِهِمْ. فَدَخَلَ دَاوُدُ وَرِجَالُهُ الْمَدِينَةَ وَإِذَا هِيَ مُحْرَقَةٌ بِالنَّارِ وَنِسَاؤُهُمْ وَبَنُوهُمْ وَبَنَاتُهُمْ قَدْ سُبُوا. فَرَفَعَ دَاوُدُ وَالشَّعْبُ الَّذِينَ مَعَهُ أَصْوَاتَهُمْ وَبَكَوْا حَتَّى لَمْ تَبْقَ لَهُمْ قُوَّةٌ لِلْبُكَاءِ. وَسُبِيَتِ امْرَأَتَا دَاوُدَ: أَخِينُوعَمُ الْيَزْرَعِيلِيَّةُ وَأَبِيجَايِلُ امْرَأَةُ نَابَالَ الْكَرْمَلِيِّ. فَتَضَايَقَ دَاوُدُ جِدًّا لأَنَّ الشَّعْبَ قَالُوا بِرَجْمِهِ، لأَنَّ أَنْفُسَ جَمِيعِ الشَّعْبِ كَانَتْ مُرَّةً كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى بَنِيهِ وَبَنَاتِهِ. وَأَمَّا دَاوُدُ فَتَشَدَّدَ بِالرَّبِّ إِلَهِهِ» (١صم ٣٠: ١-٦).

وهنا نرى الله القاضي العادل «الرحيم» بعد أن صبر عليهم أربعة قرون لم يتوقفوا فيها عن الاعتداء على شعب إسرائيل بدون سبب محاولين القضاء عليه، وبالرغم من أن الله أعطاهم مدة طويلة للتوبة لم يرتدعوا، بل على العكس شنوا حروب أخرى - بالتعاون مع الشعوب المجاورة - على الشعب العبراني للقضاء عليه، فكان قضاء الرب عليهم بعد أن أعطاهم مئات الفرص للتوبة، وأطال أناته عليهم أربعة قرون، فطلب من شاول قائلًا: «هَكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ: «إِنِّي قَدِ افْتَقَدْتُ مَا عَمِلَ عَمَالِيقُ بِإِسْرَائِيلَ حِينَ وَقَفَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ صُعُودِهِ مِنْ مِصْرَ. فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلًا وَامْرَأَةً، طِفْلًا وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلًا وَحِمَارًا».

وهذا القضاء ما هو إلا النتيجة الطبيعية لأفعالهم الشريرة، فيقول الرب: «كَطَرِيقِهِمْ أَصْنَعُ بِهِمْ، وَكَأَحْكَامِهِمْ أَحْكُمُ عَلَيْهِمْ فَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ» (حز ٧:٢٧، راجع أيضًا: إر ٦: ١٩؛ هو ٨: ٧؛ ١٠: ١٣؛ إر ١٧: ١٠، ٣٢: ١٩). أو بلغة أخرى: الله يسلمهم إلى النتيجة الطبيعية لاختياراتهم وأفعالهم، فيقول على لسان حزقيال: «سَكَبْتُ سَخَطِي عَلَيْهِمْ. أَفْنَيْتُهُمْ بِنَارِ غَضَبِي. جَلَبْتُ طَرِيقَهُمْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ» (حز ٢٢: ٣١).

لذلك ينبغي أن من يقرأ هذه الآيات (١صم ١٥: ١-٩) أن يدرسها من بدايتها وليس من نهايتها، وأن يتابع الأحداث من أولها، فقد كان عماليق هو الذي بدأ بالاعتداء على الشعب العبراني، وقتل وأحرق منهم الكثير، ودمر العديد من المدن فجاء وقت العقاب[٢].

(٢) لأن الله قدوس:

الله يعاقب لأنه قدوس لا يطيق الشر، ويريد أن يكون معروفًا لكل العالم بذلك، فهو مختلف عن كل الآلهة، وقد أعلن عن كراهيته للخطية، وتوعّد من يتمسك بها بالعقاب الشديد، فتقع عليه

اللعنة هو وممتلكاته. ويتعرض للأوبئة والمهانة والحصار والضيقة ومذلة الأعداء والسبي.. إلخ. راجع (تث ٢٨: ١٥ – ٦٨) [٢].

فلقد أمر الرب بقتل كل من يجدّف عليه: «وَمَنْ جَدَّفَ عَلَى اسْمِ الرَّبِّ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. يَرْجُمُهُ كُلُّ الْجَمَاعَةِ رَجْمًا. الْغَرِيبُ كَالْوَطَنِيِّ عِنْدَمَا يُجَدِّفُ عَلَى الاسْمِ يُقْتَلُ» (لا ٢٤: ١٦).

وكذلك أمر الله بقتل كل من يعبد آلهة أخرى، أو يُحرّض الآخرين على عبادتها فنقرأ:

«وَإِذَا أَغْوَاكَ سِرًّا أَخُوكَ ابْنُ أُمِّكَ، أو ابْنُكَ أو ابْنَتُكَ أو امْرَأَةُ حِضْنِكَ، أو صَاحِبُكَ الَّذِي مِثْلُ نَفْسِكَ قَائِلًا: نَذْهَبُ وَنَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى لَمْ تَعْرِفْهَا أَنْتَ وَلاَ آبَاؤُكَ مِنْ آلِهَةِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَكَ، الْقَرِيبِينَ مِنْكَ أو الْبَعِيدِينَ عَنْكَ، مِنْ أَقْصَاءِ الأَرْضِ إِلَى أَقْصَائِهَا، فَلاَ تَرْضَ مِنْهُ وَلاَ تَسْمَعْ لَهُ وَلاَ تُشْفِقْ عَيْنُكَ عَلَيْهِ، وَلاَ تَرِقَّ لَهُ وَلاَ تَسْتُرْهُ، بَلْ قَتْلًا تَقْتُلُهُ، يَدُكَ تَكُونُ عَلَيْهِ أَوَّلًا لِقَتْلِهِ، ثُمَّ أَيْدِي جَمِيعِ الشَّعْبِ أَخِيرًا. تَرْجُمُهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ، لأَنَّهُ الْتَمَسَ أَنْ يُطَوِّحَكَ عَنِ الرَّبِّ إِلهِكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. فَيَسْمَعُ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ وَيَخَافُونَ، وَلاَ يَعُودُونَ يَعْمَلُونَ مِثْلَ هذَا الأَمْرِ الشِّرِّيرِ فِي وَسَطِكَ.

«إِنْ سَمِعْتَ عَنْ إِحْدَى مُدُنِكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَسْكُنَّ فِيهَا قَوْلًا: قَدْ خَرَجَ أُنَاسٌ بَنُو لَئِيمٍ مِنْ وَسَطِكَ وَطَوَّحُوا سُكَّانَ مَدِينَتِهِمْ قَائِلِينَ: نَذْهَبُ وَنَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى لَمْ تَعْرِفُوهَا. وَفَحَصْتَ وَفَتَّشْتَ وَسَأَلْتَ جَيِّدًا وَإِذَا الأَمْرُ صَحِيحٌ وَأَكِيدٌ، قَدْ عُمِلَ ذلِكَ الرِّجْسُ فِي وَسَطِكَ، فَضَرْبًا تَضْرِبُ سُكَّانَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِحَدِّ السَّيْفِ. وَتُحَرِّمُهَا بِكُلِّ مَا فِيهَا مَعَ بَهَائِمِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. تَجْمَعُ كُلَّ أَمْتِعَتِهَا إِلَى وَسَطِ سَاحَتِهَا، وَتُحْرِقُ بِالنَّارِ الْمَدِينَةَ وَكُلَّ أَمْتِعَتِهَا كَامِلَةً لِلرَّبِّ إِلهِكَ، فَتَكُونُ تَلاً إِلَى الأَبَدِ لاَ تُبْنَى بَعْدُ. وَلاَ يَلْتَصِقْ بِيَدِكَ شَيْءٌ مِنَ الْمُحَرَّمِ، لِكَيْ يَرْجِعَ الرَّبُّ مِنْ حُمُوِّ غَضَبِهِ، وَيُعْطِيَكَ رَحْمَةً، يَرْحَمُكَ وَيُكَثِّرُكَ كَمَا حَلَفَ لآبَائِكَ» (تث ١٣: ٦ – ١٧).

«إِذَا وُجِدَ فِي وَسَطِكَ رَجُلٌ أو امْرَأَةٌ يَفْعَلُ شَرًّا فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ إِلهِكَ بِتَجَاوُزِ عَهْدِهِ، وَيَذْهَبُ وَيَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى وَيَسْجُدُ لَهَا، أو لِلشَّمْسِ أو لِلْقَمَرِ أو لِكُلِّ مِنْ جُنْدِ السَّمَاءِ، الشَّيْءَ الَّذِي لَمْ أوصِ بِهِ... فَأَخْرِجْ ذلِكَ الرَّجُلَ أو تِلْكَ الْمَرْأَةَ، الَّذِي فَعَلَ ذلِكَ الأَمْرَ الشِّرِّيرَ إِلَى أَبْوَابِكَ، الرَّجُلَ أو الْمَرْأَةَ، وَارْجُمْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ» (تث ١٧: ٢ – ٥).

كذلك أمر الله بقتل الزاني والزانية «وَإِذَا زَنَى رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ الزَّانِي وَالزَّانِيَةُ» (لا ٢٠: ١٠).

في ضوء هذا نجد الرب:

*** عاقب العالم كله بالطوفان.**

عندما رَأى أَنَّ شَرَّ الإنسان قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ، قالَ: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإنسان الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإنسان مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ» (تك ٦: ٥-٧). وأغرق الله العالم كله بالطوفان.

*** عاقب سدوم وعمورة:**

فقد أحرق سدوم وعمورة بالنار لفسادهما وهاتان القصتان مذكورتان أيضًا في القرآن كعقاب من الله للإنسان. وعاقب عَمَالِيقَ، والكنعانيين والمديانيين وغيرهم من الشعوب.

*** عاقب عَمَالِيقَ:**

والرب عاقب عَمَالِيقَ هنا ليس فقط لأنهم شعب شرير، وبه خطايا كثيرة، ولكن أيضًا لأنه ينشر الخطية والشر في الشعوب المجاورة له، وأصبح عثرة لبقية الشعوب، وبالتالي لبني إسرائيل.

وقد أعطاهم الرب زمان توبة ولكنهم لم يتوبوا بل زاد شرهم وأصبح مثل السرطان، وويل لمن يُعثِر الآخرين «وَيْلٌ لِلْعَالَمِ مِنَ الْعَثَرَاتِ! فَلاَ بُدَّ أَنْ تَأْتِيَ الْعَثَرَاتُ، وَلكِنْ وَيْلٌ لِذلِكَ الإنسان الَّذِي بِهِ تَأْتِي الْعَثْرَةُ!» (مت ١٨:٧)، فكان لابد لهذا الشعب من الدينونة والبتر مثل الورم السرطاني.

إن رحمة الرب تعطي الإنسان فرصة واثنتين وثلاث ولكن لابد أن يأتي دور العدل الإلهي في المعاقبة، «وَأَعْطَيْتُهَا زَمَانًا لِكَيْ تَتُوبَ عَنْ زِنَاهَا وَلَمْ تَتُبْ، هَا أَنَا أُلْقِيهَا فِي فِرَاشٍ، وَالَّذِينَ يَزْنُونَ مَعَهَا فِي ضِيقَةٍ عَظِيمَةٍ، إِنْ كَانُوا لاَ يَتُوبُونَ عَنْ أَعْمَالِهِمْ» (رؤ ٢:٢١). وأحيانًا كثيرة يترك الرب بعض الأمم مثل عَمَالِيقَ، والكنعانيين والمديانيين زمان توبة يصل إلى عدة أجيال، ويستمر الرب في إرسال رسائل إنذار، ومرشدين ومعلمين مثل إبراهيم وملكي صادق وغيرهم لأن الرب أكدّ وقال بوضوح: «مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَتْرُكْ نَفْسَهُ بِلاَ شَاهِدٍ، وَهُوَ يَفْعَلُ خَيْرًا: يُعْطِينَا مِنَ السَّمَاءِ أَمْطَارًا وَأَزْمِنَةً مُثْمِرَةً، وَيَمْلأُ قُلُوبَنَا طَعَامًا وَسُرُورًا» (أع ١٤:١٧). ويعطى هذه الشعوب خيرات وبركات كثيرة، ولكنهم يقابلوا كل هذا بشرور كثيرة وفجاسة، فيأتي عدل الله ويُوقّع العقاب والدينونة.

إن مثل هؤلاء الأمم بشرورهم وأصنامهم لا يؤذون أنفسهم فقط بل يؤذون الأمم الأخرى أيضًا، لذلك من حق الرب سيد ومالك كل الأرض أن يحمي الضعيف.

فالرب يتأنى على الخاطي لأنه لا يسر بموت الشرير، ويطيل رحمته، ولكن لو استمر هذا الخاطي في شره، سواء كان فردًا أو شعبًا، واستمر يُعثِر الآخرين، فرحمة الرب أيضًا تستلزم أن يحمي الضعيف، فيعاقب الشرير على خطاياه وهذه عدالة بالنسبة للشرير، ورحمة في نفس الوقت للضعيف لأنه تعثّر بسبب الشرير، فقتل شخص أو جماعة هو عدل ورحمة في نفس الوقت، فمن العدل أن يُوقّع الله العقاب على شخص أو أمة بعد أن يعطيها عشرات الفرص للتوبة ولا تتوب، وفي نفس الوقت رحمة للشعوب الأخرى التي لم تتمكن منها الخطية، وحماية لهم. وهذا هو ما فعله الرب مع الشعوب الشريرة التي كانت تنشر الخطية في العهد القديم، وأضرب أمثلة على ذلك:

كان الطوفان للشعوب بمثابة تحقيق للعدالة لأنه كان عقابًا لهم بعد اكتمال زمن خطيتهم واستهلكوا كل فرص التوبة، وفي نفس الوقت رحمة لنوح وأسرته وحماية لهم.

وفي قصة هلاك سدوم وعمورة نجد الرحمة لبقية الشعوب التي حاول شعب سدوم وعمورة نشر الخطية إليهم، وفي نفس الوقت أيضا عقاب عادل لسدوم بعد اكتمال زمان خطيتها.

إن هذه الشعوب كما ذكرت من قبل مثل الورم السرطاني يجب استئصاله.

تخيل راع يمتلك مجموعة خراف بينهم كلب حراسة، هو الذي قام بتربيته، ويهتم به ويرعاه، ولكن هذا الكلب تحول الى كلب مسعور، بدلًا من أن يحافظ على الخراف بدأ يهجم عليهم ويؤذيهم، فماذا يفعل الراعي مع هذا الكلب وهو عزيز عليه؟

أقول: إذا كان راعي صالح، فهو مسئول عن أمن وسلامة الرعية، فيجب عليه أن يسعى لعلاج هذا الكلب بكل الطرق والوسائل، وإن فشل فعليه في النهاية أن يقتل هذا الكلب الذي تحول من كلب رعي الى كلب مسعور. وهذا ما فعله الرب مع الشعب العمالیقي.

ويجب أن نلاحظ هنا أن الله كقاض ليس بعيدًا عن أطراف القضية كالقاضي البشري في محكمة أرضية، الله هنا له علاقة بكل أطراف القضية، فالكل خليقته، وصنعة يده.

(٣) لأن الله مسئول عن حماية خليقته:

عندما ندرس العهد القديم نجد أن الله يساند جيوش إسرائيل ويعطيهم انتصارًا على أعدائهم (يش ٥: ١٣، ١٤؛ ١٠: ١٠ – ١٤؛ قض ٥: ٤، ٢٠؛ ٢صم ٥: ٢٤). ويساعد ملوكهم على مر الأجيال (مز٢٠ و ٢١). وينجي مدينته المقدسة (٢ مل ١٩: ٣٢- ٣٦؛ مز ٤٨: ٤- ٨). فكل تلك الأعمال لم تكن بسبب تحيز الله لبني إسرائيل، فليس عند الله محاباة، وهو لا يتحيز لشعب على حساب شعب آخر، إنما الدارس المدقق يرى فيها مدى الصراع الشديد بين النور والظلمة، بين ملكوت الله وملكوت الشرير. وفي نفس الوقت تبين كيف أن الصراعات الشيطانية لا يمكن أن تصل إلى غايتها، لأن النصرة النهائية للرب (مز ٢).

فمنذ بداية الخليقة والله في صراع مع القوى الشريرة التي تناهض مقاصده. ويظهر هذا الأمر بوضوح في تاريخ شعبه، عندما يحاول أعداء مختلفون إعاقة سير تلك المقاصد.

فعندما طلب الرب من شاول تحريم عمالیق فذلك لأنه كان كشعب يقف ضد الله ويريد تعطيل مشورته الأزلية، فتدخل الله هنا ليس فقط لأن الشعب العمالیقي كسر وصية الله، سواء بالهجوم على الشعوب الأخرى وقتلها، أو بالشر والفساد الأخلاقي الذي كانوا يعيشون فيه، أو بعبادة آلهة أخرى، ولكن لما لهذا كله من تأثير على نظام ومستقبل الخليقة ككل. فتدخل الله بهذه الطريقة إنما ليحمي ويحفظ النظام الكوني الذي خلقه[٤].

فقد وعد الله إبراهيم وإسحق ويعقوب قائلًا: «وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ» (تك ١٢: ٣؛ ١٨: ١٨؛ ٢٨: ٣؛ ٣٥: ١١؛ ٤٩: ١٠). فقد كان مخلص العالم سيأتي من هذا النسل، لكننا نجد عمالیق يتحدى الله، فبعد خروج بني إسرائيل مباشرة من مصر وقبل وصولهم إلى سيناء، كان الشعب العمالیقي هم أول شعب يهاجم بني إسرائيل، وكانوا يريدون تدميرهم تدميرًا كاملًا فنقرأ: «وَأَتَى عَمَالِيقُ وَحَارَبَ إِسْرَائِيلَ فِي رَفِيدِيمَ» (خر ١٧: ٨). لقد كانوا يريدون إبادة شعب الله، وبالتالي تعطيل مشورته الأزلية، والشيء العجيب أنهم بكل تأكيد سمعوا عما فعل الرب بفرعون وبكل المصريين وبتفاصيل الضربات العشر، وكيف غرق فرعون وجيشه ومركباته في البحر، وبعد كل هذا يصر على أن يحارب إسرائيل فهو يتحدى الرب.

لذلك بعد أن هَزَمَ يَشُوعُ عَمَالِيقَ وَقَوْمَهُ بِحَدِّ السَّيْفِ، قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اكْتُبْ هَذَا تِذْكَارًا فِي الْكِتَابِ وَضَعْهُ فِي مَسَامِعِ يَشُوعَ. فَإِنِّي سَوْفَ أَمْحُو ذِكْرَ عَمَالِيقَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ». ثم يقول: «إِنَّ الْيَدَ عَلَى كُرْسِيِّ الرَّبِّ. لِلرَّبِّ حَرْبٌ مَعَ عَمَالِيقَ مِنْ دَوْرٍ إِلَى دَوْرٍ» (خر ١٧: ١٤-١٦).

وللأسف لم يتراجع الشعب العمالیقي عن مخططه الشيطاني فتحالفوا مع الكنعانيين

لتدمير إسرائيل (عد ١٤: ٤٥).

وكذلك تحالفوا مرة أخرى مع المديانيين لتدمير إسرائيل (قض ٦: ١-٥).

وفي سفر أستير نقرأ عن هامان الذي لم يكن يرضيه أن يقتل مردخاي فقط بل كان يريد أن يبيد شعب الله بالكامل، وقد نجح في استصدار قرار من الملك بقتل كل الشعب اليهودي فنقرأ: «فَقَالَ هَامَانُ لِلْمَلِكِ أَحَشْوِيرُوشَ: «إِنَّهُ مَوْجُودٌ شَعْبٌ مَّا مُتَشَتِّتٌ وَمُتَفَرِّقٌ بَيْنَ الشُّعُوبِ فِي كُلِّ بِلاَدِ مَمْلَكَتِكَ، وَسُنَنُهُمْ مُغَايِرَةٌ لِجَمِيعِ الشُّعُوبِ، وَهُمْ لاَ يَعْمَلُونَ سُنَنَ الْمَلِكِ، فَلاَ يَلِيقُ بِالْمَلِكِ تَرْكُهُمْ. فَإِذَا حَسُنَ عِنْدَ الْمَلِكِ فَلْيُكْتَبْ أَنْ يُبَادُوا، وَأَنَا أَزِنُ عَشَرَةَ آلاَفِ وَزْنَةٍ مِنَ الْفِضَّةِ فِي أَيْدِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الْعَمَلَ لِيُؤْتَى بِهَا إِلَى خَزَائِنِ الْمَلِكِ». فَنَزَعَ الْمَلِكُ خَاتَمَهُ مِنْ يَدِهِ وَأَعْطَاهُ لِهَامَانَ بْنِ هَمَدَاثَا الأَجَاجِيِّ عَدُوِّ الْيَهُودِ. وَقَالَ الْمَلِكُ لِهَامَانَ: «الْفِضَّةُ قَدْ أُعْطِيَتْ لَكَ، وَالشَّعْبُ أَيْضًا، لِتَفْعَلَ بِهِ مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْكَ».

فَدُعِيَ كُتَّابُ الْمَلِكِ فِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ، فِي الْيَوْمِ الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْهُ، وَكُتِبَ حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرَ بِهِ هَامَانُ إِلَى مَرَازِبَةِ الْمَلِكِ وَإِلَى وُلاَةِ بِلاَدٍ فَبِلاَدٍ، وَإِلَى رُؤَسَاءِ شَعْبٍ فَشَعْبٍ، كُلِّ بِلاَدٍ كَكِتَابَتِهَا، وَكُلِّ شَعْبٍ كَلِسَانِهِ، كُتِبَ بِاسْمِ الْمَلِكِ أَحَشْوِيرُوشَ وَخُتِمَ بِخَاتَمِ الْمَلِكِ. وَأُرْسِلَتِ الْكِتَابَاتُ بِيَدِ السُّعَاةِ إِلَى كُلِّ بُلْدَانِ الْمَلِكِ لإِهْلاَكِ وَقَتْلِ وَإِبَادَةِ جَمِيعِ الْيَهُودِ، مِنَ الْغُلاَمِ إِلَى الشَّيْخِ وَالأَطْفَالِ وَالنِّسَاءِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فِي الثَّالِثَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ الثَّانِي عَشَرَ أَيْ شَهْرِ إِذَارَ وَأَنْ يَسْلِبُوا غَنِيمَتَهُمْ» (أس ٣: ٨-١٣).

وهَامَان (הָמָן) اسم فارسي معناه «هام أو مشهور».[٥] وهو ابن همداثا الأجاجي كما نقرأ في (أس ٣: ١). والغريب هو أن كلمة «الأَجَاجِيِّ» ترد في الترجمة السبعينية «البلطجي». ويقول المؤرخ اليهودي الكبير يوسيفوس: إنه من سلالة أجاج ملك عمالیق الذي حارب شاول[٦].

لقد كان الشعب العمالیقي من ألد أعداء بني إسرائيل، بل ومن ألد أعداء الله (مز ٨٣: ٧). ولذلك أصدر الله أمره بإبادة هذا الشعب. حسنًا تنبأ عنهم بلعام بن بعور قائلًا: «عَمَالِيقُ أَوَّلُ الشُّعُوبِ، وَأَمَّا آخِرَتُهُ فَإِلَى الْهَلاَكِ» (عد ٢٤: ٢٠). ويرى عدد كبير من العلماء أن المقصود أنهم أول الشعوب في فعل الشر.

ويجب أن نلاحظ هنا أن الحكم الإلهي على الشعب العمالیقي ليس ناجمًا عن غضب الله، أو تحيزه لبني إسرائيل، ولكنه نتيجة طبيعية لتصرف هذا الشعب، وفي نفس الوقت حماية لخليقته المهددة. فتدخل الله وحكمه هنا ليس فقط كقصاص لعمالیق ولكن أيضًا لحفظ عملية الخلق ككل من هذا التهديد. هذا هو الله القاضي العادل الذي يعلن عن نفسه قائلًا: «الرَّبُّ إِلَهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ، حَافِظُ الإِحْسَانِ إِلَى أُلُوفٍ، غَافِرُ الإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَطِيَّةِ. وَلَكِنَّهُ لَنْ يُبْرِئَ إِبْرَاءً. مُفْتَقِدٌ إِثْمَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ وَفِي أَبْنَاءِ الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ». (خر ٣٤: ٦- ٧)

لقد كان عمالیق يمثل قوة الموت التي تقف ضد قوة الحياة، ولذلك كانت أحكام الله موجهة ضد التهديد الذي تتعرض له البشرية. فيجب أن نلاحظ أن «كُلَّ الأَرْضِ» للرب (خر ٨: ٢٢؛ ٩: ١٤؛ ١٩: ٥؛ مز٢٤: ١). وبالتالي فإن الهدف تحريم عمالیق ليس مجرد تحرير شعب إسرائيل، وإن كان هذا أحد الأهداف لكنه ليس الهدف الرئيسي أو الأسمى. إن الهدف الرئيسي هو حماية كل الخليقة، والوصول

بالخلاص المعد لها منذ الأزل[٧].

ثالثًا: القتل عقوبة إلهية:

بالرغم من أن الله يرفض العنف والقتل وسفك الدماء، فيقول في الوصية السادسة من الوصايا العشر: «لاَ تَقْتُلْ» (خر ٢٠:١٣). ويقول على لسان سليمان الحكيم: «هذِهِ السِّتَّةُ يُبْغِضُهَا الرَّبُّ... أَيْدٍ سَافِكَةٌ دَمًا بَرِيئًا» (أم ٦: ١٦- ١٨).

ويوبخ شعبه على لسان إرميا قائلًا: «أَتَسْرِقُونَ وَتَقْتُلُونَ وَتَزْنُونَ وَتَحْلِفُونَ كَذِبًا وَتُبَخِّرُونَ لِلْبَعْلِ وَتَسِيرُونَ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لَمْ تَعْرِفُوهَا ١٠ثُمَّ تَأْتُونَ وَتَقِفُونَ أَمَامِي فِي هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي دُعِيَ بِاسْمِي عَلَيْهِ... هَلْ صَارَ هَذَا الْبَيْتُ الَّذِي دُعِيَ بِاسْمِي عَلَيْهِ مَغَارَةَ لُصُوصٍ فِي أَعْيُنِكُمْ؟ (إر ٧: ٩-١١).

ويوبخهم أيضًا على لسان إشعياء قائلًا: «لِمَاذَا لِي كَثْرَةُ ذَبَائِحِكُمْ؟» يَقُولُ الرَّبُّ «اتَّخَمْتُ مِنْ مُحْرَقَاتِ كِبَاشٍ وَشَحْمِ مُسَمَّنَاتٍ وَبِدَمِ عُجُولٍ وَخِرْفَانٍ وَتُيُوسٍ مَا أُسَرُّ. فَحِينَ تَبْسُطُونَ أَيْدِيكُمْ أَسْتُرُ عَيْنَيَّ عَنْكُمْ وَإِنْ كَثَّرْتُمُ الصَّلاَةَ لاَ أَسْمَعُ. أَيْدِيكُمْ مَلآنَةٌ دَمًا» (إش ١: ١١-١٧). إلا أنه طلب أن يكون القتل عقوبة كسر بعض الوصايا، فمثلًا من يكسر وصية «لاَ تَزْنِ» كانت الشريعة تأمر بقتله (لا ٢٠: ١٠،١٦). ومن يكسر وصية «لاَ تَقْتُلْ» كانت عقوبته القتل أيضًا؛ سواء كان قتلًا بغدر (خر ٢١: ٢٩) أو كان ضربًا أفضى إلى الموت (خر ٢١: ١٢) أو كان قتلًا غير مباشر، كأن يترك إنسان ثوره النطاح طليقًا فيقتل إنسانًا، فالثور يُرجم وصاحبه يُقتل أيضًا (خر٢١: ٢٩). ومن يكسر وصية «أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ» كانت عقوبته القتل أيضًا، فقد قالت الشريعة: «وَمَنْ ضَرَبَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يُقْتَلُ قَتْلًا... وَمَنْ شَتَمَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يُقْتَلُ قَتْلًا» (خر ٢١: ١٥، ١٧). ومن يكسر وصية حفظ السبت كانت عقوبته القتل أيضًا، وفي ذلك تقول الشريعة «كُلُّ مَنْ صَنَعَ عَمَلًا فِي يَوْمِ السَّبْتِ يُقْتَلُ قَتْلًا» (خر ٣١: ١٥). وكان كل من يجدف على اسم الرب فإنه يقتل «وَمَنْ جَدَّفَ عَلَى اسْمِ الرَّبِّ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. يَرْجُمُهُ كُلُّ الْجَمَاعَةِ رَجْمًا. الْغَرِيبُ كَالْوَطَنِيِّ عِنْدَمَا يُجَدِّفُ عَلَى الاسْمِ يُقْتَلُ» (لا ٢٤: ١٦). وكذلك «مَنْ سَرَقَ إِنْسَانًا وَبَاعَهُ أَوْ وُجِدَ فِي يَدِهِ يُقْتَلُ قَتْلًا» (خر ٢١: ١٦).

وبالمثل كان الله يأمر بقتل من يذبح لآلهة غير الرب وحده (خر ٢٢: ٢٠). وكان كل من يُزيغ إنسانًا عن عبادة الله يُقتل (تث ١٣: ٥، ٩، ١٥)، حتى إن كانت مدينة كاملة تُقتل بأكملها، وفي ذلك يقول الكتاب «فَضَرْبًا تَضْرِبُ سُكَّانَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِحَدِّ السَّيْفِ وَتُحَرِّمُهَا بِكُلِّ مَا فِيهَا مَعَ بَهَائِمِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. تَجْمَعُ كُلَّ أَمْتِعَتِهَا إِلَى وَسَطِ سَاحَتِهَا وَتُحْرِقُ بِالنَّارِ الْمَدِينَةَ وَكُلَّ أَمْتِعَتِهَا كَامِلَةً لِلرَّبِّ إِلهِكَ فَتَكُونُ تَلًّا إِلَى الأَبَدِ لا تُبْنَى بَعْدُ» (تث ١٣: ١٥، ١٦).

وبالمثل كان الله يأمر بقتل السحرة والعرافين، فيقول الرب «لاَ تَدَعْ سَاحِرَةً تَعِيشُ» (خر ٢٢: ١٨). ويقول أيضًا «وَإِذَا كَانَ فِي رَجُلٍ أَوِ امْرَأَةٍ جَانٌّ أَوْ تَابِعَةٌ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. بِالْحِجَارَةِ يَرْجُمُونَهُ. دَمُهُ عَلَيْهِ» (لا ٢٠: ٢٧).

لقد كان قتل أولئك الخطاة جميعًا ليس شرًا على الإطلاق، ولا يدخل في نطاق الوصية السادسة «لاَ تَقْتُلْ» بل إن مخالفة الأوامر في إبادة هؤلاء الأشرار هي الخطية التي تغضب الله. وهؤلاء الشعوب كانوا يقدمون أولادهم في النار قرابين للآلهة الوثنية، وكانت نساؤهم يكرسن أنفسهن

للزنى في هياكل الأصنام، وكانوا يفعلون الشر ذكورًا بذكور، وأناث بأناث وأيضًا بالحيوانات والأطفال. هذا بالإضافة إلى خطايا أخرى كثيرة، وأخطر شيء هو محاولتهم نشر هذه الخطايا للبلاد المجاورة لهم، ومن يرفض كانوا يهجمون عليه ويسبون نساءهم وأطفالهم ويحولوهم إلى أدوات للزنى والشر مثلما فعلوا في صقلغ (١صم ٣٠: ١-٦). ولذلك نجد الرب الذي لا يخفي عليه أمر ويعرف شر عماليق، ما فعله في الماضي وما سيفعله في المستقبل أيضا يقول لموسى بروح النبوة: «اكْتُبْ هَذَا تِذْكَارًا فِي الْكِتَابِ وَضَعْهُ فِي مَسَامِعِ يَشُوعَ. فَإِنِّي سَوْفَ أَمْحُو ذِكْرَ عَمَالِيقَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ»... وَقَالَ: «إِنَّ الْيَدَ عَلَى كُرْسِيِّ الرَّبِّ. لِلرَّبِّ حَرْبٌ مَعَ عَمَالِيقَ مِنْ دَوْرٍ إِلَى دَوْرٍ» (خر ١٦: ١٤،١٦).

ولكن أريد أن أؤكد أن هذا ما كان يحدث في العهد القديم حينما كانت الوثنية والشر خطرًا يهدد الإيمان بالفناء، وكانت البشرية في طور الطفولة، أما في المسيحية اليوم فلم يعد أحد من كل هؤلاء يُقتل أو يُرجم.

رابعًا: للرب الحق في أن يعاقب بالطريقة التي يراها:

يقول قداسة البابا شنودة الثالث: «إن وصية لا تقتل لا تعني أن الله قد حرَّم القتل عمومًا، إن الله الذي أعطى وصية لا تقتل أمر بإبادة بعض الشعوب الوثنية لئلا تؤثر على الدين، وكان يصرح بالقتل في تلك الحروب على شرط أن تكون بأمر منه، فإذا دخلوا في حرب بمشيئتهم الخاصة دون أمر من الله ودون توجيه منه فإن تلك الحروب لا تكون حسب مشيئة الله، والحكمة من ذلك أن الله هو صاحب الأرواح جميعًا، ومن حقه أن ينهي حياة الناس في أي وقت يشاء وبأي طريقة يشاء، فإذا شاء أن تنتهي حياتهم بموت طبيعي أو بمرض أو بنار من السماء أو بطوفان أو بأن يقتلوا بأيدي أعدائهم فهو حر في أن ينهي حياة الناس كيفما يشاء بالطريقة التي يريدها هو، وجعل الله القتل عقوبة واجبة التنفيذ على من يقترف بعض الذنوب»[٨].

ونحن فعلًا عندما نقرأ العهد القديم نرى استخدام الله لطرق ووسائل مختلفة ومتنوعة لتحقيق أغراضه، إنه (رب الجنود) (يهوه صباؤوت) (יהוה צבאות) في اللغة العبرية، وكما يقول د. والتر كيزر[٩]: «إنه سيد قوات السموات والأرض، الحاكم المطلق بقوته التي لا نظير لها». (١صم ١٧: ٤٥ ؛ مز ٢٤: ٧-١٠). فهو صاحب السلطان المطلق على الكون وعلى التاريخ، وهو الذي يستطيع أن يجند الطبيعة بكل ما فيها لخدمة أغراضه، وهو الذي يستطيع أن يجند حتى أعدائه لخدمة أغراضه. وكما تقول جويس بولدوين: «هو رب كل القوات التي تُرى والتي لا تُرى، والتي في الكون وفي السماء». إنه يستطيع أن يجند كل شيء وكل شخص وكل حدث وكل أمة لتحقيق أغراضه.

لذلك ليس غريبًا أن نجد الله عندما أراد أن ينفذ حكمه وقضاؤه على بني إسرائيل أن يقول: «وَأُحَطِّمُهُمُ الْوَاحِدَ عَلَى أَخِيهِ الآبَاءَ وَالأَبْنَاءَ مَعًا يَقُولُ الرَّبُّ. لاَ أُشْفِقُ وَلاَ أَتَرَأَّفُ وَلاَ أَرْحَمُ مِنْ إِهْلاَكِهِمْ» (إر ١٣: ١٤).

ونجده في مرات أخرى يستخدم إمبراطوريات، أو ملوك بعض الشعوب الأخرى لتنفيذ حكمه، أو قضاءه على شعب إسرائيل، فمثلًا يستخدم الإمبراطورية الأشورية والإمبراطورية البابلية في تنفيذ قضاءه على شعب إسرائيل فنقرأ: «ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ الرَّبُّ: أَدْفَعُ صِدْقِيَّا مَلِكَ يَهُوذَا وَعَبِيدَهُ

وَالشَّعْبَ وَالْبَاقِينَ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْوَبَإِ وَالسَّيْفِ وَالْجُوعِ لِيَدِ نَبُوخَذْنَصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ وَلِيَدِ أَعْدَائِهِمْ وَلِيَدِ طَالِبِي نُفُوسِهِمْ فَيَضْرِبُهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ. لاَ يَتَرَأَّفُ عَلَيْهِمْ وَلاَ يُشْفِقُ وَلاَ يَرْحَمُ» (إر ٢١: ٧).

فليس مثيرًا ولا غريبًا أن نقرأ كيف أن الخالق يستخدم شعبًا غريبًا لتنفيذ أحكامه. ولكي ينفذ حكمه على إسرائيل فإن الله يدعو نبوخذ ناصر الملك البابلي (وهو ليس يهوديًا)، بعبدي أو خادمي الذي اختاره لتنفيذ هذا العقاب «هَئَنَذَا أُرْسِلُ فَآخُذُ كُلَّ عَشَائِرِ الشِّمَالِ يَقُولُ الرَّبُّ وَإِلَى نَبُوخَذْنَصَّرَ عَبْدِي مَلِكِ بَابِلَ وَآتِي بِهِمْ عَلَى هَذِهِ الأَرْضِ وَعَلَى كُلِّ سُكَّانِهَا وَعَلَى كُلِّ هَذِهِ الشُّعُوبِ حَوَالَيْهَا فَأُحَرِّمُهُمْ وَأَجْعَلُهُمْ دَهَشًا وَصَفِيرًا وَخِرَبًا أَبَدِيَّةً (إر ٢٥: ٩، ٢٧: ٦، ٤٣: ١٠). بل ويقول: «وَيَكُونُ أَنَّ الأُمَّةَ أَوِ الْمَمْلَكَةَ الَّتِي لاَ تَخْدِمُ نَبُوخَذْنَصَّرَ مَلِكَ بَابَلَ وَالَّتِي لاَ تَجْعَلُ عُنُقَهَا تَحْتَ نِيرِ مَلِكِ بَابَلَ إِنِّي أُعَاقِبُ تِلْكَ الأُمَّةَ بِالسَّيْفِ وَالْجُوعِ وَالْوَبَإِ يَقُولُ الرَّبُّ حَتَّى أُفْنِيَهَا بِيَدِهِ» (إر ٢٧: ٨).

ويمر التاريخ ويأتي الدور على بابل لتتجرع من نفس الكأس الذي أسقته لإسرائيل. فيقول إرميا في نبوءته على بابل في (إر٥٠: ٢٩) «كَافِئُوهَا نَظِيرَ عَمَلِهَا. افْعَلُوا بِهَا حَسَبَ كُلِّ مَا فَعَلَتْ. لأَنَّهَا بَغَتْ عَلَى الرَّبِّ عَلَى قُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ». وقد يسلمهم الله لشعب آخر أو ليد أعدائهم (مز ٨١: ١١- ١٢؛ إش٣٤: ٢؛ ٤٣: ٢٨؛ ٤٧: ٦؛ ٦٤: ٦، ٧؛ إر ٢٩: ٢١). فالله يستخدم القوى المتاحة في تلك الأيام لتأديب شعبه والشعوب الأخرى. فالحروب التي خاضها شعب إسرائيل، وساعدهم فيها الله وقتلوا الآلاف، كانت عقاب من الله بالموت للقتله، وهذا هو حق الله في العقاب، وفي اختياره للطريقة التي ينفذ بها عقابه.

خامسًا: الله العادل عاقب إسرائيل كما عاقب عماليق:

حقًا ليس لدى الله محاباة. فكما عاقب الرب الأمم على شرورهم كذلك عاقب شعبه على خطاياهم. ولو كان إله العهد القديم متحيزًا لليهود، ما كان قد أدّبهم مرارًا وتكرارًا. وما كان أسقط جثثهم في القفر، ولو كان متحيزًا ما كان أدّبهم بالحيّات المحرقة، ولو كان متحيزًا لهم ما كان يترك الشعوب المحيطة بهم يستعبدونهم ويذلونهم، ولو كان متحيزًا لهم ما كان شتتهم في أرض السبي.

فدعني يا صديقي أذكر لك القليل من الكثير:

١- عندما صعد موسى إلى الجبل ليتسلم الوصايا من الله وأبطأ في النزول، عقب خروج بني إسرائيل من أرض مصر بشهور قليلة، صنع الشعب عجلًا ذهبيًا وعبدوه وقالوا: «هَذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ!» (خر ٣٢: ٤). ونقرأ: «فَبَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ» (خر ٣٢: ٦). فحمى غضب الله عليهم، لأن أكثر ما يثير الغضب الإلهي أن يعبد الإنسان آلهة كاذبة، وما يتبع ذلك من انحلال وفساد. وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «رَأَيْتُ هذَا الشَّعْبَ وَإِذَا هُوَ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ. فَالآنَ اتْرُكْنِي لِيَحْمَى غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ. فَأُصَيِّرَكَ شَعْبًا عَظِيمًا» (خر ٣٢: ٩ – ١٤). وتضرع موسى أمام الرب إلهه من أجل الشعب، وبعد ذلك دعى موسى بني لاوي وقال لهم: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: ضَعُوا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ عَلَى فَخْذِهِ وَمُرُّوا

وَارْجِعُوا مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ فِي الْمَحَلَّةِ. وَاقْتُلُوا كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ. فَفَعَلَ بَنُو لاَوِي بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. وَوَقَعَ مِنَ الشَّعْبِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلاَثَةِ آلاَفِ رَجُل» (خر ٣٢: ٢٧، ٢٨) لقد قتلوا كل إنسان مازال متمسكًا بالعبادة الوثنية، ومازال يمارسها، مهما كانت درجة القرابة.

٢- عندما سقط الشعب الإسرائيلي في خطية الزنى مع بنات موآب أرسل الله إليهم الوباء فمات أربعة وعشرين ألفًا فنقرأ «وَأَقَامَ إِسْرَائِيلُ فِي شِطِّيمَ، وَابْتَدَأَ الشَّعْبُ يَزْنُونَ مَعَ بَنَاتِ مُوآبَ. فَدَعَوْنَ الشَّعْبَ إِلَى ذَبَائِحِ آلِهَتِهِنَّ، فَأَكَلَ الشَّعْبُ وَسَجَدُوا لآلِهَتِهِنَّ. وَتَعَلَّقَ إِسْرَائِيلُ بِبَعْلِ فَغُورَ. فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ. وَكَانَ الَّذِينَ مَاتُوا بِالْوَبَإِ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا» (عد ٢٥: ١-٩).

٣- وعندما انحرف شعب الله وابتعدوا عن الرب، عاقبهم الرب بالأمة الفلسطينية، فحاربوهم وقتلوا منهم أَرْبَعَةِ آلاَفِ رَجُل (اصم ٤: ١-٣). وعندما لم يواجهوا أنفسهم بصدق، ويصححوا علاقتهم بالله، ويتوبوا توبة صادقة، ويتقدسوا، قالوا فيما بينهم: «لِنَأْخُذْ لأَنْفُسِنَا مِنْ شِيلُوهَ تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ فَيَدْخُلَ فِي وَسَطِنَا وَيُخَلِّصَنَا مِنْ يَدِ أَعْدَائِنَا». وكانت هذه نظرة صنمية وثنية إلى التابوت، بل إلى الله. فأرسلوا رسلًا إلى شيلوه وأحضروا تابوت عهد الرب، وأدخلوه إلى المحلة، وتقدموا لمحاربة الفلسطينيين. ولكن الرب كسرهم أمام الفلسطينيين، فهربوا كل واحد إلى خيمته، وقتل الفلسطينيين منهم ثلاثين ألف رجل، وأخذوا تابوت الله، ومات ابنا عالى، حُفنى وفينحاس (اصم ٤: ١٠-١١).

٤- عندما ندرس سفر القضاة سنجد أنه عندما أخطأ شعبُ الله وابتعدوا عن الرب وعبدوا آلهة أخرى، سمح الله للشعوب المحيطة بهم بأن يستعبدوهم ويذلوهم فنقرأ: «وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ. وَتَرَكُوا الرَّبَّ إِلهَ آبَائِهِمِ الَّذِي أَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَسَارُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى مِنْ آلِهَةِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ، وَسَجَدُوا لَهَا وَأَغَاظُوا الرَّبَّ. تَرَكُوا الرَّبَّ وَعَبَدُوا الْبَعْلَ وَعَشْتَارُوثَ. فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَدَفَعَهُمْ بِأَيْدِي نَاهِبِينَ نَهَبُوهُمْ، وَبَاعَهُمْ بِيَدِ أَعْدَائِهِمْ حَوْلَهُمْ، وَلَمْ يَقْدِرُوا بَعْدُ عَلَى الْوُقُوفِ أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ» (قض ٢: ١١ – ١٥). وأرجو أن تقرأ هذا النص لترى كيف كان الرب يعاقبهم بالأمم المجاورة لهم:

«وَعَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، فَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ لِيَدِ مِدْيَانَ سَبْعَ سِنِينَ. فَاعْتَزَّتْ يَدُ مِدْيَانَ عَلَى إِسْرَائِيلَ. بِسَبَبِ الْمِدْيَانِيِّينَ عَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لأَنْفُسِهِمِ الْكُهُوفَ الَّتِي فِي الْجِبَالِ وَالْمَغَايِرَ وَالْحُصُونَ. وَإِذَا زَرَعَ إِسْرَائِيلُ، كَانَ يَصْعَدُ الْمِدْيَانِيُّونَ وَالْعَمَالِقَةُ وَبَنُو الْمَشْرِقِ، يَصْعَدُونَ عَلَيْهِمْ، وَيَنْزِلُونَ عَلَيْهِمْ وَيُتْلِفُونَ غَلَّةَ الأَرْضِ إِلَى مَجِيئِكَ إِلَى غَزَّةَ، وَلاَ يَتْرُكُونَ لإِسْرَائِيلَ قُوتَ الْحَيَاةِ، وَلاَ غَنَمًا وَلاَ بَقَرًا وَلاَ حَمِيرًا» (قض ٦: ٣ – ٦).

٥ - السبي الأشوري:

عندما تمادى شعب المملكة الشمالية (مملكة إسرائيل) في عناده وفساده وعبدوا آلهة أخرى، وأوقدوا على المرتفعات مثل الأمم، وعملوا أمورًا قبيحة لإغاظة الرب، فعبدوا الأصنام، وعبَّروا بنيهم

وبناتهم في النار (٢ مل ١٧: ٧ – ٢٣). غضب الرب جدًا عليهم، ورذلهم وأذلهم ودفعهم ليد ناهبيهم، وسمح الله لملك أشور بسبي مملكة إسرائيل سنة ٧٢٢ ق.م «وَصَعِدَ مَلِكُ أَشُّورَ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَصَعِدَ إِلَى السَّامِرَةِ وَحَاصَرَهَا ثَلاَثَ سِنِينَ. فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِهُوشَعَ أَخَذَ مَلِكُ أَشُّورَ السَّامِرَةَ، وَسَبَى إِسْرَائِيلَ إِلَى أَشُّورَ» (٢مل ١٧: ٥، ٦).

وتحقق قول هوشع النبي: «تُجَازَى السَّامِرَةُ لأَنَّهَا قَدْ تَمَرَّدَتْ عَلَى إِلهِهَا. بِالسَّيْفِ يَسْقُطُونَ. تُحَطَّمُ أَطْفَالُهُمْ، وَالْحَوَامِلُ تُشَقُّ» (هو ١٣: ١٦).

٦ - السبي البابلي:

وعندما تمادى أيضًا شعب المملكة الجنوبية (مملكة يهوذا) في عناده وفساده وعبدوا آلهة أخرى، وأوقدوا على المرتفعات مثل الأمم، لقنهم الله درسًا قاسيًا ليدركوا أن الشر لابد أن يعاقب، فاستخدم الرب نبوخذ نصر ملك بابل ليعاقبهم، ففي عام (٥٨٧ ق.م) هجم نبوخذ نصر على أورشليم بكل جيشه ومركباته، وكما يقول المؤرخ اليهودي الكبير يوسيفوس: «أحرقوا الهيكل عن آخره، وهدموا أسوار أورشليم، وأحرقوا جميع قصورها بالنار، وأخذوا جميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة، وخزائن الملك ورؤسائه إلى بابل» (٢أخ ٣٦: ١٧-٢١). وقتلوا كل أشراف يهوذا (إر ٣٩: ٦) ومعظم الشعب سبوهم إلى بابل، ولم يتركوا في أورشليم إلا مساكين الأرض (٢مل ٢٥، ٢أخ ٣٦) والذين أبقاهم نبوخذ نصّر ملك بابل في أورشليم وكّل عليهم جدليا بن أخيقام بن شافان (٢مل ٢٥: ١ - ٢٢). وبقي الشعب في السبي لمدة سبعين عامًا.

أخيرًا أختم وأقول إن الحروب التي خاضها بنى إسرائيل في العهد القديم، كانت مشروطة بطاعة شعب اسرائيل للرب وإلا انهزموا أمام أعدائهم، لم تقم على أساس عرقي أو ديني وإلا كانوا قد حاربوا كل الأمم المخالفة لهم، ولم تكن حربًا بغرض فرض الجزية، ولم تكن بحجة أن من يحاربوهم شعب كافر ويجب قتله، ولم تكن حروبًا من أجل نشر الدين اليهودي، ولم تكن من أجل التوسع والاحتلال، ولم تكن من أجل السبايا والغنائم، ولكن لأن الله قدوس ولا يطيق الشر، وتطبيقًا لعدل الله بمعاقبة الوثنية وتطهير الأرض منها، فقد تمت بعد أن أعطى الرب لهم إنذارات كثيرة جدًا وواضحة لمدة أربعة أجيال، ولأنه يريد أن يحمي خليقته. وأنا أرجو عزيزي القارئ أن تعود لنص كلام صموئيل النبي لشاول الملك.

عزيزي القارئ: أرجو أن تلاحظ أن شاول عندما لم يطع الرب، ولم يحرّم عماليق كما طلب الرب، فاستحسن بعض الغنائم من الغنم والبقر، ولم يقتل ملكها بخلاف وصية الله له، غضب الله عليه ورفضه من الملك وأرسل له النبي صموئيل قائلًا: «نَدِمْتُ عَلَى أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ شَأُولَ مَلِكًا، لأَنَّهُ رَجَعَ مِنْ وَرَائِي وَلَمْ يُقِمْ كَلاَمِي» (١صم ١٥:١١). وكانت النتيجة أن دخل في حرب مع الفلسطينيين، فانكسر، ورأي جيشه يسقط أمامه، ثم رأى أولاده الثلاثة يموتون أمامه، ثم أصابه سهم جرحه جرحًا شديدًا، فخاف من أن يقتله الفلسطينيون ويمثلون بجثته، فطلب من حامل سلاحه أن يقتله، لكن حامل سلاحه خاف أن يفعل ذلك، فسقط هو على سيفه وانتحر، لكن يبدو أنه لم يمت بسرعة، فكانت نهايته على يد شاب عماليقي، فقتله، وأخذ الإكليل الذي كان على رأسه، وعصابة الذهب التي كانت حول خوذته، وسوار الذهب الذي كان على ذراعه، وذهب وأخبر الملك داود بذلك (١صم ١: ١-١٠).

المراجع

(١) دائرة المعارف الكتابية، الجزء الخامس، ص٢٨٥. .

(2) Walter C. Kaiser, Peter H. David, F. F. Bruce, and Manfred T. Brauch. Hard Sayings of the Bible, p. 257.

(3) Norman Geisler and Thomas Howe. When Critics Ask. A Popular Handbook on Bible Difficulties, p. 311.

(4) David E. O'Brien. Today's Handbook for Solving Bible Difficulties, p. 321.

(٥) دائرة المعارف الكتابية، الجزء ٨، ص١٣٥.

(٦) قاموس الكتاب المقدس، ص٩٩٦.

(7) Adam Clarke. Adam Clarke's Commentary on the Whole Bible, V. 3, p. 318.

(٨) البابا شنوده الثالث، الوصايا العشر، ص٦٩.

(٩) والتر كيزر، دعوة للنهضة، تعريب د.القس مكرم نجيب، ص١٤٣.

(٢٨)

هل هو إله يشجع شعبه على الكذب؟

فَقَالَ الرَّبُّ لِصَمُوئِيلَ: «امْلأْ قَرْنَكَ دُهْنًا وَتَعَالَ أُرْسِلُكَ إِلَى يَسَّى الْبَيْتَلَحْمِيِّ. لأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ لِي فِي بَنِيهِ مَلِكًا». فَقَالَ صَمُوئِيلُ: «كَيْفَ أَذْهَبُ؟ إِنْ سَمِعَ شَاوُلُ يَقْتُلُنِي». فَقَالَ الرَّبُّ: «خُذْ بِيَدِكَ عِجْلَةً مِنَ الْبَقَرِ وَقُلْ: قَدْ جِئْتُ لأَذْبَحَ لِلرَّبِّ» (١صم ١٦: ١-٥).

كيف يطلب الله من النبي صموئيل أن يكذب؟ هل الرب يعلمنا الكذب؟ ألم يوصنا بأن نكون صادقين؟

(١) الله منزّه عن الكذب:

كل دارس لعلم النفس يعرف أن الكذب خمسة أنواع وهي:

١- الكذب الوصولي: والذي فيه يكون هدف الكاذب أن يصل إلى شيء، مثل يعقوب الذي كذب على أبيه ليحصل على البركه «تك ٢٧». وكذلك من يكذب على رؤساء في العمل ويوصّل أخبارًا كاذبة.

٢- الكذب الخيالي: وهو كثيرًا ما يعبّر عن الخيال الواسع وأحلام اليقظة ويكثر عند الأطفال والمراهقين.

٣- الكذب الادعائي: ويكون هدف الكاذب جذب الانتباه، لتعظيم الذات والشعور بالقيمة، فتجد الشاب يدعي أن والده وزير مثلًا، أو لديهم أملاك لا حصر لها، أو عندهم سلاح بكثرة، وهو نتيجة الشعور بالنقص وفقدان الثقة والحنان.

٤- الكذب الدفاعي: وفيه يكذب الإنسان ليدافع عن نفسه ويبرر أخطاءه.

٥- الكذب الانتقامي: وهدفه الانتقام من شخص ما أو جماعة معينة، وذلك بنشر الشائعات والأكاذيب لتشويه صورتهم.

وفي كل أنواع الكذب نجد أنه دليل ضعف، وهو حل سهل قصير الأجل يلجأ اليه الجهلاء والجبناء، وهو عادةً خطية مزدوجة فهو إما غطاء لإخفاء خطية ماضية أو حيلة لخطية مقبلة. وحاشا لسيد كل الأرض أن يكذب، فهو ليس ضعيفًا أو عاجزًا أو خائفًا حتى يكذب، يقول الكتاب المقدس عنه: «لَيْسَ اللهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبَ، وَلاَ ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ. هَلْ يَقُولُ وَلاَ يَفْعَلُ؟ أَوْ يَتَكَلَّمُ وَلاَ يَفِي؟» (عد ٢٣:١٩). ومكتوب أيضًا: «نَصِيحُ إِسْرَائِيلَ لاَ يَكْذِبُ وَلاَ يَنْدَمُ لأَنَّهُ لَيْسَ إِنْسَانًا لِيَنْدَمَ» (١صم١٥:٢٩). ويقول الرسول بولس عن الله أنه: «الْمُنَزَّهَ عَنِ الْكَذِبِ» (تي ١: ٢).

فالله يبغض الكذب:

«كَرَاهَةُ الرَّبِّ شَفَتَا كَذِبٍ أَمَّا الْعَامِلُونَ بِالصِّدْقِ فَرِضَاهُ» (أم ١٢:٢٢).

«هَذِهِ السِّتَّةُ يُبْغِضُهَا الرَّبُّ وَسَبْعَةٌ هِيَ مَكْرُهَةُ نَفْسِهِ: عُيُونٌ مُتَعَالِيَةٌ لِسَانٌ كَاذِبٌ أَيْدٍ سَافِكَةٌ دَمًا بَرِيئًا....». (أم ٦: ١٦-١٩).

ويأمرنا بعدم الكذب:

«لاَ تَكْذِبُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، اذْ خَلَعْتُمُ الإِنسَانَ الْعَتِيقَ مَعَ أَعْمَالِهِ» (كو ٣: ٩).

«لِذَلِكَ اطْرَحُوا عَنْكُمُ الْكَذِبَ وَتَكَلَّمُوا بِالصِّدْقِ كُلُّ وَاحِدٍ مَعَ قَرِيبِهِ، لأَنَّنَا بَعْضَنَا أَعْضَاءُ الْبَعْضِ» (أف ٤: ٢٥).

ويدين الكاذبين:

«شَاهِدُ زُورٍ لاَ يَتَبَرَّأُ وَالْمُتَكَلِّمُ بِالأَكَاذِيبِ لاَ يَنْجُو» (أم ١٩: ٥).

«الْمُتَكَلِّمُ بِالْكَذِبِ لاَ يَثْبُتُ أَمَامَ عَيْنَيَّ» (مز ١٠١: ٧).

«تُهْلِكُ الْمُتَكَلِّمِينَ بِالْكَذِبِ. رَجُلَ الدِّمَاءِ وَالْغِشِّ يَكْرَهُهُ الرَّبُّ». (مز ٥: ٦).

(٢) هناك فرق كبير بين الكذب وبين الكتمان:

عندما طلب الرب من صموئيل أن يمسح أحد بني يسى ملكًا على بني إسرائيل. خاف صموئيل جدًا لأنه يعرف حماقة شاول وبطشه وشخصيته المتهورة المريضة نفسيًا. إلى جانب أن صموئيل النبي كان شخصًا مشهورًا جدًا وله مكانته، وكل تحركاته وانتقالاته محسوبة، والكل سيسأل عن سبب الزيارة، وبالتالي سيصل الأمر إلى شاول. فقال للرب: «كَيْفَ أَذْهَبُ؟ إِنْ سَمِعَ شَاوُلُ يَقْتُلُنِي. فقال له الرب: خُذْ بِيَدِكَ عِجْلَةً مِنَ الْبَقَرِ وَقُلْ: قَدْ جِئْتُ لأَذْبَحَ لِلرَّبِّ. وَادْعُ يَسَّى إِلَى الذَّبِيحَةِ، وَأَنَا أُعَلِّمُكَ مَاذَا تَصْنَعُ. وَامْسَحُ لِيَ الَّذِي أَقُولُ لَكَ عَنْهُ». وهنا نرى أمرين وهما:

الأول: هو أن الرب طلب من صموئيل أن يتمم الأمر بسرية في بيت يَسَّى، فهو لا يحتاج أن يجعل أمر مسح داود في العلن، فلم يحن وقت الإعلان بعد، فلن يستلم داود العرش إلا بعد موت شاول، إنما أُعطيت المسحة كنعمة إلهية تعدّه وتسنده للعمل حتى يتولى الملك. فكل ما عليه أن يذهب إلى بيت يَسَّى ويقدم الذبيحة، ويمسحه هناك. وإذا سُئل يقول: «قَدْ جِئْتُ لأَذْبَحَ لِلرَّبِّ». إن إخفاء السر أو إخفاء جزء من الحقيقة على من لا شأن لهم بأمورنا ليس بكذب، فهناك فرق كبير بين عدم الإعلان والكذب، فمن حقّنا أن نكتم سرّنا عمّن لا شأن لهم به، أو من نعلم أنهم إذا عرفوه سيسيئون إلينا، أو يفشّلون الموضوع. والإخفاء والكتمان يختلفان عن المكر والخداع، التكتم لغرض صالح إنما ذكاء وحكمة، قال الحكيم:

«السَّاعِي بِالْوِشَايَةِ يُفْشِي السِّرَّ وَالأَمِينُ الرُّوحِ يَكْتُمُ الأَمْرَ» (أم ١١:١٣).

«السَّاعِي بِالْوِشَايَةِ يُفْشِي السِّرَّ فَلاَ تُخَالِطِ الْمُفَتِّحَ شَفَتَيْهِ» (أم ٢٠:١٩).

فمن الحكمة إخفاء الحقيقة في بعض المواقف، فمثلًا لو هجم عليك لص في الليل ليسرقك، وقال لك تحت تهديد السلاح: هات كل الذهب الذي تمتلكه. فإذا أعطيته جزءًا من الذهب كان موجودًا في الدولاب ولم تعطه جزءًا آخر مُخفى في مكان آخر، وسألك: هل هذا كل الذهب؟ إذا قلت نعم، هل هذا كذب؟

تخيل أنك تقف أمام باب العمارة التي تسكن فيها، وفجأة وجدت شخصًا يجري بكل سرعة ودخل ليختبئ تحت سلم العمارة، وبعد لحظات وجدت شخصًا تبدو عليه علامات الإجرام يطارده وبيده مسدس أو سكينة، فأدركت أنه يريد أن يقتله، وسألك: هل دخل العمارة؟ فهل تقول نعم وتصبح شريكًا في جريمة قتل؟ أم تقول لا أعرف، أو لم أر؟ وإذا قلت لا أعرف فهل هذا كذب؟

الأمر الثاني: نجد أن الرب أعطى صموئيل هدفين للزيارة هدف علني وهو أن يذبح للرب، وهدف سري أن يمسح داود ملكًا في الخفاء، وقال له الرب أنه سيعلّمه ما يفعل خطوة بخطوة، فالله سيرشده، وهنا صموئيل ترك خوفه واتكل على الرب وهو يعلم أن الرب لن يدعه يخطئ، وإذا سُئل يقول: «قَدْ جِئْتُ لأَذْبَحَ لِلرَّبِّ». فلم يقل له الرب اكذب، ولا أعرف من أين أتى المشكك بهذا الافتراء؟! إن الكذب هو أن أقول عكس الحقيقة. وقد ذهب صموئيل إلى بيت يسى لهذا الغرض فعلًا. الكذب لو كان قال إنه جاء لكي يقدم ذبيحة ولم يفعل ذلك.

إن ما حدث مع صموئيل حدث معي عشرات المرات، فلا أنسى يوم كنت في طريقي لحل مشكلة عائلية كبيرة بين زوج وزوجة، وقابلني أحدهم وسألني: إلى أين أنت ذاهب؟ فقلت إلى بيت فلان. فسألني عن سبب زيارتي لهذه العائلة. فقلت له للصلاة معهم. فهل أنا كذبت؟! كلا.

تخيل أنك تعمل في شركة كبيرة، وطلب منك مدير الشركة أن تذهب إلى أحد القطاعات لغرضين: الأول معلن وهو إعطاء دورات تدريبية جديدة، والثاني هدف سري هو تقييم الأداء: فهل لو سُئلت عن هدف زيارتك، وأجبت أنها بغرض التدريب تكون كاذبًا؟ بالطبع لا، لأن هذا هو أحد الأهداف، بل أقول لك إنك لو أفشيت سر المدير تكون خائنًا لصاحب العمل.

المراجع

(١) دائرة المعارف الكتابية، الجزء الخامس، ص٢٨٥. .

(2) Walter C. Kaiser, Peter H. David, F. F. Bruce, and Manfred T. Brauch. Hard Sayings of the Bible, p. 257.

(3) Norman Geisler and Thomas Howe. When Critics Ask. A Popular Handbook on Bible Difficulties, p. 311.

(4) David E. O'Brien. Today's Handbook for Solving Bible Difficulties, p. 321.

(٥) دائرة المعارف الكتابية، الجزء ٨، ص١٣٥.

(٦) قاموس الكتاب المقدس، ص٩٩٦.

(7) Adam Clarke. Adam Clarke›s Commentary on the Whole Bible, V. 3, p. 318.

(٨) البابا شنوده الثالث. الوصايا العشر، ص٦٩.

(٩) والتر كيزر. دعوة للنهضة. تعريب د.القس مكرم نجيب، ص١٤٣.

(٢٩)

هل هو إله يباغت عبيده بأرواح شريرة؟

«وَذَهَبَ رُوحُ الرَّبِّ مِنْ عِنْدِ شَاوُلَ، وَبَغَتَهُ رُوحٌ رَدِيءٌ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ. فَقَالَ عَبِيدُ شَاوُلَ لَهُ: «هُوَذَا رُوحٌ رَدِيءٌ مِنْ قِبَلِ اللهِ يَبْغَتُكَ» (اصم ١٦: ١٤،١٥).

والسؤال: كيف ولماذا أرسل الله روحًا رديئًا لشاول الملك؟

وهل يُعقَل أن الإله الصالح يباغت عبيده بأرواح شريرة؟

أولًا: الرب صالح ومصدر كل صلاح:

إن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد يعلن لنا أن الرب صالح؛ لدرجة أن عبارة «الرَّبُّ صَالِحٌ» وردت عشرات المرات في الكتاب المقدس (مز ٢٥: ٨؛ ٥٢:٩؛ ٥٤:٦؛ ٧٣:١؛ ٨٦:٥؛ ١٠٠: ٥؛ ١٣٥: ٣؛ إر٣٣: ١١؛ ابط ٢: ٣). وقد هتف المرنم أكثر من مرة «احْمَدُوا الرَّبَّ لأَنَّهُ صَالِحٌ» (مز ١٠٦: ١؛ ١٠٧: ١؛ ١١٨: ١ و٢٩؛ ١٣٦: ١).

وأضاف في مزمور آخر «الرَّبُّ صَالِحٌ لِلْكُلِّ» (١٤٥: ٩). فهو صالح مع كل إنسان، بل هو كلي الصلاح والحب والحكمة والرحمة، لذلك فكل ما يخطط له ويفعله ويأمر به ويرضى عَنْهُ صالح. وفي الحقيقة لا يوجد من هو صالح بلا حدود إلا الله (مر١٠: ١٨).

وعندما خلق الله العالم، أبدع في صنعه، وكان ينظر بعد كل مرحلة ويرى أنها «حَسَنٌ» (تك ١: ٤ و١٠ و١٢ و١٨ و٢١ و٢٥). وعندما أتمّ كل شيء نقرأ: «وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا» (تك ١: ٣١). فالله لم يخلق إلا كل ما هو جميل ورائع، لذلك هتف المرنم «مَا أَعْظَمَ أَعْمَالَكَ يَا رَبُّ! كُلَّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ. مَلآنَةٌ الأَرْضُ مِنْ غِنَاكَ» (مز ١٠٤: ٢٤).

وحتى الشيطان عندما خلقه الله كان ملاكًا نورانيًا لكنه سقط (يه ١٦؛ إش ١٤: ١٢-١٥).

وكل عطايا الله صالحة، كما يقول الرسول يعقوب: «كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهِبَةٍ تَامَّةٍ هِيَ مِنْ فَوْقُ، نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الأَنْوَارِ...» (يع ١: ١٧). وقال زكريا: «مَا أَجْوَدَهُ وَمَا أَجْمَلَهُ» (زك ٩: ١٧). وصرخ القديس أغسطينوس: «يؤلمني إنني تأخرت كثيرًا في معرفتك أيها الجمال القديم ومانزال جديدًا». وقال تشارلس كنجلي في مرضه الأخير: «كم هو جميل الرب، كم هو جميل».

إن الرب صالح ومصدر كل صلاح وبركة وشفاء وسعادة للإنسان، لذلك هو لا يصنع البلايا، ولا

يُحدِث الكوارث للبشر. ولا يرسل روحًا شريرًا ليعذب به البشر. إنه يرسل روحه القدوس ليسند ويعضِّد ويرشد ويعزي شعبه. فهو صالح وإلى الأبد رحمته.

ثانيًا: ما معنى «مِنْ قِبَلِ اللهِ»؟

إن الكلمة العبرية المترجمة «مِنْ قِبَلِ» هي (את) (أت) وهي عبارة عن ضمير يعبِّر عن شيء مستقل أو كينونة مستقلة، ولا توجد كلمة في الإنجليزية تساويها[1]. لذلك فالمعنى المقصود: «روح شرير مستقل عن الرب ولكن بسماح منه، وليس روح شرير «مِنْ قِبَلِ» الرب»[2]

فالكلمة العبرية المترجمة «مِنْ قِبَلِ» (את) (أت) تختلف تمامًا عن (עם) (عم) والتي تعني « مِنْ قِبَلِ» أو «من عند» والتي وردت في أول الآية وأرجو أن تلاحظ الفرق:

النص العبري:

וְרוּחַ יְהוָה סָרָה מֵעִם שָׁאוּל וּבִעֲתָתְהוּ רוּחַ־רָעָה מֵאֵת יְהוָה

«وَذَهَبَ رُوحُ الرَّبِّ مِنْ عِنْدِ (מֵעִם) شَاوُلَ، وَبَغَتَهُ رُوحٌ رَدِيءٌ مِنْ قِبَلِ (מֵאֵת) الرَّبِّ»

الكلمة الأولى (מֵעִם) والتي تُرجِمَت «مِنْ عِنْدِ» تعني أيضًا « مِنْ قِبَلِ» وقد وردت أيضًا في تكوين ٤١: ٣٢.

«وَأَمَّا عَنْ تَكْرَارِ الْحُلْمِ عَلَى فِرْعَوْنَ مَرَّتَيْنِ، فَلأَنَّ الأَمْرَ مُقَرَّرٌ مِنْ قِبَلِ (מעם) اللهِ، وَاللهُ مُسْرِعٌ لِيَصْنَعَهُ».

لذلك نجد كاتب السفر وهو يشرح ما حدث مع شاول بالتفصيل في الإصحاح الثامن عشر يقول:

«وَكَانَ فِي الْغَدِ أَنَّ الرُّوحَ الرَّدِيءَ مِنْ قِبَلِ اللهِ اقْتَحَمَ شَاوُلَ وَجُنَّ فِي وَسَطِ الْبَيْتِ. وَكَانَ دَاوُدُ يَضْرِبُ بِيَدِهِ كَمَا فِي يَوْمٍ فَيَوْمٍ، وَكَانَ الرُّمْحُ بِيَدِ شَاوُلَ» (١صم ١٨: ١٠).

وهذه الآية ترد في بعض الترجمات كالآتي:

(CEV) The next day the LORD let an evil spirit take control of Saul, and he began acting like a crazy man inside his house. David came to play the harp for Saul as usual, but this time Saul had a spear in his hand.

وفي اليوم التالي سمح الرب للروح الرديء أن يسيطر على شاول وأصبح كالمجنون في وسط بيته...

وهنا يتضح أن الروح الشرير كان مستقلًا عن الله ولكن بسماح منه.

ويشرح هذا المعنى د. القس الدكتور منيس عبد النور فيقول: «لما كان الله كلي السلطان، فإن أفعال الأرواح الشريرة تخضع لسلطانه. وكل ما يحدث في عالمنا هو من عمل الله، أو بسماح منه. وقد سمح الله للروح الرديء أن يهاجم شاول ويستولي عليه، لأنه كان قد رفض طاعة الله، فرفضه الله من الملك. وسماح الله للروح الرديء أن يتملَّك من شاول يشبه سماحه للشيطان أن يجرِّب أيوب بالخسارة المادية والعائلية والمرض. ولكنه دائمًا يحقق مقاصده الصالحة بالرغم من أعمال إبليس»[3].

والدارس المدقق يعرف أن قصة شاول وردت إجمالًا في ١صموئيل ١٦، ثم شرحها الكاتب تفصيلًا في أصحاحي ١٧ و١٨. وفيهما نرى كيف أن شاول تمرَّد على الله، ولم يطع وصاياه، وتملكته روح

الغيرة المرة من داود. ورغم أن داود لم يفعل شرًا إلا أن شاول بدأ يفكر في قتله. وهو بهذا سلَّم قلبه للشرير، ولم يسع إلى تطهير قلبه. ولهذا تركه الرب لإرادته، أو تركه الرب للروح الشرير الذي سلَّم نفسه بإرادته له فباغته. أو نقول لأنه قاوم روح الرب كثيرًا لذلك هيأ نفسه كمسكن مستعد لقبول هذا الروح الردئ.

وما أروع ما كتبه القديس جيروم[4]: «لا يجب أن تنزعج من القول: «وَذَهَبَ رُوحُ الرَّبِّ مِنْ عِنْدِ شَاوُلَ، وَبَغَتَهُ رُوحٌ رَدِيءٌ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ» (١صم ١٦: ١٥). فهذا لا يعني أن الروح الردئ مصدره الرب، أو أن ما حل بشاول كان من عند الرب، فالرسول يعقوب يقول: «لاَ يَقُلْ أَحَدٌ إِذَا جُرِّبَ إِنِّي أُجَرَّبُ مِنْ قِبَلِ اللهِ، لأَنَّ اللهَ غَيْرُ مُجَرَّبٍ بِالشُّرُورِ وَهُوَ لاَ يُجَرِّبُ أَحَدًا» (يع ١: ١٣-١٥). إنما شاول رفض روح الله فهيأ نفسه مسكنًا للروح الردئ، لقد تركه الرب لذاته كما يقول الرسول بولس:

«لِذَلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ أَيْضًا فِي شَهَوَاتِ قُلُوبِهِمْ إِلَى النَّجَاسَةِ لإِهَانَةِ أَجْسَادِهِمْ بَيْنَ ذَوَاتِهِمِ.... لِذَلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى أَهْوَاءِ الْهَوَانِ... وَكَمَا لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْقُوا اللهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لاَ يَلِيقُ» (رو ١: ٢٤-٢٨).

لاحظ تكرار أسلمهم الله، فحين يُصرّ الإنسان على رفض الله ويستسلم للشر، يتركه الله، أي يسلِّمه لشهوة قلبه، وهذا التسليم بسماح إلهي لأجل تأديبه.

لقد رفض شاول نور وصايا الرب فرُفِض من الرب، وأصبح في ظلمة الشيطان. وكذلك عندما رفض شاول روح الله أصبح متروكًا في يد الشرير الذي سيطر عليه. فالقلب لا يمكن أن يستمر خاويًا فلابد أن يمتلئ فإما أن يمتلئ من روح الرب أو إذا فارق روح الرب الإنسان يملأه أرواح شريرة. فالقلب لا يبقى خاليًا.

ثالثًا ـ سلطان الله:

لقد أراد الكاتب وهو يتحدث عن مرض شاول أن يؤكد على أن الله هو صاحب السلطان المطلق على كل الكون، وذلك لأن الأمم المجاورة كانت تعبد إلهين: إله الخير وإله الشر. وكانوا يعبدون إله الخير لكي يمنحهم خيراته، ويعبدون إله الشر لكي يتقوا شروره. وقد كان الشعب الإسرائيلي في ذلك الوقت مُعرَّض للسقوط في هذه الوثنية، خاصة وأن الشعب كان مهيَّأ لذلك، فقد عبدوا من قبل مولك وعشتاروث وكموش والعجل الذهبي.... الخ.

لذلك عندما يتحدث الوحي عن أمور مثل هذه فهو يريد أن ينبِّر ويؤكِّد على أن الله مسيطر على كل الكون وكل ما يحدث فيه من خير ومن شر، ولا يوجد شيء يحدث بعيدًا عن دائرة سلطانه.

وقد شرح آباء الكنيسة ما حدث مع شاول في ضوء سلطان الله فيقول الشهيد كبريانوس: «ليس للأرواح الشريرة السلطان أن تضر أحدًا، ويظهر ذلك بوضوح في حالة أيوب، حيث لم يتجاسر العدو أن يجربه إلا حسبما سمح الله به... وقد اعترفت الأرواح نفسها بذلك كما جاء في الإنجيل فنقرأ: «فَالشَّيَاطِينُ طَلَبُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ: «إِنْ كُنْتَ تُخْرِجُنَا فَأْذَنْ لَنَا أَنْ نَذْهَبَ إِلَى قَطِيعِ الْخَنَازِيرِ» (مت ٨: ٣١). فإن كان ليس لديهم السلطان أن يدخلوا الحيوانات النجسة إلا بسماح من الله، فكم بالحري الإنسان!

إنهم يعجزون عن الدخول في الإنسان المخلوق على صورة الله؟

ويعلّق القديس أغسطينوس على قصة دخول الشياطين في الخنازير قائلًا: «ألا ترون الحدود التي وُضِعَت في الاختبار؟ أما تلاحظون أن الشيطان ما كان يمكنه أن يلمس حتى القطيع لو لم ينل سلطانًا من الله؟».

ونرى البابا غريغوريوس (الكبير) يميّز بين إرادة الشيطان وسلطانه فيقول: «فمن جهة إرادته فهي دومًا شريرة. أما سلطانه فهو بسماحٍ إلهيٍ. لذلك لا نتعجّب مما ورد في (١صم ١٨:١٠) «وَكَانَ فِي الْغَدِ أَنَّ الرُّوحَ الرَّدِيءَ مِنْ قِبَلِ اللهِ اقْتَحَمَ شَاوُلَ وَجُنَّ فِي وَسَطِ الْبَيْتِ». فهو روح شرير أما القول: «مِنْ قِبَلِ اللهِ» فلأنه ما كان يمكنه أن يقتحم شاول بدون نوال سلطانٍ من الله العادل. فيقول الرسول بولس: «لَمْ تُصِبْكُمْ تَجْرِبَةٌ إِلاَّ بَشَرِيَّةٌ. وَلَكِنَّ اللهَ أَمِينٌ الَّذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضًا الْمَنْفَذَ لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا» (١كو ١٠:١٣).

المراجع

(1) Enhanced Brown-Driver-Briggs Hebrew and English Lexicon. p. 288.

(2) The Complete Word Study Dictionary: Old Testament. p. 311.

(٣) د. القس الدكتور منيس عبد النور. شبهات وهمية. ص ٢٤٥.

(٤) الأب تادرس يعقوب ملطي. صموئيل الأول. ص ١١٦.

(٣٠)

هل هو إله يعجز عن حماية أرواح أنبيائه من السحرة؟

يسأل عدد كبير من الناس قائلين: نجد صعوبة كبيرة في فهم قصة تحضير العرّافة لروح صموئيل. فهل فعلًا حضّرت العرّافة روح صموئيل؟ وهل يقدر الساحر بقوة السحر أن يحضر روحًا من الأبدية؟ وكيف يقول صموئيل لشاول: «غَدًا أَنْتَ وَبَنُوكَ تَكُونُونَ مَعِي» (١صم ٢٨: ١٩) ونحن نعرف من الكتاب المقدس أن مصير شاول يختلف تمامًا عن مصير صموئيل؟

للإجابة على هذا السؤال أقول:

لكي نفهم هذا الموقف فهمًا صحيحًا علينا أن نلقي نظرة على حياة شاول قبل أن يصل إلى هذا الموقف المتدني.

لقد بدأ شاول أفضل ما تكون البداية لكنه انتهى أسوأ ما تكون النهاية. وبالرغم من أنه كان يمتلك كل إمكانيات النجاح لكنه فشل. ولو كان قد استفاد من الإمكانيات التي بين يديه لكان قد جعل إسرائيل على رأس الممالك. وكان هو أعظم ملوك إسرائيل.

من هو شاول؟

شاول اسم عبري (שאול) يعني: «مسئول من الله» أو «سائل من الله». وهو أول ملوك بني إسرائيل[1].

أعطاه الله العديد من المميزات التي كان يمكن أن تجعل منه أعظم ملوك الأرض. لكنه للأسف لم يحسن استغلالها. ففشل فشلًا ذريعًا. ومن بين هذه الامتيازات:

(١) الوجاهة والصحة الجسدية:

وبلاشك هي أحد أهم عوامل النجاح. فقد كان يتمتع بصحة جيدة تجعله قادرًا على العمل والعطاء بقوة والتحرك في كل مكان. كذلك كان يتمتع بمنظر حسن يعطيه القبول عند كل من يتعاملون معه. فنقرأ عنه:

«وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنْيَامِينَ اسْمُهُ قِيسُ بْنُ أَبِيئِيلَ بْنِ صَرُورَ بْنِ بَكُورَةَ بْنِ أَفِيحَ، ابْنُ رَجُل بَنْيَامِينِيٍّ جَبَّارَ بَأْسٍ. وَكَانَ لَهُ ابْنٌ اسْمُهُ شَاوُلُ، شَابٌّ وَحَسَنٌ، وَلَمْ يَكُنْ رَجُلٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَحْسَنَ مِنْهُ. مِنْ كَتِفِهِ فَمَا فَوْقُ كَانَ أَطْوَلَ مِنْ كُلِّ الشَّعْبِ» (١صم ٩: ١-٢)

(٢) الرغبة الشعبية والجماهيرية الكبيرة:

بعد أن مسحه صموئيل ملكًا. كان كل

الشعب يهتف له: «لِيَحْيَ الْمَلِكُ!». فالكل يريده. ونقرأ: «فَقَالَ صَمُوئِيلُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَرَأَيْتُمُ الَّذِي اخْتَارَهُ الرَّبُّ، أَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي جَمِيعِ الشَّعْبِ؟» (اصم ١٠:٢٤، راجع اصم ١١: ١١-١٥).

أليست الشعبية والجماهيرية من أهم عوامل النجاح.

(٣) أعطاه الله قلبًا آخر:

«وَكَانَ عِنْدَمَا أَدَارَ كَتِفَهُ لِكَيْ يَذْهَبَ مِنْ عِنْدِ صَمُوئِيلَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاهُ قَلْبًا آخَرَ، وَأَتَتْ جَمِيعُ هذِهِ الآيَاتِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ» (اصم ١٠:٩).

(٤) حل عليه الروح القدس:

حل عليه الروح القدس في مناسبتين

«وَلَمَّا جَاءُوا إِلَى هُنَاكَ إِلَى جِبْعَةَ، إِذَا بِزُمْرَةٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ لَقِيَتْهُ، فَحَلَّ عَلَيْهِ رُوحُ اللهِ فَتَنَبَّأَ فِي وَسَطِهِمْ» (اصم ١٠:١٠). راجع (اصم ١١:٦).

(٥) كان بجواره اثنين من أعظم الشخصيات:

صموئيل وداود: وكانت النتيجة أنه طهّر البلاد من العرافة. فنقرأ: «وَكَانَ شَاوُلُ قَدْ نَفَى أَصْحَابَ الْجَانِّ[1] وَالتَّوَابِعِ[2] مِنَ الأَرْضِ» (اصم ٢٨:٣). وغالبًا كان شاول قد نفي كل من يعمل بالسحر والشعوذة من البلاد بإرشاد صموئيل النبي.

ويرى القديس يوحنا ذهبي الفم أن ما وصل إليه شاول من انحطاط وانهيار حتى التجأ إلى صاحبة جان جاء كثمرة لانفصاله عن داود فيقول: «إلى أن انفصل عن داود لم يسقط شاول في حرب ما، فكان كلاهما في أمان ومجد»[4].

بالرغم من كل هذه الامتيازات سقط شاول في سلسلة خطايا أذكر منها اثنين فقط وهما:

(١) الحماقة والتسرع والقيام بدور ليس من حقه:

إذ لم يتمهل حتى يحضر صموئيل وقام هو وقدّم المُحْرَقَةَ وَذَبَائِحَ السَّلاَمَةِ على مذبح الرب وهذا ليس دوره. فهو ليس كاهنًا ولا رئيس كهنة. لذلك قال له صموئيل: «قَدِ انْحَمَقْتَ! لَمْ تَحْفَظْ وَصِيَّةَ الرَّبِّ إِلهِكَ الَّتِي أَمَرَكَ بِهَا، لأَنَّهُ الآنَ كَانَ الرَّبُّ قَدْ ثَبَّتَ مَمْلَكَتَكَ عَلَى إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ. وَأَمَّا الآنَ فَمَمْلَكَتُكَ لاَ تَقُومُ. قَدِ ابْتَغَى الرَّبُّ لِنَفْسِهِ رَجُلاً حَسَبَ قَلْبِهِ. وَأَمَرَهُ الرَّبُّ أَنْ يَتَرَأَّسَ عَلَى شَعْبِهِ، لأَنَّكَ لَمْ تَحْفَظْ مَا أَمَرَكَ بِهِ الرَّبُّ» (اصم ١٣: ٨-١٤).

(٢) عدم طاعة الرب:

لقد طلب الرب منه بوضوح أن يحرّم عماليق وكل ما له من أغنام وأبقار (اصم ١٥:٣) لكننا نقرأ: «وَعَفَا شَاوُلُ وَالشَّعْبُ عَنْ أَجَاجَ وَعَنْ خِيَارِ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ وَالثُّنْيَانِ وَالْخِرَافِ، وَعَنْ كُلِّ الْجَيِّدِ. وَلَمْ يَرْضَوْا أَنْ يُحَرِّمُوهَا. وَكُلَّ الأَمْلاَكِ الْمُحْتَقَرَةِ وَالْمُهْزُولَةِ حَرَّمُوهَا» (اصم ١٥: ٩). لكنه عفا عن أَجَاجَ. ومن طمعه عفا عَنْ خِيَارِ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ.

وهنا قال الرب لصَمُوئِيلَ: «نَدِمْتُ عَلَى أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ شَاوُلَ مَلِكًا، لأَنَّهُ رَجَعَ مِنْ وَرَائِي وَلَمْ يُقِمْ كَلاَمِي».

وقالَ صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ: «لأَنَّكَ رَفَضْتَ كَلاَمَ الرَّبِّ، فَرَفَضَكَ الرَّبُّ مِنْ أَنْ تَكُونَ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ».... «يُمَزِّقُ الرَّبُّ مَمْلَكَةَ إِسْرَائِيلَ عَنْكَ الْيَوْمَ وَيُعْطِيهَا لِصَاحِبِكَ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ». راجع (اصم ١٥: ١٠-٢٠).

نتائج الخطية:

(١) صموئيل يقرر الابتعاد عنه:

لقد يئس صموئيل منه لدرجة أننا نقرأ:

«وَلَمْ يَعُدْ صَمُوئِيلُ لِرُؤْيَةِ شَاوُلَ إِلَى يَوْمِ مَوْتِهِ، لأَنَّ صَمُوئِيلَ نَاحَ عَلَى شَاوُلَ. وَالرَّبُّ نَدِمَ لأَنَّهُ مَلَّكَ شَاوُلَ عَلَى إِسْرَائِيلَ» (اصم ١٥:٣٥).

وهي ترد في ترجمة (ك ح) «وَامْتَنَعَ صَمُوئِيلُ عَنْ رُؤْيَةِ شَاوُلَ إِلَى يَوْمِ وَفَاتِهِ، مَعَ أَنَّ قَلْبَهُ تَمَزَّقَ أَسَى عَلَيْهِ. أَمَّا الرَّبُّ فَقَدْ أَسِفَ لأَنَّهُ أَقَامَ شَاوُلَ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ».

ثم قالَ الرَّبُّ لِصَمُوئِيلَ: «حَتَّى مَتَى تَنُوحُ عَلَى شَاوُلَ، وَأَنَا قَدْ رَفَضْتُهُ عَنْ أَنْ يَمْلِكَ عَلَى إِسْرَائِيلَ؟ امْلأْ قَرْنَكَ دُهْنًا وَتَعَالَ أُرْسِلُكَ إِلَى يَسَّى الْبَيْتَلَحْمِيِّ، لأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ لِي فِي بَنِيهِ مَلِكًا» (اصم ١٦:١).

(٢) روح الله يفارقه ويبغته روح رديء:

فنقرأ: «وَذَهَبَ رُوحُ الرَّبِّ مِنْ عِنْدِ شَاوُلَ، وَبَغَتَهُ رُوحٌ رَدِيءٌ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ» (اصم ١٦:١٥).

ويجب أن لا ننزعج عندما نقرأ هذه الكلمات، فكما يقول القديس جيروم[5]:

إن هذا لا يعني أن الروح الرديء مصدره الرب، أو أن ما حل بشاول كان من عند الرب، فالرسول يعقوب يقول:

«لاَ يَقُلْ أَحَدٌ إِذَا جُرِّبَ إِنِّي أُجَرَّبُ مِنْ قِبَلِ اللهِ، لأَنَّ اللهَ غَيْرُ مُجَرَّبٍ بِالشُّرُورِ وَهُوَ لاَ يُجَرِّبُ أَحَدًا... كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهِبَةٍ تَامَّةٍ هِيَ مِنْ فَوْقُ، نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الأَنْوَارِ...» (يع ١:١٣-١٥).

إنما شاول رفض روح الله فهيأ نفسه مسكنًا للروح الرديء. لقد تركه الرب لذاته كما يقول الرسول بولس:

«لِذلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ أَيْضًا فِي شَهَوَاتِ قُلُوبِهِمْ إِلَى النَّجَاسَةِ لإِهَانَةِ أَجْسَادِهِمْ بَيْنَ ذَوَاتِهِمِ.... لِذلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى أَهْوَاءِ الْهَوَانِ... وَكَمَا لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْقُوا اللهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لاَ يَلِيقُ» (رو ١:٢٤-٢٨).

لاحظ تكرار أسلمهم الله. فحين يصر الإنسان على رفض الله والاستسلام للشر يتركه الله، أي يسلمه لشهوة قلبه. وهذا التسليم بسماح إلهي.

المهم هو أن شاول أُصيب بمرض شديد، ولا نستطيع أن نعرف هذا المرض، ولا أعراضه بالضبط. لكنه بلا شك كما يقول د. القس منيس عبد النور:[6] «كان مرضًا قاسيًا جعل شاول ورجاله الكبار ينشغلون ويفكرون في العلاج، ولابد أنهم جربوا كل أطباء المملكة ولكن علاجهم لم ينفع». وهنا فكر رجال شاول في العلاج بالموسيقى - وقد كان هذا الأمر معروفًا في القديم. فيقول سنيكا: «إن فيثاغورس كان يهدئ متاعب عقله بالقيثارة». وقال أليشع النبي مرة: «وَالآنَ فَأْتُونِي بِعَوَّادٍ» (٢مل ١٥:٣) - فقال رجاله:

«فَلْيَأْمُرْ سَيِّدُنَا عَبِيدَهُ قُدَّامَهُ أَنْ يُفَتِّشُوا عَلَى رَجُلٍ يُحْسِنُ الضَّرْبَ بِالْعُودِ. وَيَكُونُ إِذَا كَانَ عَلَيْكَ الرُّوحُ الرَّدِيءُ مِنْ قِبَلِ اللهِ أَنَّهُ يَضْرِبُ بِيَدِهِ فَتَطِيبُ» (اصم ١٦:١٦).

ووافق شاول على اقتراح رجاله وقال: «انْظُرُوا لِي رَجُلاً يُحْسِنُ الضَّرْبَ وَأْتُوا بِهِ إِلَيَّ». وهنا قال أحد رجاله: «هُوَذَا قَدْ رَأَيْتُ ابْنًا لِيَسَّى الْبَيْتَلَحْمِيِّ يُحْسِنُ الضَّرْبَ، وَهُوَ جَبَّارُ بَأْسٍ وَرَجُلُ حَرْبٍ وَفَصِيحٌ وَرَجُلٌ جَمِيلٌ، وَالرَّبُّ مَعَهُ». فوافق شاول على هذا الكلام وأرسل رسلًا إلى يَسَّى يقول: «أَرْسِلْ إِلَيَّ دَاوُدَ ابْنَكَ الَّذِي مَعَ الْغَنَمِ». وكان داود سبب شفاء لشاول فنقرأ:

«وَكَانَ عِنْدَمَا جَاءَ الرُّوحُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ عَلَى شَاوُلَ أَنَّ دَاوُدَ أَخَذَ الْعُودَ وَضَرَبَ بِيَدِهِ. فَكَانَ شَاوُلُ يَرْتَاحُ وَيَطِيبُ وَيَذْهَبُ عَنْهُ الرُّوحُ الرَّدِيءُ» (١صم١٦:٢٣).

(٣) الغيرة المرة من داود ومحاولة قتله:

لقد بدأت الغيرة والكراهية تدب في قلب شاول الملك تجاه داود بعد أن قتل داود جليات الجبار، وخرجت النساء من جميع مدن إسرائيل لاستقبال شاول وداود وهن يغنين: «ضَرَبَ شَاوُلُ أُلُوفَهُ وَدَاوُدُ رَبَوَاتِهِ». لقد حسبن جليات بربوات «والربوة عشرة آلاف». وبدلًا من أن يفرح شاول لأن داود قتل جليات وأزال العار عن إسرائيل، اغتاظ جدًا وغضب جدًا من داود وقال:

«أَعْطَيْنَ دَاوُدَ رَبَوَاتٍ وَأَمَّا أَنَا فَأَعْطَيْنَنِي الأُلُوفَ! وَبَعْدُ فَقَطْ تَبْقَى لَهُ الْمَمْلَكَةُ! فَكَانَ شَاوُلُ يُعَايِنُ دَاوُدَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَصَاعِدًا»

(١صم ١٨:٦-١٠).

ويرد عدد ٩ في ترجمة كتاب الحياة: «وشرع شاول منذ ذلك اليوم فصاعدًا يراقب داود بعين ممتلئة بالغيرة». وترد في الترجمة اليسوعية: «وأخذ شاول يلحظ داود بعين الشر من ذلك اليوم فصاعدًا». وترد في ترجمة بين السطور[٧]: «وأخذ شاول يضمر الشر لداود منذ ذلك اليوم».

وبالرغم من أن داود لم يسئ إلى شاول، ولم يظلمه، إلا أن قلب شاول امتلأ حقدًا ومرارة تجاه داود ففكر في قتله. والشيء الغريب هو أن شاول أشرع الرمح تجاه داود ليقتله بينما كان داود يعزف له ليهدأ ويستريح. إنها صورة لمريض يمسك بالسكين ليقتل بها الطبيب الذي يعطيه حقنة مهدئة.

«وَكَانَ دَاوُدُ يَضْرِبُ بِيَدِهِ كَمَا فِي يَوْمٍ فَيَوْمٍ. وَكَانَ الرُّمْحُ بِيَدِ شَاوُلَ. فَأَشْرَعَ شَاوُلُ الرُّمْحَ وَقَالَ: «أَضْرِبُ دَاوُدَ حَتَّى إِلَى الْحَائِطِ». فَتَحَوَّلَ دَاوُدُ مِنْ أَمَامِهِ مَرَّتَيْنِ» (١صم ١٨:١١).

وقد حاول شاول مرتين أن يقتله لكن يد الرب كانت أقوى وأقرب من رمح شاول. والأعجب هو عندما نقرأ العدد التالي لهذه الحادثة (ع ١٢)

«وَكَانَ شَاوُلُ يَخَافُ دَاوُدَ لأَنَّ الرَّبَّ كَانَ مَعَهُ وَقَدْ فَارَقَ شَاوُلَ».

إن مشاعر الكراهية تدفع الإنسان لينتقم ويدبّر الخطط ليدمّر الآخر وقد يعد العدة لذلك، ولكنها تجعله في نفس الوقت فاقد الاتزان ومرتبك وخائف. فمَن كان على كرسي العرش؟ ومَن صاحب السلطان؟ ومَن في يده الرمح؟ ولكن مَن الخائف؟ مَن يخاف مِن مَن؟ صحيح شاول في يده الرمح ولكن داود في يد الرب. ألم يكن أخآب يخاف من إيليا؟! ألم يكن هيرودس يخاف من المعمدان؟! ألم يكن فيلكس جالسًا على كرسي القضاء وبولس يقف أمامه للمحاكمة، ولكن عندما كلمه بولس عن البر والتعفف والدينونة ارتعب فيلكس!

(٤) الالتجاء إلى السحرة:

ثم نقرأ أَنَّ الْفِلِسْطِينِيِّينَ جَمَعُوا جُيُوشَهُمْ لِكَيْ يُحَارِبُوا إِسْرَائِيلَ. فَلَمَّا رَأَى شَاوُلُ جَيْشَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ خَافَ وَاضْطَرَبَ قَلْبُهُ جِدًّا (١صم ٢٨:٥). لقد كان شاول في منتهى الضعف، والسر الحقيقي في خوفه هو ترك الله له. فمن معه الله لا يخاف من أي قوة في الوجود. فماذا يفعل وصموئيل قد مات؟ لعل ما حدث من ضيق كان فرصة جديدة يقدمها له الرب لكي يرجع إليه بتوبة صادقة. كما حدث مع منسى الملك، لكنه

للأسف أساء استخدام الفرصة وذهب إلى صاحبة جان وهو يعرف أن الرب يكره هذا. لقد قال الرب لشعبه:

«لا تَلْتَفِتُوا اِلَى الْجَانِّ وَلا تَطْلُبُوا التَّوَابِعَ فَتَتَنَجَّسُوا بِهِمْ. انَا الرَّبُّ اِلَهُكُمْ» (لا ١٩:٣١).

«وَإِذَا كَانَ فِي رَجُل أَوِ امْرَأَةٍ جَانٌّ أَوْ تَابِعَةٌ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. بِالْحِجَارَةِ يَرْجُمُونَهُ. دَمُهُ عَلَيْهِ» (لا ٢٠:٢٧).

«مَتَى دَخَلْتَ الأَرْضَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ لا تَتَعَلَّمُ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ رِجْسِ أُولَئِكَ الأُمَمِ. لا يُوجَدُ فِيكَ مَنْ يُجِيزُ ابْنَهُ أَوِ ابْنَتَهُ فِي النَّارِ وَلا مَنْ يَعْرُفُ عِرَافَةً وَلا عَائِفٌ وَلا مُتَفَائِلٌ وَلا سَاحِرٌ. وَلا مَنْ يَرْقِي رُقْيَةً وَلا مَنْ يَسْأَلُ جَانًّا أَوْ تَابِعَةً وَلا مَنْ يَسْتَشِيرُ الْمَوْتَى. لأَنَّ كُل مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مَكْرُوهٌ عِنْدَ الرَّبِّ. وَبِسَبَبِ هَذِهِ الأَرْجَاسِ الرَّبُّ إِلهُكَ طَارِدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ» (تث ١٨: ٩-١٢).

وبعد أن كان قد نفي أصحاب الجان والتوابع ها هو يبحث عنهم أمام عبيده، ويقول لهم: «فَتِّشُوا لِي عَلَى امْرَأَةٍ صَاحِبَةِ جَانٍّ. فَأَذْهَبَ إِلَيْهَا وَأَسْأَلَهَا. فَقَالَ لَهُ عَبِيدُهُ: هُوَذَا امْرَأَةٌ صَاحِبَةُ جَانٍّ فِي عَيْنِ دُورٍ». وكانت عيّن دور تبعد عن جلبوع حيث يقيم ١٠ أميال. وتنكر ملك إسرائيل وذهب إلى امرأة صاحبة جان فأهان الله إذ أقام هذه المرأة الكاذبة مكان الله. وهكذا انحرف شاول من ضعف إلى آخر حتى ارتكب هذا الشر العظيم. وقال لها: «اعْرِفِي لِي بِالْجَانِّ وَأَصْعِدِي لِي مَنْ أَقُولُ لَكِ. فقالت له: هُوَذَا أَنْتَ تَعْلَمُ مَا فَعَلَ شَاوُلُ. كَيْفَ قَطَعَ أَصْحَابَ الْجَانِّ وَالتَّوَابِعِ مِنَ الأَرْضِ. فَلِمَاذَا تَضَعُ شَرَكًا لِنَفْسِي لِتُمِيتَهَا؟. فَحَلَفَ لَهَا شَاوُلُ بِالرَّبِّ قَائِلًا: حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ. إِنَّهُ لاَ يَلْحَقُكِ إِثْمٌ فِي هذَا الأَمْرِ». كيف يحلف لها بالله أنه سيحميها والناموس يطلب رجم الساحرات (لا ٢٠:٢٧). وكيف يحلف لها بالرب وها هو يطلب الجان؟! إنه يشبه الحرامي الذي يذهب ليسرق ويقول «يا رب استر». فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لَهُ: مَنْ أُصْعِدُ لَكَ؟ فَقَالَ: أَصْعِدِي لِي صَمُوئِيلَ.

فهل فعلًا حضّرت العرّافة روح صموئيل؟

أقول بكل يقين لا يمكن للعرافة أن تحضّر روح صموئيل للأسباب الآتية:

(١) كان الرب قد رفض أن يتكلم ويعلن لشاول عن مشيئته بكل الطرق المعروفة في ذلك الوقت فهل يستطيع إنسان مهما كانت قوته أن يتحدى الله ويعرف مشيئته؟

لقد كان الرب يتمنى أن يأتي شاول إليه تائبًا ونادمًا يطلب معرفة مشيئته. وما يؤكد هذا ما نقرأه في ١أخبار ١٠:١٤ «فَمَاتَ شَاوُلُ بِخِيَانَتِهِ الَّتِي بِهَا خَانَ الرَّبَّ مِنْ أَجْلِ كَلاَمِ الرَّبِّ الَّذِي لَمْ يَحْفَظْهُ. وَأَيْضًا لأَجْلِ طَلَبِهِ إِلَى الْجَانِّ لِلسُّؤَالِ. وَلَمْ يَسْأَلْ (דרש) مِنَ الرَّبِّ. فَأَمَاتَهُ وَحَوَّلَ الْمُلْكَةَ إِلَى دَاوُدَ بْنِ يَسَّى». والفعل العبري «يَسْأَلْ» هنا هو (דרש) «دراش» ويعني البحث الجاد والتفتيش بحماس وجدية. فلم يطلب شاول الرب بكل قلبه، ولم يسأل ويفتش عن مشيئته بحماس وجدية[٨].

أما ما نقرأ عنه في ١صموئيل ٢٨:٦: «فَسَأَلَ (וישאל) شَاوُلُ مِنَ الرَّبِّ، فَلَمْ يُجِبْهُ الرَّبُّ لاَ بِالأَحْلاَمِ وَلاَ بِالأُورِيمِ وَلاَ بِالأَنْبِيَاءِ».

فالفعل العبري «سَأَلَ» هو (וישאל) «شال» ويعني السؤال العابر. لقد سأل سؤالًا عابرًا لراحة ضميره، وقد رفض الرب أن يجيبه. وكيف يجيب الرب رجلًا قتل كهنة الرب ورئيس الكهنة ويطارد الرجل الذي كان يحارب باسم الرب؟ فهل

يستطيع إنسان مهما كان جبروته أن يلوي ذراع الرب ويعرف مشيئته؟ كلا.

(٢) لايمكن لأي إنسان على الأرض مهما كانت القوة الشيطانية التي يمتلكها أن يكون له سلطان على الأرواح التي في السماء:

فهل من المعقول أن يكون للشيطان سلطان على الأرواح التي في الفردوس، ويستطيع أن يزعجها في أي وقت يشاء، وأن يجعلها تفعل ما لا تريد أن تفعله؟ وأن يستحضرها في أي ظرف أو مكان كما يريد؟!

وهل يعقل أن يسمح الرب للجان أن يصطحب روح صموئيل بأمر عرافة ويخرجها من الفردوس؟ لاحظ ما قاله صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ: لِمَاذَا أَقْلَقْتَنِي بِإِصْعَادِكَ إِيَّايَ؟ كيف يمكن لجان أن يقلق الإنسان وهو في الأبدية؟[٩]. وهل يقلق الإنسان في الأبدية؟ وإذا كان من الممكن أن يصل الجان إلى الأرواح في الأبدية ويزعجها ويقلقها، فلن تكون أبدية، ويصبح الله في منتهى الضعف لدرجة أنه غير قادر على حماية الأرواح التي وصلت له؟!

يقول العلامة ترتليانوس: «حاشا لنا أن نظن أن نفس أي قديس ـ بالأكثر نفس نبي ـ تستدعى من مكان راحتها في الفردوس بواسطة شيطان.[١٠]

(٣) واضح أن العرافة لم تحضر روح صموئيل، بل كذبت على شاول وخدعته وهذا يتضح من الآتي:

أ ـ كان شاول معروفًا للجميع بصفته الملك، إلى جانب أنه كان أطول شخص في الشعب كما نقرأ: «فَكَانَ أَطْوَلَ مِنْ كُلِّ الشَّعْبِ مِنْ كَتِفِهِ فَمَا فَوْقُ» (١صم ١٠: ٢٣-٢٤).

لذلك تظاهرها بعدم معرفتها له كان مجرد تمثيلية.

ب ـ عندما ندرس القصة بتدقيق نجد أن شاول لم ير شيئًا، لاحظ الحوار الذي دار بين شاول والعرافة:

«فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ: «مَاذَا رَأَيْتِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِشَاوُلَ: «رَأَيْتُ آلِهَةً يَصْعَدُونَ مِنَ الأَرْضِ». فَقَالَ لَهَا: «مَا هِيَ صُورَتُهُ؟» فَقَالَتْ: «رَجُلٌ شَيْخٌ صَاعِدٌ وَهُوَ مُغَطًّى بِجُبَّةٍ». فَعَلِمَ شَاوُلُ أَنَّهُ صَمُوئِيلُ، فَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ وَسَجَدَ» (١صم ٢٨: ١٣-١٤).

ج ـ تقول لشاول: «رَأَيْتُ آلِهَةً يَصْعَدُونَ مِنَ الأَرْضِ». ويقول (Adam Clarke)[١١] إن الكلمة العبرية المترجمة (آلهة) هي بالمفرد (אלהים) «إلوهيم» أي الله، ولذلك قال لها شاول: «مَا هِيَ صُورَتُهُ؟» (ع ١٤) وربما استخدمت العرافة هذه الكلمة على سبيل الإجلال والتعظيم لصموئيل، ولكي تعطي جوًا من الرهبة على الموقف. وفي هذا الكلام مغالطة كبيرة، فلم يكن صموئيل في باطن الأرض بل في السماء.

د ـ قالت العرافة عن صموئيل: «رَجُلٌ شَيْخٌ صَاعِدٌ وَهُوَ مُغَطًّى بِجُبَّةٍ». ومن يدرس كلمة الله يعرف أنه ليس في الأرواح شيوخًا يلبسون جببًا.[١٢] فمن يموت شيخًا لن يصعد السماء شيخًا، ومن يموت معوق لن يقضي أبديته كذلك.

هـ ـ لم تذكر العرافة شيئًا جديدًا لشاول، فما ذكرته عن تمزق المملكة وأن داود سيرثها، كان صموئيل قد سبق وأعلنه، وكان كل الشعب

يعرفه عنه (١صم ١٣: ١٣-١٤، ١٥: ٢٨، ٣٥).

و ـ عندما قالت لشاول على لسان صموئيل: «وَغَدًا أَنْتَ وَبَنُوكَ تَكُونُونَ مَعِي» فهي عبارة عامة وليست نبوة، مثلما يقول لك العراف اليوم: «أمامك طريق مسدود، أو هناك بعض المشاكل تنغص حياتك، أو يوجد خير قادم لحياتك قريبًا»، فالأمر الطبيعي أن الكل سيرحل من هذا العالم، وكلمة «غدًا» تعبر عن المستقبل بصفة عامة وليس زمن محدد، إلى جانب أن بعض العلماء يقولون: لقد أخطأت في تحديد ميعاد موته».

ز ـ قال صموئيل لشاول: «غَدًا أَنْتَ وَبَنُوكَ تَكُونُونَ مَعِي» (ع ١٩). وهذا غير صحيح، فمصير شاول معروف للجميع فكيف يقول له صموئيل: «تَكُونُونَ مَعِي».

لذلك يقول القديس هيبوليتس: «إن شاول لم ير صموئيل، إنما كان ذلك خداعًا»[١٣].

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا فعلت العرافة كل هذه التمثيلية؟

لقد فعلت كل هذا انتقامًا منه لما فعله مع أَصْحَابَ الْجَانِّ وَالتَّوَابِعِ. فكما نقرأ في (ع ٣) «وَكَانَ شَاوُلُ قَدْ نَفَى أَصْحَابَ الْجَانِّ وَالتَّوَابِعِ مِنَ الأَرْضِ». لذلك عندما رأته وجدتها أفضل فرصة للانتقام وقررت في داخلها ألا تتركه إلا بعد أن ينهار تمامًا، وقد حدث، فنقرأ: «فَأَسْرَعَ شَاوُلُ وَسَقَطَ عَلَى طُولِهِ إِلَى الأَرْضِ وَخَافَ جِدًّا مِنْ كَلاَمِ صَمُوئِيلَ، وَأَيْضًا لَمْ تَكُنْ فِيهِ قُوَّةٌ، لأَنَّهُ لَمْ يَأْكُلْ طَعَامًا النَّهَارَ كُلَّهُ وَاللَّيْلَ. ثُمَّ جَاءَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى شَاوُلَ وَرَأَتْ أَنَّهُ مُرْتَاعٌ جِدًّا» (١صم ٢٨: ٢٠-٢١).

بعد أن تأكدنا من أنه لم يكن هناك أي ظهور لأي شخص، فالسؤال الآن: ماذا عن الصوت الذي كان يكلم شاول؟

هناك رأيان في هذه القصة وهما:

أولًا: الذي كان يتكلم شيطان وادّعى أنه صموئيل: وأصحاب هذا الرأي يدللون على ذلك بالآتي:-

إن الشيطان يستطيع أن «يغير شكله إلى ملاك نور» (٢كو ١١: ١٤؛ ١تس ٢:٤) حيث نفهم من كلمة الله أنه سيظهر نفسه على أنه الله نفسه (مت ٢٤:٢٤).

الكلمات التي قالها لشاول ليست فيها أي دعوة للتوبة والتصالح مع الله، بل لوضع شاول في حالة يأس خطيرة بلا أي رجاء.

ثانيًا: كما أن شاول لم ير أي شخص كذلك لم يسمع أي صوت، وكانت العرافة هي التي تنقل الحديث لشاول.

وما فعلته هو نوع من الخداع تعودت عليه بالخبرة، فبعد أن تتحدث مع الشخص وتعرف نفسيته تستطيع أن تقول له بعض الجمل المناسبة. فالنبوات التي نطقت بها لا تحتاج لذكاء فهي تعرف قوة جيش الفلسطينيين وضعف جيش شاول وأنها معركة خاسرة وأن الفلسطينيين لن يهدأوا إلاّ لو تخلصوا من شاول.

عزيزي القارئ:

لقد كانت نهاية شاول نهاية مأساوية، فقد قُتِل في الحرب أمام الفلسطينيين، فنقرأ: «فَمَاتَ شَاوُلُ وَبَنُوهُ الثَّلاَثَةُ وَحَامِلُ سِلاَحِهِ وَجَمِيعُ رِجَالِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَعًا» (١صم ٣١:٦). والأصعب

هو أنه لما جاء الفلسطينيون إلى أرض المعركة لسلب الثياب الثمينة والأسلحة وكل ذي قيمة كان مع القتلى، وجدوا شاول وبنيه ساقطين في جبل جلبوع. فقطعوا رأس شاول ونزعوا سلاحه وبعثوا رسلًا إلى كل بلادهم يبشرون بموته، وسمَّروا جسده وأجساد بنيه على سور بيت شان، وهي مدينة بيسان الحالية وتبعد حوالي خمسة أميال غربي نهر الأردن. وهذه هي نهاية الشر والبعد عن الرب وطلب الجان والسحر والشعوذة. لذلك يسجل الوحي هذه الكلمات الغالية: «فَمَاتَ شَاوُلُ بِخِيَانَتِهِ الَّتِي بِهَا خَانَ الرَّبَّ مِنْ أَجْلِ كَلاَمِ الرَّبِّ الَّذِي لَمْ يَحْفَظْهُ. وَأَيْضًا لأَجْلِ طَلَبِهِ إِلَى الْجَانِّ لِلسُّؤَالِ، وَلَمْ يَسْأَلْ مِنَ الرَّبِّ. فَأَمَاتَهُ وَحَوَّلَ الْمُلْكَةَ إِلَى دَاوُدَ بْنِ يَسَّى» (١أخ ١٠:١٣).

المراجع

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص٤١٢.

(٢) أصل الكلمة الذين يتكلمون من بطونهم ويتظاهرون بجان حال فيهم وهو الذي يخبرهم بالأمور الخفية والمستقبل.

(٣) أي توابع الجان يتبعونه حيثما يذهب كعبيد لسيدهم وهو يكشف لهم أمورًا لا يدركها أو ينظرها البشر ويقدم لهم إمكانيات فوق طاقات البشر قبل إستدعاء أرواح الموتى.

(٤) الأب تادرس يعقوب ملطي. صموئيل الأول، ص١٩٥.

(٥) الأب تادرس يعقوب ملطي. صموئيل الأول، ص١١٦.

(٦) د. القس منيس عبد النور، داود صاحب المزامير، ص٢٥.

(٧) العهد القديم العبري. ترجمة بين السطور. الأبوان بولس الفغالي وأنطوان عوكر. الجامعة الأنطونية ٢٠٠٧.

(8) karl Feyerabend. Pocket Hebrew Dictionary. Hebrew - English. to the Old Testament, p. 322.

(٩) القس صموئيل يوسف. المدخل للعهد القديم، ص٢٣٤.

(١٠) القمص تادرس يعقوب ملطي. صموئيل الأول، ص١٩٦.

(١١) Adam Clarke. Adam Clarke's Commentary on the Bible, p ٤٦١.

(١٢) د. القس منيس عبد النور، شبهات وهمية، ١٤٨.

(١٣) القمص تادرس يعقوب ملطي. صموئيل الأول، ص١٩٤.

(٣١)

هل هو إله عصبي سريع الغضب؟

يسأل عدد كبير من الناس: كلما أقرأ ١صموئيل ٦: ١-١١ أتساءل: لماذا حَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى عُزَّةَ وأماته بالرغم من أنه عمل حسنًا إذ مد يده ليسند تابوت العهد لئلا يسقط على الأرض. لما رأى أن الثيران التي جَرّ العَجَلة التي تحمل التابوت قد تعثَّرت؟ إن عزَّة خاف على التابوت لئلا يسقط. فهل يجازي الله نيَّة صالحة بالقتل؟ وهل الذنب الذي ارتكبه يستحق الموت؟ وإن كان قد أخطأ فأين رأفة ورحمة الله؟

للإجابة على هذه الأسئلة لابد أن نعرف: ما هو تابوت العهد؟ وإلى أي شيء كان يشير؟ وكيفية التعامل معه؟ وطريقة نقله؟

أولًا: ما هو تابوت العهد؟

تابوت العهد: كان عبارة عن صندوق صنع من خشب السنط على شكل مستطيل، طوله ذراعان ونصف أي ١٣٠ سم (الذراع حوالي ٥٢سم)، وعرضه ذراع ونصف أي ٧٨ سم. وارتفاعه ذراع ونصف أيضًا. مغشى بذهب نقي من داخل ومن خارج. وله أربع حلقات من ذهب على قوائمه الأربعة، على جانبه الواحد حلقتان، وعلى جانبه الثاني حلقتان. وصنعت عصوان من خشب السنط وغشيتا بذهب. وأدخلت العصوان في الحلقات على جانبي التابوت ليحمل التابوت بهما. وتبقى العصوان في حلقات التابوت لا تنزعان منها. (خر ٢٥: ١٠- ٢٢).

وكان غطاء التابوت أو «كرسي الرحمة» (Mercy seat) أو مكان «الكفارة للرضى» هو غطاء من ذهب نقي، أبعاده مثل أبعاد التابوت ذاته، طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف، وعليه كروبان (ملاكان) من ذهب صنعة خراط على طرفي الغطاء، كروب واحد على الطرف من هنا، وكروب آخر على الطرف من هناك. وكان الكروبان باسطين أجنحتهما إلى فوق، مظللين بأجنحتهما على الغطاء ووجهاهما كل واحد إلي الآخر، نحو الغطاء يكون وجها الكروبين (خر ٢٥: ١٧- ٢٠؛ عب ٩: ٥).

وقد صُنِع التابوت بحسب أمر الرب لموسى، ومثله مثل خيمة الاجتماع التي كان التابوت جزءًا منها، صُنِع حسب المثال المفعم بالمعاني الذي أعلنه الرب لموسى على الجبل: «بِحَسَبِ جَمِيعِ مَا أَنَا أُرِيكَ مِنْ مِثَالِ الْمَسْكَنِ، وَمِثَالِ جَمِيعِ آنِيَتِهِ هكَذَا تَصْنَعُونَ» (خر ٢٥: ٩)، «وَانْظُرْ فَاصْنَعْهَا عَلَى مِثَالِهَا الَّذِي أُظْهِرَ لَكَ فِي الْجَبَلِ» (خر ٢٥: ٤٠). وقد كان التابوت جسيدًا للفداء الموعود والمرسوم في السموات (عب ٨: ٥، ٢٣). وقد كان تابوت العهد موضوعًا داخل الحجاب في قدس الأقداس. وكان من أهم المقدسات الموجودة في الهيكل قبل السبي البابلي.

ما يحتويه التابوت:

كان الغرض المعلن منذ البداية أن يوضع بداخل التابوت شهادة خلاص الله. فقد قال الرب لموسى: «وَتَضَعُ فِي التَّابُوتِ الشَّهَادَةَ الَّتِي أُعْطِيكَ» (خر ٢٥: ١٦؛ تث ١٠: ٥). لذلك كان التابوت يحوي في داخله الآتي:

(١) لوحا الشهادة: لقد طلب الله من موسى قائلًا: «وَتَضَعُ فِي التَّابُوتِ الشَّهَادَةَ الَّتِي أُعْطِيكَ» (خر ٢٥: ١٦، ٢١) وقد كانا مكتوبان بإصبع الله. فنقرأ: «ثُمَّ أَعْطَى مُوسَى عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَهُ فِي جَبَلِ سِينَاءَ لَوْحَيِ الشَّهَادَةِ: لَوْحَيْ حَجَرٍ مَكْتُوبَيْنِ بِإِصْبَعِ اللهِ» (خر ٣١: ١٨). وقد كان مكتوب عليهما الكلمات العشر التي تشكل الأساس المكتوب لعهد الله الفدائي مع إسرائيل (خر ٣٤: ٢٨، ٢٩). «عهد الرب» (١مل ٨: ٢١). وقد كان اللوحان موضوعين في التابوت كدليل على عهد الفداء. لاحظ تبادل كلمتي «الشهادة والعهد» في «لوحي الشهادة» (خر ٣١: ١٨) «ولوحي العهد» (تث ٩: ١١).

(٢) المن: وَقَالَ مُوسَى: «هذَا هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي أَمَرَ بِهِ الرَّبُّ. مِلْءُ الْعُمِرِ مِنْهُ يَكُونُ لِلْحِفْظِ فِي أَجْيَالِكُمْ. لِكَيْ يَرَوْا الْخُبْزَ الَّذِي أَطْعَمْتُكُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ حِينَ أَخْرَجْتُكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ». وَقَالَ مُوسَى لِهَارُونَ: «خُذْ قِسْطًا وَاحِدًا وَاجْعَلْ فِيهِ مِلْءَ الْعُمِرِ (نحو نصف جالون) مَنًّا. وَضَعْهُ أَمَامَ الرَّبِّ لِلْحِفْظِ فِي أَجْيَالِكُمْ». كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى وَضَعَهُ هَارُونُ أَمَامَ الشَّهَادَةِ لِلْحِفْظِ» (خر ١٦: ٣٣، ٣٤).

(٣) عصا هرون التي أفرخت: فبعد أن تمرد قورح وجماعته، ودافع الله عن مركز موسى وهرون بأن جعل عصا هرون أفرخت فنقرأ: «وَفِي الْغَدِ دَخَلَ مُوسَى إِلَى خَيْمَةِ الشَّهَادَةِ وَإِذَا عَصَا هَارُونَ لِبَيْتِ لاوِي قَدْ أَفْرَخَتْ. أَخْرَجَتْ فُرُوخًا وَأَزْهَرَتْ زَهْرًا وَأَنْضَجَتْ لَوْزًا» (عد ١٧: ٨). قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «رُدَّ عَصَا هَارُونَ إِلَى أَمَامِ الشَّهَادَةِ لأَجْلِ الْحِفْظِ. عَلاَمَةً لِبَنِي التَّمَرُّدِ. فَتَكُفَّ تَذَمُّرَاتُهُمْ عَنِّي لِكَيْ لاَ يَمُوتُوا». فَفَعَلَ مُوسَى كَمَا أَمَرَهُ الرَّبُّ. كَذلِكَ فَعَلَ» (عد ١٧: ١٠-١١). (عب ١٠:١٧).

لقد كان التابوت يعني بالنسبة لبني إسرائيل أربعة أمور عظيمة وهي:

(١) ظهور الله: عندما ظهر الله لموسى على جبل سيناء، وعده أن حضوره سيستمر مع شعبه في أثناء رحلاتهم. وأن سحابة المجد (خر ١٣: ٢١؛ ١٤: ١٩، ٢٠) ستظهر باستمرار بين أجنحة الكروبين فوق غطاء التابوت. فنقرأ «ثُمَّ غَطَّتِ السَّحَابَةُ خَيْمَةَ الاجْتِمَاعِ وَمَلأَ بَهَاءُ الرَّبِّ الْمَسْكَنَ» (خر ٤٠: ٣٤). وقال له: «وَأَنَا أَجْتَمِعُ بِكَ هُنَاكَ وَأَتَكَلَّمُ مَعَكَ. مِنْ عَلَى الْغِطَاءِ مِنْ بَيْنِ الْكَرُوبَيْنِ اللَّذَيْنِ عَلَى تَابُوتِ الشَّهَادَةِ. بِكُلِّ مَا أُوصِيكَ بِهِ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ» (٢٥: ١٠-٢٢).

(٢) الإعلان: لقد وعد الله موسى منذ البدء أن يكلمه من بين الكروبين اللذين على تابوت الشهادة (خر ٢٥: ٢٢). فنقرأ: «فَلَمَّا دَخَلَ مُوسَى إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ لِيَتَكَلَّمَ مَعَهُ، كَانَ يَسْمَعُ الصَّوْتَ يُكَلِّمُهُ مِنْ عَلَى الْغِطَاءِ الَّذِي عَلَى تَابُوتِ الشَّهَادَةِ مِنْ بَيْنِ الْكَرُوبَيْنِ» (عد ٧: ٨٩).

(٣) الإرشاد والعناية الإلهية: كان الله يعمل من خلال التابوت لإرشاد شعبه وحمايتهم، فأصبح ارتفاع السحابة عن مسكن الشهادة، ايذانًا بارتحالهم في برية سيناء (عد ١٠: ١١). وكان تابوت عهد الرب يسير أمامهم «ليلتمس لهم منزلًا» (عد ١٠: ٣٥). كما حدث أمام أريحا (يش ٦: ١٢). فهو «رب الجنود» (١صم ٦: ٢؛ ١صم ١٧: ٤٥).

(٤) الكفارة: في «يوم الكفارة» الذي كان مرة كل عام (لا ١٦: ٢- ١٩). كان هرون ينضح على الغطاء سبع مرات من الدم بإصبعه. أولًا من دم ثور ذبيحة الخطية عن نفسه. ثم من دم تيس الخطية عن الشعب «فَيُكَفِّرُ عَنِ الْقُدْسِ مِنْ نَجَاسَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمِنْ سَيِّئَاتِهِمْ مَعَ كُلِّ خَطَايَاهُمْ» (لا ١٦: ١٦) «لأَنَّهُ فِي هذَا الْيَوْمِ يُكَفِّرُ عَنْكُمْ (بني إسرائيل) لِتَطْهِيرِكُمْ. مِنْ جَمِيعِ خَطَايَاكُمْ أَمَامَ الرَّبِّ تَطْهُرُونَ» (لا ١٦: ٣٠).

لقد كان التابوت من أهم مقدسات بني إسرائيل. لقد دعي ٣٤ مرة «تابوت الله» لارتباطه الوثيق بالله. فقد كان رمزًا لوجود الله بين شعبه. وقد دعي ٣١ مرة باسم «تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ» (تث ١٠: ٨؛ يش ٣: ٦، ١١؛ عد ١٠: ٣٣؛ قض ٢٠: ٢٧ إلخ.) وهي تسمية ذات مغزى هام لأنها تشير إلى عهد لله معهم. وهكذا أصبح التابوت أكثر من مجرد رمز أو ضمان وجود الله. لدرجة أن المثول أمام التابوت كان مرادفًا للمثول أمام الرب «وَعِنْدَ ارْتِحَالِ التَّابُوتِ كَانَ مُوسَى يَقُولُ: «قُمْ يَا رَبُّ. فَلْتَتَبَدَّدْ أَعْدَاؤُكَ وَيَهْرُبْ مُبْغِضُوكَ مِنْ أَمَامِكَ» (عد ١٠: ٣٥؛ يش ٦: ٨). ويقول المرنم: «قُمْ يَا رَبُّ إِلَى رَاحَتِكَ. أَنْتَ وَتَابُوتُ عِزِّكَ» (مز ١٣٢: ٨).

كيفية نقله:

لقد عين موسى بناء على أمر الرب بَنِي قهَاتَ مِنْ بَيْنِ بَنِي لاَوِي «لِخِدْمَةِ التَّابُوتِ وَالْمَائِدَةِ وَالْمَنَارَةِ وَالْمَذْبَحَةِ الْقُدْسِ، وَالْحِجَابُ وَكُلُّ خِدْمَتِهِ (عد ٣: ٣١، ٣٢). وقبل الارتحال كان يجب أن يَأْتِي هَارُونُ وَبَنُوهُ «وَيُنَزِّلُونَ حِجَابَ السَّجْفِ وَيُغَطُّونَ بِهِ تَابُوتَ الشَّهَادَةِ. وَيَجْعَلُونَ عَلَيْهِ غِطَاءً مِنْ جِلْدِ تُخَسٍ، وَيَبْسُطُونَ مِنْ فَوْقُ ثَوْبًا كُلُّهُ أَسْمَانْجُونِيٌّ، وَيَضَعُونَ عِصِيَّهُ (عد ٤: ٥، ٦). ثم يأتي بَنِي قهَاتَ ويحملون التابوت. فقد كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلًا: «وَمَتَى فَرَغَ هَارُونُ وَبَنُوهُ مِنْ تَغْطِيَةِ الْقُدْسِ وَجَمِيعِ أَمْتِعَةِ الْقُدْسِ عِنْدَ ارْتِحَالِ الْمَحَلَّةِ. يَأْتِي بَعْدَ ذلِكَ بَنُو قهَاتَ لِلْحَمْلِ وَلكِنْ لاَ يَمَسُّوا الْقُدْسَ لِئَلاَّ يَمُوتُوا. ذلِكَ حِمْلُ بَنِي قهَاتَ فِي خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ (عد ٤: ١٥).

ماذا فعل التابوت في الفلسطينيين:

عندما حَارَبَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ بني إِسْرَائِيل في المعركة الأولى عند حجر المعونة حوالي عام ١٠٨٠ ق.م. وانتصروا عليهم وقتلوا منهم ثلاثين ألف رجل. وأخذوا تابوت الله. ومات ابنا عالي، حُفنى وفينحاس (١صم ٤: ١٠، ١١). أدرك الفلسطينيون – من خلال التجربة الأليمة - أن يد الله الثقيلة قد ارتبطت «بالتابوت» إذ قد عاقبهم الله على استهانتهم به وثقلت يد الرب عليهم وعلى آلهتهم بأحكام عظيمة (١صم ٥: ١١).

فعندما أَخَذَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ تَابُوتَ اللهِ وَأَتَوْا بِهِ مِنْ حَجَرِ الْمَعُونَةِ إِلَى أَشْدُودَ. وَأَدْخَلُوهُ إِلَى بَيْتِ دَاجُونَ. وَأَقَامُوهُ بِقُرْبِ دَاجُونَ. فَإِذَا بِدَاجُونَ فِي الْغَدِ سَاقِطٌ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ أَمَامَ تَابُوتِ الرَّبِّ. وعندما أَقَامُوهُ فِي مَكَانِهِ. فَإِذَا بِدَاجُونَ في صباح

اليوم التالي سَاقِطٌ عَلَى وَجْهِهِ عَلَى الأَرْضِ أَمَامَ تَابُوتِ الرَّبِّ. وَرَأْسُ دَاجُونَ وَيَدَاهُ مَقْطُوعَةٌ عَلَى الْعَتَبَةِ. وَثُلُثُ يَدُ الرَّبِّ عَلَى الأَشْدُودِيِّينَ. وَضَرَبَهُمْ الرب بِالْبَوَاسِيرِ (اصم ٥: ١-٥). فنقلوا تَابُوتُ الرب إِلَى جَتَّ. فكانت يَدَ الرَّبِّ عَلَى الْمَدِينَةِ بِاضْطِرَابٍ عَظِيمٍ جِدًّا. وَضَرَبَ أَهْلَهَا أيضًا بِالْبَوَاسِيرِ. (اصم ٥: ٦-٩).

فَأَرْسَلُوا تَابُوتَ اللهِ إِلَى عَقْرُونَ. وَكَانَ لَمَّا دَخَلَ تَابُوتُ اللهِ إِلَى عَقْرُونَ فَكَانَتْ يَدُ اللهِ ثَقِيلَةً جِدًّا هُنَاكَ. وَالنَّاسُ الَّذِينَ لَمْ يَمُوتُوا ضُرِبُوا بِالْبَوَاسِيرِ(اصم ٥: ١٠-١٢).

وبعد سبعة أشهر أعادوا التابوت إلي إسرائيل ومعه عطايا رمزية من الذهب. «قربان إثم» (اصم ٦: ١١). وَعندما نظر أَهْلَ بَيْتَشَمْسَ إِلَى تَابُوتِ الرَّبِّ باستهانة ضَرَبَ الرب الشَّعْبَ ضَرْبَةً عَظِيمَةً فمات مِنَ الشَّعْبِ خَمْسِينَ أَلْفَ رَجُل وَسَبْعِينَ رَجُلًا (اصم ٦: ١٩).

لماذا حمي غضب الرب على عزة وأماته؟

(١) عدم الطاعة لوصية الرب:

وأنا أود أن أبدأ بسؤال: تُرى لو أعلن الرب وصية واضحة وأكّد أن من يخالفها يُقتل. فهل لو نفذ الرب العقاب فيمن يخالف الوصية يكون قد أخطأ؟

لقد خالف عزة وصية الرب بوضوح:

لقد أمر الرب بوضوح شديد قائلًا: «وَتَصْنَعُ عَصَوَيْنِ مِنْ خَشَبِ السَّنْطِ وَتُغَشِّيهِمَا بِذَهَبٍ. وَتُدْخِلُ الْعَصَوَيْنِ فِي الْحَلَقَاتِ عَلَى جَانِبَيِ التَّابُوتِ لِيُحْمَلَ التَّابُوتُ بِهِمَا. تَبْقَى الْعَصَوَانِ فِي حَلَقَاتِ التَّابُوتِ. لاَ تُنْزَعَانِ مِنْهَا» (خر ٢٥: ١٣-١٥).

ثم أكد الرب بشدة قائلًا: «عِنْدَ ارْتِحَالِ الْمَحَلَّةِ يَأْتِي بَنُو قهَاتَ لِلْحِمْلِ وَلكِنْ لا يَمَسُّوا الْقُدْسَ لِئَلا يَمُوتُوا. ذَلِكَ حِمْلُ بَنِي قهَاتَ فِي خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ... وَأَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ: لا تَقْرِضَا سِبْطَ عَشَائِرِ الْقَهَاتِيِّينَ مِنْ بَيْنِ اللاوِيِّينَ. بَلِ افْعَلا لهُمْ هَذَا فَيَعِيشُوا وَلا يَمُوتُوا عِنْدَ اقْتِرَابِهِمْ إِلى قُدْسِ الأَقْدَاسِ. يَدْخُلُ هَارُونُ وَبَنُوهُ وَيُقِيمُونَهُمْ كُل إِنْسَانٍ عَلى خِدْمَتِهِ وَحِمْلِهِ ٢٠وَلا يَدْخُلُوا لِيَرَوُا الْقُدْسَ لحْظَةً لِئَلا يَمُوتُوا» (عد ٤: ١٤-١٩).

لقد كان القانون الإلهي واضح جدًا هنا بأن من يلمس التابوت. أو ينظر في داخله يموت. وكان الكلام موجه بصفة خاصة إلى اللاويين الذين يجب أن يحملوا التابوت ولكن من العصوين فقط. فكان كل اللاويين يعرفون هذه الوصية جيدًا. ولكن للأسف كسر عزة القانون فنقرأ: «مَدَّ عُزَّةُ يَدَهُ إِلَى تَابُوتِ اللهِ وَأَمْسَكَهُ» (٢صم ٦:٦). فاستحق العقاب. ومن يعرف أكثر ينال عقوبة أكبر [الموت لعزة والبواسير للوثنيين]. فهل بعد ذلك نلوم الله؟!

(٢) عدم وعي بما هو التابوت:

كون عزة يمد يده بغباء ليسند تابوت الرب. فهذا يعني أنه لا يعرف معنى وقيمة تابوت الرب. فهل نسي أنه رمز حضور الله وسط شعبه؟ هل نسي ما فعله التابوت في داجون إله الفلسطينيين؟ هل نسي ما فعله في أهل أشدود. أو جت أو عقرون؟! وهل نسي ما حدث مع أَهْلَ بَيْتَشَمْسَ عندما نظروا إِلَى التَّابُوتِ باستهانة؟! هل نسي سحابة المجد التي كانت تغطي التابوت؟! هل نسي أين وكيف كان الرب يظهر ويترائ لموسى؟! هل نسي كيف أن الرب أجبر البقرتين المرضعتين المربوطتين إلى العَجَلة التي وَضَع عليها الفلسطينيون التابوت.

فاستقامتا في الطريق على التخم الشمالي الغربي ليهوذا دون أن تلتفتا إلى الوراء إلى ولديهما المحبوسين في البيت خلفهما (اصم ٦: ١٢)؟! فكيف يسقط التابوت؟ وهل يسقط تابوت سيد كل الأرض؟ من أنت يا عزة حتى تسند تابوت رب الجنود؟؟ من أنت حتى تدافع عن الرب؟! عش أنت وصايا الرب ودع الرب يدافع عن نفسه.

صديقي: ما أكثر الذين يظنون أنهم حماة الإيمان والعقيدة. ولابد أن يدافعوا عن الله وعن كتابه. ليس المطلوب منك أن تدافع عن الإنجيل بل كن أنت إنجيلًا مفتوحًا.

(٣) ما حدث لعُزّة هو حصاد سلسلة أخطاء:

مستحيل أن يحدث شيء في حياتنا فجأة وبدون مقدمات. فما أنت عليه الآن في كل مجالات حياتك سواء في البيت أو العمل أو العلاقات أو الخدمة أو مستواك الروحي ليس صدفة. لكنه نتيجة طبيعية لقرارات وأفعال ومواقف سابقة. فمن النادر أن تجد شخصًا حقق نجاحًا كبيرًا فجأة أو فاشلًا ذريعًا فجأة. فالنجاح الكبير هو ثمر تراكم نجاحات صغيرة. والفشل الذريع هو محصلة تراكم سلسلة من الفشل الصغير. وكذلك لا نجد شخصًا أصبح قديسًا فجأة أو شريرًا فجأة. فبلا أدنى شك أي فعل آثم شرير لا يحدث فجأة ولا بالصدفة لكنه نتاج فكرة شريرة ثم تطورت ودخلت إلى حيز التنفيذ تدريجيًا إلى أن أصبحت جريمة كبيرة. وهذا ما حدث مع عُزّة. فقد كان التابوت في بيت أبيه وجده حوالى ٧٠ سنة. ويبدو أن تعوده على رؤية التابوت أفقده المهابة والاحترام له. ويذكر التقليد اليهودي أنه تعدى ولمس التابوت أكثر من مرة في الخفاء عندما كان التابوت في بيت أبيه. وربما اعتاد أن يمد يده إلى التابوت بغير وقار. ويبدو أنه اعتبر نفسه رئيس كهنة بدون وجه حق لوجود التابوت في بيت أبيه[1].

وكان الله طويل الروح وكثير الرحمة معه طوال السنين. ولكنه هنا تجاسر وفعل هذا أمام الجميع. وربما صنع هذا بنوع من التفاخر والتباهي. أي ليظهر للناس أنه عاش مع التابوت كل هذه المدة. فكان لابد من العقاب الرادع.

(٤) الاستهانة بتَابُوتِ الرَّبِّ:

تُرى هل حَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى عُزَّةَ وَضَرَبَهُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ مَدَّ يَدَهُ إِلَى التَّابُوتِ؟ أم أن الرب قد غضب عَلَى عُزَّةَ وَضَرَبَهُ لأَجْلِ غَفَلِهِ؟

في الحقيقة الذي فكر في إصعاد تابوت العهد إلى أورشليم هو داود. وأراد بذلك أن يؤكد أن الرب هو الملك الحقيقي الذي يعطي النصرة. فالتابوت علامة منظورة لقوة الله غير المنظورة. وكان أيضًا يريد أن يصلح خطأ كبيرًا فعله شاول وهو عدم الاهتمام بتابوت عهد الرب فنقرأ: «وَشَاوَرَ دَاوُدُ قُوَّادَ الأُلُوفِ وَالْمِئَاتِ وَكُلَّ رَئِيسٍ وَقَالَ دَاوُدُ لِكُلِّ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ: «إِنْ حَسُنَ عِنْدَكُمْ وَكَانَ ذَلِكَ مِنَ الرَّبِّ إِلهِنَا. فَلْنُرْسِلْ إِلَى كُلِّ جِهَةٍ إِلَى إِخْوَتِنَا الْبَاقِينَ فِي كُلِّ أَرَاضِي إِسْرَائِيلَ وَمَعَهُمُ الْكَهَنَةُ وَاللاَّوِيُّونَ فِي مُدُنِ مَرَاعِيهِمْ لِيَجْتَمِعُوا إِلَيْنَا. فَنُرْجِعَ تَابُوتَ إِلهِنَا إِلَيْنَا لأَنَّنَا لَمْ نَسْأَلْ بِهِ فِي أَيَّامِ شَاوُلَ». فَقَالَ كُلُّ الْجَمَاعَةِ بِأَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ. لأَنَّ الأَمْرَ حَسُنَ فِي أَعْيُنِ جَمِيعِ الشَّعْبِ. وَجَمَعَ دَاوُدُ كُلَّ إِسْرَائِيلَ مِنْ شِيحُورِ مِصْرَ إِلَى مَدْخَلِ حَمَاةَ لِيَأْتُوا بِتَابُوتِ اللهِ مِنْ قَرْيَةِ يَعَارِيمَ» (١أخ ١٣: ١-٥).

وقد أراد داود أن يجعل من حدث إصعاد تابوت عهد الرب احتفالًا عظيمًا. فاستشار قادة الجيش

والشعب وانتخب ثلاثين ألف لهذا العمل الديني الكبير فنقرأ: «وَجَمَعَ دَاوُدُ أَيْضًا جَمِيعَ الْمُنْتَخَبِينَ فِي إِسْرَائِيلَ، ثَلاَثِينَ أَلْفًا. وَقَامَ دَاوُدُ وَذَهَبَ هُوَ وَجَمِيعُ الشَّعْبِ الَّذِي مَعَهُ مِنْ بَعْلَةِ يَهُوذَا لِيُصْعِدُوا مِنْ هُنَاكَ تَابُوتَ اللَّهِ الَّذِي يُدْعَى عَلَيْهِ بِاسْمِ رَبِّ الْجُنُودِ الْجَالِسِ عَلَى الْكَرُوبِيمِ» (١صم ٦: ١-٢). لقد كان يريد أن يهتم الشعب بالرب وبمقدساته.

وكان الرب قد طلب من موسى بوضوح أنه عند الارتحال من مكان إلى آخر يجب أن يأتي بَنِي قهَاتَ ويحملوا التابوت على الأكتاف (عد ١:٥١؛ ٤: ١٥). لكن ماذا حدث هنا؟

للأسف جاء عُزَّةُ وَأَخِيُو ابْنَا أَبِينَادَابَ ووضعوا تَابُوتَ اللهِ عَلَى عَجَلَةٍ جديدة يجرها بقرتان. وَكَانَ عُزَّةُ وَأَخِيُو، يَسُوقَانِ الْعَجَلَةَ (١صم ٦:١-٦). أليست هذه استهانة بتابوت الرب؟! لماذا لم ينفذ وصايا الرب في طريقة حمل التابوت؟ لقد فعل مثل الفلسطينيين (١صم ٦:٧). ونحن نلتمس العذر للفلسطينيين في ابتداعهم للعربة المربوطة إلى بقرتين، وذلك بسبب جهلهم لوصايا الله، ولكن لا عذر مطلقًا لعزة في أن يتجاهل التعاليم الدقيقة الواردة في الناموس بخصوص نقل وحمل تابوت الله.

ويقول كمشي المفسر اليهودي «بسبب قدسية التابوت لم تتحمل الثيران هذا الأمر، وشعرت بالخطأ لأنه كان لا بد أن يُحمَل على أكتاف اللاويين». ويقول الأب أنطونيوس فكري: «العجيب أن الثيران شعرت به قبل أن يشعر به الإنسان فانشمصت أي ذُعِرَت بينما لم يُذْعَر البقر الذي وضع الفلسطينيون التابوت عليه»[1].

وللأسف مد عزة يده باستهانة لتابوت الرب فنقرأ:

«فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى عُزَّةَ، وَضَرَبَهُ اللهُ هُنَاكَ لأَجْلِ غَفَلِهِ (עלי-השל)، فَمَاتَ هُنَاكَ لَدَى تَابُوتِ اللهِ» (١صم ٦: ٧). والكلمة «غفَلِهِ» في اللغة العبرية هي (של) وهي تعني:

جرمة، أو حماقة، أو انتهاك، أو إثم (Transgression, fault, crime)[2]

وهي تأتي في الترجمات المختلفة كالآتي:

(ت ع م) فاشتَدَّ غضَبُ الرَّبِّ علَيهِ وضرَبَه لجَسارتِهِ، فماتَ هُناكَ عِندَ التَّابو ت.

(ك ح) فَاحْتَدَمَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْهِ، وَأَهْلَكَهُ لأَجْلِ جَسَارَتِهِ وَجَهْلِهِ، فَمَاتَ هُنَاكَ بِجِوَارِ التَّابُوتِ.

(KJV), (YLT), (MKJV), (ASV), (ESV) And the anger of Jehovah was kindled against Uzzah. And God struck him there for the error. And he died there by the ark of God

وضربه الرب لأجل خطأه

(NASB), (TEV), (NASU), (NIV) The Lord's anger burned against Uzzah because of his irreverent act; therefore God struck him down and he died there beside the ark of God

تصرفه الغير محترم أو الغير وقور

(TBCL) God blazed in anger against Uzzah and struck him hard because he had profaned the Chest. Uzzah died on the spot, right alongside the Chest.

انتهك حرمة التابوت

(GWT) The Lord became angry with Uzzah, so God killed him there for his lack of respect. He died beside the ark of God.

لأنه كان يعوزه الاحترام

فهل بعد كل هذا نلوم الله؟

(٥) أراد الله أن يعلم كل الشعب مخافة الرب:

عندما ندرس الخلفية التاريخية بالكامل لهذه القصة سنجد أنه كان لابد من هذا العقاب الشديد. فقد كان هنلك تهاون ولامبالاة تجاه المقدسات، ومن يستهين بتابوت الرب قد استهان بالرب، فما كان يجب أن يُترَك التابوت بعيدًا عن الخيمة كل هذه المدة، فهذا إهمال. ولقد أهمل شاول التابوت تمامًا، كما قال داود فيما بعد: «فَنُرْجِعَ تَابُوتَ إِلهِنَا إِلَيْنَا لأَنَّنَا لَمْ نَسْأَلْ بِهِ فِي أَيَّامِ شَاوُلَ» (١أخ ١٣: ٣). ويبدو أنه قبل نقل التابوت لم يَأْتِ بنو هَارُونُ لوضع غِطَاءٍ مِنْ جِلْدِ تُخَسٍ فوق التابوت، ولم يَبْسُطُوا مِنْ فَوْقُ ثَوْبًا كُلُّهُ أَسْمَاجُونِيٌّ، ولم يقوموا بالمراسيم المطلوبة كما أمر الرب، فالكل أخطأ، داود والكهنة وعزة. والله الذي يعرف القلوب وَجَدَ أن أكثرهم خطأ هو عزة، لذلك عاقبه الرب ليعود كل الشعب لوعيه، كما حدث مع حنانيا وسفيره. ويقول القديس يوحنا فم الذهب: «عوقب حنانيا وانتفع الغير بذلك... وعوقب عزة فوقع خوف على الكل».

ولذلك كانت النتيجة فنقرأ كيف أن داود صحح كل الأخطاء التي وقعوا فيها: «وَعَمِلَ دَاوُدُ لِنَفْسِهِ بُيُوتًا فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ، وَأَعَدَّ مَكَانًا لِتَابُوتِ اللهِ وَنَصَبَ لَهُ خَيْمَةً. حِينَئِذٍ قَالَ دَاوُدُ: «لَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يَحْمِلَ تَابُوتَ اللهِ إِلاَّ لِلاَّوِيِّينَ، لأَنَّ الرَّبَّ إِيَّاهُمُ اخْتَارَهُمْ لِحَمْلِ تَابُوتِ اللهِ وَلِخِدْمَتِهِ إِلَى الأَبَدِ». وَجَمَعَ دَاوُدُ كُلَّ إِسْرَائِيلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ لأَجْلِ إِصْعَادِ تَابُوتِ الرَّبِّ إِلَى مَكَانِهِ الَّذِي أَعَدَّهُ لَهُ. ٤فَجَمَعَ دَاوُدُ بَنِي هَارُونَ وَاللاَّوِيِّينَ.... وَقَالَ لَهُمْ: «أَنْتُمْ رُؤُوسُ آبَاءِ اللاَّوِيِّينَ. فَتَقَدَّسُوا أَنْتُمْ وَإِخْوَتُكُمْ وَأَصْعِدُوا تَابُوتَ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ إِلَى حَيْثُ أَعْدَدْتُ لَهُ. لأَنَّهُ إِذْ لَمْ تَكُونُوا فِي الْمَرَّةِ الأُولَى، اقْتَحَمَنَا الرَّبُّ إِلهُنَا، لأَنَّنَا لَمْ نَسْأَلْهُ حَسَبَ الْمُرْسُومِ». فَتَقَدَّسَ الْكَهَنَةُ وَاللاَّوِيُّونَ لِيُصْعِدُوا تَابُوتَ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ. وَحَمَلَ بَنُو اللاَّوِيِّينَ تَابُوتَ اللهِ كَمَا أَمَرَ مُوسَى حَسَبَ كَلاَمِ الرَّبِّ بِالْعِصِيِّ عَلَى أَكْتَافِهِمْ» (١أخ ١٥:١٥).

عزيزي القارئ: هل نتعلم من عزة كيف نتعامل مع المقدسات؟ كيف نتصرف في بيت الله؟ كيف نمسك بالكتاب المقدس؟ كيف نقترب من مائدة الرب؟ كيف نجلس في كنيسة المسيح؟

المراجع

(1) C.F.Keil and F. Delitzsch. William B.. Commentary on the O.T.. p. 289.

(٢) أنطونيوس فكري - الأب. تفسير صموئيل الثاني. ص٢١١.

(3) William L. Holladay. A concise Hebrew and Aramaic Lexicon of the Old Testament.. p. 356.

(٣٢)

هل هو إله يغوي البشر على فعل الشر؟

«وَعَادَ فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَأَهَاجَ عَلَيْهِمْ دَاوُدَ قَائِلًا: امْضِ وَأَحْصِ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا... وَلَمَّا قَامَ دَاوُدُ صَبَاحًا، كَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى جَادٍ النَّبِيِّ رَائِي دَاوُدَ قَائِلًا: ذْهَبْ وَقُلْ لِدَاوُدَ: هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: ثَلاَثَةٌ أَنَا عَارِضٌ عَلَيْكَ، فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ وَاحِدًا مِنْهَا فَأَفْعَلَهُ بِكَ. فَأَتَى جَادُ إِلَى دَاوُدَ وَأَخبَرَهُ وَقَالَ لَهُ: أَتَأْتِي عَلَيْكَ سَبْعُ سِنِي جُوعٍ فِي أَرْضِكَ، أَمْ تَهْرُبُ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ أَمَامَ أَعْدَائِكَ وَهُمْ يَتْبَعُونَكَ، أَمْ يَكُونُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَبَأٌ فِي أَرْضِكَ؟ فَالآنَ اعْرِفْ وَانْظُرْ مَاذَا أَرُدُّ جَوَابًا عَلَى مُرْسِلِي» (٢صم ٢٤: ١، ١١-١٤).

يقول د. منقذ بن محمود السقار: «ويتحدث سفر صموئيل عن أن داود قد أمره الرب بإحصاء بني إسرائيل، فيقول: «عاد فحمي غضب الرب على إسرائيل، فأهاج عليهم داود قائلًا: امض وأحصِ إسرائيل ويهوذا». ففعل داود « فدفع يوآب جملة عدد الشعب إلى الملك، فكان إسرائيل ثمانمائة ألف رجل ذي بأس مستل السيف (٨٠٠ ألف)، ورجال يهوذا خمسمائة ألف رجل (٥٠٠ ألف).

ثم إن داود ندم على إحصائه بني إسرائيل، وقال للرب: «لقد أخطأت جدًا في ما فعلت، والآن يا رب أزل إثم عبدك». وهذا الندم عجيب، إذ هو قد امتثل لأمر الله، وصنع تمامًا كما أمره.

ثم أمر اللهُ النبيَّ جاد أن يبلغ داودَ عقوبةَ الله له، فالله يخيره بين أمور « أتأتي عليك سبع سني جوع في أرضك؟ أم تهرب ثلاثة أشهر أمام أعدائك وهم يتبعونك؟ أم يكون ثلاثة أيام وباء في أرضك؟ فالآن اعرف، وانظر ماذا أرد جوابًا على مرسلي» (٢صموئيل ٢٤: ١ - ١٣).

ويختلف سفر الأيام عن سفر صموئيل في رواية القصة ذاتها، فيقول: «ووقف الشيطان ضد إسرائيل وأغوى داود ليحصي إسرائيل.... فدفع يوآب جملة عدد الشعب إلى داود، فكان كل إسرائيل ألف ألف ومائة ألف رجل (مليون ومائة ألف) مستلّي السيف، ويهوذا أربع مئة وسبعين ألف رجل مستلّي السيف (٤٧٠ ألف)... وقبح في عيني الله هذا الأمر، فضرب إسرائيل».

فقال داود لله: «لقد أخطأت جدًا حيث عملت هذا الأمر، والآن أزل إثم عبدك، لأني سفهت جدًا». فكلم الرب جاد رائي داود، وقال: اذهب، وكلم داود قائلًا: هكذا قال الرب: ثلاثة أنا عارض عليك، فاختر لنفسك واحدًا منها فأفعله بك... إما ثلاث سنين جوع، أو ثلاثة أشهر هلاك أمام مضايقيك، وسيف أعدائك يدركك، أو ثلاثة أيام يكون فيها سيف الرب

ووبأ في الأرض.. فانظر الآن ماذا أرد جوابًا لمرسلي» (١أخ ٢١: ١ - ١٢).

فقد تناقض النصان في ٣ أمور:

١) من الذي أمر بإحصاء بني إسرائيل الرب أم الشيطان؟ وكما يقول الشيخ أحمد ديدات: « فإن الشيطان والرب ليسا مصطلحين مترادفين في أي الديانات»[١].

٢) أعداد بني إسرائيل. ففي سفر صموئيل كان رجال إسرائيل ٨٠٠٠٠٠. وفي الأيام أضحوا ١,١٠٠٠٠٠. وفي سفر صموئيل كان رجال يهوذا ٥٠٠٠٠٠ رجل. فجعلهم سفر الأيام ٤٧٠٠٠٠ رجل. فأي السفرين أرقامه صحيحة؟ ومن المخطئ. هل هو الروح القدس أم الكتبة الملهمون؟

وتعلق نسخة الرهبانية اليسوعية على أرقام القتلى المهولة بقولها: «من الواضح أن الأرقام مبالغ فيها كما في كثير من الأرقام المماثلة في العهد القديم. وقد زيد عليها أيضًا في سفري الأخبار».

٣) وهل كانت العقوبة التي خيّر داود ثلاث سنين جوع أم سبع سنين[٢].

ويسأل آخر:

من الذي أغوى داود الله أم الشيطان؟

هل الإغواء والوسوسة من صفات الله أم من صفات الشيطان؟

أي من السفرين أرقام تعداده صحيحة والآخر خطأ؟

الإجابة:

هذه القصة فعلًا تطرح العديد من الأسئلة مثل:

لماذا يهيج الله قلب داود ثم بعد ذلك يعاقبه؟

ما ذنب الشعب حتى يموت منه ٧٧ ألف شخص؟

من الذي أغوى داود الله أم الشيطان؟

هل العقوبة كانت ثلاث سنين أم سبع سنين؟

أولًا: حقائق أساسية:

إن من يدرس كلمة الله في عمقها وغناها يجد أنه من بين الحقائق الأساسية الكثيرة التي يعلنها لنا هناك ثلاث حقائق رئيسية تساعدنا في حل هذه الإشكالية وهي:

(١) الإنسان حر الإرادة:

يعلن لنا الكتاب المقدس مرارًا وتكرارًا أن الإنسان حر يستطيع أن يتخذ ما يشاء من قرارات. وله القدرة على الاختيار والتنفيذ ويملك إرادة. لذلك هو مسئول مسئولية أدبية عن أفعاله. مسئول أمام الله وأمام المجتمع وأمام ضميره.

وقصة الخلق تؤكد لنا حرية الإنسان. فقد خلق الله الإنسان على صورته (تك١: ٢٧). وأعطاه حرية وسلطان وإرادة. وما سقوط آدم في الخطية إلا دليل أكيد على حريته. فكان يمكن لله أن يقيد حريته. أو يجعله عاجزًا عن الوصول إلى الشجرة. كأن يحيطها بسور من نار. أو يجعله يصاب بشلل إذا اقترب منها مسافة متر مثلًا. ولكن الله لم يفعل هذا. لأن هذا يتنافي مع كرامة الإنسان.

وما ندم آدم عندما أخطأ. والتماس الأعذار لنفسه. وإلقاء اللوم على الآخرين. ومحاولة الاختباء من وجه الله إلا دلالة أكيدة على حريته. فلو لم يكن حرًا لما فعل ذلك. ولو كان مسيرًا ومجبرًا على تصرفاته لما كان في حاجة إلى تبرير أفعاله.

ووجود الوصايا يؤكد حرية الإنسان أيضًا. فإعطاء الوصية للإنسان دليل على أنه حر. وأنه يمتلك إمكانية مخالفتها. ولو أن الإنسان مسير فما ضرورة الوصية؟ هل هي تمثيلية يقوم بها الله؟ كلا. لقد خلقنا أحرارًا. وأعطانا الوصايا لكي نطيعه بمطلق حريتنا. وما مخالفة الإنسان للوصية إلا أكبر دليل على أن الله يحترم حرية الإنسان لدرجة أنه لا يمنعه من مخالفة وصيته.

كما أن وجود يوم للدينونة والمجازاة هو أكبر دليل على حرية الإنسان. فكيف يحاسب الله الإنسان إن لم يكن حرًا؟! كيف يقول له: أعط حساب وكالتك وقد كان مرغمًا على تصرفاته؟! كيف يجازي الإنسان عما فعل سواء خيرًا أو شرًا وهو لم يكن سيد قراره. لأنه من أبسط قواعد العدل أن لا يُحاسَب الإنسان على فعل لم يكن صاحب الإرادة فيه[٣].

لقد خلق الله الإنسان حرًا لذلك يقول له: «اُنْظُرْ. قَدْ جَعَلْتُ الْيَوْمَ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْخَيْرَ وَالْمَوْتَ وَالشَّرَّ.... الْبَرَكَةَ وَاللَّعْنَةَ. فَاخْتَرِ الْحَيَاةَ لِتَحْيَا أَنْتَ» (تث ٣٠: ١٥،١٩). وهنا نرى الله يشير على الإنسان أن يختار طريق الحياة. إنه يعرض ولا يفرض. فالأمر متروك لحرية الإنسان. فكما يقول اللاهوتي الكبير بول أفدوكيموف «الله يستطيع كل شيء... إلا إرغامنا على محبته».[٤] فكل إنسان حر في أن يقبل أو يرفض. يؤمن أو يلحد.

ويقول له أيضًا: «هَلُمَّ نَتَحَاجَجْ يَقُولُ الرَّبُّ. إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقِرْمِزِ تَبْيَضُّ كَالثَّلْجِ. إِنْ كَانَتْ حَمْرَاءَ كَالدُّودِيِّ تَصِيرُ كَالصُّوفِ. إِنْ شِئْتُمْ وَسَمِعْتُمْ تَأْكُلُونَ خَيْرَ الأَرْضِ. وَإِنْ أَبَيْتُمْ وَتَمَرَّدْتُمْ تُؤْكَلُونَ بِالسَّيْفِ. لأَنَّ فَمَ الرَّبِّ تَكَلَّمَ» (إش ١: ١٨- ٢٠)

إنه يدعونا هنا أن نسأل ونناقش لكي نقتنع فمن غير الممكن أن نقبل الحقائق الإيمانية هكذا دون بحث وفهم واقتناع. فلا توجد حقيقة روحية حقيقية غير مقنعة لأفهامنا. فكل ما هو غير مقنع للعقل هو غير منطقي لأنه ليس بحقيقي. تخيل الله نفسه يدعونا أن نتحاجج ونناقش ونفهم ونقتنع وذلك لأن الإنسان حر الإرادة.

وقال المسيح: «يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا وَلَمْ تُرِيدُوا» (مت ٢٣: ٣٧). وهناك العديد من الآيات التي تؤكد حرية الإنسان (راجع يش ٢٤: ١٥؛ إش ١: ١٩؛ لا ٢٦؛ تث ١١: ٢٦ - ٢٩؛ مر ٦: ٥،٦).

يقول اللاهوتي الكبير (C.S.Lewis): «لقد خلق الله الإنسان حرًا. والحرية تعطي إمكانية عمل الخير أو الشر على السواء. ثم يتساءل: لماذا أعطى الله الإنسان الإرادة الحرة؟ ويجيب: على الرغم من أن الإرادة الحرة جعلت عمل الشر ممكنًا. إلا أنها السبيل الوحيد لعمل الخير. فإن عالمًا ميكانيكيًا يعمل فيه الناس كالآلات غير جدير بأن يُخلَق أو يُعَاش. فالسعادة الحقيقية التي ينشدها الله هي في أن يرى البشر يحبونه ويطيعونه بمحض إرادتهم».[٥]

لقد قضى الله في حكمته أن يخلق الإنسان حرًا. يفكر ويقرر ويختار كما يشاء. وتبعًا لذلك سيُحاكم ويُجازى.

(٢) الله صاحب السلطان المطلق على الكون:

هل من تعارض بين حرية الإنسان وسلطان الله

على التاريخ؟ بكل يقين لا.

فدولة مثل الولايات المتحدة الأمريكية لها قانون يحكمها، وتضع لنفسها رؤى وأهدافًا لأكثر من ٢٠ سنة. فهل قانونها ونظامها يحد من حرية المواطن الأمريكي؟ بالطبع لا. بل القانون يؤكد حرية المواطن ويحميها. والأهداف التي تريد أن تحققها في فترة زمنية معينة لا تتعارض مع حرية المواطن الأمريكي، وعدم تجاوب مئات بل آلاف المواطنين لا يعطل الدولة عن الوصول إلى أهدافها. هذا مع الفارق الكبير بين دولة ما مهما كان شأنها، وبين الله العظيم القدير الذي قال «فبمن تشبهونني؟»

يقول الوحي: «قَلْبُ الْمَلِكِ فِي يَدِ الرَّبِّ كَجَدَاوِلِ مِيَاهٍ حَيْثُمَا شَاءَ يُمِيلُهُ» (أم ٢١: ٣). وهذا لا يعني أن البشر كالعرائس في يد الله يحركهم كيفما يشاء دون اعتبار لإرادتهم، بل معناها أنه لا يستطيع أحد أن يقف أمام خطة الله ومقاصده للعالم.

فالله في قصده الأزلي قضى بأن يخلق الإنسان حرًا، ولذلك هو لا يفعل الشيء ونقيضه، بمعنى أن يقضي بحرية الإنسان ثم يجبره على تصرف معين. إن الإنسان حر يفعل ما يشاء وبالرغم من ذلك فإن قصد الله لابد أن يتم.

قال نَبُوخَذْ نَصَّرُ: «الَّذِي سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ وَمَلَكُوتُهُ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ... وَهُوَ يَفْعَلُ كَمَا يَشَاءُ فِي جُنْدِ السَّمَاءِ وَسُكَّانِ الأَرْضِ وَلاَ يُوجَدُ مَنْ يَمْنَعُ يَدَهُ أَوْ يَقُولُ لَهُ: مَاذَا تَفْعَلُ؟» (دا ٤: ٣٤، ٣٥).

ونقرأ أيضًا: «فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ» (دا ٧: ١٤).

«... وَسُلْطَانُهُ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ وَمِنَ النَّهْرِ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ» (زك ٩: ١٠).

«مُتَسَلِّطٌ بِقُوَّتِهِ إِلَى الدَّهْرِ. عَيْنَاهُ تُرَاقِبَانِ الأُمَمَ. الْمُتَمَرِّدُونَ لاَ يَرْتَفِعُنَّ أَنْفُسَهُمْ» (مز ٦٦: ٧).

(٣) الشيطان هو المُجَرِّب:

يعلن لنا الكتاب المقدس بكل وضوح أن الشيطان هو مصدر الإغواء والإغراء والشر ولذلك أعطاه الوحي عدة ألقاب وصفات منها:

(أ) الشِّرِّير:

(مت ٦: ١٣) «وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ، لَكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ».

(يو ١٧: ١٥) «لَسْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَأْخُذَهُمْ مِنَ الْعَالَمِ، بَلْ أَنْ تَحْفَظَهُمْ مِنَ الشِّرِّيرِ».

(أف ٦: ١٦) «حَامِلِينَ فَوْقَ الْكُلِّ تُرْسَ الإِيمَانِ، الَّذِي بِهِ تَقْدِرُونَ أَنْ تُطْفِئُوا جَمِيعَ سِهَامِ الشِّرِّيرِ الْمُلْتَهِبَةِ».

(٢تس ٣: ٣) «أَمِينٌ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي سَيُثَبِّتُكُمْ وَيَحْفَظُكُمْ مِنَ الشِّرِّيرِ».

(١يو ٢: ١٤) «كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الأَحْدَاثُ لأَنَّكُمْ أَقْوِيَاءُ، وَكَلِمَةُ اللهِ ثَابِتَةٌ فِيكُمْ، وَقَدْ غَلَبْتُمُ الشِّرِّيرَ».

(ب) المُجَرِّب:

(مت ٤: ٣) «فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمُجَرِّبُ وَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هَذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزًا».

(لو ٤: ١٣) «وَلَمَّا أَكْمَلَ إِبْلِيسُ كُلَّ تَجْرِبَةٍ فَارَقَهُ إِلَى حِينٍ».

(١تس ٣: ٥) «.. لَعَلَّ الْمُجَرِّبَ يَكُونُ قَدْ جَرَّبَكُمْ، فَيَصِيرَ تَعَبُنَا بَاطِلًا».

(رؤ ٢: ١٠) «هُوَذَا إِبْلِيسُ مُزْمِعٌ أَنْ يُلْقِيَ بَعْضًا مِنْكُمْ فِي السِّجْنِ لِكَيْ تُجَرَّبُوا».

(ج) المضل:

(رؤ ١٢: ٩) «فَطُرِحَ التِّنِّينُ الْعَظِيمُ، الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ».

(د) الكذاب:

(يو ٨: ٤٤) «ذَاكَ كَانَ قَتَّالًا لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ. مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ».

وذلك لأنه يستخدم الكذب والضلال في التجربة، وهو عادة يخلط الحق بالباطل ليضلل الإنسان عن معرفة الله الحقيقية.

(هـ) المشتكي:

(رؤ ١٢: ١٠) «لأَنَّهُ قَدْ طُرِحَ الْمُشْتَكِي عَلَى إِخْوَتِنَا الَّذِي كَانَ يَشْتَكِي عَلَيْهِمْ أَمَامَ إِلَهِنَا نَهَارًا وَلَيْلًا».

ويسعى المُجَرِّب بكل وسيلة لكي يُسقِطنا في الخطية ولذلك يستخدم المكايد، والفخاخ، والسهام الملتهبة، والعروض المغرية.

ثانيًا: من الذي أغوى داود؟

في ضوء ما تقدم من حقائق نستطيع أن نقول الآتي:

(١) إن الشيطان هو الذي أغوى داود كما يقول كاتب سفر الأخبار: «وَوَقَفَ الشَّيْطَانُ ضِدَّ إِسْرَائِيلَ وَأَغْوَى دَاوُدَ لِيُحْصِيَ إِسْرَائِيلَ» (١أخ ٢١: ١). فكما ذكرت سابقًا هو المُجَرِّب والمُضِل والكذاب والمشتكي. لقد كان الشيطان يريد أن يسقط داود في الخطية ليدمره هو والشعب أيضًا

(٢) إن الله سمح للشيطان أن يجرِّب داود كما يذكر كاتب سفر صموئيل: «وَعَادَ فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَأَهَاجَ عَلَيْهِمْ دَاوُدَ قَائِلًا : امْضِ وَأَحْصِ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا» (٢صم ٢٤: ١). ونستطيع أن نفهم هذه الفكرة عندما نقارن هذا الفعل مع ما حدث في سفر أيوب. فنحن نرى في سفر أيوب أن الشيطان قد جاء إلى الرب، وقدم شكواه ضد أيوب، وكانت النتيجة أن جرَّب أيوب في حدود معينة. فمن الذي جرَّبه؟ الشيطان، ولكن في حوار أيوب مع زوجته، ومع أصدقائه، وأيضًا في حوار أيوب مع الله، لم يذكر اسم الشيطان مطلقًا، بل لم يظهر الشيطان في المشهد مطلقًا. كل الكلمات كانت عن الله وما فعله الله. أما الشيطان الصانع الحقيقي للتجربة بقي خارج الصورة تمامًا. فقال لزوجته: «أَالْخَيْرَ نَقْبَلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَالشَّرَّ لاَ نَقْبَلُ؟» (أي ٢: ١٥).

لذلك نقول إن الشيطان هو الذي جرَّب داود وليس الله. فالله لا يجرب بالشرور كما قال الرسول يعقوب: «لاَ يَقُلْ أَحَدٌ إِذَا جُرِّبَ إِنِّي أُجَرَّبُ مِنْ قِبَلِ اللهِ، لأَنَّ اللهَ غَيْرُ مُجَرَّبٍ بِالشُّرُورِ وَهُوَ لاَ يُجَرِّبُ أَحَدًا» (يع ١: ١٣). ولكن في نفس الوقت كل شيء تم بسماح من الله، لأنه لايوجد شيء في السماء أو على الأرض يتم بدون سماح من الله. ولهذا نرى دقة التعبير الإلهي فيذكر سفر صموئيل أن التجربة

أتت من الرب لكي لا يفهم أحد أن الشيطان جربه بدون إذن من الرب. وأيضًا وضّح سفر الأخبار أن الشيطان هو الذي جرّبه ليؤكد أن الله لا يجرّب بالشرور بل يسمح للشيطان بالتجربة للتنقية.

فسواء ذكر الوحي (الشيطان) المهيج الحقيقي للأحداث مثلما فعل الوحي في سفر الأخبار، أو ذكر (الله) المهيمن على كل الأمور والذي سمح بهذا الأمر مثلما فعل الوحي في سفر صموئيل، فالعبارتان صحيحتان ومكملتان لبعضهما.

(٣) إن داود هو الذي سقط في التجربة بكامل حرية إرادته. فكما ذكرت سابقًا أن كل إنسان حر الإرادة. يقرر ويختار ويفعل ما يشاء. وقد قال الرسول يعقوب بوضوح: «... كُلَّ وَاحِدٍ يُجَرَّبُ إِذَا انْجَذَبَ وَانْخَدَعَ مِنْ شَهْوَتِهِ. ثُمَّ الشَّهْوَةُ إِذَا حَبِلَتْ تَلِدُ خَطِيَّةً، وَالْخَطِيَّةُ إِذَا كَمَلَتْ تُنْتِجُ مَوْتًا» (يع ١: ١٤،١٥).

ففي الحقيقة كانت الخطية قد بدأت تتسلل إلى قلب داود. ففي اصموئيل ٢١ نجده لا يستشير الرب في أمر الجِبْعُونِيّين ويتعجل التصرف. وهنا يكرر نفس الخطية ولا يستشير الرب فهو لم يتعلم من خطيته السابقة.

وهو هنا يريد أن يفتخر بذكائه وبقوته وبجيشه. وهذا الفكر الشرير يجعله يعتمد على قوته وليس على الله كما كان في الماضي

فداود الصبي الذي بدأ حياته معتمدًا على الله فقط في قتل الأسد والدب. والذي كان قلبه مشتعلًا بالغيرة على اسم الرب. وعلى جيش الرب فذهب لمواجهة جليات باسم رب الجنود فقط وقال له: «أَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ بِسَيْفٍ وَبِرُمْحٍ وَبِتُرْسٍ. وَأَنَا آتِي إِلَيْكَ بِاسْمِ رَبِّ الْجُنُودِ إِلهِ صُفُوفِ إِسْرَائِيلَ» (اصم ١٧:٤٥) وقتله بالمقلاع. الآن يفكر في معرفة عدد جيشه وسلطانه وهذا أحزن قلب الرب. وقد سمح الرب للشيطان أن يغوي داود.

وما يؤكد أنه فعل كل ما فعل بكامل حرية إرادته أننا نجد أنه رفض أن يستمع لنصيحة يوآب بل واحتد عليه. فلقد أدرك يوآب أن التعداد خطأ. وحاول تنبيه داود لذلك وأن الله قادر أن يزيد عدد الشعب ١٠٠ مرة. لكن داود أصّر على خطأه. فلقد كان الله يريد أن يوصل صوته إلى داود ويُرجعه عن طريقه لكنه رفض فنقرأ: «فَقَالَ الْمَلِكُ لِيُوآبَ رَئِيسِ الْجَيْشِ الَّذِي عِنْدَهُ: طُفْ فِي جَمِيعِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ مِنْ دَانَ إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ وَعُدُّوا الشَّعْبَ، فَأَعْلَمَ عَدَدَ الشَّعْبِ. فَقَالَ يُوآبُ لِلْمَلِكِ: لِيَزِدِ الرَّبُّ إِلهُكَ الشَّعْبَ أَمْثَالَهُمْ مِئَةَ ضِعْفٍ، وَعَيْنَا سَيِّدِي الْمَلِكِ نَاظِرَتَانِ. وَلكِنْ لِمَاذَا يُسَرُّ سَيِّدِي الْمَلِكُ بِهذَا الأَمْرِ؟ فَاشْتَدَّ كَلاَمُ الْمَلِكِ عَلَى يُوآبَ وَعَلَى رُؤَسَاءِ الْجَيْشِ. فَخَرَجَ يُوآبُ وَرُؤَسَاءُ الْجَيْشِ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ لِيَعُدُّوا الشَّعْبَ أَيْ إِسْرَائِيلَ» (اصم ٢٤: ٢-٤). ويرد (ع٤) في (ت ع م) كالآتي:

«غير أن الملك فرض رأيه على يوآب وعلى قادة الجيش. فخرجوا من عنده ليعدوا بني إسرائيل».

والأمر الثاني هو أن داود اعترف بخطيته وأقر بحماقته قبل أن يوبخه جاد الرائي فنقرأ: «وَضَرَبَ دَاوُدَ قَلْبُهُ بَعْدَمَا عَدَّ الشَّعْبَ. فَقَالَ دَاوُدُ لِلرَّبِّ: «لَقَدْ أَخْطَأْتُ جِدًّا فِي مَا فَعَلْتُ. وَالآنَ يَا رَبُّ أَزِلْ إِثْمَ عَبْدِكَ لأَنِّي انْجَمَقْتُ جِدًّا» (٢صم ٢٤:١٠). وهي ترد في بعض الترجمات كالآتي:

(ت ك) «فخفق قلب داود من بعد إحصاء

الشعب. وقال داود للرب: قد خطئت خطيئة كبيرة فما صنعت. والآن يا رب أغفر إثم عبدك. لأني بحماقة عظيمة تصرفت».

(ك ح) «وبعد أن تم إحصاء الشعب اعترى الندم قلب داود. فتضرع إلى الرب قائلا: «أخطأت جدا بما ارتكبته. فأرجوك يارب أن تزيل إثم عبدك لأنني تصرفت تصرفا أحمق».

والأمر الثالث هو عقاب الرب له. فليس من العدل ولا المنطق أن يكون الله هو الذي دفعه لهذا الخطأ ثم يعاقبه!

ولقد غضب الله جدا حينما قام داود بعمل هذا الإحصاء وذلك للأسباب الآتية:

(أ) لم يستشر الرب كعادته.

(ب) إحصاء الشعب يعني أنه بدأ يشعر أن سر قوته وانتصاراته يرجع إلى عدد رجاله وإمكانياته. وأنه بدأ يعتمد على قوته العسكرية.

(ج) ربما قصد داود بهذا الإحصاء إثارة حروب جديدة لم يأمره بها الله لتوسيع مملكته.

(د) ربما أراد تسخير الشعب بوضع جزية مالية ثقيلة لحسابه الخاص أو حساب الخزانة وليس لحساب خيمة الاجتماع.

(هـ) نسى داود أن الشعب هو شعب الرب وليس شعبه هو. وأن الرب قادر أن يزيد الشعب كما حدث في مصر إن أراد. وقادر أيضًا أن ينقصه كما حدث هنا. وهو قادر أن يجعل النصرة بأقل عدد كما حدث في أيام جدعون. وعلينا أن ندرك هذا لحياتنا فلا نضع قلوبنا على ما نمتلك فالله قادر أن يزيد ويبارك فيما نملك. وقادر أن يأخذ كل شيء. وقادر أن يبارك في القليل. المهم أن نضع ثقتنا في الله وليس فيما نملك.

(و) يبدو أن الدافع الرئيسي لإحصاء الشعب كان هو التفاخر والتباهي والإعلان عن عظمته وقدراته وإمكانياته. كما كان يفعل ملوك الأمم حوله. وذلك ليرعب الأمم المجاورة له.

ما ذنب الشعب حتى يموت منه ٧٧ ألف شخص؟

في الحقيقة كان الشعب محتاجًا إلى التأديب وإلاّ كان الرب قد أدّب داود وحدهُ. ونحن لا نعرف كل الحقائق ولكن علينا أن نثق في عدالة الله. ففي موضوع بثشبع وأوريا الحثي لم نسمع أن الله أدّب الشعب على خطأ داود بل انصبَّ التأديب على داود وحده. لكن الآن نسمع أن الضربة موجهة للشعب أيضًا. إذًا فهو مستحق. فطالما أن الدافع الرئيسي لإحصاء الشعب كان هو التفاخر والتباهي والإعلان عن عظمة وقدرة وإمكانيات المملكة. فالشعب شريك في هذه الروح. والخطية يشترك فيها الجميع وليس داود وحده. فكلاهما شَعَر بالغرور والانتفاخ وبالتالي الشعور بعدم الاحتياج إلى الله. وهذا الإحساس يؤدي دائمًا للسقوط في خطايا كثيرة.

وقد تاب داود ووبخه قلبه على ما حدث ولكن الشعب لم يتب ولم يندم فلذلك عاقبه الرب.

إلى جانب ذلك بعد أن استراح الشعب من الحرب مع الفلسطينين. واغتنى بغنيمة كثيرة من بني عمون. وأيضًا استراح من الجفاف الذي حدث لمدة ثلاث سنوات. بدأ بنو بليعال ينتشرون بين الشعب وابتعد عدد كبير من الشعب عن الرب (٢صم ٢٣).

المراجع

(١) انظر: مناظرتان في استكهولم. أحمد ديدات. ص (٢٩)..

(٢) د. منقذ بن محمود السقار. هل العهد القديم كلمة الله؟ ص٨٦.

(٣) القس عزت شاكر. من المسئول عن الشر والألم؟. ص٢٦.

(٤) كوستى بندلى. الله والشر والمصير. صـ٢٥.

(٥) كليف لويس. ملحد يؤمن. صـ ٥١و٥٢.

(٣٣)

هل هو إله متناقض؟

«فَأَتَى جَادُ إِلَى دَاوُدَ وَقَالَ لَهُ: «أَتَأْتِي عَلَيْكَ سَبْعُ سِنِي جُوعٍ فِي أَرْضِكَ. أَمْ تَهْرُبُ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ أَمَامَ أَعْدَائِكَ وَهُمْ يَتْبَعُونَكَ. أَمْ يَكُونُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَبَأٌ فِي أَرْضِكَ؟ فَالآنَ اعْرِفْ وَانْظُرْ مَاذَا أَرُدُّ جَوَابًا عَلَى مُرْسِلِي» (٢صم ٢٤: ١٣).

«فَجَاءَ جَادُ إِلَى دَاوُدَ وَقَالَ لَهُ: هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: اقْبَلْ لِنَفْسِكَ إِمَّا ثَلاَثَ سِنِينَ جُوعٌ، أَوْ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ هَلاَكٌ أَمَامَ مُضَايِقِيكَ وَسَيْفُ أَعْدَائِكَ يُدْرِكُكَ، أَوْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ يَكُونُ فِيهَا سَيْفُ الرَّبِّ وَوَبَأٌ فِي الأَرْضِ، فَانْظُرِ الآنَ مَاذَا أَرُدُّ جَوَابًا لِمُرْسِلِي» (١أخ ٢١: ١٢).

يقولون: رب غريب، في أحد الأسفار يقول أنه سيعاقب داود وشعبه بثلاث سنين جوع، وفي سفر آخر يقول: سبع سنين جوع، رب متناقض. فهل كانت العقوبة التي خيَّر الله داود ثلاث سنين جوع أم سبع سنين؟ لماذا نجد تناقض في الوحي؟

هناك أربعة اقتراحات يقدمها العلماء وهي:

(١) يرى بعض العلماء أن ناسخ سفر صموئيل الثاني قد أخطأ في النسخ، فقد كانت هناك ثلاثة اختيارات:

ثلاثة أيام وباء.

ثلاثة أشهر هروب أمام الأعداء

ويتفق مع ما سبق أن يكون الاختيار الثالث هو ثلاثة سنين مجاعة. وهذا ما أكَّده العالم الكبير آدم كلارك وقال إن الترجمة السبعينية هنا تتفق مع ما جاء في سفر الأخبار وتقول «ثَلاَثَ سِنِينَ جُوعٌ»[1].

وكذلك نجد بعض الترجمات الإنجليزية التي تتفق أيضًا مع ما جاء في سفر الأخبار وتقول «ثَلاَثَ سِنِينَ جُوعٌ» مثل:

(NIV) So Gad went to David and said to him, «Shall there come upon you three years of famine in your land? Or three months of fleeing from your enemies while they pursue you? Or three days of plague in your land? Now then, think it over and decide how I should answer the one who sent me.»

(ESV) So Gad came to David and told him, and said to him, «Shall three years of famine come to you in your land? Or will you flee three months before your foes while they pursue you? Or shall there be three days' pestilence in your land? Now consider, and decide what answer I shall return to him who sent me.»

(GNB) Gad went to him, told him what the LORD had said, and asked, «Which is it to be? Three years of famine in your land or

three months of running away from your enemies or three days of an epidemic in your land? Now think it over, and tell me what answer to take back to the LORD.»

(Brenton) (ABP) (BBE) So Gad came to David, and gave him word of this and said to him, Are there to be three years when there is not enough food in your land? or will you go in flight from your haters for three months, while they go after you? or will you have three days of violent disease in your land? take thought and say what answer I am to give to him who sent me.

(٢) يرى البعض الآخر من العلماء أن جاد الرائي تحدث إلى داود مرتين، وفي المرة الثانية تم تخفيض عدد سنوات المجاعة استجابة لصلاة داود. وقد سجَّل كاتب سفر الأخبار المرة الثانية «ثَلاَثَ سِنِينَ جُوعٌ» بينما سجَّل كاتب سفر صموئيل المرة الأولى «سَبْعُ سِنِي جُوعٍ».

(٣) يرى عدد آخر من العلماء أن هناك اختلافًا لغويًا بين العقاب الوارد في سفر صموئيل وبين العقاب الوارد في سفر الأخبار كالآتي:

(٢صم ٢٤:١٣)

فَأَتَى جَادُ إِلَى دَاوُدَ وَأَخبَرَهُ وَقَالَ لَهُ: «أَتَأْتِي عَلَيْكَ سَبْعُ سِنِي جُوعٍ فِي أَرْضِكَ...».

ينبر الكاتب هنا على أن المجاعة ستكون للأرض سبع سنين، أي ربما ينقطع المطر وتجف المحاصيل، يرسل وبأ على الأراضي الزراعية، وبالتالي سيقدرون بما يمتلكون من ثروة حيوانية وبحرية وغيرها أن ينجوا لعدة سنين ولهذا ذكر بدقة كلمة في أرضك.

(١أخ ٢١:١٢)

«إِمَّا ثَلاَثَ سِنِينَ جُوعٌ، أَوْ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ هَلاَكٌ أَمَامَ مُضَايِقِيكَ وَسَيْفُ أَعْدَائِكَ يُدْرِكُكَ، أَوْ... ».

أما سفر الأخبار فيتكلم هنا عن جوع الشعب نفسه بعد أن ينتهي مخزونهم وتنتهي ثروتهم وقدرتهم على الشراء من المدن المحيطة.

ولهذا فإن الفرق في التعبير اللفظي بين الاثنين يشرح الموقف جيدًا ويكمل بعضه بعضًا معطيًا صورة تفصيلية. فهم سبع سنين يتوقف فيها المطر ينتج عنها ثلاث سنين صعبة جدًا بعد انتهاء المخزون وأيضا المال.

(٤) يجتهد بعض العلماء أيضًا في تقسيم ٧ سنين إلى ٢+٢+٣ ويتكلمون عن مجاعة خفيفة لمدة سنتين ثم مجاعة أشد لمدة سنتين أخريين ثم مجاعة شديدة جدًا لمدة ثلاث سنين.

فيقولون إذا رجعنا إلى الجوع الذي حدث في أرض مصر أيام يوسف كما هو مذكور في تكوين ٤١ نجد أن السبع سنين الجوع كانت على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة بداية الجوع:

نقرأ عنها في تكوين ٤١: ٥٤ «وابْتَدَأَتْ سَبْعُ سِنِي الْجُوعِ تَأْتِي كَمَا قَالَ يُوسُفُ فَكَانَ جُوعٌ فِي جَمِيعِ الْبُلْدَانِ. وَأَمَّا جَمِيعُ أَرْضِ مِصْرَ فَكَانَ فِيهَا خُبْزٌ».

إنه مجرد الجوع في بدايته.

المرحلة الثانية: مرحلة الجوع الشديد:

ونقرأ عنها في تكوين ٤١: ٥٥،٥٦ «وَلَمَّا جَاعَتْ جَمِيعُ أَرْضِ مِصْرَ... وَكَانَ الْجُوعُ عَلَى كُلِّ وَجْهِ

الأَرْضِ.. وَاشْتَدَّ الْجُوعُ فِي أَرْضِ مِصْرَ».

وفي هذه المرحلة يصعد الجوع فيصبح شديدًا.

المرحلة الثالثة: قمة المجاعة:

ونقرأ عنها في تكوين ٤٧: ١٣ «وَلَمْ يَكُنْ خُبْزٌ فِي كُلِّ الأَرْضِ لأَنَّ الْجُوعَ كَانَ شَدِيدًا جِدًّا. فَخَوَرَتْ أَرْضُ مِصْرَ وَأَرْضُ كَنْعَانَ مِنْ أَجْلِ الْجُوعِ».

وهنا نصل إلى المجاعة الحقيقية بحيث يصبح الجوع شديدًا جدًا.

ففي سبع سنين المجاعة في مصر نجد أن أول أربع سنين كانت محتملة، وكانوا لايزالون يبيعون ويشترون، ولكن في بداية السنة الخامسة كان قد انتهي كل شيء فاشتروا بكل مالهم. وفي السنة السادسة اشتروا ببهائمهم، وفي السنة السابعة اشتروا بأرضهم.

من هنا ندرك أن العدد المذكور في ١أخبار ٢١: ١٢ وهو [٧ سنين] شمل هذه المراحل الثلاث بدرجاتها المرحلية:

(١) المرحلة الأولى: [سنتان] حيث يبدأ الجوع فيقتاتون بالقليل الذي عندهم من مواش وحيوانات هزيلة.

(٢) المرحلة الثانية: [سنتان] أيضًا حيث مازال قليل القليل يسد الرمق من نباتات الأرض وحشائشها.

(٣) أما المرحلة الثالثة: الثلاث سنوات الباقية فهي التي يشتد فيها الجوع جدًا حيث لا يجدون ما يأكلونه فيأكلون الحمير والقطط والكلاب، بل ويأكلون أبناءهم أيضا كما حدث في حصار السامرة المذكور في ٢ملوك ٦: ٢٤ـ ٢٩.

بينما العدد [٣ سنين] المذكور في ٢صموئيل ٢٤: ١٣ فإنما يشير إلى أصعب فترة في الجوع وهي الفترة الأخيرة المذكورة في ١أخبار ٢١: ١٢.

وبهذا لا نجد خلافا بين العددين المذكورين في الروايتين، بل على العكس هذا الاختلاف الظاهري يؤكد صحة الكتاب المقدس لدى الدارسين المدققين.

(٥) يرى عدد آخر من العلماء أن سبع سنين الجوع تقسَّم إلى ٢+٣+٢ فيقولون كانت هناك مجاعة خفيفة لمدة سنتين قبل وبعد الثلاث سنين المجاعة الشديدة.

فحسب سفر الأخبار الجوع الشديد والقحط لمدة ثلاث سنين، أما سفر صموئيل فأضاف إليها أربع سنوات، سنتان قبل القحط الشديد وسنتان بعده، وذلك لأنه لا بد أن يسبق القحط الشديد سنتان يكون فيهما القحط خفيفًا نوعًا ما حيث يجف المطر وتبدأ المحصولات تقل إلى أن تنفذ. فيشتد الجوع ثلاث سنين، وبعد هذه المدة يأخذ في التناقص شيئًا فشيئًا، ولا ينتهي إلا بعد أن تعود المياه وينتهي الجفاف ويبدأ الزرع والحصاد، وتمتلئ المخازن ثانية وهذا يحتاج حوالي سنتين.

المراجع

(1) Adam Clarke. Commentary on the Bible. p.249.

(٣٤)

كم عدد الشعب الذي أماته الرب؟

ورد في ٢صموئيل ٢٤: ٩ «فَدَفَعَ يُوآبُ جُمْلَةَ عَدَدِ الشَّعْبِ إِلَى الْمَلِكِ. فَكَانَ إِسْرَائِيلُ ثَمَانَ مِئَةِ أَلْفِ رَجُل ذِي بَأْسٍ مُسْتَلِّ السَّيْفِ. وَرِجَالُ يَهُوذَا خَمْسَ مِئَةِ أَلْفِ رَجُل».

بينما ورد في ١أخبار ٢١: ٥ «فَدَفَعَ يُوآبُ جُمْلَةَ عَدَدِ الشَّعْبِ إِلَى دَاوُدَ. فَكَانَ كُلُّ إِسْرَائِيلَ أَلْفَ أَلْفٍ وَمِئَةَ أَلْفِ رَجُل مُسْتَلِّي السَّيْفِ. وَيَهُوذَا أَرْبَعَ مِئَةٍ وَسَبْعِينَ أَلْفَ رَجُل مُسْتَلِّي السَّيْفِ».

التعداد بحسب صموئيل الثاني كان ٨٠٠٠٠٠

لإسرائيل ٥٠٠٠٠٠ ليهوذا = ١٣٠٠٠٠٠

التعداد بحسب الأخبار الأول ١,١٠٠٠٠٠

لإسرائيل ٤٧٠٠٠٠ ليهوذا = ١٥٧٠٠٠٠

وبالتالي يكون الفرق في العدد حوالي ٣٣٠٠٠٠ ألف رجل

هناك عدة حلول لهذه الإشكالية:

أولًا بالنسبة لتعداد إسرائيل

(٢صم ٢٤: ٩) = ٨٠٠,٠٠٠ رجل مستل السيف

(١أخ ٢١: ٥) = ١,١٠٠,٠٠٠ رجل مستل السيف

الفرق بينهما = ٣٠٠,٠٠٠ رجل محارب

التوضيح

يتحدث كاتب سفر صموئيل عن تعداد رجال إسرائيل القادرين على حمل السلاح للحرب. ويمكن تجنيدهم وكان عددهم ٨٠٠٠٠٠.

أما كاتب سفر الأخبار فيذكر العدد الإجمالي أي من يمكن تجنيدهم وهم المعدودين في هذا التعداد وعددهم ٨٠٠٠٠٠ كما ذكرت من قبل، إلى جانب الجنود الفعليين وقد كان عددهم ٣٠٠٠٠٠. وما يؤكد ذلك هو أن كاتب سفر الأخبار يضيف كلمة (كُلُّ) فيقول: «فَكَانَ كُلُّ إِسْرَائِيلَ» أي إجمالي التعدادين من يمكن تجنيدهم والمجندين فعليًا. وإليك الشرح بالتفصيل:

(١أخ ٢٧: ١)

«وَبَنُو إِسْرَائِيلَ حَسَبَ عَدَدِهِمْ مِنْ رُؤُوسِ الآبَاءِ وَرُؤَسَاءِ الأُلُوفِ وَالْمِئَاتِ وَعُرَفَاؤُهُمُ الَّذِينَ يَخْدِمُونَ الْمَلِكَ فِي كُلِّ أُمُورِ الْفِرَقِ الدَّاخِلِينَ وَالْخَارِجِينَ شَهْرًا فَشَهْرًا لِكُلِّ شُهُورِ السَّنَةِ. كُلُّ فِرْقَةٍ كَانَتْ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا».

أربعة وعشرون ألف لكل فرقة وهم ١٢ فرقة فيكون

٢٤,٠٠٠ × ١٢ = ٢٨٨,٠٠٠ الجنود الحاليين

هؤلاء يخدمون الملك فقط

الرؤساء

اثنى عشر رئيسًا رئيس، وكل رئيس له فرقة ألف تحت سلطانه،وأسماؤهم في (أخ٢٧: ١٦-٢٢).

فيكون عددهم

١٢ × ١٠٠٠ = ١٢،٠٠٠ رئيس وجنوده

وهؤلاء يخدمون الأسباط

فيكون المجموع

٢٨٨،٠٠٠ + ١٢،٠٠٠ = ٣٠٠،٠٠٠ألف رجل مجند بالفعل ويكون

٣٠٠،٠٠٠ + ٨٠٠،٠٠٠ = ١،١٠٠،٠٠٠الرقم الذي ذكره سفر الأيام

فسفر صموئيل يتكلم عن الرجال الذين يستطيعون أن يحملوا السلاح وينضموا إلى الجنود الفعليين

وهم ٨٠٠،٠٠٠ ولم يذكر المجندين بالفعل ٣٠٠،٠٠٠

وأما سفر الاخبار فيتكلم عن العدد الكلي من هم مستعدون لحمل السلاح والمجندون بالفعل وهم ١،١٠٠،٠٠

ثانيًا: بالنسبة لتعداد يهوذا

فسفر صموئيل يقول ٥٠٠،٠٠٠

وسفر الأخبار يقول ٤٧٠،٠٠٠

والفرق = ٣٠،٠٠٠ رجل

والحل ببساطة: كان لداود جيش منتخب مكون من ٣٠٠٠٠ (١صم ٦:١) هؤلاء لم يدخلوا في حسابات كاتب سفر الأيّام بالنسبة ليهوذا. فيكون يهوذا ٤٧٠٠٠٠+٣٠٠٠٠=٥٠٠٠٠٠. وإليك الشرح بالتفصيل:

كان لداود من يهوذا فقط جيش خاص منتخب مكون من ٣٠٠٠٠ فنقرأ «وَجَمَعَ دَاوُدُ أَيْضًا جَمِيعَ الْمُنْتَخَبِينَ فِي إِسْرَائِيلَ، ثَلاَثِينَ أَلْفًا» (١صم ٦:١) هؤلاء لم يدخلوا في حسابات كاتب سفر الأخبار بالنسبة ليهوذا. فيكون يهوذا ٤٧٠٠٠٠+٣٠٠٠٠=٥٠٠٠٠٠.

وبهذا يكون ٣٠،٠٠٠ الفرق هو عدد جيش داود الخاص من يهوذا. فكاتب سفر صموئيل ذكر الرقم مضافًا إليه الثلاثين ألف، وكاتب سفر الأخبار ذكر الرقم بدون الثلاثين ألف جيش داود

ففي تعداد يهوذا حدث عكس تعداد إسرائيل فيذكر كاتب سفر صموئيل تعداد رجال يهوذا الإجمالي بدليل قوله «وَرِجَالٌ يَهُوذَا» التي توضح أنه يذكر العدد الكلي؛ أي الذين عدوا في هذا التعداد وأيضًا المعدودين سابقًا من يهوذا كجنود فعليين معروف عددهم

أما كاتب سفر الأخبار فيقول «وَيَهُوذَا» أي المعدودين في هذا التعداد فقط. ولم يضف إليهم الجنود الفعليين الثلاثين ألف المعدودين سابقًا. وهم من يهوذا

حل آخر:

لاحظ بعض العلماء أن كاتب سفر صموئيل حين ذكر تعداد إسرائيل كان يتكلم عن الرجال الذين لهم مهارة خاصة في الحرب فقط فقال إنهم ٨٠٠٠٠٠. وما يؤكد ذلك أنه أضاف صفة «ذِي بَأْسٍ» وهذه العبارة لم يذكرها كاتب سفر الأخبار الذي كان يتكلم عن كل الجنود الحاليين وكل من يمكن تجنيدهم ورؤساء الجنود ورؤساء القواد فقال إنهم ١١٠٠٠٠٠ رجل.

عزيزي القارئ: إن هذا الاختلاف في الأرقام الموجود في السفرين يجعلهما يكمّل أحدهما

الآخر بطريقه رائعة. فنستطيع بذلك أن نعرف منْ هم الجنود بالفعل؟ ومنْ هم المعدودين حديثًا؟ ويقدم لنا صورة تفصيلية لما حدث. لهذا أرشد الوحي الإلهي كاتب كل سفر لكي يكتب السفر بهذه الطريقة لنعرف العدد الكلي وأيضًا العدد الفعلي.

عمومًا نفهم أن هناك سجلات مختلفة وكل كاتب قام بتسجيل الأعداد بطريقة مختلفة ولكن الأعداد كلها صحيحة. بل إن هذا الخلاف دليل صحة وليس دليل خطأ فحينما تتطابق القصتان تمامًا فيما عدا عدة أرقام فهذا يؤكد أن المصادر مختلفة ولكن كلها صحيحة. فهما لم ينقلا من بعضهما إنما هما شاهدان مختلفان رووا نفس القصة بفروق غير مهمة ترجع إلى أن كل كاتب كان ينظر للتعداد من وجهة نظر معينة وكلاهما صحيح.

(٣٥)

هل هو إله عنيف؟

«فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَئِيسَ خَمْسِينَ مَعَ الْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَهُ. فَصَعِدَ إِلَيْهِ وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ. فَقَالَ لَهُ: «يَا رَجُلَ اللهِ، الْمَلِكُ يَقُولُ انْزِلْ». فَأَجَابَ إِيلِيَّا وَقَالَ لِرَئِيسِ الْخَمْسِينَ: «إِنْ كُنْتُ أَنَا رَجُلَ اللهِ، فَلْتَنْزِلْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ وَتَأْكُلْكَ أَنْتَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَكَ». فَنَزَلَتْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُ هُوَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَهُ. ثُمَّ عَادَ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَئِيسَ خَمْسِينَ آخَرَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَهُ. فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُ: «يَا رَجُلَ اللهِ، هكَذَا يَقُولُ الْمَلِكُ: أَسْرِعْ وَانْزِلْ». فَأَجَابَ إِيلِيَّا وَقَالَ لَهُمْ: «إِنْ كُنْتُ أَنَا رَجُلَ اللهِ، فَلْتَنْزِلْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ وَتَأْكُلْكَ أَنْتَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَكَ». فَنَزَلَتْ نَارُ اللهِ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُ هُوَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَهُ» (٢ مل ١: ٩- ١٢).

في النص الذي أمامنا نجد إيليا النبي يطلب أن تنزل نار من السماء وتأكل القائد والخمسين الذين أرسلهم إليه الملك أخزيا في المرة الأولى. وكذلك في المرة الثانية. فنزلت النار وأكلت القائدين ومئة شخص.

هذه القصة تطرح العديد من الأسئلة مثل:

أي ذنب ارتكبه هؤلاء الرجال حتى يطلب إيليا نارًا من السماء لتأكلهم؟

هل يستجيب الله صلوات طلب الانتقام والقتل؟

كيف يرسل الله المحب نارًا من السماء لتأكل مجموعة كبيرة من الناس؟ أليس هذا إله في غاية القسوة؟

كيف يكون نبي الله الذي صعد حيًا إلى السماء ويطلب نارًا لتهلك الناس؟

للإجابة على هذه الأسئلة وغيرها ينبغي أن نلقي بعض الضوء على شخصية كل من إيليا النبي، وأخزيا الملك. ونفهم لماذا أرسل أخزيا ثلاث مرات لإحضار إيليا. وفي كل مرة قائد ومعه ٥٠ جنديًا. ونفهم لماذا طلب إيليا أن تنزل نار من السماء وتلتهم رئيسيّ الخمسينين الأوّلين وخمسينيهما.

أولًا: من هو أخزيا؟

الغريب أن أخزيا اسم عبري (אחזיה) يعني «من يسنده الرب» أو «من يمسكه الرب». ولعل السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: من الذي كان يمسكه فعلًا الرب أم الشيطان؟

كم من الأشخاص لهم أسماء رقيقة لكنهم لا يعرفون إلا العنف والخشونة. وكم من الأسماء تحمل معنى الجمال والعفة والطهر ولكن حياة أصحابها خالية من كل طهر، ولا يعرفون إلا القبح والنجاسة.

أخزيا ونشأته:

نشأ أخزيا في بيت الشر والفساد. فأبوه هو أخآب ملك إسرائيل، رمز الشر والفساد في التاريخ، والذي كان ملكًا من أقوى ملوك إسرائيل وأشرهم. كتب عنه الوحي: «وَعَمِلَ أَخْآبُ بْنُ عُمْرِي الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الَّذِينَ قَبْلَهُ. وَكَأَنَّهُ كَانَ أَمْرًا زَهِيدًا سُلُوكُهُ فِي خَطَايَا يَرُبْعَامَ بْنِ نَبَاطَ، حَتَّى اتَّخَذَ إِيزَابَلَ ابْنَةَ أَثْبَعَلَ مَلِكِ الصِّيدُونِيِّينَ امْرَأَةً، وَعَبَدَ الْبَعْلَ وَسَجَدَ لَهُ. وَأَقَامَ مَذْبَحًا لِلْبَعْلِ فِي بَيْتِ الْبَعْلِ الَّذِي بَنَاهُ فِي السَّامِرَةِ. وَعَمِلَ أَخْآبُ سَوَارِيَ، وَزَادَ أَخْآبُ فِي الْعَمَلِ لإِغَاظَةِ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ مُلُوكِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ» (١مل ١٦: ٣٠-٣٣). فدخل في تحالف مع الفينيقيين، وقد كانت أقوى دولة تجارية في عصره. فتزوج إيزابل ابنة أثبعل ملك صور، وقد كان كاهنًا لعشتاروث. لقد كان زواجًا سياسيًا أنهض إسرائيل اقتصاديًا، ولكنه هدمها روحيًا. فدخلت إيزابل وأدخلت معها عبادة البعل، ويبدو أنها كانت امرأة شرسة وذات شخصية قوية ونفوذ كبير. فأقنعت أخآب بذلك فبدا له أن عبادة الرب من خلال العجلين الذهبيين الذين أقامهما يربعام قد عفا عليهما الزمن، وأن البعل إله صور يجب أن يكون له مكانة كبيرة بجانب يهوه إله إسرائيل. فبنى في السامرة معبدًا للبعل، وأقام فيه مذبحًا للبعل، وبجانب البعل أقام تمثالًا للسارية (١مل ١٦: ٣٢، ٣٣).

وقد كانت إيزابل أم أخزيا هي حامية أنبياء البعل والسواري، فقد كانت تعول على مائدتها أربع مئة وخمسين من أنبياء البعل، وأربع مئة من أنبياء السواري (١مل ١٨: ١٩؛ ١٩: ١). وبناء على أوامرها هُدِمَت مذابح الرب، وأثارت أول اضطهاد ديني ضد شعب الرب، وكانت تريد أن تقضي على عبادة الرب

ليحل محلها عبادة البعل، ولم يعارضها أخآب في ذلك بل كان يوافقها، وقد دبرت إيزابل جريمة قتل نابوت اليزرعيلي ليأخذ أخآب كرمه.

في هذا البيت وُلِدَ أخزيا، فنشأ وترعرع على حب الشر والفساد وعبادة البعل، لقد أرضعته أمه إيزابل الكراهية لشعب الرب ولهيكل الرب ومذبحه وعبادته. لقد تربى على حب القتل وسفك الدماء وتدبير المؤامرات، لذلك ليس غريبًا أن نرى أخزيا على هذه الصورة من الشر والفساد، فلقد ورث أمه.

إن البيت هو المدرسة الأولى لكل إنسان، فيه يتعلم كيف يعيش ولماذا يعيش؟ فيه يتكون لدى الفرد اتجاهاته وميوله وعاداته وتقاليده. إنها مسئولية على كل أب وأم أن يفكرا فيما يعلما أطفالهما، وكيف يسلكا أمامهما.

وقد تولى أخزيا المُلْك بعد موت أبيه الملك أخآب الشرير، وكان أخزيا شريرًا مثل أبيه، يقول عنه الوحي: «عَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَسَارَ فِي طَرِيقِ أَبِيهِ وَطَرِيقِ أُمِّهِ، وَطَرِيقِ يَرُبْعَامَ بْنِ نَبَاطَ الَّذِي جَعَلَ إِسْرَائِيلَ يُخْطِئُ وَعَبَدَ الْبَعْلَ وَسَجَدَ لَهُ وَأَغَاظَ الرَّبَّ إِلهَ إِسْرَائِيلَ حَسَبَ كُلِّ مَا فَعَلَ أَبُوهُ» (١مل ٢٢: ٥٢، ٥٣) ومن المؤلم أن أخزيا لم يتعلم شيئًا من اختبارات أبيه الذي مات في خطيته، فلا بد أنه سمع في صدر شبابه كيف أنزل الله نارًا من السماء بينما عجزت الأصنام عن أن تفعل ذلك، ولكن هذا لم يغيّر طريقة تفكير أخزيا، ولم يَرُدَّه إلى عبادة الرب.

ثانيًا: لماذا أرسل أخزيا ثلاث مرات لإحضار إيليا؟

ذات يوم كان الملك أخزيا يتمشّى على سطح قصره في السامرة، واستند إلى كوّة هوّتْ به إلى

الأرض، فأصابته رضوض وجروح كثيرة. ولم يتجه فكر الملك أخزيا إلى الله الحي بل اتجه فكره إلى بعل زبوب، ومعناه «إله الذباب» الذي كان أهل مدينة عقرون يعبدونه. ولا نعلم لماذا أطلق عليه هذا الاسم، ربما لأنه يحمي عبيده من الذباب، أو لأنه سريع الاستجابة في مثل سرعة الذبابة، ويحتمل أنه أطلق عليه هذا الاسم للتعبير عن وجوده في كل مكان مثلما تفعل الذبابة في تنقلاتها السريعة[1]. ولما كان أهل عقرون يؤمنون أن بعل زبوب يشفي من المرض، فقد أرسل الملك أخزيا يسأل بعل زبوب إله الذباب، متجاهلًا إيليا وإله إيليا.

إيليا يقابل رسل أخزيا:

أرسل الله ملاكًا لنبيّه إيليا يقول له: «اصْعَدْ لِلِقَاءِ رُسُلِ مَلِكِ السَّامِرَةِ وَقُلْ لَهُمْ: هَلْ لأَنَّهُ لا يُوجَدُ فِي إِسْرَائِيلَ إِلهٌ تَذْهَبُونَ لِتَسْأَلُوا بَعْلَ زَبُوبَ إِلهَ عَقْرُونَ؟ فَلِذلِكَ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: إِنَّ السَّرِيرَ الَّذِي صَعِدْتَ عَلَيْهِ لا تَنْزِلُ عَنْهُ بَلْ مَوْتًا تَمُوتُ» (٢مل ١: ٣-٤). وأطاع إيليا دعوة الله، وذهب ليقابل رسل الملك أخزيا قبل أن يصلوا إلى عقرون، وأبلغهم تلك الرسالة. فرجع الرسل إلى الملك أخزيا. واستغرب الملك من سرعة عودتهم، وسألهم عما حدث، فقالوا له: قابلنا رجل أشعر متمنطق بمنطقة من جلد على حقويه، ثم أبلغوه رسالة النبي إيليا. فأدرك الملك أخزيا أن النبي إيليا هو الذي كلّمهم، وللأسف لم يخف الملك العنيد من كلام الله على لسان النبي، قائلاً في قلبه: «إنه يكذب». فلم يبال بتحذيره، وبدلًا من أن يتضع أمام الرب ويطلب وساطة رجل الله، استهان به وبإلهه الذي أجرى على يديه آيات وعجائب كثيرة يعلمها الملك جيدًا.

ولو كان إله عقرون قد أخبره بأنه سيموت لصمت ربما على هذا الخبر وقبله بسكوت. وهذا محال أيضًا إذ كيف لآلهة صماء صنيعة أيدي الناس أن تجيب عن تساؤله.

لكن كون نبي الرب يخبره بالأمر ويوبخه على آثامه ويذكّره بالإله الحي فإنه لا يطيق ذلك. ويستحيل عليه أن يُصلِح شيئًا في حياته، ولم يؤثر فيه المرض الذي يفضي إلى الموت.

أخزيا يرسل قائد كتيبة وجنوده للقبض على إيليا:

اغتاظ أخزيا من إيليا كثيرًا، وقرر أن ينتقم منه، وأصدر أمره بالقبض على إيليا، فأرسل إليه قائد كتيبة، رئيس خمسين ومعه جنوده الخمسين فنقرأ: «فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَئِيسَ خَمْسِينَ مَعَ الْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَهُ. فَصَعِدَ إِلَيْهِ وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ. فَقَالَ لَهُ: يَا رَجُلَ اللهِ، الْمَلِكُ يَقُولُ انْزِلْ».

ويقول القديس مار أفرام السرياني: «لقد صمم على عناده، وعوض التوبة عن كبريائه ورجوعه، ازداد في عناده. وأرسل قائد خمسين مع الخمسين للقبض على نبي الله، ليقودونه إلى المحاكمة»[1].

وأرجو أن تلاحظ أنه كان يكفي جندي واحد، أو القائد فقط ليلقي القبض على رجل أعزل بلا سلاح. لكن بالطبع ما سمعه أخزيا عن موقف إيليا مع والديه، وما رآه منه جعله يخشاه. ولكن عوض التوبة ظن أن في كثرة عدد الجنود ما يمكنه من إلقاء القبض عليه وسجنه، وأن الخمسين جنديًا قادرون على ذلك، وأنه لن يفلت من أياديهم.

وقد تسأل: لماذا يدعو رئيس الخمسين الشرير إيليا بأنه «رَجُلَ اللهِ»؟ يرى البعض أن الملك نفسه

والقصر الملكي كانوا يدركون حقيقة شخصية إيليا النبي، لكنهم لا يطيقونه. ويرى البعض الآخر أن في هذا نوع من التهكم على إيليا. ويرى آخرون أنه كان لقبه المعروف به، كأن تقول لشخص اليوم يا مولانا أو سيدنا أو معالي الوزير، دون أن يدركوا أن هذا اللقب قد أُعطي له من الرب (١مل ١: ٩-١٣)، كما أُعطي من قبل لموسى النبي (تث ٣٣: ١). وبعد ذلك لصموئيل (١صم ٩: ٦،٧)، وداود (٢أخ ٨: ١٤)، ثم أليشع (٢مل ٤: ٩). وعلى كل حال كان يدرك أن إيليا ليس إنسانًا عاديًا. وإلا فلماذا يرسل كل هذا العدد الكبير من الرجال للإتيان به. ولكنه لم يكن يؤمن أنه فعلًا نبي الله. وإلا فلماذا يأمر بالقبض عليه؟!

وللأسف يتضح لنا هنا أن رئيس الخمسين كان يسير على نفس نهج الملك. فلم يكن يعتقد بأنه رجل الله. وإلا فلماذا يطلب منه أن يسلم نفسه له، ليسلمه للملك كسجين أو أسير. فلو كان هذا الرئيس يعتقد بأنه رجل الله وعنده كلام الله لما أسمعه كلمة الملك الآمرة. مما جعل إيليا يطلب نارًا من السماء لتأكل هذا الرئيس مع الخمسين الذين له، حيث قالَ إِيلِيَّا: «إِنْ كُنْتُ أَنَا رَجُلَ اللهِ، فَلْتَنْزِلْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ وَتَأْكُلَكَ أَنْتَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَكَ. فَنَزَلَتْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُ هُوَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَهُ».

أخزيا يرسل قائد كتيبة آخر مع جنوده للقبض على إيليا:

ولم يفهم الملك أخزيا رسالة الله له. فلم يدرك من هو الإله الحقيقي. ولم يتب عن خطاياه. ولم يرتعد الملك بحرق رئيس الخمسين وجنوده. وعوض توبته والحزن على الذين تسبب في حرقهم، في قسوة قلب أرسل قائدًا آخر ومعه جنوده. فنقرأ: «عَادَ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَئِيسَ خَمْسِينَ آخَرَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَهُ. فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُ: يَا رَجُلَ اللهِ، هكَذَا يَقُولُ الْمَلِكُ: أَسْرِعْ وَانْزِلْ». ويبدو أن قائد الخمسين الثاني كان وثنيًا أكثر من الأول. لعل القائد الأول لم يكن ملامًا مثل القائد الثاني. فهو لم يشهد آخرين أُحترقوا قبله، ليكونوا عبرة له. فما حدث له لم يحدث لآخر قبله حتى يخاف من المشهد. بينما كانت وقاحة الوثني الثاني أعظم. لقد رأى الجثث مطروحة كالفحم على الجبل ولم يخف في قلبه من سلوك نفس الطريق إلى إيليا. كانت تفوح رائحة رفيقه الذي احترق، ولم ترعبه ليعود الى الوراء لئلا يصعد. الفوج الذي قبله دمرته النار وطرحته. وها هو يدوس عليه، ويصعد بغضب إلى إيليا. العظام التي أكلها اللهيب تبعثرت على الطريق. ومع ذلك كان يخطو بشجاعة نحو الغيور الذي أحرقها. لقد كان الجبل مضطربًا من دخان الفوج الذي احترق ومع ذلك قسى قلبه. ولم يكن ينظر إلى ما جرى. اكتسب إرادة شريرة وقاسية ومتوحشة. ولم يرتجف من النار التي أكلت رفاقه. قسّى وجهه كمن يحارب الله. وكان يهدد كأنه ينتصر على النار. طريقة رهيبة كمن لا يخاف من اللهيب. وصوته يرتفع إلى إيليا لينزله معه. وفي كبرياء عظيم وتشامخ أضاف إلى كلام القائد الأول كلمة «أسرع» فقال لإيليا «هكَذَا يَقُولُ الْمَلِكُ: أَسْرِعْ وَانْزِلْ».

فأجابه أيضًا إيليا وقال له: «إِنْ كُنْتُ أَنَا رَجُلَ اللهِ فَلْتَنْزِلْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ وَتَأْكُلَكَ أَنْتَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَكَ». فَنَزَلَتْ نَارُ اللهِ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُ هُوَ وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَهُ.

أخزيا يرسل للمرة الثالثة قائد كتيبة وجنوده للقبض على إيليا:

للأسف لم يفهم أخزيا الملك الدرس الذي أراد الله أن يعلّمه له. ولم يحزن على الأولين الذين أحترقوا. وبكل تحدٍ لإيليا ولإله إيليا عاد فكرر الأمر للمرة الثالثة فنقرأ: «ثُمَّ عَادَ فَأَرْسَلَ رَئِيسَ خَمْسِينَ ثَالِثًا وَالْخَمْسِينَ الَّذِينَ لَهُ».

ولكن القائد الثالث كان يتسم بالتواضع والحكمة. فقد فهم رسالة الرب مما حلّ بالقائدين السابقين. فعندما وصل إلى حيث كان النبي إيليا، نظر إليه. وأدرك منْ هو. بل وأدرك منْ هو الإله الحقيقي. فقد فكر في القائدين الأولين وخاف. وأدرك أنه من السهل أن يحترق هو أيضًا. هبط التمييز على نفسه. وأدرك أن النبي عظيم وأن إلهه عظيم. فخاف. وتواضع. واقترب بقلب منكسر، ونفس مروعة. وجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ أَمَامَه وَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: «يَا رَجُلَ اللهِ، لِتُكْرَمْ نَفْسِي وَأَنْفُسُ عَبِيدِكَ هؤُلاَءِ الْخَمْسِينَ فِي عَيْنَيْكَ. هُوَذَا قَدْ نَزَلَتْ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْ رَئِيسَيِ الْخَمْسِينَيْنِ الأَوَّلَيْنِ وَخَمْسِينَيْهِمَا. وَالآنَ فَلْتُكْرَمْ نَفْسِي فِي عَيْنَيْكَ». وهنا نجده بدلًا من أن يأمر إيليا بالنزول، بتواضع طلب الرحمة. سائلًا إياه أن تكون نفسه ونفوس الجنود عزيزة لديه. معترفًا بعدم استحقاقه في طلبه هذا أن يصحبه إلى الملك مُرسِلَه. وكأنه يقول له: يا نبي الرب لتكرم نفسي ونفوس عبيدك، هؤلاء الذين أتوا وهم لا يريدون. لقد جاءوا كأمر الملك الشرير. لكنهم يثقون في سلطانك. وفي رحمة الله. لك سلطان لتنزل النار من السماء وتحرق الناس كما تريد إن عصوك. سيدي: عرفت جبروتك في الذين احترقوا. أظهر الآن رحمتك للعالم. لك سلطان أن تحرق أو لا تحرق. وهذا واضح. فإن كنت لا أحترق، فهذا يعود إليك. بقائدين ومائة جندي أظهرت قدرة الله. لتظهر بي وبالخمسين الذين معي الآن حنانه ورحمته[٢].

فقال ملاك الرب لإيليا: «انْزِلْ مَعَهُ. لاَ تَخَفْ مِنْهُ». فَقَامَ وَنَزَلَ مَعَهُ إِلَى الْمَلِكِ. وقال النبي للملك: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ أَرْسَلْتَ رُسُلًا لِتَسْأَلَ بَعْلَ زَبُوبَ إِلهَ عَقْرُونَ. أَلَيْسَ لأَنَّهُ لاَ يُوجَدُ فِي إِسْرَائِيلَ إِلهٌ لِتَسْأَلَ عَنْ كَلاَمِهِ! لِذلِكَ السَّرِيرُ الَّذِي صَعِدْتَ عَلَيْهِ لاَ تَنْزِلُ عَنْهُ بَلْ مَوْتًا تَمُوتُ». ولم تحرك هذه الكلمات الملك أخزيا ليتوب. بل استمر في عبادته الوثنية. ومات أخزيا كما قال الله على فم نبيه إيليا.

ثالثًا: من هو إيليا؟

في عام ٨٧٥ ق. م وفي أثناء حكم الملك أخآب (الملك السابع على إسرائيل) تقريبًا بعد ٦٠ سنة من انقسام المملكة. ظهر النبي العظيم إيليا ومعنى اسمه العبري «إلهي يهوه». وقد كان رجل أشعر متمنطق بمنطقة من جلد على حقويه. ويقول عنه الوحي إنه إيليا التِّشْبِيّ من مستوطني جلعاد. قال بعض العلماء لعله من مدينة تِشْبه الواقعة في شرق الأردن في منطقة جلعاد. وقال البعض الآخر ربما كلمة التشبي تعني «الغريب» فقد يكون المقصود أن إيليا الغريب كان من مستوطني جلعاد. بمعنى أنه كان شخصًا مختلفًا عن غيره. لأنه كان يقضي الكثير من وقته في الصحراء في محضر الله. يتعبّد له. إلى اليوم الذي فيه دعاه الله ليكون نبيًا.

ولقد أقامه الله لينقذ بلاده من عبادة البعل. أو من العبادة المختلطة بين عبادة الله وعبادة البعل. فقد كانت الظلمة حالكة في تلك الأيام. وقلّ

عدد الذين يعبدون الرب بإخلاص، وارتفعت مذابح البعل في كل مكان، وانتشرت الهياكل الوثنية في كل أرجاء مملكة بني إسرائيل.

ولذلك يطلق على إيليا أنه نبي المطر ونبي النار أيضًا. فأول ما نقرأه عنه هو: «وَقَالَ إِيلِيَّا التِّشْبِيُّ مِنْ مُسْتَوْطِنِي جِلْعَادَ لِأَخْآبَ: حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي وَقَفْتُ أَمَامَهُ، إِنَّهُ لاَ يَكُونُ طَلٌّ وَلاَ مَطَرٌ فِي هذِهِ السِّنِينَ إِلاَّ عِنْدَ قَوْلِي» (١مل ١٧: ١، قارن يع ٥: ١٧،١٨).

وهو النبي الذي طلب أن تنزل نار من السماء لتلتهم الذبيحة. وقال متحديًا أنبياء البعل «الإِلهُ الَّذِي يُجِيبُ بِنَارٍ فَهُوَ اللهُ» (١مل ١٨: ٢٤).

وواضح أن قرارات إيليا وكلماته لم تكن مجرد كلمات شخصية هو مسئول عنها مسئولية شخصية، إنما بناء على توجيهات سماوية، وتأكيدًا لذلك استجابت السماء في كل ما نطق به إيليا.

فهو لا يزيد عن كونه آداة في يد الرب ليجري آياته وعجائبه على يديه. ودوره أنه كان مطيعًا طاعة كاملة لإلهه ممتثلًا لكل توجيهاته وكلماته. حتى يخيل للقارئ العادي لقصة حياة إيليا العظيمة أن السماء طوع أمره.

رابعًا: لماذا سمح الله بأن تنزل نار من السماء وتلتهم القائدين الأوّلين وخمسينيهما؟

ويمكن أن تسأل السؤال بصيغة أخرى:

لماذا طلب إيليا أن تنزل نار من السماء وتلتهم رئيسيّ الخمسينين الأوّلين وخمسينيهما؟

(١) لقد طلب إيليا النار ليعلم الجميع من هو الإله الحي الحقيقي الذي ليس غيره إله، وليؤكد رسالته. لقد كان الشعب في ذلك الوقت يعبد البعل، والبعل هو أبوللو إله الشمس، وكانوا يعتقدون أن البعل صاحب السلطان المطلق على النار والمطر، لذا أراد إيليا أن يظهر عجز هذه الآلهة بطريقة ملموسة. وأن يقدم الدليل مما يعتقد به عبدة البعل. ويعلن أن الله الحي الحقيقي هو صاحب السلطان المطلق على النار والمطر(٤).

لذلك سبق أن تحدى إيليا أنبياء البعل وقال لهم: «الإِلهُ الَّذِي يُجِيبُ بِنَارٍ فَهُوَ اللهُ» (١مل ١٨: ٢٤). وأرجو أن تلاحظ ما قاله في صلاته: «أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ، لِيُعْلَمِ الْيَوْمَ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ فِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنِّي أَنَا عَبْدُكَ، وَبِأَمْرِكَ قَدْ فَعَلْتُ كُلَّ هذِهِ الأُمُورِ. اسْتَجِبْنِي يَا رَبُّ اسْتَجِبْنِي، لِيَعْلَمَ هذَا الشَّعْبُ أَنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ الإِلهُ». وكانت الاستجابة معلنة من هو صاحب السلطان. «فَسَقَطَتْ نَارُ الرَّبِّ وَأَكَلَتِ الْمُحْرَقَةَ وَالْحَطَبَ وَالْحِجَارَةَ وَالتُّرَابَ، وَلَحَسَتِ الْمِيَاهَ الَّتِي فِي الْقَنَاةِ». فكانت النتيجة «فَلَمَّا رَأَى جَمِيعُ الشَّعْبِ ذلِكَ سَقَطُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَقَالُوا: «الرَّبُّ هُوَ اللهُ! الرَّبُّ هُوَ اللهُ!» (١مل ١٨: ٣٦-٣٩). وها هو في هذه المرة يطلب نارًا من السماء ليدرك أخزيا ورجاله أن الله إله اسرائيل هو صاحب السلطان على الطبيعة وعلى كل شيء، وأن إله عقرون لا حول له ولا قوة.

(٢) هذه النار هي برهان محبة الله الشديدة، فالله يطيل أناته على الاشرار جدًا، وفي وقت معين يسمح بالتأديب ليكون درسًا عمليًا أمام الآخرين. فما أسوأ مصير الشخص والأمة التي بلا تأديب. يعاقب البعض لكي يخاف الباقون من العقاب فيكفوا عن الخطايا والمعاصي. إن الله مثل الجراح الذي يبتر عضو

من الجسد مصاب بورم خبيث لكي يعيش المريض.

يقول القديس مار يعقوب السروجي: «أحرق المئة ليفيد أكثرية الشعب حتى يعيدهم من الوثنية بالآية التي صنعها. كان الوثنيون قساة، ومتمسكين بآلهتهم، ولم يكن يقدر أن يتكلم معهم إلا بالنار... أضرم فيهم نارًا تنطفئ حتى ينقذهم من جهنم التي يرثها الوثنيون إلى الأبد. حرك الرجل روحيًا وبحب عظيم، ليحيي العالم المائت بالأصنام»(٥).

ولقد حدث نفس الأمر في بداية الكنيسة مع بطرس عندما واجه حنانيا وسفيرة، فسقطا وماتا ليصيرا مثلًا للبقية. لذلك قيل: «فَصَارَ خَوْفٌ عَظِيمٌ عَلَى جَمِيعِ الْكَنِيسَةِ وَعَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ سَمِعُوا بِذلِكَ» (أع ٥:١١).

(٣) هذه النار هي برهان عدالة الله: فالله الذي عاقب سدوم وعمورة، وعاقب عماليق، وعاقب الكنعانيين، ها هو يعاقب شعبه الذي انحرف لعبادة البعل.

(٤) هذه النار هي برهان حماية الله: لم تكن شهوة قلب إيليا الانتقام، ومن المستحيل أن يكون غضبه قد غلبه، وثار ثائرته، فطلب النار ليريح غضبه، أو طلب النار ليحصن نفسه. فهذا ليس عمله أو مكانه، إنما في أيام النبي إيليا كان كل الشعب اليهودي قد ترك الله واتجهوا لعبادة الأوثان، ولم يكن لرجال الله أي احترام أو تكريم، بل وغالبًا ما حاولوا قتلهم. وقد قال الرب عن أتقيائه «مَنْ يَمَسُّكُمْ يَمَسُّ حَدَقَةَ عَيْنِهِ» (زك ٢: ٨). فمن الطبيعي أن تهتم السماء بمن أرسلتهم لإنصافهم وتثأر لأي اعتداء عليهم، لقد قال داود: «احْفَظْنِي مِثْلَ حَدَقَةِ الْعَيْنِ. بِظِلِّ جَنَاحَيْكَ اسْتُرْنِي» (مز ١٧: ٨).

(٥) هذه النار هي برهان قداسة الله: لقد طلب إيليا النار معلنًا غضب الله من السماء على فجور الناس وإثمهم. ويرى عدد من العلماء أن القائدين وجنودهما كانوا جنودًا للبعل، وظنوا في أنفسهم أنهم قادرون على مقاومة الله ونبيه. وقد احترقوا لأنهم اشتركوا في قرار الملك، إن لم يكن ظاهريًا فبقلوبهم الشريرة. وقد تمجد الله حين التهمتهم النار النازلة من السماء.

ويقول العلامة ترتليانوس: «إن القائدين الأول والثاني كانا نبيين كاذبين للإله بعل زبوب، لذلك فنزول النار كان بسماح من الله لوقف نشر هذه العبادة الوثنية بالعنف والإلزام من قبل الملك وجيشه الذي يقوده كثير من الأنبياء الكذبة للبعل وغيره»(٦).

لقد أنزل إيليا نارًا من السماء لتلتهم القائدين مع جنودهما. هذه هي روح العهد القديم، ولكن العهد الجديد، عهد الإنجيل، مختلف تمامًا عن ذلك، فالإنجيل يعلّمنا أن اثنين من تلاميذ المسيح، هما يعقوب ويوحنا، طلبا من السيد المسيح أن يُنزل نارًا من السماء تُفني السامريين الذين رفضوا قبول المسيح في بلدهم، ولكن المسيح وبّخهما (لو ٥٥:٩) لئن كنا نجد في العهد القديم عقاب الله على الخطاة فإننا نجد في الإنجيل شفقة الله على الأشرار، فلم يرسل الله المسيح إلى العالم ليدين العالم بل ليخلّص به العالم. لقد جاء ليكسب البشرية بحبه المعلن من خلال الصليب، وليس بحرقهم بالنار.

عزيزي القارئ: لم يؤمن أخزيا في صباه بالله الحقيقي الذي أنزل النار من السماء والتهمت الذبيحة، ولم يتعلم مِن قتل الضابط الأول والثاني مع جنودهما. وحتى عندما ذهب إليه النبي إيليا ليخبره بقول الرب لم يتُبْ، بل استمر في ضلاله وعبادته الوثنية فكانت الكارثة. وأنا أرجوك ألا تهمل أصوات التحذير والإنذار التي يرسلها الرب لك.

المراجع

(١) دائرة المعارف الكتابية، ج٢، ص١٧٨.

(٢) الأب تادرس يعقوب ملطي، الملوك الثاني، ص٢١٦.

(3) Snaith, Norman H. The Interpreter's Bible Commentary. V. 3. The First and Second Book of Kings., p. 373.

(4) The NIV Study Bible, p.411.

(٥) الأب تادرس يعقوب ملطي، الملوك الثاني، ص٢١٨.

(٦) المرجع السابق، ٢١٩.

(٣٦)

هل هو إله يستجيب لطلب اللعنة والانتقام؟

«ثُمَّ صَعِدَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى بَيْتِ إِيلَ. وَفِيمَا هُوَ صَاعِدٌ فِي الطَّرِيقِ إِذَا بِصِبْيَانٍ صِغَارٍ خَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ وَسَخِرُوا مِنْهُ وَقَالُوا لَهُ: اصْعَدْ يَا أَقْرَعُ! اصْعَدْ يَا أَقْرَعُ! فَالْتَفَتَ إِلَى وَرَائِهِ وَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ. فَخَرَجَتْ دُبَّتَانِ مِنَ الْوَعْرِ وَافْتَرَسَتَا مِنْهُمُ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَلَدًا. وَذَهَبَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى جَبَلِ الْكَرْمَلِ. وَمِنْ هُنَاكَ رَجَعَ إِلَى السَّامِرَةِ» (٢مل ٢: ٢٣-٢٥).

تقول القصة التي أمامنا أن أليشع كان في طريقه من أريحا إلى بيت إيل. وفيما هو في الطريق إذا بمجموعة صبيان صغار قد خرجوا من بيت إيل يسخرون منه قائلين: يا أقرع يا أقرع! فلعنهم باسم الرب. فخرجت دبتان من الوعر وافترستا من الأولاد اثنين وأربعين ولدًا. هذه القصة تطرح العديد من الأسئلة مثل:

يعلق د. منقذ بن محمود السقار على هذه القصة قائلًا: «هل يعقل أن نبيًا يدعو بالهلاك على أطفال صغار عيّروه؟ وهل يستجيب الله، فيقتل الطفل البريء الذي أساء الأدب؟ ثم لو كان هذا صحيحًا، فما فائدة تخليده في كتاب ينسب إلى الله، وأي خير أو هدى تتعلمه البشرية منه، هل نقتل أطفالنا وندعو عليهم بالثبور إذا أخطأوا في حقنا أو حق الآخرين؟»[1].

هذه القصة تطرح فعلًا العديد من الأسئلة مثل:

لماذا يسمح الله بافتراس ٤٢ صبيًا لمجرد أنهم نطقوا بكلمات سخرية ضد أليشع؟

لماذا لم يسامح نبي الله هؤلاء الأطفال؟

كيف يستجيب الله طلبة مثل هذه ويقتل أولادًا صغار؟

كيف يرسل الله الحب دبتان لتفترسا الأطفال؟ أليس هذا إله في غاية القسوة؟

وللإجابة على هذه الأسئلة، وقبل أن نتهم النبي أليشع، أو الله بالقسوة، يجب علينا أن نفكر في عدة أسئلة هامة جدًا تساعدنا على فهم صحيح لهذه الحادثة في سياقها اللغوي والحضاري والتاريخي واللاهوتي وهي:

متى حدثت هذه الحادثة؟

وأين حدثت هذه الحادثة؟

ومن هم هؤلاء الأولاد الصغار؟

وهل كانوا فعلًا أطفالًا صغار؟

وماذا كانوا يريدون من أليشع؟

ولماذا غضب أليشع؟

أولًا: متى حدثت هذه الحادثة؟

لقد حدثت هذه القصة في بداية خدمة أليشع النبي. فبعد أن صعد إيليا النبي إلى السماء، عند نهر الأردن، صنع أليشع معجزته الأولى، إذ ضرب ماء نهر الأردن فانفلق النهر، وعبر أليشع على الأرض اليابسة. بعدها مباشرة ذهب أليشع إلى أريحا. وهناك جاءه رجال مدينة أريحا بشكوى قالوا فيها: «هُوَذَا مَوْقِعُ الْمَدِينَةِ حَسَنٌ كَمَا يَرَى سَيِّدِي، وَأَمَّا الْمِيَاهُ فَرَدِيَّةٌ وَالأَرْضُ مُجْدِبَةٌ» (٢مل ٢:١٩). وهنا طلب النبي أليشع أن يجيئه أهل أريحا بصَحْن جديد يضعون فيه ملحًا. وذهب بالملح إلى نبع الماء، وطرح الملح فيه وقال: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: قَدْ أَبْرَأْتُ هذِهِ الْمِيَاهَ. لاَ يَكُونُ فِيهَا أَيْضًا مَوْتٌ وَلاَ جَدْبٌ». فَبَرِئَتِ الْمِيَاهُ إِلَى هذَا الْيَوْمِ، حَسَبَ قَوْلِ أَلِيشَعَ الَّذِي نَطَقَ بِهِ» (٢مل ٢: ٢١-٢٢). وهكذا حوَّل الله المياه الرديئة إلى مياه صالحة للشرب والري، وانصلح حال الأرض المجدبة وجادت بالثمر. ومن أريحا سافر أليشع الى بيت إيل. وعندما كان في الطريق حدثت القصة موضوع نقاشنا. وبحسب التقليد الكتابي فقد صعد إيليا حيًا إلى السماء حوالى عام ٨٦٠ ق.م. والدارس يعرف أن خدمة أليشع كانت في عهود الملوك يهورام وياهو ويهوآحاز ويوآش. وبدراسة التسلسل التاريخي لحياة أليشع نستطيع أن نقدِّر عمر أليشع عندما حدثت هذه الحادثة المشار إليها أعلاه بحوالي ٢٥ عامًا. أي أن أليشع كان في ريعان شبابه. وفي بداية خدمته بعد أن فارقه معلمه ومرشده إيليا النبي. وقد كان أليشع في حاجة شديدة إلى ما يؤيِّد ويدعِّم خدمته ليتمكن من القيام بمهمته النبوية في فترة زمنية صعبة وعصيبة، ووسط شعب صلب الرقبة. وكان يمكن لأي حركة معارضة أن تهدم خدمته في بدايتها.

ثانيًا: أين حدثت هذه الحادثة؟

لقد حدثت هذه الحادثة عندما كان أليشع في طريقه إلى بيت إيل. والدارس المدقق يعرف أنه بعد أن تولى يربعام بن ناباط المُلك على المملكة الشمالية، جعل من بيت إيل مركزًا رئيسيًا لعبادة العجل فنقرأ: «فَاسْتَشَارَ الْمَلِكُ وَعَمِلَ عِجْلَيْ ذَهَبٍ، وَقَالَ لَهُمْ: كَثِيرٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَصْعَدُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّذِينَ أَصْعَدُوكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. وَوَضَعَ وَاحِدًا فِي بَيْتِ إِيلَ، وَجَعَلَ الآخَرَ فِي دَانَ» (١مل ١٢: ٢٨-٢٩).

لقد تجاهل ما حدث في القديم مع الشعب عندما صعد موسى إلى الجبل وقال الشعب لهارون: «قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا» (خر ٣٢: ٤). وصنع لهم العجل الذهبي، وقالوا نفس العبارة التي قالها يربعام. ولقد تجاهل ما قاله الرب لموسى عندما صنع الشعب العجل الذهبي «اتْرُكْنِي لِيَحْمَى غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ» (خر ٣٢: ١٠).

ولعل السؤال الذي يواجهنا هنا هو: لماذا العجل الذهبي بالذات؟ إن أي دارس للتاريخ يعرف أن الشعوب الشرقية القديمة كانت تعبد العجول وتقدسها. فالعجل في الشرق القديم هو إله الخصب والنماء، وكان شعب أرام ينظر للثيران على أنها رمز القوة. وكان العجل أبيس من آلهة

المصريين المقدسة. لذلك أطلق هوشع على «بيت إيل» «بيت آون» (هو ٤:١٥؛ ٥:٨؛ ١٠،٥) أي بيت البُطل، بيت الأصنام.

لذلك لم يكن خروج هؤلاء الأولاد واعتراضهم طريق أليشع عند دخوله بيت إيل بالصدفة، أو مجرد مجموعة من الأطفال يلعبون، وإنما كانت خطة قد أعدها كهنة البعل والعاملين لحساب الوثنية لمنع رجل الله من دخول المدينة. فهناك أيضًا كان يقيم بعض بني الأنبياء الذين كانوا يعتبرون إيليا سيدًا ومعلمًا لهم. لذلك كان هناك صراعًا دينيًا عنيفًا. فكانت سخريتهم بقصد تحطيم الإيمان بالله الحي.

ويرى آخرون أنهم كانوا تلاميذ لأحد قادة الوثنية، كرَّس حياته للتعليم ضد التقوى والحياة الصالحة. وربما كانوا يجتذبون أعدادًا كبيرة من الشباب حولهم.

ثالثًا: هل كانوا فعلًا أطفالًا صغارًا؟

إن قول البعض إن النبي أليشع تعرض لمجموعة من الأطفال الصغار هو أمر لا يتوافق مع القراءة الدقيقة للنص الكتابي. فالعبارة المترجمة إلى العربية «صِبْيَانٍ صِغَارٍ» أو «الْفِتْيَانِ الصِّغَارِ» بحسب (ت ك ح) هي في اللغة العبرية: (נערים קטנים) (نعريم قطنيم) وهي لا تعني أولادًا صغارًا بين السادسة والعاشرة من العمر، بل تشير إلى فتيان بين الثانية عشرة والثلاثين سنة[1] (راجع تك ٢٢:١٢، ٣٧:٢، ١ملوك ٢٠:١٤-١٥).

فيقول آدم كلارك (Adam Clarke)[2]: إن هذه العبارة تعني رجالًا صغارًا (young men). وأن الكلمة العبرية المترجمة «صبي» هي (נער) «نعار» أطلقت على إسحق وهو ابن ١٨ سنة (تك ٢٢: ٥-١٢). وأطلقت على يوسف وهو ابن ٢٩ سنة، فقد قال رَئِيسُ السُّقَاةِ لِفِرْعَوْنَ: «وَكَانَ هُنَاكَ مَعَنَا غُلاَمٌ (נער) عِبْرَانِيٌّ عَبْدٌ لِرَئِيسِ الشُّرَطِ. فَقَصَصْنَا عَلَيْهِ، فَعَبَّرَ لَنَا حُلْمَيْنَا. عَبَّرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ حُلْمِهِ» (تك ٤١:١٢). وأطلقت على سليمان في بداية مُلكه «وَالآنَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهِي، أَنْتَ مَلَّكْتَ عَبْدَكَ مَكَانَ دَاوُدَ أَبِي، وَأَنَا فَتىً (נער) صَغِيرٌ لاَ أَعْلَمُ الْخُرُوجَ وَالدُّخُولَ» (١مل ٣:٧). بل وأُطلِق على «رئيس المقاطعة» كلمة غلام فنقرأ: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هَلْ رَأَيْتَ كُلَّ هذَا الْجُمْهُورِ الْعَظِيمِ؟ هأَنَذَا أَدْفَعُهُ لِيَدِكَ الْيَوْمَ، فَتَعْلَمَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ». فَقَالَ أَخْآبُ: «بِمَنْ؟» فَقَالَ: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: بِغِلْمَانِ (נערים) رُؤَسَاءِ الْمُقَاطَعَاتِ». فَقَالَ: «مَنْ يَبْتَدِئُ بِالْحَرْبِ؟» فَقَالَ: «أَنْتَ». فَعَدَّ غِلْمَانَ (נערים) رُؤَسَاءِ الْمُقَاطَعَاتِ فَبَلَغُوا مِئَتَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَثَلاَثِينَ. وَعَدَّ بَعْدَهُمْ كُلَّ الشَّعْبِ، كُلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَبْعَةَ آلاَفٍ» (١مل ٢٠: ١٣-١٥).

ويقول جون جيل (John Gill)[4] في تفسيره (John Gill's exposition of the entire Bible) إن هذه العبارة كانت تُطلق على أشخاص في سن الثلاثين أو الأربعين.

وقد وردت هذه العبارة في بعض الترجمات كالآتي:

(HNV) some youths

(WEB) some youths

(ASV) young lads

فلم تكن القصة عبارة عن مجموعة أطفال يلعبون، وإنما اعترض طريق أليشع مجموعة كبيرة من الشباب المراهقين والمستهزئين والمستهترين، ربما يزيد عددها عن ٩٠ أو ١٠٠ شاب. فإن كانت الدبتان قد قتلت ٤٢ شابًا منهم فكم يكون عدد الناجين؟

رابعًا: ماذا كانوا يريدون من أليشع؟

قد يتساءل القارئ السطحي: ما هو الجرم الذي اقترفه هؤلاء الشباب حتى يطلب لهم أليشع اللعنة؟ أليس ما كانوا يقولونه من كلمات استهزاء وسخرية هو نفس ما نسمعه بين الحين والآخر في شوارع مدننا وقرانا ونغض الطرف عنه؟

ولكن الدراسة العميقة للنص ترينا أن عبارات هؤلاء الشباب لم تكن بسيطة ولا ساذجة ولا نوعًا من التسلية. إنما كانت عميقة وهادفة إلى أبعد ما تبدو للوهلة الأولى. فدعنا نحلل ما كانوا يقصدونه:

كان هؤلاء الشباب يقولون: «اصْعَدْ يَا أَقْرَعُ! اصْعَدْ يَا أَقْرَعُ!». والسؤال: لماذا كان يصفون أليشع بأنه «أقرع»؟

هل كان أليشع فعلًا أقرع؟

بكل تأكيد لم يكن أليشع أقرع. فكما ذكرت سابقا كان عمره حوالي ٢٥ سنة. فلم يكن شعره قد تساقط بعد. وقد كانت الشعوب الوثنية قديمًا تمارس عادة حلاقة الشعر تمامًا. ولكن الله منع الإسرائيليين من اتباع هذه الممارسة فنقرأ: «لاَ يَجْعَلُوا قَرْعَةً فِي رُؤُوسِهِمْ، وَلاَ يَحْلِقُوا عَوَارِضَ لِحَاهُمْ» (لا ٢١:٥. راجع تث ١٤:١). إذن فليس من المعقول أن يكون أليشع قد حلق شعره وخالف هذه الوصية الصريحة. ولكن قد يقول قائل: ربما كان أليشع أقرع بالطبيعة. أو خالف الوصية وحلق شعر رأسه. نقول حتى لو كان هذا الأمر أو ذاك. فقد كان من المستحيل أن يرى أحد رأسه ليعرف إن كان أقرع أو لا. لأن العادة كانت أن يغطي الأنبياء رؤوسهم.

الحقيقة هي أن كلمة «أقرع» كانت تستخدم قديمًا ككلمة سخرية واستهزاء واحتقار. وليس بالضرورة لتصف خلو الرأس من الشعر. وتشير أيضًا دائرة المعارف الكتابية إلى أن هذه الكلمة استُخدِمَت في هذه الحادثة بصورة مجازية. أي ككلمة سباب لأليشع. فالأمر ليس مجرد تعيير بالقرع بل إهانة واحتقار هادفين[٥]. ويرى بعض المفسرين أن كلمة «أقرع» كانت تشير إلى المصابين بالبرص. فقد أمرت الشريعة بحلق شعر الأبرص. لذلك قولهم «يا أقرع» كان شتيمة كبيرة. لأن عبارة «يا أقرع» كانت تعادل «يا أبرص» وهذا يعني أن هؤلاء الصبيان يريدون أن يقولوا لأليشع «يا أبرص»... «يا نجس».

ونأتي للسؤال الثاني: ماذا كانوا يقصدون بكلمة «اصعد»؟

يرى عدد كبير من المفسرين في قولهم لأليشع: «اصعد يا أقرع» مكررين ذلك أنهم يسخرون مما أعلنه للشعب عن صعود معلمه إيليا. فقد كانوا يحملون عداوة لإيليا ولتلاميذه. وكأنهم يقولون: هل تقول إن إيليا صعد. ونحن نريدك أن تصعد أنت أيضًا. إن كنت تقول إن إيليا قد صعد في مركبة نارية إلى السماء. فما الذي يمنع من صعودك يا أيها المجنون؟ «هيا يا أقرع! أتبع سيدك الذي صعد قبلًا. هيا اصعد كما صعد هو. أرحنا منك ومن تعاليمك. اغرب عن وجوهنا. إننا لا نريدك!». وهي ترد في (ت ك ح) كالآتي:

«وَفِيمَا هُوَ سَائِرٌ فِي طَّرِيقِه خَرَجَ بَعْضُ الْفِتْيَانِ الصِّغَارِ مِنَ الْمَدِينَةِ وَشَرَعُوا يَسْخَرُون مِنْهُ قَائِلِينَ: «اصْعَدْ (في العاصفة) يَا أَقْرَعُ!».

إن ما فعله هؤلاء الصبيان كان يمثل خطة

خطيرة قام بها أهل بيت إيل. بعدما سمعوا كيف كرَّمه بنو الأنبياء في أريحا عندما رأوه قد شق نهر الأردن أمامهم بقوة الله. وحوَّل مياه النبع الرديئة إلى مياه صالحة. وأصلح الأرض المجدبة لحساب كل أهل المدينة. وبدأت أريحا تشهد لصعود إيليا رجل الله. فلكي يحطموا هذه الكرازة قبل وصول أليشع إلى بيت إيل أرسلوا هؤلاء الصبيان. ليسخروا منه. ويتحرشوا به. وليحطموا نفسيته. وليشوهوا سمعته حتى لا يصدق أحد كلامه إن رد في بيت إيل ما قد أقنع به كثيرين في أريحا. ولكي لا يصغي أحد من بيت إيل إلى كلماته بخصوص صعود إيليا بمركبة نارية.

خامسًا: لماذا لعنهم أليشع باسم الرب؟

لقد لعنهم أليشع باسم الرب للأسباب الآتية:

(١) رأى أليشع في لحظة أن حياته مهددة بالخطر. فمجموعة كبيرة من الشباب تحيط به. غاضبة جدًا. وتسخر منه. وتكيل له السباب. فمن يدري ماذا سوف يحدث بعد قليل؟ هل سيضربونه بالعصي؟ هل سيطرحونه أرضًا؟ هل سيرمونه بالحجارة؟

والجدير بالملاحظة في هذا السياق. أنه في الترجمة السبعينية للعهد القديم. وردت عبارة «ورجموه بالحجارة» وفي هذا إشارة إلى توقع أحد النساخ قديمًا لما كان متوقعًا أن يحدث لأليشع من قبل هؤلاء الشباب.

(٢) لم يشعر أليشع أن ما يحدث مجرد إهانة شخصية له. ولا مجرد إهانة لسيده إيليا الذي صعد في مركبة نارية للسماء. وللأسف مازالوا يقاومونه حتى بعد صعوده.

وإنما كانت إهانة بالغة إلى رسالته النبوية التي أوكله الله بها. وإلى عمل الله من خلاله وخلال معلمه إيليا. وبالتالي هي إهانة موجهة مباشرة إلى الله (لا ٢٤:١٠-١٦. تث ١٨:١٩). فمعارضة النبي وخدمته هي بمثابة معارضة لله ومقاصده.

(٣) لم يرد في كل الكتاب المقدس أن أليشع صلى لكي يعاقبوا بمثل هذا العقاب. فهو لم يطلب من الله إرسال الدببة للدفاع عنه. ولم يطلب النقمة لنفسه. ولم يسأل شيئًا لتأديبهم. إنما ترك الأمر في يدي الله. لقد نظر إلى الشباب ولعنهم باسم الرب. وكلمة «لعنة» في اللغة العبرية مشتقة من الفعل «قلل». أي أنه طلب من الله أن يقلل شأنهم. إن الذي يكرم أنبياء الله يكرمه الله. ومن يقلل من شأنهم يقلل الله من شأنه. وكانت النتيجة أن الله أرسل الدببة من الوعر فافترستا الشباب.

لم يقتل أليشع هؤلاء العابثين. بل الذي قتلهم هو الله الذي أرسل الدببة لافتراسهم. وهو الحكيم العارف القلوب العادل في الحكم.

سادسًا: لماذا سمح الله بافتراس هؤلاء الشباب؟

لعل السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل الأمر يستحق خروج الدببة لتفتك بهؤلاء الشباب؟

وردًا على هذا السؤال أقدم هذه الملاحظات الهامة:

(١) لم يتصرف الله بخلاف ما أعلنه في شريعته. فالشريعة قضت بالعقاب الصارم – بواسطة الوحش – لكل من لا يطيع

صوت الرب: «وَإِنْ سَلَكْتُمْ مَعِي بِالْخِلاَفِ، وَلَمْ تَشَاءُوا أَنْ تَسْمَعُوا لِي، أَزِيدُ عَلَيْكُمْ ضَرْبَاتٍ سَبْعَةً أَضْعَافٍ حَسَبَ خَطَايَاكُمْ. أُطْلِقُ عَلَيْكُمْ وُحُوشَ الْبَرِّيَّةِ فَتُعْدِمُكُمُ الأَوْلاَدَ، وَتَقْرِضُ بَهَائِمَكُمْ، وَتُقَلِّلُكُمْ فَتَتَوَحَّشُ طُرُقُكُمْ.» (لا ٢٦:٢١-٢٢).

كانت هذه الحادثة، التي ربما ذهب ضحيتها عدد من الشباب، بمثابة تحذير وتنبيه وتذكير للشعب في حال عدم طاعته وازدرائه بالله وبأنبيائه. إن دينونة مرعبة تنتظر من يفعل ذلك. فهل اتعظ الشعب آنذاك؟ يبدو أن ملك يهورام بن آخاب عامل أليشع باحترام بعد هذه الحادثة (٢مل ٣:١١-١٣). ولكن يخبرنا السجل التاريخي أن الشعب ككل لم يتعظ، فكان لابد من دينونة أقصى وعقاب أمر. وهذا ما حدث فعلًا عندما هجم الأشوريون عام ٧٢٢ ق.م. وسبوا الشعب ويخبرنا التاريخ أن الأشوريين كانوا أشد شراسة بما لا يقاس من الدبتين: «فَكَانُوا (الشعب ورؤساء الكهنة) يَهْزَأُونَ بِرُسُلِ اللَّهِ وَرَذَلُوا كَلاَمَهُ وَتَهَاوَنُوا بِأَنْبِيَائِهِ، (تمامًا كما فعلوا بأليشع) حَتَّى ثَارَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى شَعْبِهِ حَتَّى لَمْ يَكُنْ شِفَاءٌ. فَأَصْعَدَ عَلَيْهِمْ مَلِكَ الْكِلْدَانِيِّينَ فَقَتَلَ مُخْتَارِيهِمْ بِالسَّيْفِ فِي بَيْتِ مَقْدِسِهِمْ. وَلَمْ يُشْفِقْ عَلَى فَتًى أَوْ عَذْرَاءَ وَلاَ عَلَى شَيْخٍ أَوْ أَشْيَبَ. بَلْ دَفَعَ الْجَمِيعَ لِيَدِهِ» (٢أخ ٣٦،١٧:١٦) لم يتعظوا فكان العقاب الموعود به!

(٢) لقد سمح الله بما حدث مع هؤلاء العابثين المستهترين حتى يتغلغل الخوف في قلوب أية عصابة أخرى مثل هذه تفكر في السخرية والاستهزاء برجال الله. وما فعله هؤلاء الشباب ليس بالإهانة الصغيرة. فقد سخروا بنبي الله. وبما أن النبي يمثل فم الله بالنسبة للشعب، لأنه يكلمهم بكلام الله، يكون خطأ هؤلاء الشباب موجه أيضًا إلى الله في شخص هذا النبي. فالذي يضطهد خادم الله يضطهد الله نفسه. وقد أراد الله بذلك تقديم درس للأجيال كلها. فما حدث لم يقدم حماية لأليشع فقط، بل لكل خدام الله الذين يمكن أن يكونوا موضوع هزء العابثين. فلو لم يحدث ما حدث مع هؤلاء العابثين لصاروا هم وغيرهم خطرًا يهدد حياة جميع رجال الله. تخيل معي مجموعة من الشباب الفاسد تعترض طريق أحد الوزراء وتسئ إليه وتتحرش به وتكيل له الشتائم، وكل أجهزة الأمن لا تتحرك ولا تتخذ الحكومة أي موقف. فكيف سيكون حال البلد، وما هو موقف باقي الوزراء؟! لقد أراد الرب أن يتعلّم كل بني إسرائيل أن الله الإله الحي قادرٌ أن يحمي كلمته ورجاله من مؤامرات الأشرار. فأرسل الدبتين من الغابة لتشهدا لكل الأجيال والعصور عن خطورة مقاومة الحق الإلهي، والإستهانة برجال الله، فافترستاهم.

(٣) يرى بعض المفسرين أن ما حلّ بالصبيان كان لتأديب عائلاتهم المقاومين للحق الالهي. فيشير القديس أغسطينوس في تعليقه على هذه الحادثة إلى أن أهالي المدينة كانوا وراء أولادهم في مقاومة نبي الله أليشع. ويقول القديس أفرام السرياني: «يبدو أن وقاحة الأولاد كانت ثمرة تعليم والديهم. ويمكننا القول إنهم قد أُرسِلوا من والديهم ليرددوا ما قد تعلموه». ويقول أيضًا

الأب قيصريوس أسقف أرل: «إن ما فعله الصبيان كان بتحريض من والديهم، فإنه واضح أنه ما كان لهؤلاء الصبية أن يصرخوا هكذا لو أن هذا لا يسر والديهم». ويضيف قائلًا: لقد أراد الروح القدس من خلال أليشع أن يوقف كبرياء اليهود، فجعل دبتين تأتيان وتمزقان الاثنين وأربعين صبيًا، وذلك لأنه عندما يضرب الصبيان يتأدب الكبار، ويكون موت الأولاد درسًا للآباء لعلهم يتعلمون على الأقل مهابة نبي الله، هذا الذي رفضوا أن يحترموه عندما صنع المعجزات أمامهم. وعلى أي الأحوال تمادى اليهود في شرورهم... فتحقق فيهم المكتوب: «لِبَاطِلٍ ضَرَبْتُ بَنِيكُمْ. لَمْ يَقْبَلُوا تَأْدِيبًا» (إر ٢:٣٠).

(٤) يرى العلامة ترتليانوس أن الله سمح بافتراس هؤلاء الصبية الساخرين بالنبي أليشع ليؤكد أنه ليس لديه محاباة، فكما يهلك الله الغرباء الوثنيون عندما يقاومون الحق هكذا يؤدب شعبه أيضًا حتى وإن كانوا شبابًا صغارًا متى أصروا على الشر[٦].

(٥) يعتقد عدد كبير من العلماء أن كلمة «افترستا» (ותבקענה) لا تعني بالضرورة الموت كلية، بل قد تشير إلى هجوم الدبتين على الشبان بقصد تفريقهم وتخويفهم عن طريق العض والنهش. وقد تُرجمت الكلمة العبرية «افترستا» (ותבקענה) في بعض الترجمات إلى الإنجليزية (mauled) وهي تعني «نهشتهم» أو «وجهت لهم ضربات موجعة».

(HNV) He looked behind him and saw them, and cursed them in the name of the LORD. Two female bears came out of the woods, and mauled forty-two of those youths.

(WEB) He looked behind him and saw them, and cursed them in the name of Yahweh. Two female bears came out of the woods, and mauled forty-two of those youths.

(NIV) He turned around, looked at them and called down a curse on them in the name of the LORD. Then two bears came out of the woods and mauled forty-two of the boys.

(NLT) Elisha turned around and looked at them, and he cursed them in the name of the Lord. Then two bears came out of the woods and mauled forty-two of them.

وتُرجمت في بعض الترجمات الأخرى إلى الإنجليزية (tare) وهي تعني «طرحتهم» أو «أصابتهم بعاهة».

(ASV) And he looked behind him and saw them, and cursed them in the name of Jehovah. And there came forth two she-bears out of the wood, and tare forty and two lads of them.

(KJV) And he turned back, and looked on them, and cursed them in the name of the LORD. And there came forth two she bears out of the wood, and tare forty and two children of them.

*أخيرًا أختم وأقول: حين تسمع أن أليشع لعن الصبيان، فلا تظن بأن غضبه غلبه، أو أنه كان

يطلب النقمة لنفسه. كلا. فالشجرة الصالحة التي تخرج ثمارًا طيبة، لا يمكن أن يخرج منها فرعًا يصنع ثمارًا رديئة، لأن كل ثمارها حسنة. وهكذا كان أليشع، تأمل في كل تصرفاته كيف كانت حسنة، إذ اهتم بشفاء الناس، وراحتهم وسلامهم وحياتهم الأبدية. إن ما فعله أليشع كان بهدف تنقية البشرية من روح السخرية والاستهزاء بكلمة الله، وأنبياء الله، ومن روح الاستهتار بالمقدسات. إن ما فعله يشبه ما فعله فينحاس بن ألعازار من أجل غيرته على تقديس هيكل الله (سفر العدد ٢٥). فما فعله فينحاس في ظاهره قتل اللذين كانا يستخفان بقدسيه الهيكل، لكن في نية فينحاس كان ذلك تطهيرًا من الزنا والفساد والاستخفاف بمقادس العلي. فلو لم يكن يقصد أن يفيدهم ويفيد كل البلد لما منعهم من الاستهزاء والسخرية، ولما فوّض الأمر إلى الله. وما أروع ما قاله العلامة ترتليانوس من أن الله أفتقد شعبه بأن أرسل الدبتين لتأديبهم، فما أتعس الشعب الذي يعيش بلا تأديب. فالتأديب هو علامة الرحمة الإلهية.

المراجع

(١) د. منقذ بن محمود السقار، إله العهد القديم، ص٨٣.

(2) William L. Holladay. A Concise Hebrew and Aramaic Lexicon of the O.T., p. 299.

(3) Adam Clarke's Commentary on the Bible, p.247.

(4) John Gill's Exposition of the Entire Bible, p. 237.

(٥) دائرة المعارف الكتابية، ج١، ص٢١٣.

(٦) تادرس يعقوب ملطي - الأب، الملوك الثاني، ص٢٨٨.

(٣٧)

هل هو إله يستخدم روح كذب لتنفيذ مقاصده؟

«فَقَالَ الرَّبُّ: مَنْ يُغْوِي أَخْآبَ فَيَصْعَدَ وَيَسْقُطَ فِي رَامُوتَ جِلْعَادَ؟ فَقَالَ هذَا هكَذَا، وَقَالَ ذَاكَ هكَذَا. ثُمَّ خَرَجَ الرُّوحُ وَوَقَفَ أَمَامَ الرَّبِّ وَقَالَ: أَنَا أُغْوِيهِ. وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: بِمَاذَا؟ فَقَالَ: أَخْرُجُ وَأَكُونُ رُوحَ كَذِبٍ فِي أَفْوَاهِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ. فَقَالَ: إِنَّكَ تُغْوِيهِ وَتَقْتَدِرُ فَاخْرُجْ وَافْعَلْ هكَذَا. وَالآنَ هُوَذَا قَدْ جَعَلَ الرَّبُّ رُوحَ كَذِبٍ فِي أَفْوَاهِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِكَ هؤُلاَءِ، وَالرَّبُّ تَكَلَّمَ عَلَيْكَ بِشَرٍّ» (١مل ٢٢: ٢٠-٢٣، راجع ٢أخ ١٨: ١٨-٢٢).

يعلق د. منقذ بن محمود السقار على هذه القصة قائلًا: «نرى الرب هنا وهو يأمر بالإغواء والكذب، ويبحث عمن يرشده إلى طريقة لإغواء آخاب»[1].

والسؤال: كيف يرسل الله رُوحَ كَذِبٍ فِي أَفْوَاهِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ؟ هل الله يحب أن يُغْوِي عبيده؟ وهل يستعمل الله أرواحًا شريرة لتنفيذ مقاصده؟

لكي نجيب على هذه الأسئلة يجب أن نعرف من هو أَخْآبَ؟ والخلفية التاريخية للقصة التي أمامنا؟ ومن هم الأنبياء الذين يتحدث عنهم الوحي هنا؟

أولًا: حقيقتان هامتان:

(١) الله لا يضلل أيّ إنسان:

لأنه يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ (اتي ٢: ٤). وهو الذي قال: «حَيٌّ أَنَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. إِنِّي لاَ أُسَرُّ بِمَوْتِ الشِّرِّيرِ، بَلْ بِأَنْ يَرْجِعَ الشِّرِّيرُ عَنْ طَرِيقِهِ وَيَحْيَا. ارْجِعُوا ارْجِعُوا عَنْ طُرُقِكُمُ الرَّدِيئَةِ. فَلِمَاذَا تَمُوتُونَ؟» (حز ٣٣: ١١).

وهو الذي يهدي الضالين ويقودهم إلى طريق الخلاص والحياة الأبدية. ألم يُقِم في العهد القديم نظام الكهنوت واشترط أن يكون رَئِيس الكَهَنَة مترفقًا بالجهال والضالين؟ «لأَنَّ كُلَّ رَئِيسِ كَهَنَةٍ مَأْخُوذٍ مِنَ النَّاسِ يُقَامُ لأَجْلِ النَّاسِ فِي مَا لِلَّهِ، لِكَيْ يُقَدِّمَ قَرَابِينَ وَذَبَائِحَ عَنِ الْخَطَايَا، قَادِرًا أَنْ يَتَرَفَّقَ بِالْجُهَّالِ وَالضَّالِّينَ، إِذْ هُوَ أَيْضًا مُحَاطٌ بِالضُّعْفِ. ٣وَلِهَذَا الضُّعْفِ يَلْتَزِمُ أَنَّهُ كَمَا يُقَدِّمُ عَنِ الْخَطَايَا لأَجْلِ الشَّعْبِ هَكَذَا أَيْضًا لأَجْلِ نَفْسِهِ». (عب ٥: ١-٣). فمن الجهل أن نظن أن الله الذي يطلب من رَئِيس الكَهَنَة أن يكون مترفقًا بالضالين هو الذي يضللهم؟ ونحن كنا ضالين ولكن محبة الله ونعمته هي التي قادتنا إلى التوبة والخلاص: «لأَنَّنَا كُنَّا نَحْنُ أَيْضًا قَبْلًا أَغْبِيَاءَ، غَيْرَ طَائِعِينَ، ضَالِّينَ،

مُسْتَعْبَدِينَ لِشَهَوَاتٍ وَلَذَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ. عَائِشِينَ فِي الْخُبْثِ وَالْحَسَدِ. مَمْقُوتِينَ. مُبْغِضِينَ بَعْضُنَا بَعْضًا. وَلَكِنْ حِينَ ظَهَرَ لُطْفُ مُخَلِّصِنَا اللهِ وَإِحْسَانُهُ - لاَ بِأَعْمَالٍ فِي بِرٍّ عَمِلْنَاهَا نَحْنُ. بَلْ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ -خَلَّصَنَا بِغَسْلِ الْمِيلاَدِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (تي ٣: ٣-٥).

(٢) الله يدين من يضل الآخرين:

كيف يضل الناس وهو الذي يدين المضلّين؟ لقد قال على لسان موسى: «مَلْعُونٌ مَنْ يُضِلُّ الأَعْمَى عَنِ الطَّرِيقِ» (تث ٢٧:١٨). وقال على لسان الحكيم: «مَنْ يُضِلُّ الْمُسْتَقِيمِينَ فِي طَرِيقٍ رَدِيئَةٍ فَفِي حُفْرَتِهِ يَسْقُطُ هُوَ» (أم ٢٨: ١٠). وقد حذَّر الرب يسوع كل من يحاول تضليل أو من يضع عثرة أمام المؤمنين الجدد فيقول: «وَمَنْ أَعْثَرَ أَحَدَ الصِّغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي فَخَيْرٌ لَهُ لَوْ طُوِّقَ عُنُقُهُ بِحَجَرِ رَحًى وَطُرِحَ فِي الْبَحْرِ» (مر ٩: ٤٢).

وأرجو أن تقرأ معي الآيات التالية لترى كيف يدين الله الأنبياء الكذبة:

«وَأَمَّا النَّبِيُّ الذِي يُطْغِي فَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِي كَلاَمًا لَمْ أُوصِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ أَوِ الذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ آلِهَةٍ أُخْرَى فَيَمُوتُ ذَلِكَ النَّبِيُّ» (تث ١٨: ٢٠-٢٢).

«هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ عَلَى الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يُضِلُّونَ شَعْبِي الَّذِينَ يَنْهَشُونَ بِأَسْنَانِهِمْ وَيُنَادُونَ: سَلاَمٌ! وَالَّذِي لاَ يَجْعَلُ فِي أَفْوَاهِهِمْ شَيْئًا يَفْتَحُونَ عَلَيْهِ حَرْبًا: «لِذَلِكَ تَكُونُ لَكُمْ لَيْلَةٌ بِلاَ رُؤْيَا. ظَلاَمٌ لَكُمْ بِدُونِ عِرَافَةٍ. وَتَغِيبُ الشَّمْسُ عَنِ الأَنْبِيَاءِ وَيُظْلِمُ عَلَيْهِمِ النَّهَارُ. فَيَخْزَى الرَّاؤُونَ وَيَخْجَلُ الْعَرَّافُونَ وَيُغَطُّونَ كُلُّهُمْ شَوَارِبَهُمْ لأَنَّهُ لَيْسَ جَوَابٌ مِنَ اللهِ» (مي ٣: ٥-٧).

هَئَنَذَا عَلَى الَّذِينَ يَتَنَبَّأُونَ بِأَحْلاَمٍ كَاذِبَةٍ يَقُولُ الرَّبُّ الَّذِينَ يَقُصُّونَهَا وَيُضِلُّونَ شَعْبِي بِأَكَاذِيبِهِمْ وَمُفَاخَرَاتِهِمْ وَأَنَا لَمْ أُرْسِلْهُمْ وَلاَ أَمَرْتُهُمْ... لِذَلِكَ هَئَنَذَا أَنْسَاكُمْ نِسْيَانًا وَأَرْفُضُكُمْ مِنْ أَمَامِ وَجْهِي أَنْتُمْ وَالْمَدِينَةَ الَّتِي أَعْطَيْتُكُمْ وَآبَاءَكُمْ إِيَّاهَا. وَأَجْعَلُ عَلَيْكُمْ عَارًا أَبَدِيًّا وَخِزْيًا أَبَدِيًّا لاَ يُنْسَى] (إر ٢٣: ٣٢، ٣٩).

ويحذر الرب شعبه باستمرار من الانسياق وراء الأنبياء الكذبة:

«إِذَا قَامَ فِي وَسَطِكَ نَبِيٌّ أَوْ حَالِمٌ حُلْمًا وَأَعْطَاكَ آيَةً أَوْ أُعْجُوبَةً وَلَوْ حَدَثَتِ الآيَةُ أَوِ الأُعْجُوبَةُ التِي كَلَّمَكَ عَنْهَا قَائِلًا: لِنَذْهَبْ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لَمْ تَعْرِفُهَا وَنَعْبُدْهَا فَلاَ تَسْمَعْ لِكَلاَمِ ذَلِكَ النَّبِيِّ أَوِ الْحَالِمِ ذَلِكَ الْحُلْمَ لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ يَمْتَحِنُكُمْ لِيَعْلَمَ هَلْ تُحِبُّونَ الرَّبَّ إِلهَكُمْ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَنْفُسِكُمْ. وَرَاءَ الرَّبِّ إِلهِكُمْ تَسِيرُونَ وَإِيَّاهُ تَتَّقُونَ وَوَصَايَاهُ تَحْفَظُونَ وَصَوْتَهُ تَسْمَعُونَ وَإِيَّاهُ تَعْبُدُونَ وَبِهِ تَلْتَصِقُونَ. وَذَلِكَ النَّبِيُّ أَوِ الْحَالِمُ ذَلِكَ الْحُلْمَ يُقْتَلُ لأَنَّهُ تَكَلَّمَ بِالزَّيْغِ مِنْ وَرَاءِ الرَّبِّ إِلهِكُمُ الذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ وَفَدَاكُمْ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ لِيُطَوِّحَكُمْ عَنِ الطَّرِيقِ التِي أَمَرَكُمُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ أَنْ تَسْلُكُوا فِيهَا. فَتَنْزِعُونَ الشَّرَّ مِنْ بَيْنِكُمْ» (تث ١٣: ١-٥).

«أَيَّتُهَا الأَوْلاَدُ. لاَ يُضِلَّكُمْ أَحَدٌ. مَنْ يَفْعَلُ الْبِرَّ فَهُوَ بَارٌّ كَمَا أَنَّ ذَاكَ بَارٌّ. مَنْ يَفْعَلُ الْخَطِيَّةَ فَهُوَ مِنْ إِبْلِيسَ. لأَنَّ إِبْلِيسَ مِنَ الْبَدْءِ يُخْطِئُ. لأَجْلِ هَذَا أُظْهِرَ ابْنُ اللهِ لِكَيْ يَنْقُضَ أَعْمَالَ إِبْلِيسَ» (١يو ٣: ٧،٨).

وقال الرب يَسُوعُ: «انْظُرُوا لاَ يُضِلَّكُمْ أَحَدٌ. فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِاسْمِي قَائِلِينَ: أَنَا هُوَ الْمَسِيحُ

وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ» (مت ٢٤: ٤-٥).

ثانيًا: الخلفية التاريخية للقصة التي أمامنا؟

من هو أَخْآب؟

أَخْآبُ بْنُ عُمْرِي. مَلَكَ عَلَى إِسْرَائِيلَ فِي السَّامِرَةِ حوالي عام ٨٧٥ ق.م. ومَلَكَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً. «وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الَّذِينَ قَبْلَهُ» (١مل ١٦: ٣١). وتزوج من إيزابل ابنة أثبعل ملك صيدون، وكانت امرأة وثنية شريرة تعبد البعل. فأثرت عليه وانقاد وراءها في عبادة البعل (١مل١٦: ٣٠-٣٣). وكانت تكره إله إسرائيل لدرجة أنها قتلت جميع أنبياء الرب. فكانت فترة حكمه مظلمة وحالكة في تاريخ شعب إسرائيل، فيها ابتعد إسرائيل جدًا عن الله وتركه وعبد آلهة أخرى وأغاظ الرب جدًا. فقد أقام مذبحًا للبعل في السامرة وعمل السواري وأقامها لعبادة الأوثان.

ولكن الرب لم يترك نفسه بلا شاهد. فأرسل إيليا النبي إلى أخآب فتنبأ بمجيء جفاف وقحط عقابًا له على خطيته (١مل ١٧: ١) وقد دام القحط في السامرة ثلاث سنين ونصف تقريبًا (١مل ١٨: ١، ولو ٤: ٢٥، يع ٥: ١٧). وكان الجوع شديدًا. وقال إيليا لأخآب أنه هو وأهل بيته هم سبب هذا الشر نتيجة عبادتهم للبعل. وبالرغم من ذلك لم يتب آخاب أو يرجع عن طرقه الردية، بل إزداد شرًا وفسادًا. فاستولى أخآب وايزابل على كرم نابوت اليزرعيلي بعد أن دبرا له مكيدة لقتله. وقُتِل ظلمًا بناء على شهادة شهود زور. فأرسل الرب إيليا ليقول لَهُ: «هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هَلْ قَتَلْتَ وَوَرِثْتَ أَيْضًا؟ فِي الْمَكَانِ الَّذِي لَحَسَتْ فِيهِ الْكِلاَبُ دَمَ نَابُوتَ تَلْحَسُ الْكِلاَبُ دَمَكَ أَنْتَ أَيْضًا. فَقَالَ أَخْآبُ لإِيلِيَّا: هَلْ وَجَدْتَنِي يَا عَدُوِّي؟ فَقَالَ: قَدْ وَجَدْتُكَ لأَنَّكَ قَدْ بِعْتَ نَفْسَكَ لِعَمَلِ الشَّرِّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ» (١مل ٢١: ١٩).

متى قيلت النبوة التي أمامنا؟

تحالف «يهوشافاط» ملك يهوذا مع «أَخْآب» ملك إسرائيل وزوَّج ابنه من ابنة أَخْآب «عثليا». وبعد ثلاث سنين لم تكن فيها حروب بين إسرائيل وآرام. أراد أخآب أن يسترد راموت جلعاد من الآراميين ويرجعها إلى ملكه فطلب من يهوشافاط أن ينزل معه للحرب ضد ملك آرام. وقد كان هذا لهلاك أَخْآب كما تنبأ إيليا بأنه سيموت وأن الكلاب ستلحس دمه في كرم نابوت اليزرعيلي. وهنا طلب يهوشافاط من أَخْآب أن يستشير أنبياء الرب. فَجَمَعَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ ٤٠٠ رجل من أنبياء البعل وَسَأَلَهُمْ: [أَأَذْهَبُ إِلَى رَامُوتَ جِلْعَادَ لِلْقِتَالِ أَمْ أَمْتَنِعُ؟] فَقَالُوا: [اصْعَدْ فَيَدْفَعَهَا السَّيِّدُ لِيَدِ الْمَلِكِ]. وكان على رأسهم صدقيا بن كنعنة الذي عمل لنفسه قرني حديد وقال لأَخْآب: [هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: بِهَذِهِ تَنْطَحُ الأَرَامِيِّينَ حَتَّى يَفْنُوا]. ونقرأ في آية «وَتَنَبَّأَ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ قَائِلِينَ: [اصْعَدْ إِلَى رَامُوتَ جِلْعَادَ وَأَفْلِحْ. فَيَدْفَعَهَا الرَّبُّ لِيَدِ الْمَلِكِ]». ولكن يَهُوشَافَاطُ الملك سَأَلَ: [أَمَا يُوجَدُ هُنَا بَعْدُ نَبِيٌّ لِلرَّبِّ فَنَسْأَلَ مِنْهُ؟] فَقَالَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ لِيَهُوشَافَاطَ: [يُوجَدُ بَعْدُ رَجُلٌ وَاحِدٌ لِسُؤَالِ الرَّبِّ بِهِ. وَلَكِنِّي أُبْغِضُهُ لأَنَّهُ لاَ يَتَنَبَّأُ عَلَيَّ خَيْرًا بَلْ شَرًّا. وَهُوَ مِيخَا بْنُ يَمْلَةَ]. فَقَالَ يَهُوشَافَاطُ: [لاَ يَقُلِ الْمَلِكُ هَكَذَا]. فأرسلوا لاستدعاء ميخا النبي. والغريب أن الرَّسُولُ الَّذِي ذَهَبَ لِيَدْعُوَ مِيخَا قال له: «هُوَذَا كَلاَمُ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ بِفَمٍ وَاحِدٍ خَيْرٌ لِلْمَلِكِ» وطلب منه أن يتنبأ بالخير للملك مثل باقي الأنبياء. ولكن مِيخَا قال له: [حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ إِنَّ مَا يَقُولُهُ

لِيَ الرَّبُّ بِهِ أَتَكَلَّمُ]. فلما جاء مِيخَا سَأَلَهُ الْمَلِكُ: [يَا مِيخَا، أَنَصْعَدُ إِلَى رَامُوتَ جِلْعَادَ لِلْقِتَالِ أَمْ نَمْتَنِعُ؟] فَقَالَ لَهُ: [اصْعَدْ وَأَفْلِحْ فَيَدْفَعَهَا الرَّبُّ لِيَدِ الْمَلِكِ]. وهي تأتي في الترجمة التفسيرية «فَأَجَابَهُ (بِتَهَكُّمٍ): «اذْهَبْ فَتَظْفَرَ بِهَا لأَنَّ الرَّبَّ يُسَلِّمُهَا إِلَى الْمَلِكِ». فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: [كَمْ مَرَّةٍ اسْتَحْلَفُتُكَ أَنْ لاَ تَقُولَ لِي إِلاَّ الْحَقَّ بِاسْمِ الرَّبِّ]. فَقَالَ: [رَأَيْتُ كُلَّ إِسْرَائِيلَ مُشَتَّتِينَ عَلَى الْجِبَالِ كَخِرَافٍ لاَ رَاعِيَ لَهَا. فَقَالَ الرَّبُّ: [لَيْسَ لِهَؤُلاَءِ أَصْحَابٌ. فَلْيَرْجِعُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى بَيْتِهِ بِسَلاَمٍ]. وهي تأتي في الترجمة التفسيرية «رَأَيْتُ كُلَّ إِسْرَائِيلَ مُبَدَّدِينَ عَلَى الْجِبَالِ كَخِرَافٍ بِلاَ رَاعٍ. فَقَالَ الرَّبُّ: لَيْسَ لِهَؤُلاَءِ قَائِدٌ. فَلْيَرْجِعْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى بَيْتِهِ بِسَلاَمٍ». والمعني المقصود أنك ستموت ويصبح الشعب بلا قائد ولكنهم سيرجعون إلى بيوتهم بسلام. ولذلك اغتاظ جدًا أخآب وقال لِيَهُوشَافَاطَ: [أَمَا قُلْتُ لَكَ إِنَّهُ لاَ يَتَنَبَّأُ عَلَيَّ خَيْرًا بَلْ شَرًّا؟]. فقال له ميخا النبي الكلمات التي هي موضوع سؤالنا:

[فَاسْمَعْ إِذًا كَلاَمَ الرَّبِّ: قَدْ رَأَيْتُ الرَّبَّ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّهِ، وَكُلُّ جُنْدِ السَّمَاءِ وُقُوفٌ لَدَيْهِ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ. فَقَالَ الرَّبُّ: مَنْ يُغْوِي أَخْآبَ فَيَصْعَدَ وَيَسْقُطَ فِي رَامُوتَ جِلْعَادَ؟ فَقَالَ هَذَا هَكَذَا وَقَالَ ذَاكَ هَكَذَا. ثُمَّ خَرَجَ الرُّوحُ وَوَقَفَ أَمَامَ الرَّبِّ وَقَالَ: أَنَا أُغْوِيهِ. وَسَأَلَهُ الرَّبُّ: بِمَاذَا؟ فَقَالَ: أَخْرُجُ وَأَكُونُ رُوحَ كَذِبٍ فِي أَفْوَاهِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ. فَقَالَ: إِنَّكَ تُغْوِيهِ وَتَقْتَدِرُ. فَاخْرُجْ وَافْعَلْ هَكَذَا. وَالآنَ هُوَذَا قَدْ جَعَلَ الرَّبُّ رُوحَ كَذِبٍ فِي أَفْوَاهِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِكَ هَؤُلاَءِ، وَالرَّبُّ تَكَلَّمَ عَلَيْكَ بِشَرٍّ].

وفور أن قال ميخا النبي هذه الكلمات ضربه صدقيا بقرني الحديد متهمًا إياه بالكذب، وأمر أخآب الملك بحبسه حتى يعود من الحرب. ولكنه مات في الحرب كما تنبأ ميخا.

ثالثًا: ما الذي قصده ميخا النبي بهذه الكلمات؟

(أ) تحذير أخآب من الأنبياء الكذبة:

أولًا ما يجب أن نلاحظه هو أن ما قاله ميخا النبي هنا هو عبارة عن مشهد تصويري، أو صورة تشبيهية وليست واقعية لتوصيل فكرة معينة إلى أخآب الملك. فالله الغير محدود لا يجلس على كرسي، وليس له عرش بالمعنى البشري، والروح لا يقف، وملائكة الله كثيره جدًا يصعب عدهم، فهو منظر تخيلي وليس حقيقي، لتوصيل رسالة معينة لأخآب. كان ميخا يريد من خلاله أن يقول لأخآب: انتبه واحترس فإن ما يتنبأ به أنبياؤك كذب وخداع وليس من الرب، بل من روح كذب وغش ونفاق.

وأنا أرجوك عزيزي القارئ أن تفكر معي لدقائق: هل ميخا النبي ضلل أخآب أم أخبره بالحق؟!

لو كان الرب يريد بالفعل أن يضلل أخآب هل كان قد جعل ميخا النبي يفضح كذب الأنبياء الكذبة أم يؤيد أقوالهم؟!

ثم لو كان الرب يريد بالفعل أن يغوي أخآب هل كان قد أرسل له من قبل إيليا النبي لينذره ويوبخه ويطلب منه أن يتوب عن شره؟!

ولو كان الرب يريد بالفعل أن يغوي أخآب فلماذا جعل ميخا النبي يصر على أن لا يقول إلا ما يأمره به الرب، فقال لمن أرسله الملك ليحضره إليه: «حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ إِنَّ مَا يَقُولُهُ لِيَ الرَّبُّ بِهِ أَتَكَلَّمُ!».

ولو كان الرب يريد بالفعل أن يغوي أخآب هل كان جعل ميخا يخبر أخآب بأن الموت في انتظاره؟!

إن ما قاله ميخا النبي إلى أخآب هو رسالة حب

من الله له، فهو يحذره من خطر قادم عليه، ويؤكد له أن أنبيائه تنبأوا له بالكذب، وأن روح الكذب هو الذي قادهم لذلك. كانت الشبهة ستكون صحيحة لو أن ميخا النبي قال له نفس ما قاله الأنبياء الكذبة.

من الذي ضلل أخآب؟

لقد كان ميخا النبي يريد أن يؤكد لأخآب أن أنبيائه - أنبياء البعل وأنبياء السواري الذين أحاط نفسه بهم هو وزوجته إيزابل الشريرة – هم الذين يضللونه. فهل الرب أرسل لهم روح كذب أم هم أصلًا مجموعة من الكذبة؟ كانت الشبهة ستكون صحيحة لو أنهم كانوا من قبل يتنبأون بالصدق وكذبوا هذه المرة فقط.

الشيء الغريب هو أن أخآب كان يعرف بل ومتأكد من أن ميخا هو نبي الرب الوحيد، بدليل أنه عندما سأله يَهُوشَافَاطُ: [أَمَا يُوجَدُ هُنَا بَعْدُ نَبِيٌّ لِلرَّبِّ فَنَسْأَلَ مِنْهُ؟] قَالَ أَخآب لِيَهُوشَافَاطَ: [يُوجَدُ بَعْدُ رَجُلٌ وَاحِدٌ لِسُؤَالِ الرَّبِّ بِهِ، وَلَكِنِّي أُبْغِضُهُ لأَنَّهُ لاَ يَتَنَبَّأُ عَلَيَّ خَيْرًا بَلْ شَرًّا. وَهُوَ مِيخَا بْنُ يَمْلَةَ]. (١مل ٢٢: ٧-٨).

ورغم معرفة أخآب بذلك فإنه كان يسأل الأنبياء الكذبة بل ويصر على ذلك، ولا يسأل ميخا لأنه يعرف أن ميخا سيقول الصدق، وأما الأنبياء الكذبة فسيقولون ما يريحه، لأنهم يتكلمون كلام حسب شهوة قلبه.

لقد كان يحب الشر أكثر من الرب، لذلك كان من الصعب عليه أن يسمع كلام الرب.

(ب) إعلان سلطان الله:

إن ما قصده ميخا النبي بقوله لأخآب: «وَالآنَ هُوَذَا قَدْ جَعَلَ الرَّبُّ رُوحَ كَذِبٍ فِي أَفْوَاهِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِكَ هَؤُلاَءِ، وَالرَّبُّ تَكَلَّمَ عَلَيْكَ بِشَرٍّ». أي أن الله قد سمح لروح الكذب أن يُضلّلك قصاصًا على شرك وفسادك. وقد اعتبر ميخا أن إرادة السماح تساوي الإرادة القصدية، وهذا عمل من أعمال سيادة الله في عالمنا. فالجميع في خدمته، سواء عرفوا هذا أو لم يعرفوه. وهذا يمجّد الله ولا يُنقص من كمال صفاته. ولو لم يكن الله صاحب السلطان المطلق على الأرواح الشريرة لكانت قبضته على عالمنا ضعيفة واهية، وهذا مستحيل!

أو بصيغة أخرى: عندما قال الرب لروح الكذب: «فَاخْرُجْ وَافْعَلْ هَكَذَا» أي أنه أخلى سبيل هذا الروح الشرير الذي قصد أن يُغوي أخآب. ولو لم يأذن له لما استطاع أن يكون روح كذبٍ في أفواه أنبياء أخآب الكذبة. فعدو الخير لا يستطيع أن يفعل شيئًا إلا بسماح من الرب، ولكن إذ سحب الله يده المانعة انفتح المجال لذلك الروح الشرير.

بكلمات أخرى: إن الرب ترك الأنبياء الكذبة يتنبأون بالكذب، وترك أخآب لغباءه وعناده، أي أسلمهم جميعًا إلى ذهنهم الرافض لنعمة الله ليفعلوا ما لا يليق.

كما يقول الرسول بولس: «لِذَلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ أَيْضًا فِي شَهَوَاتِ قُلُوبِهِمْ إِلَى النَّجَاسَةِ.... لِذَلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى أَهْوَاءِ الْهَوَانِ.... وَكَمَا لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْقُوا اللهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لاَ يَلِيقُ» (رو١: ٢٤،٢٦،٢٨. راجع أيضًا رو ١: ٢٢- ٢٤، ٩: ١٤- ١٧).

لاحظ تكرار عبارة «أَسْلَمَهُمُ اللهُ» أي تركهم الله لشهوات قلوبهم، أو أسلمهم الله لذهنهم الرافض لمحبته وطول أناته، وهذا ما حدث مع أخآب

إذ تركه الرب إلى قساوة قلبه. واعتبر الكاتب أن إرادة السماح تتساوى مع الإرادة القصدية. وعندما تركه الله إلى قساوة قلبه لم يحصد إلا الموت.

رابعًا: ما هي الدروس المستفادة:

(١) سلطان الله المطلق على الأحداث:

لقد كان أمام أخآب مشورتين: مشورة الرب على لسان ميخا النبي، ومشورة الأنبياء الكذبة - وهي المشورة التي لم يكن الرب مدبرها ولا مرسلها ولم يسر بها، بل فضحها على لسان ميخا، الذي أكّد له أنها ليست من الرب - ولكن أخآب بكامل حرية إرادته اختار مشورة الأنبياء الكذبة، وخرج للحرب متخفيًا وخرج معه يهوشافاط وقال لِيَهُوشَافَاطَ: [إِنِّي أَتَنَكَّرُ وَأَدْخُلُ الْحَرْبَ، وَأَمَّا أَنْتَ فَالْبَسْ ثِيَابَكَ]. ولكنَ مَلِكُ أَرَامَ قال لِرُؤَسَاءِ الْمَرْكَبَاتِ الَّتِي لَهُ: [لاَ تُحَارِبُوا صَغِيرًا وَلاَ كَبِيرًا إِلاَّ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ وَحْدَهُ]. فَلَمَّا رَأَى رُؤَسَاءُ الْمَرْكَبَاتِ يَهُوشَافَاطَ: [قَالُوا إِنَّهُ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ] فَمَالُوا عَلَيْهِ لِيُقَاتِلُوهُ، فَصَرَخَ يَهُوشَافَاطُ. فَلَمَّا رَأَى رُؤَسَاءُ الْمَرْكَبَاتِ أَنَّهُ لَيْسَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ رَجَعُوا عَنْهُ». واشتد القتال ونقرأ هذا الأمر العجيب: «وَإِنَّ رَجُلًا نَزَعَ فِي قَوْسِهِ غَيْرَ مُتَعَمِّدٍ وَضَرَبَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ بَيْنَ أَوْصَالِ الدِّرْعِ. فَقَالَ لِمُدِيرِ مَرْكَبَتِهِ: [رُدَّ يَدَكَ وَأَخْرِجْنِي مِنَ الْجَيْشِ لأَنِّي قَدْ جُرِحْتُ]. وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَأُوقِفَ الْمَلِكُ فِي مَرْكَبَتِهِ مُقَابِلَ أَرَامَ وَمَاتَ عِنْدَ الْمَسَاءِ. وَجَرَى دَمُ الْجُرْحِ إِلَى حِضْنِ الْمَرْكَبَةِ. وَعَبَرَ النِّدَاءُ فِي الْجُنْدِ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ قَائِلًا: [كُلُّ رَجُلٍ إِلَى مَدِينَتِهِ، وَكُلُّ رَجُلٍ إِلَى أَرْضِهِ]. فَمَاتَ الْمَلِكُ وَأُدْخِلَ السَّامِرَةَ فَدَفَنُوا الْمَلِكَ فِي السَّامِرَةِ. وَغَسَلُوا الْمَرْكَبَةَ فِي بِرْكَةِ السَّامِرَةِ فَلَحَسَتِ الْكِلاَبُ دَمَهُ، وَغَسَلُوا سِلاَحَهُ. حَسَبَ كَلاَمِ الرَّبِّ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ» (١مل ٢٢: ٣٠-٣٨).

إن الرب صاحب السلطان المطلق على كل الكون والأحداث استخدم مشورة الأنبياء الكذبة بحكمته اللامتناهية في تحقيق مقاصده العليا التي سبق وأعلن عنها على لسان إيليا النبي قائلًا: «هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هَلْ قَتَلْتَ وَوَرِثْتَ أَيْضًا؟ فِي الْمَكَانِ الَّذِي لَحَسَتْ فِيهِ الْكِلاَبُ دَمَ نَابُوتَ تَلْحَسُ الْكِلاَبُ دَمَكَ أَنْتَ أَيْضًا» (١مل ٢١: ١٩).

عزيزي القارئ: لا يوجد حدث واحد ولا مشورة واحدة تفاجئ الله إن كل الأحداث في قبضة يمينه يستخدمها لتحقيق مشورته الأزلية.

(٢) لا مكان للصدفة في الحياة:

لقد خرج أخآب للحرب متخفيًا، فلا يعرفه أحد، وخرج معه يهوشافاط الذي ظنه الآراميون أنه ملك إسرائيل فحاولوا قتله ولكنه صرخ فعرفوه وتحولوا عنه إلى آخاب، واشتد القتال ونقرأ: «وَإِنَّ رَجُلًا نَزَعَ فِي قَوْسِهِ غَيْرَ مُتَعَمِّدٍ وَضَرَبَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ بَيْنَ أَوْصَالِ الدِّرْعِ». لقد كان غير متعمد أي بحسب تقديراتنا البشرية المحدودة (بالصدفة)، لكنها لم تكن ضربة بالصدفة بل لكي يتم كلام الرب الذي تكلم به على فم إيليا النبي (١مل ٢٢: ٣٨).

صديقي: إننا كثيرًا ما نستخدم كلمة «صدفة» في حياتنا ونقول «صدفة جميلة» و «رب صدفة خير من ألف ميعاد»...الخ. لكني أريد أن أقول لك: إن ما يبدو في نظرنا صدفة هو مرتّب من قبل الله. والإيمان بالصدفة يسيء إلى الله إذ يجعله مجرد متفرج على العالم. لقد قال جون كلفن: «كل الحوادث تسيطر عليها مشورة الله الخفية وتقودها يده، وإن قدرة الله على كل شيء ليس مجرد قدرة عاطلة وخاملة بل

هي قدرة يقظة وفعالة، قدرة تبدو دائما في كل حركة واضحة مستقلة». ثم يكمل «لذلك نؤكد أنه ليس فقط السماء والأرض بل أيضا تفكيرات الناس وتدبيراتهم خاضعة كلها لعنايته يوجهها إلى الغرض المعين لها». وقال أرنولد توينبي المؤرخ الإنجليزي: «إن يد الله خلف التاريخ مسببًا لكل ما يحدث فيه من حوادث مقيمًا دولًا ومزيل دولًا».

ألا نقول في قانون الإيمان: «نؤمن بإله واحد ضابط الكل». والفعل «ضابط» من الكلمة اليونانية «بانتوكراتور» من الفعل «كراتو» أي الذي يمسك بشدة، كناية عن القوة والسلطان.

ألم يقل داود: «الرَّبُّ فِي السَّمَاوَاتِ ثَبَّتَ كُرْسِيَّهُ وَمَمْلَكَتُهُ عَلَى الْكُلِّ تَسُودُ» (مز ١٠٣:١٩).

(٣) الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضًا:

كانت كلمات إيليا النبي لأخآب بعد أن دبّر مؤامرة وقتل نابوت اليزرعيلي وأخذ كرمه: «فِي الْمَكَانِ الَّذِي لَحَسَتْ فِيهِ الْكِلاَبُ دَمَ نَابُوتَ تَلْحَسُ الْكِلاَبُ دَمَكَ أَنْتَ أَيْضًا» (١مل ٢١: ١٩). شيء طبيعي أن يكون الحصاد من نفس نوع الزرع، تزرع قمحًا تحصد قمحًا، تزرع قطنًا تحصد قطنًا، تزرع حبًا وسلامًا تحصد حبًا وسلامًا، تزرع بغضة وكراهية تحصدهما. ألم يصرح أَدُونِي بَازَقَ: «سَبْعُونَ مَلِكًا مَقْطُوعَةٌ أَبَاهِمُ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ كَانُوا يَلْتَقِطُونَ تَحْتَ مَائِدَتِي. كَمَا فَعَلْتُ كَذَلِكَ جَازَانِيَ اللَّهُ» (قض ١:٧). ألا نقرأ في سفر أستير عن هامان: «فَقَالَ حَرْبُونَا وَاحِدٌ مِنَ الْخِصْيَانِ الَّذِينَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ: [هُوَذَا الْخَشَبَةُ أَيْضًا الَّتِي عَمِلَهَا هَامَانُ لِمُرْدَخَايَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِالْخَيْرِ نَحْوَ الْمَلِكِ قَائِمَةٌ فِي بَيْتِ هَامَانَ ارْتِفَاعُهَا خَمْسُونَ ذِرَاعًا]. فَقَالَ الْمَلِكُ: [اصْلِبُوهُ عَلَيْهَا]. فَصَلَبُوا هَامَانَ عَلَى الْخَشَبَةِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِمُرْدَخَايَ. ثُمَّ سَكَنَ غَضَبُ الْمَلِكِ» (أس ٧: ٩-١٠).

عزيزي: إننا نزرع في كل يوم بل وفي كل خطوة، فماذا تزرع؟ لقد قال الرسول بولس: «لأَنَّ مَنْ يَزْرَعُ لِجَسَدِهِ فَمِنَ الْجَسَدِ يَحْصُدُ فَسَادًا، وَمَنْ يَزْرَعُ لِلرُّوحِ فَمِنَ الرُّوحِ يَحْصُدُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً» (غل ٦:٨).

(٤) شجاعة قول الحق مهما كان الثمن:

لقد وقف ميخا النبي بكل شجاعة في وجه أخاب، ولم يخش الضرب ولا السجن، ومن قبله وقف إيليا بكل شجاعة في وجه آخاب الملك، وواجهه بأخطائه وقال له: «لَمْ أُكَدِّرْ إِسْرَائِيلَ، بَلْ أَنْتَ وَبَيْتُ أَبِيكَ بِتَرْكِكُمْ وَصَايَا الرَّبِّ وَبِسَيْرِكَ وَرَاءَ الْبَعْلِيمِ» (١مل ١٨: ١٨).

ولم يكن إيليا يخاف على نفسه من الملك، رغم ما سمعه عما فعلته ايزابيل بأنبياء الرب (١مل ٢١: ١٩، ٢٠).

ولا شك في أن مصدر القوة والشجاعة التي كان يتمتع بها إيليا، هو في إدراكه لوجوده أمام الرب على الدوام. لقد كان يقول دائمًا «حَيٌّ هُوَ رَبُّ الْجُنُودِ الَّذِي أَنَا وَاقِفٌ أَمَامَهُ» (١مل ١٨: ١٥).

لقد كان يدرك أن الله حي، وأنه يقف أمامه وهو الأعظم والأكبر من أي إنسان وأي ملك، لذلك كان يرى أخاب صغيرًا أمامه، فيواجهه بشجاعة. إن كل من يلتصق بالرب يستطيع أن يواجه المخطئ بخطئه.

كتب الرسول بولس عن الكنيسة أنها: «عامود الحق وقاعدته» أي هي التي تثبت الحق في المجتمع، وأيضًا تعلنه.

فلماذا في هذه الأيام نرى الحق يداس تحت الأقدام، ونصمت؟ وفي مرات نضع رؤوسنا في الرمال، وفي مرات يكون شعارنا لا أرى، لا أسمع، ولا أتكلم. فلماذا نصمت؟ هل نصمت خوفًا على مصالحنا وعلى مستقبلنا؟

أم نصمت عملًا بقول المثل: «الذي بيته من زجاج لا يرمي الناس بالحجارة» ما أحوجنا في هذه الأيام إلى رجال أمثال المعمدان الذي وقف في وجه هيرودس الطاغية، وقال له: «لا يحل لك». وناثان النبي الذي وقف في وجه داود الملك بعد خطيته العظيمة وقال له: «أنت هو الرجل».

لقد كان جون نوكس المصلح الاسكتلندي الشهير يواجه الملكة الرهيبة «مارى الدموية» بكل جرأة، لدرجة أنها قالت: «إنني أفضل أن ألاقي جيشًا مكونا من عشرة آلاف جندي عن أن أواجه جون نوكس»

وعندما مات جون نوكس، كتبوا على قبره: «هنا يرقد الرجل الذي لم يكن يهاب في حياته وجه إنسان قط».

(٥) الإنسان حر الإرادة:

عزيزي القارئ: لقد خلق الله الإنسان حرًا، وكل منا يختار طريقه. فقد قال الرب للشعب في القديم: «قَدْ جَعَلْتُ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ. الْبَرَكَةَ وَاللَّعْنَةَ. فَاخْتَرِ الْحَيَاةَ لِكَيْ تَحْيَا» (تث ٣٠:١٩). ووقف يشوع وقال للشعب: «فَاخْتَارُوا لأَنْفُسِكُمُ الْيَوْمَ مَنْ تَعْبُدُونَ...» (يش ٢٤:١٥). ويقول الرب يسوع: «هَئَنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي» (رؤ ٣:٢٠). فالله يعرض ولا يفرض، يعرض حبه وغفرانه ونعمته، ولا يفرض لأنه خلقنا أحرارًا، ولكنه يتمنى أن نختار طريق الحياة والبركة. فماذا ستختار اليوم؟؟؟

المراجع

(١) د. منقذ بن محمود السقار، إله العهد القديم، ص٨٥.

(٣٨)

هل هو إله يخلق الشر؟

سألني عدد كبير من الناس بفزع شديد قائلين: هل الرب هو مصدر الشر؟ ولماذا يقول الرب للشعب بوضوح: «أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ. مُصَوِّرُ النُّورِ وَخَالِقُ الظُّلْمَةِ صَانِعُ السَّلاَمِ وَخَالِقُ الشَّرِّ. أَنَا الرَّبُّ صَانِعُ كُلِّ هَذِهِ» (إش ٤٥: ٦، ٧).

وللإجابة على هذا السؤال أقول:

لكي نعرف لماذا يعلن الرب صراحةً هنا أنه خالق الشر، علينا أن نعرف أولًا: متى قال الرب هذه الكلمات؟ ولمَنْ؟ وما هي الخلفية التاريخية؟ وما معنى كلمة «الشر» هنا؟ وما المقصود بها؟

أولًا: يجب أن ندرك أن كل الكتاب المقدس يعلن لنا أن الله صالح، وقد وردت عبارة «الرب صالح» عشرات المرات في الكتاب المقدس (مز ٢٥: ٨؛ ١٠٠: ٥؛ ١٣٥: ٣؛ إر٣٣: ١١؛ ١بط ٢: ٣). لقد هتف المرنم أكثر من مرة: «اِحْمَدُوا الرَّبَّ لأَنَّهُ صَالِحٌ» (مز ١٠٦: ١؛ ١٠٧: ١؛ ١١٨: ١ و٢٩؛ ١٣٦: ١).

وأضاف في مزمور آخر «الرَّبُّ صَالِحٌ لِلْكُلِّ» (١٤٥: ٩). فهو صالح مع كل إنسان.

إن الله كلي الصلاح والحب والحكمة والرحمة، لذلك فكل ما يخطط له ويفعله ويأمر به ويرضى عَنْهُ صالح. وفي الحقيقة لا يوجد من هو صالح بلا حدود إلا الله (مر ١٠: ١٨).

وكل عطايا الله صالحة كما يقول الرسول يعقوب: «كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهِبَةٍ تَامَّةٍ هِيَ مِنْ فَوْقُ، نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الأَنْوَارِ» (يع ١: ١٧). قال زكريا: «مَا أَجْوَدَهُ وَمَا أَجْمَلَهُ» (زك ٩: ١٧). وصرخ القديس أغسطينوس: «يؤلمني إنني تأخرت كثيرًا في معرفتك أيها الجمال القديم وماتزال جديدًا». وقال تشارلس كنجلي في مرضه الأخير: «كم هو جميل الرب، كم هو جميل».

ويجب أن ندرك أن الشر لا يتفق مع طبيعة صلاح الله، لذلك قال أيوب: «لأَجْلِ ذَلِكَ اسْمَعُوا لِي يَا ذَوِي الأَلْبَابِ. حَاشَا لِلَّهِ مِنَ الشَّرِّ وَلِلْقَدِيرِ مِنَ الظُّلْمِ». (أي ٣٤: ١٠).

وكلمة الشر هنا تأتي في معظم الترجمات الإنجليزية إما (Iniquity) أو (Wickedness) أي أن الله بعيد جدًا عن إرادة وفعل الشر.

(MKJV) Therefore listen to me, O man of heart; far be it from God to commit iniquity; and from the Almighty, to do wrong.

(ESV) Therefore, hear me, you men of understanding: far be it from God that he should do wickedness, and from the Almighty that he should do wrong.

وقال الرسول يعقوب: «لاَ يَقُلْ أَحَدٌ إِذَا جُرِّبَ إِنِّي أُجَرَّبُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ، لأَنَّ اللَّهَ غَيْرُ مُجَرَّبٍ بِالشُّرُورِ

وَهُوَ لاَ يُجَرِّبُ أَحَدًا» (يع ١:١٣).

لقد تحدى أحد أساتذة الجامعة تلاميذه ذات مرة بهذا السؤال: هل الله هو خالق كل ما هو موجود؟

فأجاب أحد الطلبة في شجاعة «نعم». فكرر الأستاذ السؤال: هل الله هو خالق كل شيء؟

ورد الطالب قائلا: نعم يا سيدي الله خالق جميع الأشياء.

وهنا قال الأستاذ: «ما دام الله خالق كل شيء، إذًا الله خلق الشر. حيث إن الشر موجود، وطبقًا للقاعدة أن أعمالنا تظهر حقيقتنا، «إذًا الله شرير». وهنا فَرِح الأستاذ بهدوء، معتدًا بنفسه أمام الطلبة، وراح يفتخر أمامهم قائلًا: «إنه أثبت مرة أخرى خرافة الإيمان بالله».

وهنا رفع طالب آخر يده وقال: هل لي أن أسألك سؤالًا يا سيدي؟

فرد الأستاذ قائلًا: «بالطبع يمكنك». فوقف الطالب وسأل الأستاذ قائلًا: هل البرد له وجود؟

فأجاب الأستاذ: بالطبع موجود. ألم تشعر مرة به؟ وضحك باقي الطلبة من سؤال زميلهم.

فأجاب الشاب قائلًا: في الحقيقة يا سيدي البرد ليس له وجود. فطبقا لقوانين الطبيعة، مانعتبره نحن بردًا، هو في حقيقته غياب الحرارة. واستطرد قائلًا: كل جسم أو شيء يصبح قابلًا للدراسة عندما يكون حاملًا للطاقة أو ناقلًا لها، والحرارة هي التي تجعل جسمًا أو شيئًا حاملًا أو ناقلًا للطاقة. أما درجة الحرارة المسماة الصفر المطلق فهي درجة الحرارة التي بها يكون انعدام كلي لوجود الحرارة. فالبرد ليس له وجود في ذاته، ولكننا خلقنا هذا التعبير لنصف ما نشعر به عند غياب الحرارة.

واستمر الطالب يقول: «أستاذي، هل الظلام له وجود؟

فرد الأستاذ: «بالطبع الظلام موجود».

فأجاب الطالب: معذرة أخطأت مرة أخرى يا سيدي، الظلام غير موجود!! فالظلام حقيقةً هو عدم وجود النور. النور يمكن دراسته لكن ليس الظلام. وبالفعل يمكننا دراسة النور، ونقيس شدته، ونحدد الألوان التي تركّبه، ونحسب كمية الطاقة التي يحملها. وكذلك يمكننا تصنيفه لضوء مرئي وغير مرئي وما الى ذلك... لكنك لا تستطيع قياس الظلام. شعاع نور بسيط يمكنه أن يخترق عالم الظلام ويضيئه (فيلاشيه). كيف يمكننا أن نعلم ما مقدار الظلام بمكان ما؟ لكن يمكننا أن نقيس كمية النور المتواجد بذات المكان أليس كذلك؟ فالظلام هو مصطلح يستعمل لوصف ما يحدث عندما لا يكون هنالك نور. وفي النهاية سأل الطالب أستاذه: «سيدي، هل الشر موجود؟».

وهنا في عدم يقين وبثقة مهزوزة قال الأستاذ: «بالطبع، كما سبق وقلت هذا قبل قليل، ونحن نراه كل يوم، في التصرفات اللا إنسانية، الإجهاض، الحرب، تعدد الجرائم وهذا المقدار الوافر من العنف في كل مكان من العالم حولنا. هذه الظواهر ليست سوى الشر بعينه».

وعلى هذا أجاب الطالب قائلًا: «الشر ليس له وجود يا سيدي، على الأقل ليس له وجود في ذاته. الشر ببساطة هو غياب «الله» أنه مثل الظلام والبرد، كلمة اشتقها الإنسان ليصف غياب الله. «الله لم يخلق الشر الشر هو النتيجة التي تحدث عندما لا يحفظ الإنسان محبة الله في قلبه. إنه

مثل البرد تشعر به عندما تغيب الحرارة، أو الظلمة التي تأتي عندما يغيب النور.

وهنا جلس الأستاذ مذهولًا وكان الشاب الصغير هو ألبرت اينشتاين.

ثانيًا: الدارس لكلمة الله يجد أن هذه الكلمات جاءت على لسان إشعياء النبي الذي عاش في القرن الثامن وبداية السابع قبل الميلاد. وكانت موجهة إلى الشعب أثناء السبي وقت أن كانت المملكة الفارسية متسيّدة على كل العالم بقيادة الملك كورش، ويظهر هذا في الآيات الأولى من هذا الإصحاح إذ يقول: «هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ لِمَسِيحِهِ لِكُورَشَ الَّذِي أَمْسَكْتُ بِيَمِينِهِ لأَدُوسَ أَمَامَهُ أُمَمًا وَأَحْقَاءَ مُلُوكٍ أَحُلُّ. لأَفْتَحَ أَمَامَهُ الْمِصْرَاعَيْنِ وَالأَبْوَابُ لاَ تُغْلَقُ: «أَنَا أَسِيرُ قُدَّامَكَ وَالْهِضَابَ أُمَهِّدُ. أُكَسِّرُ مِصْرَاعَيِ النُّحَاسِ وَمَغَالِيقَ الْحَدِيدِ أَقْصِفُ» (إش ٤٥: ١-٢). وكان القصد هو التأكيد على ثلاثة أمور هامة وهي:

١ ـ وحدانية الله

٢ ـ سيادة الله ٣ ـ بر الله

أولًا ـ وحدانية الله:

مفتاح فهم هذه الآية نجده في الآية السابقة لها حيث يقول الرب: «أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ. لاَ إِلَهَ سِوَايَ» (ع ٥). والدارس المدقق يجد أن عبارة «أَنَا الرَّبُّ» ومترادفاتها ترد في هذا الإصحاح أكثر من ١٥ مرة، والسبب هو أن الشعب الفارسي كان يعبد إلهين «أهورا» إله الخير، و «أهرمان» إله الشر. فهذا الشعب لم يكن يعرف الإله الواحد الحي، فجاءت رسالة التحذير هذه للشعب الإسرائيلي لئلا يسقط في هذه الوثنية، خاصة وأن الشعب كان مهيأ لذلك، فقد عبدوا من قبل مولك وعشتاروث وكموش والعجل الذهبي....إلخ.

وكان الشعب الفارسي يعبد «أهورا» إله الخير لكي يمنحه الخير، ويعبد «أهرمان» إله الشر لكي يتقي شروره. ولذلك نرى الرب يؤكد على الوحدانية في أكثر من عبارة فيقول: «أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ» (ع ٥)، «لاَ إِلَهَ سِوَايَ» (ع ٥)، «لَيْسَ غَيْرِي» (ع ٦)، «أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ» (ع ٦ و ١٨)، «أَلَيْسَ أَنَا الرَّبُّ وَلاَ إِلَهَ آخَرَ غَيْرِي؟» (عدد ٢١)، «لَيْسَ سِوَايَ» (ع ٢١)، «أَنَا اللَّهُ وَلَيْسَ آخَرَ» (ع ٢٢).

لقد أراد الله أن يعلن لهم أنه لا يوجد إله للخير وإله للشر، فلا يوجد إله سواه، مسيطر على كل الكون وكل ما يحدث فيه من خير ومن شر، ولا يوجد شيء يحدث بعيدًا عن دائرة سلطانه.

ثانيًا ـ سيادة الله:

عندما كان الشعب في السبي راودتهم فكرة ضعف يهوه أمام آلهة الكلدانيين، فهو لم يقدر أن ينقذهم من أيدي الأمم المجاورة لهم، وتركهم يؤخَذون إلى السبي، ولذلك بدأوا يتجهون إلى عبادة تلك الآلهة الغريبة، لذلك كانت المهمة شاقة أمام إشعياء حتى يصحح مفاهيم الشعب، ويعلن لهم أنه حتى وإن كان الله قد ترك يهوذا للسبي في بلاد بعيدة إلا أنه هو الإله الوحيد الذي لا يوجد غيره المتسلط على الكون، وهذا ما نجده في القرينة الأكبر (إش٤٠: ١٧، ٢٢؛ ٤١: ٢؛ ٤٣: ١٦؛ ٤٤: ٦؛ ٤٦: ٩).

فهو الخالق (٤٠: ٢٥؛ ٤٥: ١٨) الذي خلق الطبيعة بكل ما فيها من سماء وأرض وشمس وقمر ونجوم، وهو الذي له السلطان عليها (٤٠: ٢٢؛ ٤٨: ١٢) وهو الذي يعطي نسمة لكل الساكنين

على كل الأرض (٤٢: ٥). وهو الذي يجب أن تجثو له كل ركبة، ويحلف به كل لسان (٤٥: ٢٣) ويوضح لهم الفرق بين الإله الحي وآلهة الأمم فيقول لهم:

«فَبِمَنْ تُشَبِّهُونَ اللهَ وَأَيَّ شَبَهٍ تُعَادِلُونَ بِهِ؟ اَلصَّنَمُ يَسْبِكُهُ الصَّانِعُ وَالصَّائِغُ يُغَشِّيهِ بِذَهَبٍ وَيَصُوغُ سَلاَسِلَ فِضَّةٍ. اَلْفَقِيرُ عَنِ التَّقْدِمَةِ يَنْتَخِبُ خَشَبًا لاَ يُسَوَّسُ يَطْلُبُ لَهُ صَانِعًا مَاهِرًا لِيَنْصُبَ صَنَمًا لاَ يَتَزَعْزَعُ! أَلاَ تَعْلَمُونَ؟ أَلاَ تَسْمَعُونَ؟ أَلَمْ تُخْبَرُوا مِنَ الْبَدَاءَةِ؟ أَلَمْ تَفْهَمُوا مِنْ أَسَاسَاتِ الأَرْضِ؟ الْجَالِسُ عَلَى كُرَةِ الأَرْضِ وَسُكَّانُهَا كَالْجُنْدُبِ. الَّذِي يَنْشُرُ السَّمَاوَاتِ كَسَرَادِقٍ وَيَبْسُطُهَا كَخَيْمَةٍ لِلسَّكَنِ. الَّذِي يَجْعَلُ الْعُظَمَاءَ لاَ شَيْئًا وَيُصَيِّرُ قُضَاةَ الأَرْضِ كَالْبَاطِلِ» (إش ٤٠: ١٨-٢٣)

وفي مرة أخرى يقول لهم:

«بِمَنْ تُشَبِّهُونَنِي وَتُسَوُّونَنِي وَتُمَثِّلُونَنِي لِنَتَشَابَهَ؟. «اَلَّذِينَ يُفْرِغُونَ الذَّهَبَ مِنَ الْكِيسِ وَالْفِضَّةَ بِالْمِيزَانِ يَزِنُونَ. يَسْتَأْجِرُونَ صَائِغًا لِيَصْنَعَهَا إِلَهًا. يَخُرُّونَ وَيَسْجُدُونَ! يَرْفَعُونَهُ عَلَى الْكَتِفِ. يَحْمِلُونَهُ وَيَضَعُونَهُ فِي مَكَانِهِ لِيَقِفَ. مِنْ مَوْضِعِهِ لاَ يَبْرَحُ. يَزْعَقُ أَحَدٌ إِلَيْهِ فَلاَ يُجِيبُ. مِنْ شِدَّتِهِ لاَ يُخَلِّصُهُ» (٤٦: ٥ -٧). فكيف يشبهون الإله الحي بهذه الأحجار المنحوتة، أو الأخشاب المصنوعة في أشكال متنوعة، التي يظنها الناس آلهة؟

وأعلن لهم أنه هو الله الذي يخبر بالمستقبل (٤٥: ١١) فهل تستطيع الآلهة الأخرى أن تفعل ذلك؟ بالطبع لا تستطيع قطعة الخشب أو الحجر أن تفعل ذلك! أما الله فيفعل ذلك (٤٨: ٦). والإخبار بالمستقبل ليس من قبيل التخمين أو الاستنتاج بل هو حقيقة لابد أن تحدث، لسبب واحد بسيط هو أنه هو بنفسه الذي رتَّب هذا المستقبل وصنعه، فهو إله المستقبل كما أنه إله الحاضر والماضي. إنه سيد التاريخ ومحرِّك الأحداث صانع السلام وخالق الشر مصور النور وخالق الظلمة. فلا يوجد حدث يتم بصورة عشوائية أو خارج دائرة سلطانه.

ثالثًا ـ بر الله:

كانت صرخة الشعب وهو في السبي: «قَدِ اخْتَفَتْ طَرِيقِي عَنِ الرَّبِّ وَقَاتَ حَقِّي إِلَهِي» (إش ٤٠: ٢٧). ولذلك يتحدث النبي هنا عن بر الله الذي يتجلى في خلاصه، وهو ليس برًا سلبيًا بل برًا إيجابيًا يخلص ويفدي (٤١: ١٠). وهذا الخلاص قد يقتضي التأديب والعقاب، ولكن الشعب لم يفهم هذا.

والدارس المدقق يعرف أن الكلمة العبرية في آية موضوعنا المترجمة «الشر» هنا هي (רָע) وهي تأتي في الترجمات الإنجليزية (Disaster – troubles - Calamity- Adversity) بمعنى كارثة أو مصيبة أو أزمة[1].

(BBE) I-am the giver of light and the maker of the dark; causing blessing, and sending troubles; I am the Lord, who does all these things.

(ESV) I form light and create darkness, I make well-being and create calamity, I am the LORD, who does all these things.

(GNB) I create both light and darkness; I bring both blessing and disaster. I, the LORD, do all these things.

(WEB) I form the light, and create darkness. I make peace, and create calamity. I am

Yahweh, who does all these things.

(NASB) The One forming light and creating darkness, Causing well-being and creating calamity; I am the LORD who does all these.

(NIV) I form the light and create darkness, I bring prosperity and create disaster; I, the LORD, do all these things.

وقد كان «الشر» المقصود في ذلك الوقت هو «السبي». وهنا يعلن الله أنه هو صانع هذا الشر. فهو الذي أرسلهم إلى السبي تأديبًا لهم. وقد قال لهم بوضوح: «هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هَئَنَذَا جَالِبٌ شَرًّا عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ وَعَلَى سُكَّانِهِ جَمِيعَ اللَّعَنَاتِ الْمَكْتُوبَةِ فِي السِّفْرِ الَّذِي قَرَأُوهُ أَمَامَ مَلِكِ يَهُوذَا» (٢أخ ٣٤:٢٤).

وقال لهم على لسان إرميا بوضوح:

«اسْمَعُوا كَلِمَةَ الرَّبِّ يَا مُلُوكَ يَهُوذَا وَسُكَّانَ أُورُشَلِيمَ. هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: هَئَنَذَا جَالِبٌ عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ شَرًّا كُلُّ مَنْ سَمِعَ بِهِ تَطِنُّ أُذُنَاهُ. مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ تَرَكُونِي وَأَنْكَرُوا هَذَا الْمَوْضِعَ وَبَخَّرُوا فِيهِ لآلِهَةٍ أُخْرَى لَمْ يَعْرِفُوهَا هُمْ وَلاَ آبَاؤُهُمْ وَلاَ مُلُوكُ يَهُوذَا وَمَلأُوا هَذَا الْمَوْضِعَ مِنْ دَمِ الأَزْكِيَاءِ» (إر ١٩: ٣-٤). راجع أيضًا (إش ١٠: ٥- ٨؛ حب ١: ١ -١١).

فإن كان قد سمح لهم بالسبي فقد فعل هذا لخيرهم، وكانت عينه عليهم، وسوف يردهم، كما قال على لسان إرميا: «هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: كَهَذَا التِّينِ الْجَيِّدِ هَكَذَا أَنْظُرُ إِلَى سَبْيِ يَهُوذَا الَّذِي أَرْسَلْتُهُ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ إِلَى أَرْضِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِلْخَيْرِ. وَأَجْعَلُ عَيْنَيَّ عَلَيْهِمْ لِلْخَيْرِ وَأُرْجِعُهُمْ إِلَى هَذِهِ الأَرْضِ وَأَبْنِيهِمْ وَلاَ أَهْدِمُهُمْ وَأَغْرِسُهُمْ وَلاَ أَقْلَعُهُمْ. وَأُعْطِيهِمْ قَلْبًا لِيَعْرِفُونِي أَنِّي أَنَا الرَّبُّ فَيَكُونُوا لِي شَعْبًا وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلَهًا لأَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَيَّ بِكُلِّ قَلْبِهِمْ» (إر ٢٤: ٥ - ٧).

ويؤكد مرة أخرى على لسان إرميا أنه إن كان قد سمح بالشر «الذي هو السبي» فإنه سيجلب عليهم الخير «الذي هو العودة من السبي» فيقول: «لأَنَّهُ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ. كَمَا جَلَبْتُ عَلَى هَذَا الشَّعْبِ كُلَّ هَذَا الشَّرِّ الْعَظِيمِ هَكَذَا أَجْلِبُ أَنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ الْخَيْرِ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ إِلَيْهِمْ» (إر ٣٢:٤٢).

فبر الله الذي يتجلى في خلاصه قد يقتضي التأديب، وهكذا فعل مع شعبه وأرسلهم إلى السبي، ولكنه لا يتوقف عند هذا الحد بل يتقدم إلى خلاصهم، لذلك نراه يقيم كورش ويمسك بيمينه، ويفتح أمامه المصراعين، ويهد الهضاب ويعطيه انتصارًا على كل الممالك المجاورة، ويقول بوضوح: «أَنَا قَدْ أَنْهَضْتُهُ بِالنَّصْرِ وَكُلَّ طُرُقِهِ أُسَهِّلُ. هُوَ يَبْنِي مَدِينَتِي وَيُطْلِقُ سَبْيِي» (إش ٤٥: ١٣، قارن عز ١: ١- ٥؛ إش ٤٥: ١ -٤).

فهنا يعلن الله لهم بوضوح أن ما يظنونه «شرًا» لم يخرج عن دائرة سلطانه، فهو الذي أرسلهم إلى السبي وهو سيخلصهم منه.

إن هذه الآية تعلن بوضوح للشعب الذي يعيش في السبي متألمًا ومهددًا بخطر السقوط في الوثنية، إن الله واحد ولا يوجد غيره، وهو المتحكم في كل شيء، وما نظنه شرًا يستخدمه الله لخيرنا.

المراجع

(1) Willam L.Holladay . A Concise Hebrew and Aramaic Lexicon of O. T. pp. 284285-.

(٣٩)

هل هو إله يأمر الإنسان بأكل فضلات الإنسان؟

«وَتَأْكُلُ كَعْكًا مِنَ الشَّعِيرِ. عَلَى الْخُرْءِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الإنسان تَخْبِزُهُ أَمَامَ عُيُونِهِمْ». وَقَالَ الرَّبُّ: [هَكَذَا يَأْكُلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ خُبْزَهُمُ النَّجِسَ بَيْنَ الأُمَمِ الَّذِينَ أَطْرُدُهُمْ إِلَيْهِمْ». فَقُلْتُ: [آهِ يَا سَيِّدُ الرَّبُّ. هَا نَفْسِي لَمْ تَتَنَجَّسْ. وَمِنْ صِبَايَ إِلَى الآنَ لَمْ آكُلْ مِيتَةً أَوْ فَرِيسَةً. وَلاَ دَخَلَ فَمِي لَحْمٌ نَجِسٌ». فَقَالَ لِي: [أُنْظُرْ. قَدْ جَعَلْتُ لَكَ خِثْيَ الْبَقَرِ بَدَلَ خُرْءِ الإنسان فَتَصْنَعُ خُبْزَكَ عَلَيْهِ» (حز ٤:١٢ - ١٥).

يقول د. منقذ بن محمود السقار وهو يهاجم إله العهد القديم: «ويذكر سفر حزقيال أن الله أمر نبيه حزقيال بأوامر كثيرة منها أنه أمره وبني إسرائيل أن يأكلوا كعك الشعير مخبوزًا مع فضلات الإنسان. ولما صعب الأمر على حزقيال. خفضه وسمح له أن يخبز كعكة الشعير مع فضلات البقر بدلًا من فضلات الإنسان». فهل هذا معقول؟

هل فعلًا أمر الرب حزقيال أن يأكل كَعْكًا بالْخُرْءِ؟

لكي نفهم الآيات السابقة لابد أن نعرف ما هو الْخُرْءِ؟ وما هي الخلفية التاريخية لهذا الموقف؟ ولماذا طلب الرب من حزقيال هذا الطلب؟

أولًا: ما هو الْخُرْءِ؟

(الْخُرْءِ) هو فضلات الإنسان أو الحيوان، وهو في اللغة الإنجليزية (dung). وكانت - ولا تزال - تُستخدم كسماد بلدي بعد أن يتم خلطها بالتراب والتبن والقش وتركها لفترة طويلة حتى تجف. ثم تُفكك ويتم نثرها في الحقول لتسميدها[1]. ونجد هذا التشبيه في:

(مز ٨٣:١٠) «بَادُوا فِي عَيْنِ دُورٍ. صَارُوا دِمْنًا لِلأَرْضِ».

الكلام هنا عن أعداء الرب فيقول «صَارُوا دِمْنًا لِلأَرْضِ». والدمن هو السماد البلدي. فترد في ترجمة (ك ح) «بَادُوا فِي عَيْنِ دُورٍ. وصَارُوا زِبْلًا لِلأَرْضِ».

(إش ٥:٢٥) «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى شَعْبِهِ وَمَدَّ يَدَهُ عَلَيْهِ وَضَرَبَهُ حَتَّى ارْتَعَدَتِ الْجِبَالُ وَصَارَتْ جُثَثُهُمْ كَالزِّبْلِ فِي الأَزِقَّةِ».

والكلمة في اللغة العبرية المترجمة (الْخُرْءِ) هنا هي (גלל) (جليل). يقول عنها قاموس (Brown): هي فضلات الإنسان أو الحيوان وتُسمى في اللغة العربية (الْجُلَّةُ) وتُستخدم كوقود[2]

وكذلك تقول عنها بعض القواميس الأخرى[3]:

هي في اللغة العربية (الجُلَّة). وهي مصنوعة من الفضلات الجافة وتُستَخدَم كوقود[٤]

وقد وردت هذه الكلمة أربع مرات في العهد القديم؛ منها مرتين في هذا الإصحاح لتعبر عن فضلات الإنسان و فضلات البقر والمرتين الأخرتين ترجمتا (جُلَّة) فنقرأ:

(حز ٤:١٢) «وَتَأْكُلُ كَعْكًا مِنَ الشَّعِيرِ. عَلَى الْخُرْءِ (דגלים) الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الإنسان تَخْبِزُهُ أَمَامَ عُيُونِهِمْ».

(أي ٢٠: ٧) «كَجُلَّتِهِ (דגלים) إِلَى الأَبَدِ يَبِيدُ. الَّذِينَ رَأَوْهُ يَقُولُونَ: أَيْنَ هُوَ؟».

أي مثل الجُلة سيحترق ولا يكون له وجود.

(صف ١: ١٧) «وَأُضَايِقُ النَّاسَ فَيَمْشُونَ كَالْعُمْيِ، لأَنَّهُمْ أَخْطَأُوا إِلَى الرَّبِّ. فَيُسْفَحُ دَمُهُمْ كَالتُّرَابِ وَلَحْمُهُمْ كَالْجِلَّةِ (דגלים)».

وما هي الجِلَّة؟

هي عبارة عن فضلات البهائم بعد خلطها بقليل من القش، وتقطيعها إلى قطع صغيرة، وتركها في الشمس حتى تجف. ثم تُستَخدَم كوقود، وتمتاز بأنها غير مُكلِّفة، وسهلة التحضير، فلا تحتاج مجهود في تقطيعها أو نقلها أو تصنيعها. وهي بهذا الشكل وكانت تُستَخدم بعد ذلك في الأفران البلدي في القرى في هذه الأفران يُصنَع الخبز

فالخرء (الجُلَّة) لا تُخلَط بالخبز ولكن تُستَخدم كوقود لتسوية الخبز عليها، فقد كانت توضع في فتحة سفلية في الفرن، بينما يوضع الخبز في فتحة أخرى في مستوي أعلى. ومن يقول: إن الخرء يخلط بالدقيق أو العجين فهو غير أمين، ولا يعرف الخلفية التاريخية.

ثانيًا: ما المقصود بكلمة تَخْبِزُه:

إن الفعل (تَخْبِزُهُ) في اللغة العبرية هو (תעגנה) من (خَبَز) (עוג) (عوج) ويعني يشعل النار على العجين لتسويته[٥] وجاء في قاموس آخر: المقصود تسوية الخبز المستدير علي حجر سخن، أو على الفحم أو النار من الوقود[٦].

وكان اليهود لا يستخدمون (الجُلَّة) كوقود لأنهم كانوا يعتبرون أن لمس براز الحيوانات نجاسة، وبالتالي كانوا لا يصنعون (الجُلَّة).

ثالثًا: عن ماذا يتكلم الرب مع حزقيال؟

يتكلم الرب بالنبوة في الإصحاح الرابع من سفر حزقيال عن خراب أورشليم القادم بسبب شر الشعب وفساده وابتعاده عن الرب. فيذكر أن المدينة ستدخل حصارًا شديدًا وقاسيًا لفترة طويلة، ولن يجدوا ما يأكلون أو يشربون. وهنا يطلب من حزقيال أن يقدِّم مشهدًا تمثيليًا للشعب يُبيِّن لهم فيه ما سيحدث لهم من خراب ودمار كإنذار أخير لعلهم يتوبون عن شرورهم فنقرأ:

آية ١ «وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ لِبْنَةً وَضَعْهَا أَمَامَكَ، وَارْسُمْ عَلَيْهَا مَدِينَةَ أُورُشَلِيمَ».

هنا يطلب الرب منه أن يرسم أورشليم على لِبنَة: أي لوح من الطوب اللبن، أي لم يُحرَق بعد، فيمكن حفر الرسم عليه بسهولة. ثم يستكمل وصف الرسم للمدينة وهي محاصرة فيقول:

آية ٢ «وَاجْعَلْ عَلَيْهَا حِصَارًا، وَابْنِ عَلَيْهَا بُرْجًا، وَأَقِمْ عَلَيْهَا مِتْرَسَةً، وَاجْعَلْ عَلَيْهَا جُيُوشًا، وَأَقِمْ عَلَيْهَا مَجَانِيقَ حَوْلَهَا».

ويطلب الرب من حزقيال أن يوضح للشعب ما

سيحدث له في أثناء الحصار بصورة تمثيلية أخرى وذلك لتوصيل التحذير الشديد بصورة أوضح فيقول:

وَخُذْ أَنْتَ لِنَفْسِكَ صَاجًّا مِنْ حَدِيدٍ وَانْصِبْهُ سُورًا مِنْ حَدِيدٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ، وَثَبِّتْ وَجْهَكَ عَلَيْهَا، فَتَكُونَ فِي حِصَارٍ وَتُحَاصِرَهَا. تِلْكَ آيَةٌ لِبَيْتِ إِسْرَائِيلَ.... وَأَنَا قَدْ جَعَلْتُ لَكَ سِنِي إِثْمِهِمْ حَسَبَ عَدَدِ الأَيَّامِ، ثَلاَثَ مِئَةٍ يَوْمٍ وَتِسْعِينَ يَوْمًا. فَتَحْمِلُ إِثْمَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ. فَإِذَا أَتْمَمْتَهَا، فَاتَّكِئْ عَلَى جَنْبِكَ الْيَمِينِ أَيْضًا، فَتَحْمِلَ إِثْمَ بَيْتِ يَهُوذَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا. فَقَدْ جَعَلْتُ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ عِوَضًا عَنْ سَنَةٍ.

ويحدد الرب هنا أن الحصار سيكون لمدة ٣٩٠ يومًا كفترة أولى، ثم تتلوها فتره ثانية لمدة أربعين يومًا، وبعدها ينجح جيش بابل في عمل ثغرات في السور، ويحطموا المدينة بالكامل

ثم يطلب منه أن يستكمل الطريقة التمثيلية ليوضح للشعب ما سيحدث لأُورُشَلِيم أثناء الحصار من جوع شديد، فيقول له:

٩ «وَخُذْ أَنْتَ لِنَفْسِكَ قَمْحًا وَشَعِيرًا وَفُولاً وَعَدَسًا وَدُخْنًا وَكَرْسَنَّةً وَضَعْهَا فِي وِعَاءٍ وَاحِدٍ، وَاصْنَعْهَا لِنَفْسِكَ خُبْزًا كَعَدَدِ الأَيَّامِ الَّتِي تَتَّكِئُ فِيهَا عَلَى جَنْبِكَ. ثَلاَثَ مِئَةٍ يَوْمٍ وَتِسْعِينَ يَوْمًا تَأْكُلُهُ».

فالأكل سيكون قليلًا جدًا، ومن النوع الردئ، لذلك يطلب منه أن يصنع الخبز من مواد رديئة وقليلة ويخلطهم معًا لكي يشبع، وفي الحقيقة مثل هذا الطعام لم يكن يأكله البشر بل كان يُقدَّم كعلف للبهائم، وكل هذا ليؤكد لهم أن الطعام بسبب الحصار سيكون رديئًا جدًا وبكميات قليلة جدًا.

وَطَعَامُكَ الَّذِي تَأْكُلُهُ يَكُونُ بِالْوَزْنِ. كُلَّ يَوْمٍ عِشْرِينَ شَاقِلًا. مِنْ وَقْتٍ إِلَى وَقْتٍ تَأْكُلُهُ.

والشاقل حوالي ١٠ جرام، أي كل ما يأكله في اليوم الواحد ٢٠٠ جم وهو بالطبع غير كافٍ للشبع، وعبارة «مِنْ وَقْتٍ إِلَى وَقْتٍ» أي أنه بالرغم من ردائته لكنه غير متوافر أيضًا لذلك سيأكل الناس عدد وجبات أقل.

١١ وَتَشْرَبُ الْمَاءَ بِالْكَيْلِ، سُدْسَ الْهِينِ، مِنْ وَقْتٍ إِلَى وَقْتٍ تَشْرَبُهُ.

و «سُدْسَ الْهِينِ» أي حوالي ١٥٠ ملي، فهو قليل جدًا، وهذا يدل على أن الماء أيضًا في فترة الحصار سيكون غير متوفر.

ونأتي للآية محل التساؤل:

آية ١٢ وَتَأْكُلُ كَعْكًا مِنَ الشَّعِيرِ، عَلَى الْخُرْءِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الإنسان تَخْبِزُهُ أَمَامَ عُيُونِهِمْ».

وهنا يطلب الرب من حزقيال أن يأكل كعكًا من الشعير، بشرط أن يستخدم الجُلة المصنوعة من فضلات الإنسان بدلًا من فضلات البهائم كوقود يخبز به، ويخبزه أمام عيون كل الشعب، وذلك لكي يعلن لهم أنه عندما يتم الحصار ستكون المجاعة شديدة، وسوف يستهلكون كل مواد الإيقاد من خشب وفحم وحطب وغيره، وبلا شك سوف يذبحون كل البهائم ويأكلونها ليعيشوا، وبالتالي سيختفي روث البهائم الذي كان من الممكن أن يصنعوا منه الجُلة ويستَخدَمونها كوقود لصنع الخبز، وبالتالي سيضطروا لصنع الجُلة من فضلات الإنسان بدلًا من فضلات البهائم ليكون لهم وقود. تخيل معي مدى الكارثة! فإن كانوا لا يستخدمون الجُلة المصنوعة من فضلات البهائم، لأنها بالنسبة

لهم نجاسة. فكم بالحري الجُلة المصنوعة من فضلات الإنسان التي هي أكثر نجاسة؟!

وأرجو أن تلاحظ أن الرب يقول: «وَتَأْكُلُ كَعْكًا مِنَ الشَّعِيرِ» فهو كعك مصنوع من الشعير فقط. ولكن يستخدم الجُلة المصنوعة من فضلات الإنسان في تسويتها.

لذلك كان يجب على المترجم أن يقدم فقرة على فقرة حتى يتضح المعنى تمامًا كالآتي:

«وَتَأْكُلُ كَعْكًا مِنَ الشَّعِيرِ. تَخْبِزُهُ أَمَامَ عُيُونِهِمْ. عَلَى الْخُرْءِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الإنسان».

وهذا المعنى نراه واضحًا في كل التراجم الإنجليزية الآتية:

(GNB) You are to build a fire out of dried human excrement, bake bread on the fire, and eat it where everyone can see you.

(GW) Eat the bread as you would eat barley loaves. Bake the bread in front of people, using human excrement for fuel.

(CEV) Use dried human waste to start a fire, then bake the bread on the coals where everyone can watch you.

(ISV) You are to eat it as barley cakes and bake it right in front of them, using dried human dung for cooking fuel.

(ESV) And you shall eat it as a barley cake, baking it in their sight on human dung.

(ERV) You must make your bread each day. You must get dry human dung and burn it. Then you must cook the bread over this burning dung. You must eat this bread in front of the people.

إذًا كل التراجم تؤكد أن الكعك يُخبَز عن طريق إشعال الجُلة المصنوعة من فضلات الإنسان كوقود.

ولم يرض حزقيال بهذا الأمر لأنه يعرف أن لمس خرء الإنسان هو نجاسة بحسب الناموس. فترجى الرب أن لا يصنع بشعبه هكذا فنقرأ:

١٤ فَقُلْتُ: «آهِ، يَا سَيِّدُ الرَّبُّ. هَا نَفْسِي لَمْ تَتَنَجَّسْ. وَمِنْ صِبَايَ إِلَى الآنَ لَمْ آكُلْ مِيتَةً أَوْ فَرِيسَةً. وَلاَ دَخَلَ فَمِي لَحْمٌ نَجِسٌ».

فسمح الرب له بأن يستخدم الجُلة المصنوعة من فضلات البقر بدل الجُلة المصنوعة من فضلات الإنسان ليصنع عليها الخبز فنقرأ:

آية ١٥ فَقَالَ لِي: «انْظُرْ. قَدْ جَعَلْتُ لَكَ خِثْيَ الْبَقَرِ بَدَلَ خُرْءِ الإنسان. فَتَصْنَعُ خُبْزَكَ عَلَيْهِ».

وأرجو أن تلاحظ عبارة «فَتَصْنَعُ خُبْزَكَ عَلَيْهِ». أي يستخدمه كوقود فقط. وهذا يؤكد أن ما قصده في عدد ١٢ هو أن يُصنَع الخبز من الشعير فقط. باستخدام الجُلة كوقود ولا يُعجَن بها.

والسؤال:

هل أخطأ الرب عندما طلب من حزقيال أن يحذر الشعب بصورة عملية ملموسة ومثّل ما سيحدث لهم أمام عيونهم؟ هل أخطأ عندما طلب منه أن يأكل خبزه مستخدمًا الجُلة المصنوعة من فضلات الإنسان بدلًا من فضلات البهائم كوقود؟ هل أساء إليهم عندما حذّرهم بهذا الأسلوب أنه كان سيسئ إليهم لو لم يحذّرهم؟!

المراجع

(1) Gerhard Von Rad , The Message of the Prophets ,Translated by D.M.G.Stalker , N.Y. Harper and Row,1967. p.168.

(2) Enhanced Brown-Driver-Briggs Hebrew and English Lexicon. p. 349.

(3) The Complete Word study Dictionary: Old Testament. p. 368.

(4) The Hebrew and Aramaic Lexicon of the Old Testament. p.299.

(5) Enhanced Brown-Driver-Briggs Hebrew and English Lexicon. p. 199.

(6) Dictionary of Biblical Languages with Semantic Domains. p. 266.

(٤٠)

هل هو إله يأمر بشق بطون الحوامل؟

قال الرب على لسان هوشع: «تُجَازَى السَّامِرَةُ لأَنَّهَا قَدْ تَمَرَّدَتْ عَلَى إِلَهِهَا. بِالسَّيْفِ يَسْقُطُونَ. تُحَطَّمُ أَطْفَالُهُمْ وَالْحَوَامِلُ تُشَقُّ» (هو ١٣: ١٦).

يقول من يهاجمون العهد القديم: إن الكتاب المقدس هو الكتاب الوحيد الذي يأمر بشق بطون الحوامل. فهل فعلًا الله هنا يأمر بشق بطون الحوامل؟

أولًا: ما هي الخلفية التاريخية لهذا النص؟

هذه الكلمات جاءت على لسان هُوشَعَ بْنِ بِئِيرِي الذي عاصر «عزيا ويوثام وأحاز وحزقيا» ملوك يهوذا، ويربعام الثاني بن يوآش ملك إسرائيل (هو ١: ١). وقد كان يتنبأ في نفس التوقيت الذي كان يتنبأ فيه إشعياء النبي (إش ١: ١). ولكن كان إشعياء يتنبأ في مملكة يهوذا (المملكة الجنوبية) وكذلك ميخا النبي، بينما هوشع يتنبأ في مملكة إسرائيل (المملكة الشمالية) وكذلك عاموس النبي. وتُقدَّر المدة التي تنبأ فيها هوشع بحوالي أربعين سنة. وكانت معظم نبوات هوشع عن إسرائيل، ويسميها في بعض الأحيان السامرة؛ وذلك لأن السامرة هي العاصمة. ويسميها في أحيان أخرى أفرايم؛ لأن سبط أفرايم كان أكبر أسباط مملكة إسرائيل، ومنه يربعام بن ناباط أول ملوكها بعد انفصال المملكتين. وقد تنبأ هوشع بخراب إسرائيل، وذلك بسبب الانحلال الأخلاقي والديني، وعبادة الأوثان والزنا في المعابد الوثنية.

ومن يدرس تاريخ مملكة إسرائيل (المملكة الشمالية) منذ انقسام المملكة وحتى سقوطها، سيجد أن كل ملوكها كانوا أشرارًا وقتلة ومغتَصِبين كشعبهم، من أول ملك وهو يربعام بن ناباط وحتى آخر الملوك هوشع بن أيلة.

إن يربعام بن ناباط بعد أن تولى المُلك صنع عجليّ ذهب ووضعهما أمام الشعب لكي يتعبَّد لهما. وقال: «هُوَذَا آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّذِينَ أَصْعَدُوكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ» (١مل ١٢: ٢٨).

ولعل السؤال الذي يواجهنا هنا هو: لماذا العجل الذهبي بالذات؟ ولكن كل دارس للتاريخ يعرف أن الشعوب الشرقية القديمة كانت تعبد العجول وتقدِّسها. فالعجل في الشرق القديم هو إله الخصب والنماء. وكان شعب آرام ينظر للثيران على أنها رمز القوة. وكان العجل أبيس من آلهة المصريين المقدسة. لذلك صنع كل من هارون ومن بعده يربعام العجل الذهبي وهنا الكارثة الكبرى وهي الابتعاد عن الرب والتشبه بسائر الأمم. لقد نسوا أنهم شعب مقدس للرب. نسوا الوصية الأولى من الوصايا العشر.

وقال يربعام للشعب بعد أن صنع عجليّ الذهب: «كَثِيرٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَصْعَدُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ». ووضع لهم عجل في دان والآخر في بيت إيل. ولعل

السؤال أيضًا هو: لماذا اختار هذين البلدين بالذات؟

إن من ينظر إلى خريطة إسرائيل في ذلك الوقت سيجد أن «دان» تقع في أقصى الشمال، وبعد انقسام المملكة أصبحت «بيت إيل» بالنسبة للمملكة الشمالية في أقصى الجنوب على بعد ١٢ ميلاً من أورشليم عاصمة المملكة الجنوبية. فالتعبير «من دان إلى بئر سبع» (قض ٢٠:١؛ ١أخ ٢١:٢). يعني البلاد كلها من الشمال إلى الجنوب. إنه يشبه القول المصري: «من إسكندرية إلى أسوان». لقد أراد يربعام أن يجعل عبادة العجل الذهبي متاحة بسهولة لكل فرد من أفراد الشعب في ذلك الوقت.

ومن يدرس سفر هوشع سيجد كيف كان الشر والفساد قد استشرى في كل المملكة. فيقول الرب عن شعب إسرائيل (سكّان السامرة) في ذلك الوقت:

(هو ٤: ١-٢) «اِسْمَعُوا قَوْلَ الرَّبِّ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ: «إِنَّ لِلرَّبِّ مُحَاكَمَةً مَعَ سُكَّانِ الأَرْضِ لأَنَّهُ لاَ أَمَانَةَ وَلاَ إِحْسَانَ وَلاَ مَعْرِفَةَ اللهِ فِي الأَرْضِ. ٢لَعْنٌ وَكَذِبٌ وَقَتْلٌ وَسِرْقَةٌ وَفِسْقٌ. يَعْتَنِفُونَ وَدِمَاءٌ تَلْحَقُ دِمَاءً».

إن كل الموجود في السامرة هو «لَعْنٌ وَكَذِبٌ وَقَتْلٌ وَسِرْقَةٌ وَفِسْقٌ». وكلمة «يَعْتَنِفُونَ» تعني يتخطون الحدود. وعبارة «وَدِمَاءٌ تَلْحَقُ دِمَاءً» تشير إلى كثرة جرائم القتل.

(هو ٤:٤) «وَشَعْبُكَ كَمَنْ يُخَاصِمُ كَاهِنًا». أي توقف عن الذهاب إلى الهيكل، وعن العبادة، وعن تقديم الذبيحة.

(هو ٤:١٢) «شَعْبِي يَسْأَلُ خَشَبَهُ وَعَصَاهُ تُخْبِرُهُ لأَنَّ رُوحَ الزِّنَى قَدْ أَضَلَّهُمْ فَزَنُوا مِنْ تَحْتِ إِلَهِهِمْ». «يَسْأَلُ خَشَبَهُ» أي «أصنامه» فقد كانوا يصنعون آلهة من الخشب ويعبدونها. ويستشيرونها في أمورهم (إش ٤٦، ٤٧).

(هو ٤: ١٦) «إِنَّهُ قَدْ جَمَحَ إِسْرَائِيلُ كَبَقَرَةٍ جَامِحَةٍ».

والبقرة الجامحة هي التي قطعت كل القيود، وتجاوزت كل الحدود وهائجة بلا ضوابط.

(هو ٤: ١٧) «أَفْرَايِمُ مُوثَقٌ بِالأَصْنَامِ. اتْرُكُوهُ».

أي مرتبط ومتعلق بها. يا للأسى. لقد نسوا الله الحي القوي الذي يَحمِل وينجي الإنسان، وارتبطوا بالآلهة التي تُحمَل، والتي تحتاج لمن يسندها. في ذات الوقت كَتَب إشعياء قائلًا: «اَلثَّوْرُ يَعْرِفُ قَانِيهِ وَالْحِمَارُ مِعْلَفَ صَاحِبِهِ أَمَّا إِسْرَائِيلُ فَلاَ يَعْرِفُ. شَعْبِي لاَ يَفْهَمُ» (إش ١: ٣)

(هو ٥: ٣) «أَنَا أَعْرِفُ أَفْرَايِمَ. وَإِسْرَائِيلُ لَيْسَ مَخْفِيًّا عَنِّي. إِنَّكَ الآنَ زَنَيْتَ يَا أَفْرَايِمُ. قَدْ تَنَجَّسَ إِسْرَائِيلُ»

ويقصد الزنى الروحي؛ البعد عن الله والزيغان بعيدًا عنه وعدم الارتباط به. وأيضًا الزنى الجسدي.

(هو ٧: ٨، ٩) «أَفْرَايِمُ يَخْتَلِطُ بِالشُّعُوبِ. أَفْرَايِمُ صَارَ خُبْزَ مَلَّةٍ لَمْ يُقْلَبْ. أَكَلَ الْغُرَبَاءُ ثَرْوَتَهُ وَهُوَ لاَ يَعْرِفُ وَقَدْ رُشَّ عَلَيْهِ الشَّيْبُ وَهُوَ لاَ يَعْرِفُ».

أصبح شعب بلا رسالة. نعم فقد رسالته. وأصبح خبز ملة لم يُقلَب، أي خبز محترق لا يُؤكَل. ملح فقد ملوحته. بلا هوية. بلا مبدأ. بلا طعم.

(هو ٨: ٧) «إِنَّهُمْ يَزْرَعُونَ الرِّيحَ وَيَحْصُدُونَ الزَّوْبَعَةَ. زَرْعٌ لَيْسَ لَهُ غَلَّةٌ لاَ يَصْنَعُ دَقِيقًا. وَإِنْ صَنَعَ فَالْغُرَبَاءُ تَبْتَلِعُهُ».

إنهم يزرعون الريح، أي الشر والفساد، ولذلك سيحصدون الزوبعة التي تحطمهم.

(هو ٨: ١١) «لأَنَّ أَفْرَايِمَ كَثَّرَ مَذَابِحَ لِلْخَطِيَّةِ صَارَتْ لَهُ الْمَذَابِحُ لِلْخَطِيَّةِ».

وهي تأتي في ترجمة (ك ح) «أَكْثَرَ أَفْرَايِمُ مِنْ تَشْيِيدِ الْمَذَابِحِ لِيُصْعِدَ عَلَيْهَا ذَبَائِحَ الْخَطِيئَةِ. فَأَصْبَحَتْ هَذِهِ مَذَابِحَ لاِرْتِكَابِ الْخَطِيئَةِ». لقد كانوا يزنون فوق المذابح.

(هو ٩: ١) «لاَ تَفْرَحْ يَا إِسْرَائِيلُ طَرَبًا كَالشُّعُوبِ لأَنَّكَ قَدْ زَنَيْتَ عَنْ إِلَهِكَ. أَحْبَبْتَ الأُجْرَةَ عَلَى جَمِيعِ بَيَادِرِ الْخِنْطَةِ».

لا يوجد فرح لمن يبتعد عن الله، لأن الله هو المصدر الحقيقي للفرح.

(هو ١٠: ١) «إِسْرَائِيلُ جَفْنَةٌ مُمْتَدَّةٌ. يُخْرِجُ ثَمَرًا لِنَفْسِهِ. عَلَى حَسَبِ كَثْرَةِ ثَمَرِهِ قَدْ كَثَّرَ الْمَذَابِحَ. عَلَى حَسَبِ جُودَةِ أَرْضِهِ أَجَادَ الأَنْصَابَ».

جفنة: أي كرمة. ولكن للأسف تُخرِج ثمرًا لنفسها. منتهى الأنانية. وحب الذات. والأنانية هي أصل وأساس كل الخطايا.

والأنصاب هي التماثيل. والمقصود أنهم ناكرون للجميل. ففي الوقت الذي يعطيهم الله فيه أجود الأراضي، يُكثرون هم من صنع التماثيل.

(هو ١٣: ٢،٢) «والآنَ يَزْدَادُونَ خَطِيَّةً وَيَصْنَعُونَ لأَنْفُسِهِمْ تَمَاثِيلَ مَسْبُوكَةً مِنْ فِضَّتِهِمْ أَصْنَامًا بِحَذَاقَتِهِمْ كُلُّهَا عَمَلُ الصُّنَّاعِ. عَنْهَا هُمْ يَقُولُونَ: «ذَابِحُو النَّاسِ يُقَبِّلُونَ الْعُجُولَ».

وهي ترد في ترجمة (ك ح) كالآتي:

«وَهَا هُمْ يُكَثِّرُونَ الآنَ مَعَاصِيَهُمْ. وَيَصُوغُونَ بِبَرَاعَةٍ لأَنْفُسِهِمْ تَمَاثِيلَ وَأَصْنَامًا مِنْ فِضَّتِهِمْ. كُلُّهَا صَنْعَةُ عُمَّالٍ حَاذِقِينَ قَائِلِينَ: «قَبِّلُوا تَمَاثِيلَ الْعُجُولِ هَذِهِ يَا مُقَرِّبِي الذَّبَائِحِ الْبَشَرِيَّةِ».

إياك أن تظن أن صوت دينونة الله جاء من فراغ. لقد أرسل الله لهم مئات بل آلاف التحذيرات، والنداءات للتوبة والرجوع. فباب محبته مفتوح، ونعمته لا حدود لها. لذلك لا يمكن أن يرفض أي إنسان مهما كان ذنبه ومهما كانت خطيته. عليه فقط بالرجوع. ولقد كان الرب يرجو شعبه صارخًا على لسان هوشع قائلًا:

«هَلُمَّ نَرْجِعُ إِلَى الرَّبِّ لأَنَّهُ هُوَ افْتَرَسَ فَيَشْفِينَا ضَرَبَ فَيَجْبُرُنَا. يُحْيِينَا بَعْدَ يَوْمَيْنِ. فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يُقِيمُنَا فَنَحْيَا أَمَامَهُ» (هو ٦: ١، ٢).

ويقول أيضًا: «ارْجِعْ يَا إِسْرَائِيلُ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِكَ لأَنَّكَ قَدْ تَعَثَّرْتَ بِإِثْمِكَ» (هو ١٤: ١).

ولذلك جاء وقت الدينونة، وحصدت السامرة ثمار ما زرعت من شر وفساد. فقد حاصرت أشور السامرة لمدة ثلاث سنين في أيام هوشع بن أيلة، الذي أذله شلمناصر ملك أشور ووضعه تحت الجزية، إلى أن سقطت السامرة سنة ٧٢٢ ق.م. وتم سبي إسرائيل إلى أشور.

ثانيًا: هل الله أمر بقتل الأطفال وشق بطون الحوامل؟

أنا أرجو أن تقرأ الآية «بالتشكيل» وتسأل نفسك: هل النص يحتوي على «أمر» بقتل الأطفال وشق بطون الحوامل؟

«تُجَازَى السَّامِرَةُ لأَنَّهَا قَدْ تَمَرَّدَتْ عَلَى إِلَهِهَا. بِالسَّيْفِ يَسْقُطُونَ. تُحَطَّمُ أَطْفَالُهُمْ وَالْحَوَامِلُ تُشَقُّ» (هو ١٣:١٦).

لو كان النص كالآتي: «تُحَطَّمُ أَطْفَالُهُمْ وَالْحَوَامِلُ تُشَقُّ» كنا قلنا هذا أمر مباشر بالقتل، ولكن النص ورد في صيغة المبني للمجهول كالآتي: «تُحَطَّمُ أَطْفَالُهُمْ وَالْحَوَامِلُ تُشَقُّ». فلا يوجد أي أمر موجه لأي جهة محددة، أو أي أشخاص معينين ليقوموا بقتل الأطفال أو شق بطون الحوامل. لقد كان هوشع النبي يتنبأ بما سيحدث للسامرة العاصية المتمردة على الرب، كنتيجة طبيعية لشرهم وفسادهم وعدم رجوعهم للرب.

وقد ورد هذا النص في الترجمات الأخرى كالآتي:

(ت ع م) «أذنبت السامرة وتمردت على الله، فبالسيف يسقط شعبها. أطفالها ينسحقون وتنشق بطون الحوامل».

(ك ح) «لأَبُدَّ أَنْ تَتَحَمَّلَ السَّامِرَةُ وِزْرَ خَطِيئَتِهَا لأَنَّهَا تَمَرَّدَتْ عَلَى إِلَهِهَا. فَيَفْنَى أَهْلُهَا بِحَدِّ السَّيْفِ، وَيَتَمَزَّقُ أَطْفَالُهَا أَشْلاَءً، وَتُشَقُّ بُطُونُ حَوَامِلِهَا».

(ت ك) «السامرة سوف تدفع الثمن لأنها تمردت على إلهها. يسقطون بالسيف ويُسحَق أطفالهم وتُشَق حواملهم».

(ASV) Samaria shall bear her guilt; for she hath rebelled against her God: they shall fall by the sword; their infants shall be dashed in pieces, and their women with child shall be ripped up.

(BBE) Samaria will be made waste, for she has gone against her God: they will be cut down by the sword, their little children will be broken on the rocks, their women who are with child will be cut open.

(CEV) Samaria will be punished for turning against me. It will be destroyed in war- - children will be beaten against rocks, and pregnant women will be ripped open.

(ERV) Samaria must be punished because she turned against her God. The Israelites will be killed with swords. Their children will be torn to pieces, and their pregnant women will be ripped open.»

(ESV) Samaria shall bear her guilt, because she has rebelled against her God; they shall fall by the sword; their little ones shall be dashed in pieces, and their pregnant women ripped open.

(GNB) Samaria must be punished for rebelling against me. Her people will die in war; babies will be dashed to the ground, and pregnant women will be ripped open.»

(ISV) Samaria will be held guilty, because she has rebelled against her God. By the sword they will fall—with their infants dashed to pieces, and their pregnant women torn open.»

(KJV) Samaria shall become desolate; for she hath rebelled against her God: they shall fall by the sword: their infants shall be dashed in pieces, and their women with child shall be ripped up.

(MKJV) Samaria shall become a waste,

for she has rebelled against her God. They shall fall by the sword. Their infants shall be dashed in pieces, and their pregnant women shall be ripped up.

(RV) Samaria shall bear her guilt; for she hath rebelled against her God: they shall fall by the sword; their infants shall be dashed in pieces, and their women with child shall be ripped up.

فلا يوجد أمامنا إلا نبوة بما سيحدث للسامرة في المستقبل نتيجة شرها وبعدها عن الله وعدم توبتها، ولا يوجد أمامنا أي أمر بالقتل من الرب لأي شخص معين، أو أي جهة محددة، وما حدث للسامرة بواسطة أشور يعتبر في نفس الوقت قضاءًا إلهيًا.

ثالثًا: برهان العدالة الإلهية:

إن هذا القضاء الإلهي الذي أخبر به الرب على لسان هوشع النبي يؤكد عدالة الله. فالقتل وسفك الدماء كان أحد ملامح مدينة السامرة، لدرجة أننا نقرأ عن (مَنَحِيمُ بْنُ جَادِي) وهو أحد ملوك إسرائيل الفاسدين أنه دخل مدينة وشق بطون حواملها فنقرأ: «فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ وَالثَّلاَثِينَ لِعَزَرْيَا مَلِكِ يَهُوذَا، مَلَكَ مَنَحِيمُ بْنُ جَادِي عَلَى إِسْرَائِيلَ فِي السَّامِرَةِ عَشَرَ سِنِينَ وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ. لَمْ يَحِدْ عَنْ خَطَايَا يَرُبْعَامَ بْنِ نَبَاطَ الَّذِي جَعَلَ إِسْرَائِيلَ يُخْطِئُ كُلَّ أَيَّامِهِ».

ثم يقول عنه: «حِينَئِذٍ ضَرَبَ مَنَحِيمُ تَفْصَحَ وَكُلَّ مَا بِهَا وَتُخُومَهَا مِنْ تِرْصَةَ. لأَنَّهُمْ لَمْ يَفْتَحُوا لَهُ. ضَرَبَهَا وَشَقَّ جَمِيعَ حَوَامِلِهَا» (٢ مل ١٥:١٥-١٨). فالسامرة قد شقَّت بطون حوامل مدينة تفصح وتخومها على يد ملكها الشرير (مَنَحِيمُ بْنُ جَادِي) لذلك كان الجزاء من جنس العمل! «الَّذِي يَزْرَعُهُ الإِنسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضًا» (غل ٦:٧).

ولكن أرجو أن تلاحظ أن الرب لم يأمر أشور بتحطيم أطفال أهل السامرة أو بشق بطون حواملها، ولكنهم فعلوا كل ما فعلوا بكامل حرية إرادتهم، وهذا ما شهدوا به عن أنفسهم قائلين: «بِقُدْرَةِ يَدِي صَنَعْتُ، وَبِحِكْمَتِي. لأَنِّي فَهِيمٌ. وَنَقَلْتُ تُخُومَ شُعُوبٍ، وَنَهَبْتُ ذَخَائِرَهُمْ، وَحَطَطْتُ الْمُلُوكَ كَبَطَل. فَأَصَابَتْ يَدِي ثَرْوَةَ الشُّعُوبِ كَعُشٍّ، وَكَمَا يُجْمَعُ بَيْضٌ مَهْجُورٌ جَمَعْتُ أَنَا كُلَّ الأَرْضِ» (إش ١٠: ١٣-١٤). لقد كان الأشوريون يريدون بمحض اختيارهم وحريتهم أن يسبوا الشعوب المجاورة لهم ويذلوهم ويأخذوا ممتلكاتهم، ولكن صاحب السلطان المطلق على كل الكون استخدمهم كقضيب غضب في يده، ثم بعد ذلك عقابهم على شرورهم، لذلك نقرأ: «وَيْلٌ لأَشُّورَ قَضِيبِ غَضَبِي» (إش ١٠: ٥).

عزيزي القارئ: أليس حكمًا عادلًا من القاضي العادل أن يخبر هوشع بأن هناك من سيأتي ويجازي السامرة بذات الفعل الذي فعلوه مع جيرانهم؟؟

(٤١)

هل هو إله يصنع البلايا؟

يسأل البعض: نجد صعوبة كبيرة في فهم كلمات عاموس النبي: «هَلْ تَحْدُثُ بَلِيَّةٌ فِي مَدِينَةٍ وَالرَّبُّ لَمْ يَصْنَعْهَا؟» (عا ٣:٦). ألا تدل هذه الآية على أن الله هو مصدر الكوارث والآلام التي تصيبنا؟

وللإجابة على هذا السؤال أقول:

لكي نفهم هذه **الآية فهمًا صحيحًا علينا** أن نسأل: متى كتب عاموس هذه الكلمات؟ ولمن وجهها؟ وما هي مناسبتها؟ وما **هي القرينة التي** قيلت فيها؟

يذكر عاموس في مستهل سفره أنه تنبأ في أيام عزيا ملك يهوذا، وفي أيام يربعام بن يوآش ملك إسرائيل قبل الزلزلة بسنتين (عا ١: ١). **ومن هنا نستطيع أن نحدد تاريخ** خدمة عاموس. فقد ملك عزيا ٥٢ سنة من **٧٨٥- ٧٣٤ ق.م تقريبًا**. وملك يربعام بن يوآش ٤١ سنة من ٧٨٥ - **٧٤٥ ق.م تقريبًا** وبذلك نستطيع أن نقول: إنه تفوه بهذه **الكلمات** عام ٧٦٠ تقريبًا.

وقد كان عاموس من «تقوع» (عا ١: ١) وهي قرية جبلية جنوب أورشليم بحوالي ١٥ كيلومترًا. وقد دعاه الرب من وراء الضأن ليذهب إلى المملكة الشمالية «مملكة إسرائيل» ويتنبأ عليها (عا ٧: ١٤،١٥). فترك عاموس بلده ومملكته وذهب بلا تردد حاملًا رسالة الرب إليهم.

كانت مملكة إسرائيل في ذلك الوقت في منتهى الشر والفساد. فقد كان ملكهم يربعام بن يوآش ملكًا شريرًا وفاسدًا، وكان يسير على نفس نهج يربعام بن ناباط لذلك جعل إسرائيل يخطئ (٢مل ١٤: ٢٤). وقد عم الفساد في كل أرجاء المملكة **من غش ورشوة وسرقة وظلم للفقير** وزنى وضلال. **ويكفي** أن تقرأ ما جاء في (عا ٢: ٦-٨، ٥: ١٠-١٢، ٢١-٢٤، ٨: ٤-٦). **لقد وصل الحال بهم إلى أنهم أبغضوا المنذر وكرهوا المتكلم** بالصدق (٥: ١٠). وسقوا النذيرين خمرًا وأوصوا الأنبياء أن **لا يتنبأوا** (٢: ١٢).

لذلك جاء إليهم عاموس بلا تردد أو خوف **حاملًا** رسالة الدينونة. وكانت أول كلمات يوجهها إليهم: «مِنْ أَجْلِ ذُنُوبِ يَهُوذَا الثَّلاَثَةِ وَالأَرْبَعَةِ لاَ أَرْجِعُ عَنْهُ...» (عا ٢: ٦). فالله القدوس لا يتستر على الخطية أو الخطاة. ولذلك بدأ الإصحاح الذي فيه الآية التي ندرسها قائلًا: «إِيَّاكُمْ فَقَطْ عَرَفْتُ مِنْ جَمِيعِ قَبَائِلِ الأَرْضِ. لِذلِكَ أُعَاقِبُكُمْ عَلَى جَمِيعِ ذُنُوبِكُمْ» (٣: ٢). ولم يكن الله قد أصدر حكمًا نهائيًا بالدينونة والعقاب. لأن الله لا يريد الدينونة ولا العقاب. هو يريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون. هو لا يسر بموت الشرير. بل بأن يرجع عن طرقه الردية.

وما يؤكد ذلك لنا ما قاله الله للشعب على

لسان عاموس أيضًا «لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ لِبَيْتِ إِسْرَائِيلَ: «اطْلُبُوا فَتَحْيَوْا... اُطْلُبُوا الرَّبَّ فَتَحْيَوْا لِئَلاَّ يَقْتَحِمَ بَيْتَ يُوسُفَ كَنَارٍ تُحْرِقُ، وَلاَ يَكُونُ مَنْ يُطْفِئُهَا مِنْ بَيْتَ إِيلَ. (٥: ٤-٦). ثم يعود ويؤكد «اُطْلُبُوا الْخَيْرَ لاَ الشَّرَّ لكي تَحْيَوْا أَبْغِضُوا الشَّرَّ وَأَحِبُّوا الْخَيْرَ، وَثَبِّتُوا الْحَقَّ فِي الْبَابِ. لَعَلَّ الرَّبَّ إِلهَ الْجُنُودِ يَتَرَاءَفُ عَلَى بَقِيَّةِ يُوسُفَ» (٥: ١٤،١٥). لقد كان الله يتمنى توبتهم ورجوعهم، ولكن للأسف لم يفعلوا إلا العكس، ويكفي أن يتكرر في أصحاح صغير خمس مرات عبارة «فَلَمْ تَرْجِعُوا إِلَيَّ» (٤: ٦، ٨، ٩، ١٠، ١١) لقد أَكْثَرُوا الذُّنُوبَ (٤: ٤)، وحَوَّلُوا الْحَقَّ أَفْسَنْتِينًا (٥: ٧)، وفرحوا بالبُطل والفساد (٦: ١٣).

في هذا الإطار وردت كلمات عاموس «هَلْ تَحْدُثُ بَلِيَّةٌ فِي مَدِينَةٍ وَالرَّبُّ لَمْ يَصْنَعْهَا؟»

والسؤال: ما الذي قصده عاموس بهذه الكلمات؟

لقد رأى عاموس أن الأمة تزداد فسادًا وزيغانًا، وفي نفس الوقت علم بالقوة الأشورية وأنها في تقدم دائم، فتساءل في نفسه: ما هي دلالة هذين الأمرين؟ وهل هناك علاقة بينهما؟ فقال: «هَلْ يَسِيرُ اثْنَانِ مَعًا إِنْ لَمْ يَتَوَاعَدَا؟» (٣: ٣). لقد أدرك أن هناك علاقة بينهما، وأن الكارثة قادمة، فأشور تتقدم يومًا بعد الآخر، وتكتسح البلاد والممالك المجاورة لها، وإسرائيل غارقة في الشر والفساد، وتعيش في سلام وهمي مُتَّكِلَة على شكليات الدين، وظنًا منهم أنهم يمتلكون يهوه، وأن مجده مرتبط بنجاحهم وتفوقهم فلا يمكن أن يسلمهم فريسة لأي أمة مجاورة لهم لئلا يضيع مجده، فكانوا يعيشون في سلبية واستهتار ولا مبالاة.

ولذلك أعلن عاموس أن الخراب قادم، وهذه هي النتيجة الطبيعية للشر والفساد[1]، فقال بوضوح «لأَنَّ الْجِلْجَالَ تُسْبَى سَبْيًا، وَبَيْتَ إِيلَ تَصِيرُ عَدَمًا» (٥: ٥). ثم كرر «لِذلِكَ الآنَ يُسْبَوْنَ فِي أَوَّلِ الْمَسْبِيِّينَ، وَيَزُولُ صِيَاحُ الْمُتَمَدِّدِينَ» (٦: ٧). ويؤكد «قَدْ أَقْسَمَ السَّيِّدُ الرَّبُّ بِنَفْسِهِ، يَقُولُ الرَّبُّ إِلهُ الْجُنُودِ: «إِنِّي أَكْرَهُ عَظَمَةَ يَعْقُوبَ وَأُبْغِضُ قُصُورَهُ، فَأُسَلِّمُ الْمَدِينَةَ وَمِلأَهَا». (٦: ٨). ويضيف: «لأَنِّي هأَنَذَا أُقِيمُ عَلَيْكُمْ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ الرَّبُّ إِلهُ الْجُنُودِ، أُمَّةً فَيُضَايِقُونَكُمْ مِنْ مَدْخَلِ حَمَاةَ إِلَى وَادِي الْعَرَبَةِ» (٦: ١٤).

وللأسف لم يتراجع الشعب عن شره، ولم يتب كما تاب أهل نينوى بل تمادوا في الشر والفساد لدرجة أن أمصيا رئيس كهنة بيت إيل قاوم عاموس وفتن عليه عند الملك يربعام قائلًا: «لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ عَامُوسُ: بِسَيْفٍ يَمُوتُ يَرُبْعَامُ، وَيُسْبَى إِسْرَائِيلُ عَنْ أَرْضِهِ». (عا ٧: ١١). وطلب من عاموس أن يعود إلى بلده ولا يرجع مرة أخرى إلى إسرائيل، لكن عاموس واجهه بكل شجاعة قائلًا:

«فَالآنَ اسْمَعْ قَوْلَ الرَّبِّ: أَنْتَ تَقُولُ: لاَ تَتَنَبَّأْ عَلَى إِسْرَائِيلَ وَلاَ تَتَكَلَّمْ عَلَى بَيْتِ إِسْحَاقَ. لِذلِكَ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: امْرَأَتُكَ تَزْنِي فِي الْمَدِينَةِ، وَبَنُوكَ وَبَنَاتُكَ يَسْقُطُونَ بِالسَّيْفِ، وَأَرْضُكَ تُقْسَمُ بِالْحَبْلِ، وَأَنْتَ تَمُوتُ فِي أَرْضٍ نَجِسَةٍ، وَإِسْرَائِيلُ يُسْبَى سَبْيًا عَنْ أَرْضِهِ» (٧: ١٦،١٧).

لقد تأكد عاموس من نتيجة عدم تجاوب الشعب مع دعوته من أن الخراب قادم لا محالة، وأن الأمة الأشورية ستسبي إسرائيل وتذلها فترة من الزمن.

وهنا يعلن عاموس أن الله هو سيد التاريخ

ومحرك الأحداث الذي يقود الأمم والممالك. لقد كان شعب إسرائيل يظن أن الله مسيطر على تاريخ شعبه فقط، ولكن عاموس يعلن هنا أن الله مسيطر على تاريخ الجنس البشري ككل فيقول: «هَلْ تَحْدُثُ بَلِيَّةٌ فِي مَدِينَةٍ وَالرَّبُّ لَمْ يَصْنَعْهَا؟»

فالتاريخ ليس فوضى، والأحداث ليست خبطًا عشوائيًا. فالبلية القادمة على إسرائيل لم ولن تخرج عن دائرة سلطان الله.

إن الله لا يريد البلية ولن يسر بها، ويتمنى أن يرجع الشعب عن شره حتى لا يحصد الثمرة الطبيعية لأفعاله، ولكن إن لم يرجع فكل ما يحدث خاضع لسلطانه، وهذا ما أطلق عليه عاموس «يصنعها». وقد أعلن الله بوضوح على فم إشعياء قائلًا: «وَيْلٌ لأَشُّورَ قَضِيبِ غَضَبِي» (إش ١٠: ٥). فقد كانت أشور قضيب غضب في يمين الرب.

ولعلك تسأل: لماذا يقول ويل لهم؟ ألم يكونوا قضيب غضب في يده؟ نقول نعم كانوا قضيب غضب في يده ولكنهم فعلوا كل ما فعلوا بمطلق إرادتهم الحرة، وهذا ما شهدوا به عن أنفسهم قائلين: «بِقُدْرَةِ يَدِي صَنَعْتُ، وَبِحِكْمَتِي. لأَنِّي فَهِيمٌ. وَنَقَلْتُ تُخُومَ شُعُوبٍ، وَنَهَبْتُ ذَخَائِرَهُمْ، وَحَطَطْتُ الْمُلُوكَ كَبَطَل. فَأَصَابَتْ يَدِي ثَرْوَةَ الشُّعُوبِ كَعُشٍّ، وَكَمَا يُجْمَعُ بَيْضٌ مَهْجُورٌ، جَمَعْتُ أَنَا كُلَّ الأَرْضِ» (إش١٠: ١٣-١٤). لقد كان الأشوريون يريدون بمحض اختيارهم وحريتهم أن يسبوا الشعوب المجاورة لهم ويذلوهم ويأخذوا ممتلكاتهم، وقد تركهم الله لأفكارهم الشريرة، وذلك لأنه قضى بحرية إرادة الإنسان، ولكنه أدار بحكمته وقدرته مقاصدهم فأصبحوا قضيب غضب في يده، ثم بعد ذلك يتم عقابهم على شرورهم.[1]

أرجو أن تلاحظ هنا أن البلية لم يكن الرب صانعها ولا مدبرها، ولم يسر بها، إنما تمت بسبب فساد شعب إسرائيل واستهتارهم، وفي نفس الوقت شر أشور وطموحهم المريض وشهوة التملّك وسفك الدماء التي سيطرت عليهم، فعندما التقى استهتار إسرائيل بجموح أشور تمت البلية. فاستخدم الله البلية بحكمته اللامتناهية في تحقيق أغراضه العليا، وهذا ما جعل عاموس يقول عن الله أنه «يصنعها» بمعنى المتحكم فيها والمسيطر على الكون والأحداث، والذي يستطيع أن يحول الشر إلى خير.

المراجع

(1) The Expositor's Bible Commentary. V. 8. p. 219.

(٢) القس عزت شاكر. من المسئول عن الشر والألم؟. ص٧٣.

(٤٢)

هل هو إله يبغض بعض الناس؟

تعتبر واحدة من أصعب الآيات في كل الكتاب المقدس، بل وبمثابة حجر صدمة وصخرة عثرة للكثيرين الكلمات التي قالها الرب على فم ملاخي:

«أَلَيْسَ عِيسُو أَخًا لِيَعْقُوبَ، يَقُولُ الرَّبُّ. وَأَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عِيسُوَ» (ملا ١: ٢، ٣).

وكذلك اقتباس الرسول بولس لهذه الآية وتطبيقه لها في (رو ٩: ١١- ١٣) حيث يقول: «لأَنَّهُ وَهُمَا لَمْ يُولَدَا بَعْدُ وَلاَ فَعَلاَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا لِكَيْ يَثْبُتَ قَصْدُ اللهِ حَسَبَ الاِخْتِيَارِ لَيْسَ مِنَ الأَعْمَالِ بَلْ مِنَ الَّذِي يَدْعُو قِيلَ لَهَا: «إِنَّ الْكَبِيرَ يُسْتَعْبَدُ لِلصَّغِيرِ». كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عِيسُوَ».

والكل يسأل: هل الله يكره؟ ولماذا يحب يعقوب ويبغض أخاه عيسو؟ وهل الله يميز بين شخص وآخر؟ وهل عند الله محاباة؟ وما ذنب عيسو؟ وهل الإنسان مسير أم مخير؟ وهل اختار الله بعض الناس للحياة الأبدية، والبعض الآخر للهلاك؟

لكي أجيب على هذه الأسئلة وغيرها أقدم سبعة مبادئ هامة وهي:

(١) الله المحب لا يبغض أحدًا:

هل من المعقول أن الله المحبة يبغض إنسانًا؟! كلا وألف كلا. فالبغضة والكراهية ضعف، وحاشا لله أن يعتريه الضعف. فهو المكتوب عنه «لاَ يَرْذُلُ أَحَدًا» (أي ٣٦: ٥). والكتاب المقدس يعلن لنا أن طبيعة الله محبة (١يو ٤: ١٦)، وأنه أحب العالم كله (يو ٣: ١٦). لقد أرسل يونان إلى نينوى (يون ١: ٢) وهي مدينة أممية، وكانت عاصمة مملكة أشور، التي هي بلاد العراق الآن، وكانت تعيش في صراع مع شعب الله. والغريب أنه بعد الأسلوب الدرامي الذي استخدمه الرب معه ليذهب، وذهب ونادى للشعب بالتوبة وتابوا، جلس حزينًا إذ نقرأ «فَغَمَّ ذلِكَ يُونَانَ غَمًّا شَدِيدًا، فَاغْتَاظَ.... وَقَالَ: «آهِ يَا رَبُّ، أَلَيْسَ هذَا كَلاَمِي إِذْ كُنْتُ بَعْدُ فِي أَرْضِي؟ لِذلِكَ بَادَرْتُ إِلَى الْهَرَبِ إِلَى تَرْشِيشَ، لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ إِلهٌ رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشَّرِّ» (يو ٤: ١-٣). وحزن يونان لأنه يعرف طبيعة الله أنه رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشَّرِّ. لقد كان يونان يريد خراب المدينة لأنها أممية. وعندما أراد الله أن يصحح مفاهيمه ليدرك أن الله يحب كل الخليقة، وأن كل الشعوب غالية عليه، أعد له يقطينة وارتفعت وظللت عليه ولكنها في اليوم التالي يبست، وهنا حزن يونان حزنًا شديدًا وطلب الموت لنفسه، فقال له الله: «أَنْتَ شَفِقْتَ عَلَى الْيَقْطِينَةِ الَّتِي لَمْ تَتْعَبْ فِيهَا وَلاَ رَبَّيْتَهَا، الَّتِي بِنْتَ لَيْلَةٍ كَانَتْ وَبِنْتَ لَيْلَةٍ هَلَكَتْ. أَفَلاَ أَشْفَقُ أَنَا عَلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يُوجَدُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنِ اثْنَتَيْ

عَشَرَةَ رِبْوَةً مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ بَيْنَهُمْ مِنْ شِمَالِهِمْ، وَبَهَائِمُ كَثِيرَةٌ؟» (يون ٤: ١٠، ١١). نعم إنه يشفق على نينوى وعلى كل شعب، وعلى كل إنسان، لأن كل إنسان له. فكل إنسان هو صنعة يده ومخلوق على صورته. وأن للرب الأرض وملؤها، المسكونة وكل الساكنين فيها (مز ٢٤: ١).

ولعل أروع صورة عن الله المحب نجدها في (لو ١٥) إذ نجد ثلاثة أمثلة وهي الخروف الضال، الدرهم المفقود، الابن الضال. ونرى التدرج في هذه الأمثال الثلاثة. إذ عندما ضاع خروف من المئة نجد الراعي ترك القطيع وبحث عن الضال حتى وجده (لو ١٥: ٤) ولم يهدأ ولم يسترح حتى وجده. وعندما وجده وضعه على منكبيه فرحًا.

وعندما أضاعت المرأة درهمًا واحدًا من العشرة أوقدت سراجًا وكنست البيت وفتشت باجتهاد حتى وجدته (لو ١٥: ٨) وعندما وجدته دعت الجارات والصديقات ليفرحن معها. وهذه هي مشاعر الله نحو كل إنسان. إنه يبحث عن كل ضال وكل مفقود ولا يستريح إلا عندما يجده.

وفي المثل الثالث نجد الابن الضال الأصغر أخذ ثروة أبيه وبذرها بعيش مسرف. ولكن الأب يجلس متطلعًا ومنتظرًا قدومه. ويقول الوحي: «وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيدًا رَآهُ أَبُوهُ، فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ» (لو ١٥: ٢٠). وعندما رفض الابن الضال الأكبر الدخول لحضور وليمة الفرح بعودة الابن الضال، خرج الأب أيضًا يتحنن ويطلب إليه أن يدخل (لو ١٥: ٢٨). هذه هي مشاعر قلب الله نحو الإنسان. إنه يحب كل العالم دون تفرقة أو تمييز بين إنسان وآخر، ولا بين شعب وآخر، ولا بين دين وآخر، إذ ليس عند الله محاباة، والله لا يكيل بمكيالين

وإذا قلنا إن الله يميز شعبًا عن آخر، أو فردًا عن آخر فنحن نهين الله. فما رأيك في مدرس يعطي درجات أعلى للطلبة الذين ينتمون إلى دينه، ألا تحتقر هذا المدرس؟ فكم بالحرى الله العظيم!

(٢) نعمة الله الخلّصة مقدمة مجانًا لكل إنسان:

إن خلاص الله الأبدي مقدم لكل إنسان، فهو لا يشاء أن يهلك أُناسًا، بل أن يُقبِل الجميع إلى التوبة (٢بط ٣: ٩). وهو لا يسر بموت الشرير، ويريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون. اسمع صوت النعمة:

«هَئَنَذَا وَاقِفٌ عَلَى \الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ \الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي» (رؤ ٣: ٢٠).

إن هذه الآية تحمل إعلانًا رائعًا نراه في الكلمات «هأنذا» و«واقف» و«أقرع» و«أدخل» و«أتعشى»... الخ

فمن هو الواقف ينتظر استجابتنا؟ إنه سيد الأرض كلها، وبالرغم من ذلك يتحمل كل الآلام الجسدية والنفسية وهو ينتظرنا. إن النعمة الغنية هي التي تدفعه ليقف وينتظرنا ولا يتركنا لجهلنا وشرنا، وقد تطول وقفته سنوات طويلة حتى نفتح ونسمح له بالدخول، وقد لا نفتح ولكنه بالرغم من ذلك يظل واقفًا إلى أن ينتهي الأجل فيدخل الإنسان إلى الظلمة الأبدية.

«وَأَقْرَعُ» إنه لا يقف صامتًا بل «يقرع» والفعل اليوناني هو (κρουω) «كرو» وهو لا يعني مجرد القرع الخفيف العارض بل القرع المستمر الذي يرجو الاستجابة[1].

في قدرة يده أن يكسر الباب ويدخل لكنه

يحترم حرية إرادة الإنسان، يريدنا أن نفتح بإرادتنا، وأن نحبه برغبة صادقة.

هل فكرت كيف يقرع على باب قلبك؟؟

قد يقرع عن طريق الذكريات الحلوة! وقد يقرع عن طريق النجاح! وقد يقرع من خلال صوت الألم! إنه يقرع بطرق مختلفة ويرجو الاستجابة.

ثم يقول «إِنْ سَمِعَ» إنه لا يقف فقط، ولا يكتفي بالقرع، بل ينادي على كل واحد باسمه، فما أروع هذه المحبة.

والسؤال: لماذا لا يسمع الإنسان صوت ابن الله؟

قد يكون السبب أن هناك أصواتًا أخرى تملأ آذان الإنسان فتشوش على صوت السيد، مثل صوت الجسد، الخطية، الشهوات... الخ. وقد يكون السبب في البعد، فأنت لا تسمع رنين التليفون إذا كنت أبعد من اللازم، ونحن في مرات كثيرة يأخذنا تيار الحياة بعيدًا عن صوته.

«وَفَتَحَ» والمقصود «بالفتح» التوبة الصادقة، التسليم الكامل. وإن فتحنا يقول: «أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي».

وهنا نجد المسيح يعد بالدخول لكل إنسان يفتح، ثم يقول:

والفعل «أَتَعَشَّى» في اليونانية هو (δειπνησω) «ديابينسو» وهو يفيد الوجبة الرئيسية، فقد كان العشاء يعد بسخاء ولم يكن وجبة سريعة خاطفة.

وكان العشاء في الشرق يعبر عن الصداقة والعلاقة الخاصة القريبة والشركة التي تكتمل بالمبيت والإقامة. ألم يقل المسيح «إِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلًا» (يو ١٤: ٢٣). ما أروع مسيحنا

إذ يدخل إلى حياتنا ويدخلنا إلى قلبه، ونصبح في شركة بل ووحدة معه تبدأ هنا وتكتمل في المجد.

إن هذه النعمة المجانية قبلتها راحاب الزانية (يش٢) ومن نسلها جاء المسيح، وقبلتها راعوث الموآبية (را ١: ١٦) ومن نسلها جاء المسيح أيضًا، ورغم أنها ليست من إسرائيل إلا أنها كتبت أحد أسفار الكتاب المقدس. وقبلها نعمان السرياني الرجل الأممي (٢ مل ٥: ١٥،١٧)، وقبلها اللص التائب الذي قضى كل حياته في الإجرام، لكنه صرخ بصدق: «اذْكُرْنِي يَارَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ» (لو ٢٣: ٤٣). وجاءه صوت النعمة «اَلْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ».

وصوت النعمة يدوي عاليًا: «تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ» (مت ١١: ٢٨).

(٣) الإنسان حر الإرادة:

يعلن لنا الكتاب المقدس مرارًا وتكرارًا أن الإنسان حر الإرادة يستطيع أن يتخذ ما يشاء من قرارات. فهو كائن عاقل وحر له القدرة على الاختيار والتنفيذ، لذلك هو مسؤول مسئولية أدبية عن أفعاله، مسؤول أمام الله وأمام المجتمع وأمام ضميره.

وقصة الخلق تؤكد لنا حرية الإنسان؛ فقد خلق الله الإنسان على صورته (تك ١: ٢٧). ووضعه في الجنة ليعملها ويحفظها (تك ٢: ٥). وأعطاه مسئولية تسمية الكائنات الأخرى (تك ٢: ١٩). وسلّطه على سمك البحر وطير السماء وكل حيوان يدب على الأرض. ومن هنا ندرك أن الله أعطى الإنسان حرية وسلطان وإرادة. وما سقوط آدم في الخطية إلا دليل أكيد على حريته. فكان

يمكن لله أن يقيد حريته، أو يجعله عاجزًا عن الوصول إلى الشجرة، كأن يحيطها بسور من نار، أو يجعله يصاب بشلل إذا اقترب منها مسافة متر مثلًا. ولكن الله لم يفعل هذا، لأن هذا يتنافى مع كرامة الإنسان. وما ندم آدم عندما أخطأ، وتقديم الأعذار، وإلقاء اللوم على الآخرين، ومحاولة الاختباء من وجه الله إلا دلالة أكيدة على حريته. فلو لم يكن حرًا لما فعل ذلك. ولو كان مسيرًا ومجبرًا على تصرفاته لما كان في حاجة إلى تبرير أفعاله.

ووجود الوصايا يؤكد لنا حرية الإنسان؛ فإعطاء الوصية لآدم (تك ٢: ١٦، ١٧) دليل على أنه حر، وأنه يمتلك إمكانية مخالفتها. ولو أن الإنسان مسير فما ضرورة الوصية؟ هل هي تمثيلية يقوم بها الله؟ كلا. لقد خلقنا أحرارًا. وأعطانا الوصايا لكي نطيعه بمطلق حريتنا. وما مخالفة الإنسان للوصية إلا أكبر دليل على أن الله يحترم حرية الإنسان لدرجة أنه لا يمنعه من مخالفة وصيته.

لذلك نحن لا نؤمن بالقدرية أو الجبرية، كما لا نؤمن «بالمكتوب على الجبين» ولا «بالمقسوم» ولا «نصيبك يصيبك» ولا «ساعة القدر يعمى البصر». فكل هذه العبارات هدّامة، ولا تسيء إلا إلى الله أولًا ثم الإنسان.

ووجود يوم للدينونة والمجازاة هو أكبر دليل على حرية الإنسان. فكيف يحاسبني الله وأنا لم أكن حرًا؟ كيف يقول لي: أعط حساب وكالتك وأنا كنت مرغمًا على تصرفاتي؟ كيف أُجازى عما فعلت سواء خيرًا أو شرًا وأنا لم أكن سيد قراري. لأنه من أبسط قواعد العدل أن لا يُحاسب الإنسان على فعل لم يكن صاحب الإرادة فيه.

لقد قضى الله في حكمته أن يخلق الإنسان حرًا، يفكر ويقرر ويختار كما يشاء، وتبعًا لذلك سيُحاكم ويُجازى. وهذا الإله العظيم الذي يحترم حرية إرادة الإنسان يقول له: «قَدْ جَعَلْتُ الْيَوْمَ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ. الْبَرَكَةَ وَاللَّعْنَةَ. فَاخْتَرِ الْحَيَاةَ لِكَيْ تَحْيَا أَنْتَ وَنَسْلُكَ» (تث ٣٠: ١٩). وهنا نرى الله يشير على الإنسان أن يختار طريق الحياة، لأنه يحترم حريته ويريد خلاصه.

ويقول على لسان يشوع للشعب: «فَاخْتَارُوا لأَنْفُسِكُمُ الْيَوْمَ مَنْ تَعْبُدُونَ...» (يش ٢٤:١٥). وهناك العديد من الآيات التي تؤكد حرية الإنسان (راجع يش ٢٤: ١٥؛ إش ١: ١٩؛ لا ٢٦؛ تث ١١: ٢٦ - ٢٩؛ مر ٦: ٥،٦). ويقول الرب يسوع: «يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا!» (مت ٢٣: ٣٧).

إن الأمر متروك لحرية الإنسان، فكما يقول اللاهوتي الكبير بول أفدوكيموف «الله يستطيع كل شيء... إلا إرغامنا على محبته»[٢]. فكل إنسان حر في أن يقبل أو يرفض، يؤمن أو يلحد.

ويقول اللاهوتي الكبير (C. S. Lewis): «لقد خلق الله الإنسان حرًا، والحرية تعطي إمكانية عمل الخير أو الشر على السواء». ثم يتساءل: لماذا أعطى الله الإنسان الإرادة الحرة؟ ويجيب: على الرغم من أن الإرادة الحرة جعلت عمل الشر ممكنًا، إلا أنها السبيل الوحيد لعمل الخير. فإن عالمًا ميكانيكيًا يعمل فيه الناس كالآلات غير جدير بأن يُخلق أو يُعاش، فالسعادة الحقيقية التي ينشدها الله هي في أن يرى البشر يحبونه ويطيعونه بمحض إرادتهم»[٣].

فالله يعرض ولا يفرض، يعرض حبه وغفرانه

ونعمته، ولا يفرض لأنه خلقنا أحرارًا، ولكنه يتمنى أن نختار طريق الحياة والبركة، فماذا ستختار اليوم؟؟؟

(٤) متى قال الله: أَبْغَضْتُ عِيسَوَ؟

للأسف من المفاهيم الخاطئة الشائعة أن الله أبغض عيسو وهو في البطن، والبعض يظن أن الله قال: «من البطن أحببت يعقوب وأبغضت عيسو» وهذا غير صحيح بالمرة.

لقد قال الله: «أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ، وَأَبْغَضْتُ عِيسَوَ». في آخر سفر من أسفار العهد القديم (ملا ١: ٢-٣) فلم يقل هذه الكلمات قبل أن يولدا، بل بعد أن ولِدَا وعاشا وماتا ومر على موتهما نحو ١٤٠٠ سنة. ويقول آدم كلارك (Adam Clarke)[٤]: عندما نعود إلى كلمات الرب «أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عِيسَوَ» (ملا ١: ٢-٣). سنجد ثلاثة أمور وهي:

١ – إن هذا الكلام لا علاقة له على الإطلاق بالخلاص الأبدي سواء لعيسو أو يعقوب.

٢ – إن هذا الكلام خاص بالنصيب الأرضي، فهو يكمل ويقول: «أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عِيسُوَ، وَجَعَلْتُ جِبَالَهُ خَرَابًا وَمِيرَاثَهُ لِذِئَابِ الْبَرِّيَّةِ؟» (ملا ١: ٢-٣). فهو تأديب وقضاء أرضي لا علاقة له بالخلاص الأبدي. ونقرأ عن هذا القضاء في (إش ٣٤: ٥-٨؛ ٦٣: ١-٤؛ إر٤٩: ٩-١٧).

٣ - إن هذا القضاء هو على أدوم كأمة أي أنه يتكلم على نسل عيسو وليس عيسو كشخص.

فالله لم يقرر أنه أبغض عيسو كشخص وهو في البطن إطلاقًا، وهذه البغضة لا علاقة لها بالخلاص الأبدي. فواضح من القرينة أن المقصود هو الأمة الإسرائيلية وشعب أدوم، وليس يعقوب وعيسو لأنهما كما ذكرت كانا قد ماتا من مئات السنين. إنه يخاطب شعب أدوم باسم عيسو كما كان يخاطب المملكة الشمالية باسم أفرايم، والمملكة الجنوبية باسم يهوذا فنقرأ:

أَفْرَايِمُ مُوثَقٌ بِالأَصْنَامِ. اتْرُكُوهُ» (هو ٤:١٧).

مَاذَا أَصْنَعُ بِكَ يَا أَفْرَايِمُ؟ مَاذَا أَصْنَعُ بِكَ يَا يَهُوذَا؟ فَإِنَّ إِحْسَانَكُمْ كَسَحَابِ الصُّبْحِ، وَكَالنَّدَى الْمَاضِي بَاكِرًا» (هو ٦:٤).

«أَفْرَايِمُ يَخْتَلِطُ بِالشُّعُوبِ. أَفْرَايِمُ صَارَ خُبْزَ مَلَّةٍ لَمْ يُقْلَبْ» (هو ٧:٨).

أما ما قيل عن عيسو ويعقوب وهما في البطن وقبل أن يعملا خيرًا أو شرًا فنجده في (تك ٢٥:٢٣) حيث قال الرب لرفقة: «فِي بَطْنِكِ أُمَّتَانِ، وَمِنْ أَحْشَائِكِ يَفْتَرِقُ شَعْبَانِ: شَعْبٌ يَقْوَى عَلَى شَعْبٍ، وَكَبِيرٌ يُسْتَعْبَدُ لِصَغِيرٍ».

وأرجو أن تلاحظ هنا أن الله لا يقرر مصير كل واحد منهما، لكنه يعلن عما سيحدث. فهو لا يقول: «سوف أجعل شعبًا يقوى على شعب». ولا يقول: «سوف أجعل الكبير يُستعبَد للصغير». ولكنه قال في صيغة المبني للمجهول: «شَعْبٌ يَقْوَى عَلَى شَعْبٍ، وَكَبِيرٌ يُسْتَعْبَدُ لِصَغِيرٍ». إنه يتحدث عن النتائج الطبيعية التي سوف يصل إليها كل منهما نتيجة لقراراته وتصرفاته. فهو الله العالم بكل المستقبل.

ويقول (F. F. Bruce) إن هذه النبوة لا تخص أشخاص عيسو ويعقوب (إذ أن عيسو لم

يتعبد قط ليعقوب) وإنما تخص نسلهما. إنها ذات علاقة بالعصور الطويلة التي استُعبِد فيها الأدوميون (نسل عيسو) لإسرائيل ويهوذا (راجع: ٢صم ٨:١٤؛ ١مل ٢٢:٤٧؛ ٢مل ١٤:٧)[٥]. فواضح أن الذي كان في قصده وهما في البطن هو من جهة النسل، أن الكبير يُستَعبد للصغير.

أما عن المفهوم الشائع الخاطئ فقد بُنِيَ على ما قاله الرسول بولس في (رو ٩: ١١- ١٣) «لأَنَّهُ وَهُمَا لَمْ يُولَدَا بَعْدُ وَلاَ فَعَلاَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا لِكَيْ يَثْبُتَ قَصْدُ اللهِ حَسَبَ الاِخْتِيَارِ لَيْسَ مِنَ الأَعْمَالِ بَلْ مِنَ الَّذِي يَدْعُو قِيلَ لَهَا: «إِنَّ الْكَبِيرَ يُسْتَعْبَدُ لِلصَّغِيرِ». كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عِيسُوَ».

وسؤالي: هل قال الرسول بولس: «لأنه وهما في البطن ولم يعملا خيرًا أو شرًا قيل لهما «أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عِيسُوَ»؟ كلا وألف كلا. وأرجو أن تقرأ كلمات بولس جيدًا. فعندما ندرس هذه الآيات في قرينتها دراسة جادة سنجد أن الرسول بولس كان يتحدث عن سلطان الله المطلق على الكون في أن نسل يعقوب هو النسل المختار ليأتي منه المسيح، أو بصيغة أخرى يتحدث عن خطة الله لفداء البشرية أو المسار الإلهي الذي اختاره الله لكي ينفِّذ خطته لخلاص البشرية. فالله يتدخل ليبقي الحق معلنًا والخلاص متاحًا. وليس لكي يحدد مصائر الناس الأبدية. ولكي يوضح فكرته اقتبس من العهد القديم ما ورد عن نسل كل من يَعْقُوبَ وَعِيسُوَ. فاقتبس من (تك ٢٥:٢٣) و (ملا ١: ٢-٣) وفصل بين الاقتباسين، فترد في ترجمة (ك ح):

«لَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ. بَلْ إِنَّ رِفْقَةَ أَيْضًا، وَقَدْ حَبِلَتْ مِنْ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مِنْ إِسْحَاقَ أَبِينَا. وَلَمْ يَكُنِ الْوَلَدَانِ قَدْ وُلِدَا بَعْدُ وَلاَ فَعَلاَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا، وَذلِكَ كَيْ يَبْقَى قَصْدُ اللهِ مِنْ جِهَةِ الاخْتِيَارِ لا عَلَى أَسَاسِ الأَعْمَالِ بَلْ عَلَى أَسَاسِ دَعْوَةٍ مِنْهُ. قِيلَ لَهَا: «إِنَّ الْوَلَدَ الأَكْبَرَ يَكُونُ عَبْدًا لِلأَصْغَرِ». كَمَا قَدْ كُتِبَ: «أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ، وَأَبْغَضْتُ عِيسُوَ» (رو ٩: ١٠-١٣).

(٥) لم يختر الله مجموعة من الناس للهلاك:

إنني أؤكد أنه لا توجد في كل الكتاب المقدس آية واحدة تقول إن الله اختار مجموعة من الناس للهلاك الأبدي. ولو أن هناك آية واحدة فهذا يعني أن الله ظالم. فما ذنب المختارين للهلاك؟ ولماذا يرضى الله بهلاكهم؟ وهل من العدل أو الأمانة أن يخلق مجموعة للهلاك؟! إن من يخلق مجموعة من البشر للعذاب الأبدي هو إله سادي يسر بأن يعذب الآخرين.

ولو كانت هناك آية واحدة في كل الكتاب المقدس تقول إن الله اختار مجموعة من الناس للهلاك الأبدي، فلماذا نكرز، ولماذا ننشغل بالبعيدين، فمهما كرزنا فلا فائدة ولا جدوى من كرازتنا، فقد قرر الله هلاكهم.

لكن ما أفهمه من كلمة الله هو أن الهالكين هم الذين اختاروا بمطلق إرادتهم الحرة طريق هلاكهم، وهم الذين رفضوا يد النعمة الممتدة لهم. لذلك يقول الرسول بولس: «لِذلِكَ أَنْتَ بِلاَ عُذْرٍ أَيُّهَا الإنسان... أَمْ تَسْتَهِينُ بِغِنَى لُطْفِهِ وَإِمْهَالِهِ وَطُولِ أَنَاتِهِ، غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ اللهِ إِنَّمَا يَقْتَادُكَ إِلَى التَّوْبَةِ؟ وَلكِنَّكَ مِنْ أَجْلِ قَسَاوَتِكَ وَقَلْبِكَ غَيْرِ التَّائِبِ، تَذْخَرُ لِنَفْسِكَ غَضَبًا فِي يَوْمِ الْغَضَبِ وَاسْتِعْلاَنِ دَيْنُونَةِ اللهِ الْعَادِلَةِ» (رو ٢: ١-٥).

فالشخص الهالك هو الذي قرر مصيره بنفسه. إن الله يريد خلاص كل إنسان، ويتحدث

لكل شخص بطرق ووسائل مختلفة. ولكن الهالك هو الذي يرفض. اقرأ معي ما يقوله الرب في العهد القديم: «وَالآنَ يَا سُكَّانَ أُورُشَلِيمَ وَرِجَالَ يَهُوذَا، احْكُمُوا بَيْنِي وَبَيْنَ كَرْمِي. مَاذَا يُصْنَعُ أَيْضًا لِكَرْمِي وَأَنَا لَمْ أَصْنَعْهُ لَهُ؟ لِمَاذَا إِذِ انْتَظَرْتُ أَنْ يَصْنَعَ عِنَبًا، صَنَعَ عِنَبًا رَدِيئًا؟ فَالآنَ أُعَرِّفُكُمْ مَاذَا أَصْنَعُ بِكَرْمِي: أَنْزِعُ سِيَاجَهُ فَيَصِيرُ لِلرَّعْيِ. أَهْدِمُ جُدْرَانَهُ فَيَصِيرُ لِلدَّوْسِ. وَأَجْعَلُهُ خَرَابًا لاَ يُقْضَبُ وَلاَ يُنْقَبُ، فَيَطْلَعُ شَوْكٌ وَحَسَكٌ» (إش ٥: ٣-٦).

ويقول الرسول بولس: «لأَنَّهُمْ لَمْ يَقْبَلُوا مَحَبَّةَ الْحَقِّ حَتَّى يَخْلُصُوا. وَلأَجْلِ هذَا سَيُرْسِلُ إِلَيْهِمُ اللهُ عَمَلَ الضَّلاَلِ، حَتَّى يُصَدِّقُوا الْكَذِبَ، لِكَيْ يُدَانَ جَمِيعُ الَّذِينَ لَمْ يُصَدِّقُوا الْحَقَّ، بَلْ سُرُّوا بِالإِثْمِ» (٢تس ٢: ١٠-١١). إن الله لا يرسل لهم عمل الضلال ولكن يتركهم إلى ضلال قلوبهم. يتركهم إلى روح الضلال التي تبعوها وسروا بها.

ما أفهمه من كلمة الله هو أنه اختار جماعة للخلاص، للقداسة، للشهادة، أو كما يقول د. القس صموئيل يوسف: «اختارنا لنكون آداة إعلان محبة الله ونعمته لكل شعوب الأرض (إش ٤٣: ١٢،١٠). اختارنا لنذهب إلى العالم ونحيا له. لا لنحيا نحن في النور وكل إنسان آخر في الظلام. اختارنا لا لنُخدَم بل لنَخدُم ونعلن عن محبته لكل الشعوب التي خلقها»[٦]. فنقرأ:

«كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ (أي في المسيح) قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ» (أف ١: ٤).

«أَنَّ اللهَ اخْتَارَكُمْ مِنَ الْبَدْءِ لِلْخَلاَصِ، بِتَقْدِيسِ الرُّوحِ وَتَصْدِيقِ الْحَقِّ» (٢تس ٢: ١٣).

«الْمُخْتَارِينَ بِمُقْتَضَى عِلْمِ اللهِ الآبِ السَّابِقِ...» (١بط ١: ١-٢).

«لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ، لِيَكُونَ هُوَ بِكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ» (رو ٨: ٢٩).

ويتسائل الأخ ناشد حنا: «هل عندما يختار الرب واحدًا للخلاص، معنى ذلك أنه رفض الآخر؟ ويجيب: كلا. الله لا يرفض أحدًا. الله اختار فقط للخلاص، لكن الذين رفضوا هم الذين لم يقبلوا الدعوة ولم يطيعوا الله»[٧].

وما يؤكد هذا ما قاله بولس في الآيات التالية: «فَمَاذَا نَقُولُ؟ أَلَعَلَّ عِنْدَ اللهِ ظُلْمًا؟ حَاشَا! لأَنَّهُ يَقُولُ لِمُوسَى: «إِنِّي أَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ، وَأَتَرَاءَفُ عَلَى مَنْ أَتَرَاءَفُ». فَإِذًا لَيْسَ لِمَنْ يَشَاءُ وَلاَ لِمَنْ يَسْعَى، بَلْ لِلهِ الَّذِي يَرْحَمُ» (رو ٩: ١٤-١٦). أرجو أن تلاحظ أنه لم يقل «إِنِّي أَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ، وَأَهلك من أهلك» كلا. بل قال: «إِنِّي أَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ، وَأَتَرَاءَفُ عَلَى مَنْ أَتَرَاءَفُ». فالرب عنده الرحمة والرأفة فقط. أما الهلاك فيجلبه الإنسان على نفسه برفضه لنعمة الله. وهو يوزع مراحمه علي الكل، ولو منع رحمته عن أي إنسان ما عاش لحظة واحدة. فهو يرحم الجميع، ويشرق شمسه على الأبرار والأشرار، ويعطي مئات بل آلاف الفرص لكل إنسان لكي يتوب ويتمتع بمراحمه الأبدية.

وقد تسألني: وما معنى قول الرسول بولس في عدد ١٨ «فَإِذًا هُوَ يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ، وَيُقَسِّي مَنْ يَشَاءُ». أقول لك إن الله لا يمكن أن يكون مصدر القساوة وسببها فهذا يتعارض مع آيات عديدة في الكتاب المقدس مثل (تك ١٨:٢٥، يع ١: ١٣،١٧). إنما الإنسان هو الذي يقسّي قلبه «الْيَوْمَ إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ، فَلاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ» (مز ٩٥: ٧،٨).

فالمقصود هو أن الله بعد أن يكلم الإنسان عشرات بل ومئات المرات بطرق مختلفة والإنسان يرفض، يسلمه إلى قساوة قلبه كما قال لشعبه في القديم: «اِسْمَعْ يَا شَعْبِي فَأُحَذِّرَكَ... لاَ يَكُنْ فِيكَ إِلهٌ غَرِيبٌ، وَلاَ تَسْجُدْ لإِلهٍ أَجْنَبِيٍّ. أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ، الَّذِي أَصْعَدَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. فَلَمْ يَسْمَعْ شَعْبِي لِصَوْتِي، وَإِسْرَائِيلُ لَمْ يَرْضَ بِي. فَسَلَّمْتُهُمْ إِلَى قَسَاوَةِ قُلُوبِهِمْ، لِيَسْلُكُوا فِي مُؤَامَرَاتِ أَنْفُسِهِمْ» (مز ٨١: ٨-١٢). وكما أعلن ذلك الرسول بولس: «لِذَلِكَ أَسْلَمَهُمُ \اللهُ أَيْضًا فِي شَهَوَاتِ قُلُوبِهِمْ إِلَى \النَّجَاسَةِ.... لِذَلِكَ أَسْلَمَهُمُ \اللهُ إِلَى أَهْوَاءِ \الْهَوَانِ.... وَكَمَا لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْقُوا \اللهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ أَسْلَمَهُمُ \اللهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لاَ يَلِيقُ» (رو ١: ٢٤و٢٦و٢٨. راجع أيضًا: رؤ١: ٢٢- ٢٤؛ ٩: ١٤- ١٧).

وقد تسأل: إذًا لماذا يقول الرسول في آية ١٧ «لأَنَّهُ يَقُولُ الْكِتَابُ لِفِرْعَوْنَ: «إِنِّي لِهذَا بِعَيْنِهِ أَقَمْتُكَ، لِكَيْ أُظْهِرَ فِيكَ قُوَّتِي، وَلِكَيْ يُنَادَى بِاسْمِي فِي كُلِّ الأَرْضِ». أقول عندما نعود للنص الأصلي في (خر ١٦:٩) نجده يقول: «وَلَكِنْ لاجْلِ هَذَا اقَمْتُكَ لِارِيَكَ قُوَّتِي وَلِيُخْبَرَ بِاسْمِي فِي كُلِّ الارْضِ». نجد أن الفعل «اقمْتُكَ» في اللغة العبرية هو (העמדתיך) ويعني (أبقيتك حيًا) وليس أقمتك بمعنى (خلقتك). فالهدف من النص هو بيان صبر الله وطول أناته. ويقول آلان كول: الأمر الذي يثير الانتباه هو أن بولس يبدو أنه اقتبس هذه الآية من الترجمة السبعينية لا من النص الخاص بالترجمة المازورية.

وما يؤكد ذلك هو أن الرسول بولس يقول في عدد ١٩ «فَسَتَقُولُ لِي: «لِمَاذَا يَلُومُ بَعْدُ؟ لأَنَّ مَنْ يُقَاوِمُ مَشِيئَتَهُ؟». إن مشيئته أن الجميع يخلصون، أن يتوب ويرجع كل إنسان عن شره. لذلك يرسل له مئات الأصوات. ومن يرفض هذه الأصوات يقاوم مشيئته. لذلك يتركه الله لقساوته. ولا يقدر أن يلوم الله لأنه قاوم مشيئته. فهي ترد في ترجمة كتاب الحياة: «هُنَا سَتَقُولُ لِي: «لِمَاذَ يَلُومُ بَعْدُ؟ مَنْ يُقَاوِمُ قَصْدَهُ؟»».

وقد تسأل وماذا عن قول الرسول: «أَلَعَلَّ الْجُبْلَةَ تَقُولُ لِجَابِلِهَا:«لِمَاذَا صَنَعْتَنِي هكَذَا؟» أَمْ لَيْسَ لِلْخَزَّافِ سُلْطَانٌ عَلَى الطِّينِ، أَنْ يَصْنَعَ مِنْ كُتْلَةٍ وَاحِدَةٍ إِنَاءً لِلْكَرَامَةِ وَآخَرَ لِلْهَوَانِ؟ (رو ٩: ٢٠-٢١). أقول إن الرسول بولس يريد أن يؤكد فكرة سلطان الله. ويُظهر لنا أن الله حر في اختياره المسبق حتى لا يُجهد أحد نفسه في فحص أمور الله التي لا يمكن أن تفحص بعقولنا المحدودة. ولكن علينا أن ندرك أنه كلي العدل وكلي الرحمة والمحبة والإحسان. ولو عرفنا كل أسباب حكمه لقلنا آمين.

فإن كان للخزاف سلطان على الطين أن يصنع منه إناء للكرامة وآخر للهوان. فكم بالحري يكون الله الذي له كل السلطان علينا أن يفعل بنا ما يشاء. لكنه لا يفعل إلا الأفضل. إنه يصنع فقط آنية للكرامة. لأن طبيعته نور ومحبة وقداسة وصلاح وجود (مز ١٤٥:٩).

فعندما تعطي فنانًا عظيمًا ومُحبًا ورحيمًا قطعة طين لن يصنع منها إناءً للهلاك. لكن سيصنع إناء للكرامة. فكم بالحري الله المحب الحنان الرحيم؟

ويستطرد بولس قائلًا: «فَمَاذَا؟ إِنْ كَانَ اللهُ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُظْهِرَ غَضَبَهُ وَيُبَيِّنَ قُوَّتَهُ، احْتَمَلَ بِأَنَاةٍ كَثِيرَةٍ آنِيَةَ غَضَبٍ مُهَيَّأَةً لِلْهَلاَكِ». لاحظ أن الرسول لا يقول إن الله هيأ تلك الأواني للهلاك. حاشا. بل «آنِيَةَ غَضَبٍ مُهَيَّأَةً لِلْهَلاَكِ». والكلمة «مُهَيَّأَةً»

(اسم مفعول في صيغة المبني للمجهول) مما يدل على أنه ليس المسئول عن تهيئتها للهلاك، بل هي التي هيأت نفسها للهلاك. وفي محبته «احْتَمَلَ بِأَنَاةٍ كَثِيرَةٍ» فلا يمكن أن يكون قد أعدها للهلاك، بل إنه يطيل أناته عليها ويحتملها. لأنه لا يشاء أن يهلك أناس. ثم يكمل في عدد٢٣: «وَلِكَيْ يُبَيِّنَ غِنَى مَجْدِهِ عَلَى آنِيَةِ رَحْمَةٍ قَدْ سَبَقَ فَأَعَدَّهَا لِلْمَجْدِ». أرجو أن تلاحظ الفرق. إنه يعد أواني الرحمة. أما أواني الهلاك فقد هيأت نفسها لذلك.

إنه يسر بالرأفة (مي ١٨:٧)، بينما الدينونة هي عمله الغريب (إش ٢١:٢٨).

إنه يسر بأن يعطينا الملكوت. ولكن لا نقرأ عن جماعة أعطاهم جهنم.

إننا نقرأ عن من سُجِلَت أسماؤهم في السموات (لو ٢٠:١٠). لكن لا نقرأ عن من سُجِلَت أسماؤهم في جهنم.

وفي يوم الدينونة العظيم سيُفتَح سِفْرُ \الْحَيَاةِ ويُطرَح فِي بُحَيْرَةِ \النَّارِ كُلّ مَنْ لَمْ يُوجَدْ مَكْتُوبًا فيه (رؤ ١٥:٢٠). ولكننا لا نقرأ عن سفر الهلاك، ليهلك كل من سبق فكتبهم في هذا السفر.

وسيقول للذين عن اليمين: «تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ» (مت٣٤:٢٥). لكنه لن يقول لِلَّذِينَ عَنِ الْيَسَارِ: «اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لكم» بل «إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ» (مت ٤١:٢٥).

إن فكرة اختيار مجموعة من البشر للهلاك الأبدي تنقض تمامًا قول الرب يسوع: «مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ لاَ أُخْرِجْهُ خَارِجًا» (يو ٣٧:٦).

(٦) لماذا أبغض الله عيسو؟

أود أن أؤكد مرة ثانية أن الرب لم يقل لرفقة مطلقًا: «من البطن أحببت يعقوب وأبغضت عيسو». ولم ترد هذه العبارة في أي موضع في الكتاب المقدس. بل قالَ في أخر أسفار العهد القديم: «أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عِيسَوَ» (ملا ١: ٢-٣) وذلك بعد موت عيسو بحوالي ١٤٠٠ سنة. بعدما أثبت عيسو عداوته ليعقوب، بل عداوته لله أيضًا. كما أثبت استخفافه بكل المقدسات الإلهية: احتقاره للبكورية والبركة. ولدعوة الله، بعد أن ظهرت شخصيته ووحشيته، بل وبعد أن كان نسله يسعى وبقوة لتدمير شعب الرب. ولإفساد المخطط الإلهي لخلاص البشرية. فالكلام كان عن نسل عيسو. وفي الحقيقة عندما نقرأ تاريخ عيسو الشخصي وتاريخ نسله في الكتاب المقدس سنجد أنه تاريخ أسود تمامًا. ويكفي أن نقرأ ما سجله كاتب الرسالة إلى العبرانيين عنه: «لِئَلاَّ يَكُونَ أَحَدٌ زَانِيًا أَوْ مُسْتَبِيحًا كَعِيسُو، الَّذِي لأَجْلِ أَكْلَةٍ وَاحِدَةٍ بَاعَ بَكُورِيَّتَهُ» (عب ١٦:١٢). وكلمة مستبيح في أصلها تعني: «لا مقدسات في حياته، يعطي نفسه حق التصرف فيما لا يحق له أن يتصرف فيه». فالاستباحة تبيح كل شيء بلا ضوابط وبلا قيم. ويقول الأب متى المسكين: «لقد شاع أن عيسو كان صياد نساء كما كان صياد غزلان»[٨]. ويقول العلامة اليهودي فيلو: «كان عيسو إنسانًا غير منضبط، شهوانيًا، محبًا للفسق، غير طاهر»[٩].

لقد باع عيسو المستبيح بكوريته بطبق عدس (تك ٢٥: ٢٧-٣٢). وبالتالي خسر البركة. لقد كانت البركة والبكورية يسيران معًا. كان البكر

هو سيد العائلة ومثلها أمام الله وكاهنها. يقدم الذبائح نيابة عنها ويصلي معها ويباركها ويرث في المستقبل نصيب اثنين. لكن عيسو احتقر البكورية. ها نحن نسمعه يقول: «هَا أَنَا مَاضٍ إِلَى الْمَوْتِ فَلِمَاذَا لِي بَكُورِيَّةٌ؟» (تك ٢٥: ٣٢). لم يكن للبكورية قيمة أو معنى في حياته. كان أعمى عن كل القيم الروحية الغالية. فهذه الأمور لا تقدر بثمن. للأسف هناك من يبيع الغالي بالرخيص، والأبدي بالزمني. قال الكسندر هوايت لقد باعها في سره آلاف المرات قبل أن يبيعها علانية. لقد خسر عيسو البكورية والبركة. ولا يلومن أحد الله على ذلك. فلقد باع عيسو البكورية بكامل إرادته ووعيه.

وما أجمل تعليق الأخ الحبيب يوسف رياض إذ يقول: «حقًا لا يقدر عيسو أن يقول إنه خسر البكورية لأن الله أراد له ذلك، أو أن قضاء الله وقدره هما المسئولان. كلا. فليس قدَر الله بل قدْر العدس. ولا أقول قِدر العدس. فالثمن الذي به باع بكوريته لم يكن قدرًا من العدس، بل مجرد «طبق عدس»!»[10].

ويعوزني الوقت لو أخبرت عن نسل عيسو السيىء الردئ فهم أيضًا نظير أبيهم بل أسوأ. فنحن لا ننسى عماليق حفيد عيسو. أول شعب هاجم بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر (خر ١٧:٨؛ عد ١٤:٤٥؛ اصم ١٥ : ١-٤). فنقرأ: «اُذْكُرْ مَا فَعَلَهُ بِكَ عَمَالِيقُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ خُرُوجِكَ مِنْ مِصْرَ. كَيْفَ لاقَاكَ فِي الطَّرِيقِ وَقَطَعَ مِنْ مُؤَخَّرِكَ كُلَّ الْمُسْتَضْعِفِينَ وَرَاءَكَ وَأَنْتَ كَلِيلٌ وَمُتْعَبٌ وَلَمْ يَخَفِ اللهَ» (تث ٢٥:١٧-١٩). وحالفوا مع المديانيين لتدمير بني إسرائيل (قض ٦: ١-٥). ثم نقرأ عن اجاج الذي جاء من عماليق (اصم ١٥). ثم هامان الرديء الذي هو من سلالة أجاج (إس ٣: ١، ٨: ٣).

إن خطايا نسل عيسو لا تعد ولا تحصى. فنقرأ في سفر عوبديا: «تَكَبُّرُ قَلْبِكَ قَدْ خَدَعَكَ أَيُّهَا السَّاكِنُ فِي مَحَاجِئِ الصَّخْرِ رِفْعَةَ مَقْعَدِهِ، الْقَائِلُ فِي قَلْبِهِ: مَنْ يُحْدِرُنِي إِلَى الأَرْضِ؟ مِنْ أَجْلِ ظُلْمِكَ لأَخِيكَ يَعْقُوبَ. يَغْشَاكَ الْخِزْيُ وَتَنْقَرِضُ إِلَى الأَبَدِ. يَوْمَ وَقَفْتَ مُقَابِلَهُ يَوْمَ سَبَتِ الأَعَاجِمُ قَدْرَتَهُ، وَدَخَلَتِ الْغُرَبَاءُ أَبْوَابَهُ، وَأَلْقَوْا قُرْعَةً عَلَى أُورُشَلِيمَ، كُنْتَ أَنْتَ أَيْضًا كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ.... كَمَا فَعَلْتَ يُفْعَلُ بِكَ. عَمَلُكَ يَرْتَدُّ عَلَى رَأْسِكَ» (عو ٣-١٥).

ويقول عاموس: هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: «مِنْ أَجْلِ ذُنُوبٍ أَدُومَ الثَّلاَثَةِ وَالأَرْبَعَةِ لاَ أَرْجِعُ لأَنَّهُ تَبِعَ بِالسَّيْفِ أَخَاهُ وَأَفْسَدَ» (عا ١: ١١).

وأخيرًا نقرأ عن الهرادسة في الأناجيل وسفر الأعمال، تلك العائلة المستبيحة والقاتلة! فبغضة الرب لعيسو هي إذًا بغضة بارة، لا يشوبها ذرة واحدة من الظلم، لأنه يستحق البغضة.

(٧) ما معنى كلمة أبغضت؟

ما معنى أَبْغَضْتُ عِيسُوَ؟ هل تعني أن الله قد كره عيسو وأحب يعقوب. كلا وألف كلا. وأرجو أن تقرأ معي الآيات التالية:

«وَرَفَعَ يَعْقُوبُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا عِيسُو مُقْبِلٌ وَمَعَهُ أَرْبَعُ مِئَةِ رَجُلٍ... وَأَمَّا هُوَ فَاجْتَازَ قُدَّامَهُمْ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ سَبْعَ مَرَّاتٍ حَتَّى اقْتَرَبَ إِلَى أَخِيهِ. فَرَكَضَ عِيسُو لِلِقَائِهِ وَعَانَقَهُ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ. وَبَكَيَا... فَقَالَ: «مَاذَا مِنْكَ كُلُّ هَذَا الْجَيْشِ الَّذِي صَادَفْتُهُ؟» فَقَالَ: «لأَجِدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْ سَيِّدِي». فَقَالَ عِيسُو: «لِي كَثِيرٌ. يَا أَخِي

لِيَكُنْ لَكَ الَّذِي لَكَ» (تك ٣٣: ١- ١١).

من هذه الآيات نرى كيف أن الله قد بارك عيسو بركة عظيمة جدًا. لدرجة أنه يقول ليعقوب «لِي كَثِيرٌ. يَا أَخِي لِيَكُنْ لَكَ الَّذِي لَكَ». فلو كان الله قد أبغض عيسو بمعنى أنه قد كرهه كما يظن البعض، فلماذا باركه بكل هذه البركات، وفاض عليه بكل هذا الغنى المادي؟

إذًا، ليس المقصود بالحب والبغضة هنا البركة واللعنة وإلا كان الله قد لعن عيسو وأفقره ماديًا. وكذلك ليس المقصود يعقوب وعيسو كأشخاص بل القرينة الكتابية تعني ما ذكرت من قبل تدبير النسل الذي سوف يأتي منه المسيح مخلص العالم. فالله قد اختار إبراهيم ثم اختار إسحق الذي ولد عيسو وهو الأكبر ثم يعقوب الأصغر وبحسب الشريعة عيسو هو المستحق للبكورية، وكذلك بحسب الفكر البشري يأتي المسيح من نسل عيسو البكر. لكن فكر الله لم يكن هكذا، لا لأن عيسو قد صنع شرًا ما ويعقوب صنع خيرًا ما فالكتاب واضح إذ يقول: «لأَنَّهُ وَهُمَا لَمْ يُولَدَا بَعْدُ وَلاَ فَعَلاَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا لِكَيْ يَثْبُتَ قَصْدُ اللهِ حَسَبَ الاِخْتِيَارِ لَيْسَ مِنَ الأَعْمَالِ بَلْ مِنَ الَّذِي يَدْعُو» (رو ٩: ١١) لكن الرسول بولس هنا يريد أن يؤكد فكرة سلطان الله. ويُظهِر لنا أن الله حر في اختياره المسبق حتى لا يجهد أحد نفسه في فحص أمور الله التي لا يمكن أن تُفحَص بعقولنا المحدودة. ولكن من يريد أن يفكر فليضع بديهية قبل أنْ يفكر وهي أن الله كلي العدل وكلي الرحمة. ولو عرفنا كل أسباب حكمه لقلنا آمين. ولكن الله غير مُلزَم أن يشرح لنا كل الأسباب في اختياره. ولذلك علينا أن نقبل أحكامه بلا فحص، ولا نضعها تحت قياسات عقلنا القاصر بل نقبلها بالرضى والشكر. ولثقتنا في عدل الله في اختياره فإننا نعلم أن الله يختار من يختاروه. وبلا شك هو يعرف بسابق علمه من سيتجاوب مع محبته ويقبل دعوته، حتى لو تعرض للسقطات والضعفات فنيته صادقة. ومن سيرفض ويقاوم محبته ونعمته.

وأنا أؤكد أن الرسول لا يتكلم هنا عن المصير الأبدي لكل من يعقوب وعيسو. فليس المقصود أنه طالما أن الله اختار يعقوب أي اختاره للحياة الابدية وبالتالي فقد اختار عيسو للهلاك الأبدي، كلا. فالكتاب لم يتحدث عن مصير عيسو الأبدي. فربما يكون قد ندم وتاب وقبل نعمة الله. لكن المقصود أن الله له كل الحرية حسب ما يراه مناسبًا لخليقته أن يأتي ابنه من يعقوب وليس من عيسو.

في ضوء ما سبق أكرر إن كلمة «أبغضت» لا علاقة لها البتة بالاختيار الأزلي أو المستقبل الأبدي، وإنما تعني أمرين:

أولًا: هي لا تعني يكره أو يحقد أو يعادي، بل تعني أن هذه المحبة إذا قورنت بالمحبة الأخرى تبدو وكأنها كراهية. فمثلًا يقول الكتاب: إن يعقوب أحب راحيل أكثر من ليئة. فنقرأ: «وَأَحَبَّ أَيْضًا رَاحِيلَ أَكْثَرَ مِنْ لَيْئَةَ. وَعَادَ فَخَدَمَ عِنْدَهُ سَبْعَ سِنِينٍ أُخَرَ. وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ لَيْئَةَ مَكْرُوهَةٌ فَفَتَحَ رَحِمَهَا» (تك ٢٩: ٣٠، ٣١). الكتاب إذًا أوضح أن يعقوب أحب كلا من راحيل وليئة. إلا أنه أحب راحيل أكثر. فمن هذا المنطلق اعتُبرت ليئة مكروهة.

وهو نفس المعنى الذي قصده الرب في(لو ١٤:٢٦) عندما قال: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا، فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا». إن كانت التلمذة للمسيح تعني أن نعيش قيم

المسيح من حب وتسامح وعطاء. فكيف يضع المسيح البغض كشرط أساسي من شروط التلمذة؟ وكيف يبغض الإنسان والديه والوصية الخامسة من الوصايا العشر تقول: «أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ» (خر ٢٠:١٢).

لكن عندما نعود للنص الموازي لهذا في إنجيل متى نفهم معنى كلمة «يُبْغِضُ» فنقرأ: «مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي. وَمَنْ أَحَبَّ ابْنًا أَوِ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي» (مت ١٠:٣٧). فالفكرة هنا أنه يجب أن تكون محبتنا للرب محبة كاملة ومطلقة وبلا حدود، وغير مشروطة، بحيث إذا قارنا محبتنا لأي شخص آخر بل ولأقرب شخص بمحبتنا للرب تبدو وكأنها بغضة.

فعندما نقارن محبة الرب ليعقوب واختياره له لكي يأتي من نسله المسيح ونقارنها بمحبته لعيسو تبدو محبته لعيسو وكأنها بغضة.

والمعنى الثاني المكمل والهام هو ما نتعلمه من العهد الجديد وهو أن الله لا يبغض الشخص ولكن يبغض أفعاله. إنه يحب الخاطئ، لكنه يكره أفعاله. فقد قال الله في (رؤ ٢:٦) إنه يكره «أعمال النُّقولاويين». لكنه يحب «النُّقولاويين أنفسهم»، ويريد توبتهم.

(٨) لماذا أحب الله يعقوب؟

جاءت إحدى السيدات إلى الواعظ الشهير سبرجن وسألته بحيرة شديدة: كيف يقول الرب: «أحببت يعقوب وأبغضت عيسو»؟ فسألها الواعظ المشهور عن ما هو الجزء الذي يحيرها؟ أجابته الجزء الذي يقول إن الله أبغض عيسو. رد عليها سبرجن قائلًا: ياسيدتي هذا الجزء بالنسبة لي لا يمثل مشكلة، إنما المشكلة الحقيقية عندي والتي لا أدري لها حلًا، هي لماذا أحب الله يعقوب؟

نعم فمن دراستنا للكتاب المقدس نعرف أنه لم يكن في يعقوب على الاطلاق ما يجعل الله يحبه، بل كان فيه كل ما من شأنه أن يجعل الله يبغضه، تمامًا كما فعل مع عيسو، بل ربما أكثر، فما يذهلنا هو محبة الله للخاطئ الذي لا يستحق إلا الهلاك والموت.

ولكن الإجابة على هذا السؤال ليست مستحيلة فقد أعلنها الرب بنفسه وهي النعمة، فمحبة الله للخاطئ هي من نعمته وحدها، بلا استحقاق في الخاطئ. لقد كان عيسو مستحقًا للعقوبة الإلهية، ولم يكن يعقوب مستحقًا للنعمة الإلهية، ولكن هذا هو الخلاص الذي يقدمه الله لكل العالم الذي يُبنَى على النعمة التي يمنحها الله وليس على الاستحقاق البشري. فالنعمة عطية مجانية تُعطَى لمن لا يستحق. فيقول الرب بوضوح لنسل يعقوب: «لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ الْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ لأَنَّكُمْ أَقَلُّ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ. بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ وَحِفْظِهِ الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمَ لآبَائِكُمْ» (تث ٧: ٧،٨). وقال أيضًا: «لاَ مِنْ أَجْلِكُمْ أَنَا صَانِعٌ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. فَلْيَكُنْ مَعْلُومًا لَكُمْ. فَاخْجَلُوا وَاخْزُوا مِنْ طُرُقِكُمْ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ» (حز ٣٦: ٣٢). وقال أيضًا: «أَنَا...أُحِبُّهُمْ فَضْلًا» (هو ١٤: ٤) لقد أحبهم الله إذًا بفضل نعمته المطلقة. ولا أجد ما أختم به إلا أن أقول: كم نشكر الله لأجل نعمته الغنية فكلنا يعقوب ولكن شملتنا نعمته.

المراجع

(1) Marvin R. Vincent. Word Studies in the New Testament., p. 322.

(٢) كوستى بندلي. الله والشر والمصير، ص ٢٥.

(٣) كليف لويس. ملحد يؤمن، ص ٥١، ٥٢.

(4) Adam Clarke's Commentary on the Bible. p. 247.

(٥) ف. ف. بروس. الرسالة إلى رومية، ص١٩٢.

(٦) د. القس صموئيل يوسف. كلامك روح وحياة، ص ٩٢.

(٧) ناشد حنا. سفر ملاخي، ص١٠.

(٨) الأب متى المسكين. الرسالة إلى العبرانيين، ص ٧٢٨.

(٩) المرجع السابق، ص ٧٢٨.

(١٠) يوسف رياض. الاختيار، ص ٦٧.

(٤٣)

هل إله العهد القديم عنصري؟

يرى البعض أن جميع صفحات العهد القديم تعلن صراحة أن إله العهد القديم إله متحيِّز ومصمم على أن يكون لليهود وضع متميز عن جميع الشعوب. ويظهر الله في العهد القديم على أنه إله إسرائيل فقط. فيدافع عنهم بيد قوية وذراع رفيعة، بينما يقف ضد الشعوب الأخرى بقسوة وجبروت، وكأنه خلق إسرائيل فقط دون بقية الشعوب.

فيقول الأستاذ طلعت رضوان: «إن هذا الإله المنحاز لشعبه المختار لا يكتفي بطرد السكان الأصليين من أجل عيون بني إسرائيل، وإنما يحذرهم قائلًا: «إِنَّكُمْ عَابِرُونَ الأُرْدُنَّ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ، فَتَطْرُدُونَ كُلَّ سُكَّانِ الأَرْضِ مِنْ أَمَامِكُمْ، وَتَمْحُونَ جَمِيعَ تَصَاوِيرِهِمْ، وَتُبِيدُونَ كُلَّ أَصْنَامِهِمِ الْمَسْبُوكَةِ وَتُخْرِبُونَ جَمِيعَ مُرْتَفَعَاتِهِمْ. ٥٣تَمْلِكُونَ الأَرْضَ وَتَسْكُنُونَ فِيهَا لأَنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكُمُ الأَرْضَ لِكَيْ تَمْلِكُوهَا... وَإِنْ لَمْ تَطْرُدُوا سُكَّانَ الأَرْضِ مِنْ أَمَامِكُمْ يَكُونُ الَّذِينَ تَسْتَبْقُونَ مِنْهُمْ أَشْوَاكًا فِي أَعْيُنِكُمْ، وَمَنَاخِسَ فِي جَوَانِبِكُمْ، وَيُضَايِقُونَكُمْ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمْ سَاكِنُونَ فِيهَا. فَيَكُونُ أَنِّي أَفْعَلُ بِكُمْ كَمَا هَمَمْتُ أَنْ أَفْعَلَ بِهِمْ» (عد ٣٣: ٥١ – ٥٦). إن مهمة هذا الإله هي توزيع أراضي الغير على بني إسرائيل. فإن مشيئة إله العبرانيين تقرر سلب أراضي الشعوب التي زرعت وشيَّدت وتسليمها إلى شعبه المختار «وَمَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي حَلَفَ لآبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أَنْ يُعْطِيَكَ، إِلَى مُدُنٍ عَظِيمَةٍ جَيِّدَةٍ لَمْ تَبْنِهَا، وَبُيُوتٍ مَمْلُوءَةٍ كُلَّ خَيْرٍ لَمْ تَمْلأْهَا، وَآبَارٍ مَحْفُورَةٍ لَمْ تَحْفِرْهَا، وَكُرُومٍ وَزَيْتُونٍ لَمْ تَغْرِسْهَا...» (تث ٦: ١٠ – ١٣).

فالأسئلة التي تطرح نفسها هي:

لماذا يتحيز الله لشعب بني إسرائيل دون الشعوب الأخرى؟

ولماذا اختارهم من بين كل شعوب الأرض؟

ولماذا تعامل معهم بكل هذا التميز؟

لماذا لم يختر ليبيا أو الجزائر أو الصين أو الهند.. الخ؟

لماذا يختار الله شخصًا دون الآخر، أو شعبًا دون الآخر؟

هل الله إله عنصري يتحيز لشعب دون الآخر أو جنس دون الآخر؟

للإجابة على هذه الأسئلة أقول:

بكل تأكيد أقول: ليس لدى الله محاباة. فهو لا يميز بين شخص وآخر، ولا بين شعب وآخر للأسباب الآتية:

أولًا: كل إنسان له مكانة خاصة عند الله:

إن «كل إنسان» مهما كان لونه أو جنسه أو

دينه أو معتقده له مكانة كبيرة ومحبة خاصة في قلب الله سواء كان يهوديًا أو أدوميًا أو كنعانيًا أو فلسطينيًا. وسواء كان مسيحيًا أو مسلمًا أو بوذيًا أو هندوسيًا أو ملحدًا وذلك لأسباب عديدة أذكر منها سببين وهما:

(١) كل إنسان صنعة يد الله:

في الإصحاحات الثلاثة الأولى من سفر التكوين نجد الله بعد أن خلق الكون وكل ما فيه، وأبدع في صنعه، خلق الإنسان وجعله تاجًا للخليقة وسيدًا لها. ونجد الله عند خلق سائر المخلوقات كان يستخدم ضمير المفرد الغائب فيقول مثلًا: «لِيَكُنْ نُورٌ». «لِيَكُنْ جَلَدٌ فِي وَسَطِ الْمِيَاهِ. وَلْيَكُنْ فَاصِلًا بَيْنَ مِيَاهٍ وَمِيَاهٍ». «لِتَجْتَمِعِ الْمِيَاهُ.. وَلْتَظْهَرِ الْيَابِسَةُ». «لِتُنْبِتِ الأَرْضُ عُشْبًا...». «لِتَكُنْ أَنْوَارٌ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ...»...الخ. أما عند خلق الإنسان فإنه استخدم ضمير المتكلم الجمع فقال: «نَعْمَلُ الإنسان عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا» (تك ١: ٢٦). وكأن الثالوث يتحاور في كيفية صنع الإنسان. بل ومن يقرأ بتدقيق يرى أنه في نهاية كل يوم يذكر الوحي «وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ». ولكننا نقرأ في نهاية اليوم السادس بعد أن خلق الله الإنسان «وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا». ويقول المرنم عن الإنسان: «بِمَجْدٍ وَبَهَاءٍ تُكَلِّلُهُ. تُسَلِّطُهُ عَلَى أَعْمَالِ يَدَيْكَ. جَعَلْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ: الْغَنَمَ وَالْبَقَرَ جَمِيعًا، وَبَهَائِمَ الْبَرِّ أَيْضًا، وَطُيُورَ السَّمَاءِ، وَسَمَكَ الْبَحْرِ السَّالِكَ فِي سُبُلِ الْمِيَاهِ» (مز ٨: ٥-٨).

يقول الأب بولاد اليسوعي: «لنفترض أن لدينا ميزانا يزن القيم وليس الأثقال. فإذا وضعنا صخرة كبيرة على كفة من الميزان ووضعنا أي جهاز نستخدمه وليكن الريكوردر على الكفة الأخرى، فإذا تصورنا أن هذا الميزان عاقل يقدر قيمة الريكوردر فنجد أن الكفة سترجح من ناحية الريكوردر حتى لو كانت الصخرة تزن ٥٠٠ أو ٥٠٠٠ كيلو جرام. ولكن لو وضعنا أكبر صخرة على كفة وأمامها على الكفة الأخرى وضعنا طفلًا رضيعًا لا يقدر على شيء إلا أن يصرخ أو يبتسم أو ينظر ببراءة فإننا سنجد أن الكفة ترجح من ناحية الطفل. وإذا أضفنا إلى الكفة الأولى كتلًا ضخمة مثل العمارات الشاهقة أو حتى الكرة الأرضية كلها فإن الكفة الثانية التي وضعنا عليها الطفل سترجح لأن الطفل يساوي هذا كله ويفوقهم قيمة»[1].

هذا الإنسان ذو القيمة الكبيرة غال على قلب الله جدًا، أيًا كان جنسه أو دينه أو لونه أو معتقده. فكل إنسان صنعة يد الله، ولم يخلقه الله لكي يعذّبه أو يقتله ويتلذذ بسفك دمه. كما يظن الغير فاهمين. فلا يوجد فنان يُبدع في رسم لوحة ثم يمزقها!- ولا يوجد شاعر يكتب قصيدة ثم يلقيها في سلة المهملات! ولا كاتب يكتب رواية ثم يحرقها بالنار!

فالكل أبناءه بحكم الخلق. فيقول بولس: «الإِلهُ الَّذِي خَلَقَ الْعَالَمَ وَكُلَّ مَا فِيهِ.... وَصَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الأَرْضِ، لِكَيْ يَطْلُبُوا اللهَ لَعَلَّهُمْ يَتَلَمَّسُونَهُ فَيَجِدُوهُ، مَعَ أَنَّهُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا لَيْسَ بَعِيدًا... لأَنَّنَا أَيْضًا ذُرِّيَّتُهُ. فَإِذْ نَحْنُ ذُرِّيَّةُ اللهِ» (أع ١٧: ٢٥-٢٩).

فهو إله الخليقة قبل أن يكون إله العهد. تعامل مع آدم أبي البشرية كلها قبل أن يتعامل مع إبراهيم، هو الذي بدأ بالشعوب وليس بإسرائيل. إنه إله كل العالم وإله كل إنسان. يقول المرنم: «مِنَ السَّمَاوَاتِ نَظَرَ الرَّبُّ. رَأَى جَمِيعَ بَنِي الْبَشَرِ.

مِنْ مَكَانِ سُكْنَاهُ تَطَلَّعَ إِلَى جَمِيعِ سُكَّانِ الأَرْضِ. الْمُصَوِّرُ قُلُوبَهُمْ جَمِيعًا، الْمُنْتَبِهُ إِلَى كُلِّ أَعْمَالِهِمْ» (مز ٣٣: ١٣ - ١٥) راجع أيضًا (دا ٤: ٣٢؛ عا ٩: ٧).

(٢) كل إنسان مخلوق على صورة الله:

والإنسان ليس فقط صنعة يد الله، بل مخلوق على صورة الله فنقرأ: «فَخَلَقَ اللهُ الإنسان عَلَى صُورَتِهِ، عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ، ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ» (تك ١: ٢٧). وهنا نرى قيمة الإنسان المطلقة، فهو الكائن الوحيد الذي خُلِق على صورة الله. وما هي صورة الله في الإنسان؟ يقول القديس توما الأكويني إنها القدرات الروحية في الإنسان، ومنها القدرة على التفكير، ويراها أوريجانوس النفس البشرية الخالدة، وهناك من يرى أنها القدرة على إقامة علاقات مع الله ومع الناس ومع الكائنات البشرية كلها. فالإنسان هو الكائن الوحيد من كل مخلوقات الله الذي له القدرة على إقامة العلاقات[2].

ولاشك أننا لا يمكن أن نحصر صورة الله في الإنسان في عدة صفات محددة، فالله غير محدود وصفاته غير محدودة ولاشك في أن الله وضع في الإنسان العقل المفكر والإرادة الحرة والمشاعر والعواطف والأحاسيس والضمير.... إلخ.

والسؤال: من هو الإنسان الذي خُلِق على صورة الله؟ «كل إنسان» مهما كان لونه أو جنسه أو دينه أو معتقده لأنه صنعة يد الله، ومخلوق على صورته. والله لا يميز بين إنسان وآخر، ولا بين شعب وآخر، ولا بين دين وآخر، إذ ليس عند الله محاباة، والله لا يكيل بمكيالين. وإذا قلنا إن الله يميز شعب عن آخر، أو فرد عن آخر فنحن نهين الله. فما رأيك في مدرس يميز أبناء دينه ويعطيهم درجات أعلى من باقي الطلبة، ألا تحتقر هذا المدرس؟ أو الطبيب الذي يهتم بالمرضى الذين ينتمون إلى نفس دينه ويهمل باقي المرضى، ألا تحتقر هذا الطبيب؟ وحاشا لله أن يفعل ذلك.

إننا نرى الله في العهد القديم يوصي بالمساواة بين اليهودي والأممي، ففي تطبيق الأحكام أوصى قائلًا: «حُكْمٌ وَاحِدٌ يَكُونُ لَكُمْ. الْغَرِيبُ يَكُونُ كَالْوَطَنِيِّ، إِنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ» (لا ٢٤: ٢٢).

وقد سمح الله للأم بالانضمام إلى شعبه، فيمكن لأي إنسان أممي أن يصير ضمن شعب الله لو أراد ذلك فيقول لشعبه: «لا تَكْرَهْ أَدُومِيًّا لأَنَّهُ أَخُوكَ. لا تَكْرَهْ مِصْرِيًّا لأَنَّكَ كُنْتَ نَزِيلًا فِي أَرْضِهِ. الأَوْلاَدُ الَّذِينَ يُولَدُونَ لَهُمْ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ يَدْخُلُونَ مِنْهُمْ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ» (تث ٢٣: ٧، ٨؛ راجع خر ١٢: ١٩، ٤٨، ٤٩؛ لا ١٧: ٨ – ١٠؛ عد ١٥: ٢٦،٣٠).

ويقول (أ. أ. مَاك راي) (Mac Rae A. A.) لقد أعدَّ الله دائمًا مجالًا للأم للدخول إلى دائرة شعب الله. وحتى يمنع أي سوء فهم شدَّد على هذه الحقيقة وكرر أكثر من مرة على أن أي غريب ينزل بين بني إسرائيل، يمكن أن يصير إسرائيليًا، وفي هذه الحالة عليه أن يحفظ الفصح؛ تمامًا بنفس الطريقة التي يحفظه بها المولود إسرائيليًا فيقول: «وَإِذَا نَزَلَ عِنْدَكَ نَزِيلٌ وَصَنَعَ فِصْحًا لِلرَّبِّ، فَلْيُخْتَنْ مِنْهُ كُلُّ ذَكَرٍ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ لِيَصْنَعَهُ، فَيَكُونُ كَمَوْلُودِ الأَرْضِ. وَأَمَّا كُلُّ أَغْلَفَ فَلاَ يَأْكُلُ مِنْهُ. تَكُونُ شَرِيعَةٌ وَاحِدَةٌ لِمَوْلُودِ الأَرْضِ وَلِلنَّزِيلِ النَّازِلِ بَيْنَكُمْ» (خر ١٢: ٤٥ – ٤٩).

ويكرر أيضًا: «وَإِذَا نَزَلَ عِنْدَكُمْ غَرِيبٌ فَلْيَعْمَلْ فِصْحًا لِلرَّبِّ. حَسَبَ فَرِيضَةِ الْفِصْحِ وَحُكْمِهِ كَذلِكَ يَعْمَلُ. فَرِيضَةٌ وَاحِدَةٌ تَكُونُ لَكُمْ لِلْغَرِيبِ

وَلِوَطَنِيِّ الأَرْضِ» (عد ٩: ١٤).

وأن يقدم وقود رائحة سرور للرب «وَإِذَا نَزَلَ عِنْدَكُمْ غَرِيبٌ، أَوْ كَانَ أَحَدٌ فِي وَسَطِكُمْ فِي أَجْيَالِكُمْ وَعَمِلَ وَقُودَ رَائِحَةِ سُرُورٍ لِلرَّبِّ، فَكَمَا تَفْعَلُونَ كَذلِكَ يَفْعَلُ. أَيَّتُهَا الْجَمَاعَةُ، لَكُمْ وَلِلْغَرِيبِ النَّازِلِ عِنْدَكُمْ فَرِيضَةٌ وَاحِدَةٌ دَهْرِيَّةٌ فِي أَجْيَالِكُمْ. مَثَلُكُمْ يَكُونُ مَثَلَ الْغَرِيبِ أَمَامَ الرَّبِّ. شَرِيعَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُكْمٌ وَاحِدٌ يَكُونُ لَكُمْ وَلِلْغَرِيبِ النَّازِلِ عِنْدَكُمْ» (عد ١٥: ١٤-١٦). وأن يقدم ذبيحة خطية (عد ١٥: ٢٩).

ونرى سليمان الحكيم يؤكد هذا الفكر الراقي بأن الله يقبل كل صلاة من أي إنسان طالما تُرفع بضمير صالح. فيقول في صلاته يوم تدشين الهيكل: «فَكُلُّ صَلاَةٍ وَكُلُّ تَضَرُّعٍ تَكُونُ مِنْ أَيِّ إِنْسَانٍ كَانَ أَوْ مِنْ كُلِّ شَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ كُلُّ وَاحِدٍ ضَرْبَتَهُ وَوَجَعَهُ فَيَبْسُطُ يَدَيْهِ نَحْوَ هَذَا الْبَيْتِ، فَاسْمَعْ أَنْتَ مِنَ السَّمَاءِ مَكَانِ سُكْنَاكَ وَاغْفِرْ وَأَعْطِ كُلَّ إِنْسَانٍ حَسَبَ كُلِّ طُرُقِهِ كَمَا تَعْرِفُ قَلْبَهُ، لأَنَّكَ أَنْتَ وَحْدَكَ تَعْرِفُ قُلُوبَ بَنِي الْبَشَرِ، لِيَخَافُوكَ وَيَسِيرُوا فِي طُرُقِكَ كُلَّ الأَيَّامِ الَّتِي يَحْيُونَ فِيهَا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ الَّتِي أَعْطَيْتَ لآبَائِنَا. وَكَذلِكَ الأَجْنَبِيُّ الَّذِي لَيْسَ هُوَ مِنْ شَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ وَقَدْ جَاءَ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدَةٍ مِنْ أَجْلِ اسْمِكَ الْعَظِيمِ وَيَدِكَ الْقَوِيَّةِ وَذِرَاعِكَ الْمُمَدُودَةِ فَمَتَى جَاءُوا وَصَلُّوا فِي هَذَا الْبَيْتِ فَاسْمَعْ أَنْتَ مِنَ السَّمَاءِ مَكَانِ سُكْنَاكَ وَافْعَلْ حَسَبَ كُلِّ مَا يَدْعُوكَ بِهِ الأَجْنَبِيُّ لِيَعْلَمَ كُلُّ شُعُوبِ الأَرْضِ اسْمَكَ فَيَخَافُوكَ كَشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ» (٢أخ ٦: ٢٩- ٣٣).

ثانيًا: كان الله يعاقب إسرائيل كما عاقب الأمم:

حقًا ليس لدى الله محاباة. فكما كان يعاقب الأمم على شرورهم كذلك عاقب بني إسرائيل على خطاياهم. فهو رب الخليقة وسيد التاريخ. ولو كان إله العهد القديم متحيزًا لليهود ما كان قد أدبهم مرارًا وتكرارًا. وما كان أسقط جثثهم في القفر. ولو كان متحيزًا ما كان أدبهم بالحيّات المحرقة. وما كان قد ترك الشعوب المحيطة بهم يستعبدونهم ويذلونهم. ولو كان متحيزًا لهم ما كان شتتهم في أرض السبي. لقد قال لهم بوضوح على لسان عاموس: «إِيَّاكُمْ فَقَطْ عَرَفْتُ مِنْ جَمِيعِ قَبَائِلِ الأَرْضِ. لِذلِكَ أُعَاقِبُكُمْ عَلَى جَمِيعِ ذُنُوبِكُمْ» (عا ٣:٢).

فدعني يا صديقي أذكر لك القليل من الكثير:

(١) عندما صعد موسى إلى الجبل ليتسلم الوصايا من الله وأبطأ في النزول. عقب خروج بني إسرائيل من أرض مصر بشهور قليلة. صنع الشعب عجلًا ذهبيًا وعبدوه وقالوا: «هَذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ!» (خر ٣٢: ٤). ونقرأ: «فَبَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ» (خر ٣٢: ٦). فحمى غضب الله عليهم. لأن أكثر ما يثير الغضب الإلهي أن يعبد الإنسان آلهة كاذبة. وما يتبع ذلك من انحلال وفساد. وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «رَأَيْتُ هذَا الشَّعْبَ وَإِذَا هُوَ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ. فَالآنَ اتْرُكْنِي لِيَحْمَى غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ. فَأُصَيِّرَكَ شَعْبًا عَظِيمًا» (خر ٣٢: ٩، ١٠). وتضرع موسى أمام الرب إلهه من أجل الشعب. وبعد ذلك دعى موسى بني لاوي وقال لهم: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: ضَعُوا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ عَلَى فَخْذِهِ

وَمُرُّوا وَارْجِعُوا مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ فِي الْمَحَلَّةِ، وَاقْتُلُوا كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ. ٢٨ فَفَعَلَ بَنُو لاوِي بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. وَوَقَعَ مِنَ الشَّعْبِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلاَثَةِ آلاَفِ رَجُل» (خر ٣٢: ٢٧، ٢٨) لقد قتلوا كل إنسان مازال متمسكًا بالعبادة الوثنية. ومازال يمارسها. مهما كانت درجة القرابة.

(٢) عندما سقط الشعب الإسرائيلي في خطية الزنى مع بنات موآب أرسل الله إليهم الوباء فمات أربعة وعشرين ألفًا فنقرأ «وَأَقَامَ إِسْرَائِيلُ فِي شِطِّيمَ. وَابْتَدَأَ الشَّعْبُ يَزْنُونَ مَعَ بَنَاتِ مُوآبَ. فَدَعَوْنَ الشَّعْبَ إِلَى ذَبَائِحِ آلِهَتِهِنَّ. فَأَكَلَ الشَّعْبُ وَسَجَدُوا لآلِهَتِهِنَّ. وَتَعَلَّقَ إِسْرَائِيلُ بِبَعْلِ فَغُورَ. فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ.... وَكَانَ الَّذِينَ مَاتُوا بِالْوَبَإِ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا» (عد ٢٥: ١-٩).

(٣) عندما انحرف شعب الله وابتعدوا عن الرب. عاقبهم الرب بالأمة الفلسطينية. التي حاربتهم وقتلت منهم أَرْبَعَةِ آلاَفِ رَجُل (١صم ٤: ١-٣). وعندما لم يواجهوا أنفسهم بصدق. ويصححوا علاقتهم بالله. ويتوبوا توبة صادقة. ويتقدسوا. قالوا فيما بينهم: «لِنَأْخُذْ لأَنْفُسِنَا مِنْ شِيلُوهَ تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ فَيَدْخُلَ فِي وَسَطِنَا وَيُخَلِّصَنَا مِنْ يَدِ أَعْدَائِنَا». وكانت هذه نظرة صنمية وثنية إلى التابوت. بل إلى الله. فأرسلوا رسلًا إلى شيلوه وأحضروا تابوت عهد الرب. وأدخلوه إلى المحلة. وتقدموا لمحاربة الفلسطينيين. ولكن كسرهم الرب مرة أخرى أمام الفلسطينيين. فهربوا كل واحد إلى خيمته. وقتل الفلسطينيين منهم ثلاثين ألف رجل. وأخذوا تابوت الله. ومات ابنا عالى. حُفنى وفينحاس (١صم ٤: ١٠-١١).

(٤) عندما ندرس سفر القضاة سنجد أنه عندما أخطأ شعب الله وابتعدوا عن الرب وعبدوا آلهة أخرى. سمح الله للشعوب المحيطة بهم بأن يستعبدوهم ويذلوهم فنقرأ: «وَعَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ. وَتَرَكُوا الرَّبَّ إِلهَ آبَائِهِمِ الَّذِي أَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. وَسَارُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى مِنْ آلِهَةِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ. وَسَجَدُوا لَهَا وَأَغَاظُوا الرَّبَّ. تَرَكُوا الرَّبَّ وَعَبَدُوا الْبَعْلَ وَعَشْتَارُوثَ. فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ. فَدَفَعَهُمْ بِأَيْدِي نَاهِبِينَ نَهَبُوهُمْ. وَبَاعَهُمْ بِيَدِ أَعْدَائِهِمْ حَوْلَهُمْ. وَلَمْ يَقْدِرُوا بَعْدُ عَلَى الْوُقُوفِ أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ» (قض ٢: ١١ – ١٥). وأرجو أن تقرأ هذا النص لترى كيف كان الرب يعاقبهم بالأمم المجاورة لهم:

«وَعَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ. فَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ لِيَدِ مِدْيَانَ سَبْعَ سِنِينَ. فَاعْتَزَّتْ يَدُ مِدْيَانَ عَلَى إِسْرَائِيلَ. بِسَبَبِ الْمِدْيَانِيِّينَ عَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لأَنْفُسِهِمِ الْكُهُوفَ الَّتِي فِي الْجِبَالِ وَالْمَغَايِرَ وَالْحُصُونَ. وَإِذَا زَرَعَ إِسْرَائِيلُ، كَانَ يَصْعَدُ الْمِدْيَانِيُّونَ وَالْعَمَالِقَةُ وَبَنُو الْمَشْرِقِ. يَصْعَدُونَ عَلَيْهِمْ، وَيَنْزِلُونَ عَلَيْهِمْ وَيُتْلِفُونَ غَلَّةَ الأَرْضِ إِلَى مَجِيئِكَ إِلَى غَزَّةَ. وَلاَ يَتْرُكُونَ لإِسْرَائِيلَ قُوتَ الْحَيَاةِ. وَلاَ غَنَمًا وَلاَ بَقَرًا وَلاَ حَمِيرًا» (قض ٦: ١ – ٤).

(٥) السبي الأشوري:

عندما تمادى شعب المملكة الشمالية (مملكة إسرائيل) في عناده وفساده وعبدوا آلهة أخرى. وأوقدوا على المرتفعات مثل الأمم. وعملوا أمورًا

قبيحة لإغاظة الرب. فعبدوا الأصنام. وعبَّروا بنيهم وبناتهم في النار (٢مل ١٧: ٧ – ٢٣). غضب الرب جدًا عليهم. ورذلهم وأذلهم ودفعهم ليد ناهبيهم. وسمح الله للملك أشور بسبي مملكة إسرائيل سنة ٧٢٢ ق.م «وَصَعِدَ مَلِكُ أَشُّورَ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ. وَصَعِدَ إِلَى السَّامِرَةِ وَحَاصَرَهَا ثَلاَثَ سِنِينَ. فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِهُوشَعَ أَخَذَ مَلِكُ أَشُّورَ السَّامِرَةَ. وَسَبَى إِسْرَائِيلَ إِلَى أَشُّورَ» (٢مل ١٧: ٥، ٦).

وتحقق قول هوشع النبي: «تُجَازَى السَّامِرَةُ لأَنَّهَا قَدْ تَمَرَّدَتْ عَلَى إِلهِهَا. بِالسَّيْفِ يَسْقُطُونَ. تُحَطَّمُ أَطْفَالُهُمْ. وَالْحَوَامِلُ تُشَقُّ» (هو ١٣: ١٦).

(١) السبي البابلي:

وعندما تمادى أيضًا شعب المملكة الجنوبية (مملكة يهوذا) في عناده وفساده وعبدوا آلهة أخرى، وأوقدوا على المرتفعات مثل الأمم، لقنهم الله درسًا قاسيًا ليدركوا أن الشر لابد أن يُعَاقب. فاستخدم الرب نبوخذ نصر ملك بابل ليعاقبهم. ففي عام (٥٨٧ ق.م) هجم نبوخذ نصر على أورشليم بكل جيشه ومركباته، وكما يقول المؤرخ اليهودي الكبير يوسيفوس: «أحرقوا الهيكل عن آخره، وهدموا أسوار أورشليم، وأحرقوا جميع قصورها بالنار، وأخذوا جميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة، وخزائن الملك ورؤسائه إلى بابل (٢أخ ٣٦: ١٧-٢١) وقتلوا كل أشراف يهوذا (إر ٣٩: ٦) ومعظم الشعب سبوهم إلى بابل، ولم يتركوا في أورشليم إلا مساكين الأرض (٢مل٢٥، ٢أخ٣٦) والذين أبقاهم نبوخذ نصّر ملك بابل في أورشليم ووكّل عليهم جدليا بن أخيقام بن شافان (٢مل ٢٥: ١ - ٢٢). وبقي الشعب في السبي لمدة سبعين عامًا.

ثانيًا: الله العادل كان ينقذ الأمم كما أنقذ إسرائيل:

إن الله الذي أعلنه الأنبياء في العهد القديم ليس إلهًا قبليًا كل ما يهمه هو شعب إسرائيل، فالله هو الخالق لكل البشر ويحب كل الأمم، ولذلك فقد كان يهتم ويعمل مع إسرائيل ومن خلال شعب إسرائيل لأجل بقية الشعوب، لأن كل الشعوب هم أبناء الله، خليقة الله، ولذلك عمل الله مع إسرائيل لأجل هؤلاء الشعوب.

ونجد في العهد القديم أن الله يعمل ويهتم بكل الأمم والشعوب كما هي في حد ذاتها وليس طبقًا لعلاقتها بإسرائيل (إر ٣٢: ٢٧؛ ٢٥: ٣١؛ ٤٥: ٥). لقد كان بنو إسرائيل يظنون أن لكل أمة آلهتها الخاصة بها، فالمصريون لهم آلهتهم، والآشوريون لهم آلهتهم، والعمونيون والموآبيون كذلك. ولذلك فيهوه إله محدود، لا يوجد إلا في إسرائيل، ولا يهتم إلا بهم، فلا دخل له بما يحدث مع المصريين، أو بما يحدث مع الفينيقيين مثلًا.

وكانت نظرتهم هذه الى الله نظرة صنمية، إله محدود، يُمتَلَك من الشعب، لا دخل له بما يحدث في بلاد أخرى. ولكن هنا يعلن عاموس بوضوح كلمات الرب لبني إسرائيل: «أَلَسْتُمْ لِي كَبَنِي الْكُوشِيِّينَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ يَقُولُ الرَّبُّ؟ أَلَمْ أُصْعِدْ إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ وَالْفِلِسْطِينِيِّينَ مِنْ كَفْتُورَ وَالأَرَامِيِّينَ مِنْ قِيرٍ؟» (عا ٩: ٧). ومعروف أن فلسطين وآرام كانتا من ألد أعداء إسرائيل، غير أن محبته وعنايته تشمل كل الشعوب، فبني إسرائيل لا يفرقون شيئًا عن الكوشيين، فنفس الإله القدير الذي أخرج إسرائيل من أرض مصر، أخرج الفلسطينيين من كفتور، والأراميين من قير، فالله هنا يقوم بعمل الخلاص نيابة عن هذه الشعوب (الفلسطينيين

والآراميين) بنفس الطريقة التي خلَّص بها الله شعب إسرائيل (انظر أيضًا: إش٤٥: ١٤، ٢٢- ٢٣؛ إش ٥٦: ٣- ٨؛ ٦٦: ١٨- ١٩، ٢٣؛ زك ٨: ٢٢- ٢٣). وعندما يقدم الرب وعدًا بالبركة على لسان إشعياء فإنه يقول: «مُبَارَكٌ شَعْبِي مِصْرُ وَعَمَلُ يَدَيَّ أَشُّورُ وَمِيرَاثِي إِسْرَائِيلُ» (إش ١٩:٢٥). وما يدعو لمدح مجد نعمة الله أن يُقَال عن مصر «شَعْبِي» وعن أشور «عَمَلُ يَدَيَّ» وهي أوصاف كانت تُقَال كثيرًا عن إسرائيل، قارن (مز ١٠٠: ٣؛ إش ٢٩:٢٣؛ هو٢:٢٣؛ أف٢: ١٠). لكن الله لا يعرف المحاباة فالكل شعبه، والكل له نصيب في البركة[٣].

عزيزي القارئ: كم من المرات نظن أن الله هو إلهنا نحن فقط - إله بيتر وجون ومايكل وأبانوب - لذلك لابد أن يميزنا عن باقي الناس فيعطينا أعلى الدرجات في الامتحانات، ويشفي أمراضنا، ويحل المشكلات التي تعترض طريقنا، ويبيد من أمامنا كل مضايق وعدو، وإن حدثت كارثة عامة كالزلزال أو الفيضان وغيره لابد وأن ينقذنا نحن لكي يتمجد هو، ونظن أن قانون الحياة الطبيعي لا يجب أن يسير علينا لأننا أولاده. أليست هذه نظرة ضيقة ومحدودة إلى الله. إن مجد الله يكون بحسب ما يرى هو، وليس كما نرى نحن. وهو يحب الكل ويهتم بالجميع ويدعونا لكي نعلن حبه لكل العالم.

رابعًا: اختار الله إسرائيل من أجل العالم:

يعلن لنا الكتاب المقدس أن الله لم يختر بني إسرائيل لامتياز فيهم، فقد قال لهم بوضوح: «لاَ تَقُلْ فِي قَلْبِكَ حِينَ يَنْفِيهِمِ الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ أَمَامِكَ: لأَجْلِ بِرِّي أَدْخَلَنِي الرَّبُّ لأَمْتَلِكَ هَذِهِ الأَرْضَ. وَلأَجْلِ إِثْمِ هَؤُلاَءِ الشُّعُوبِ يَطْرُدُهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِكَ. فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ لأَجْلِ بِرِّكَ يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ هَذِهِ الأَرْضَ الْجَيِّدَةَ لِتَمْتَلِكَهَا لأَنَّكَ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ» (تث ٩: ٤، ٦؛ راجع تث ٧: ٧ ـ ٨).

لقد اختارهم الرب ليشهدوا عنه ويعلنوا اسمه لكل العالم. لقد كان يريد أن يستخدمهم كأداة في يمينه لإصلاح العالم الساقط. لذلك نجد العبارة التي كررها الله كثيرًا لإبراهيم وإسحق ويعقوب هي: «وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ» (تك ١٢: ٣؛ ١٨: ١٨؛ ٢٨: ٣؛ ٣٥: ١١؛ ٤٩: ١٠).

لقد اختارهم كعجينة صغيرة صالحة، بها يخمر العجين كله، اختار الجزء ليصل إلى الكل، وهذا ما حدث عندما اختار الله إبراهيم، فقد رأى في إبراهيم الاستعداد الطيب للحب والطاعة والإيمان، حتى أنه عندما طلب منه أن يخرج من بلده ويترك قومه وعشيرته الذين يعبدون الأصنام، أطاع إبراهيم على الفور بلا نقاش ولا مجادلة ولا دمدمة. لقد كان الله يريد أن يبارك بهم العالم. إنه يشبه رب الأسرة الذي يدخل بيته ومعه عدة هدايا ويعطيها لأحد أبنائه لكي يوزعها على أفراد الأسرة، فهو يحب الجميع، ولا يميز شخصًا عن آخر. ولعل هذه الفكرة تظهر بوضوح عند تجديد العهد على جبل سيناء حيث قال الله لموسى: «أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ مَا صَنَعْتُ بِالْمِصْرِيِّينَ. وَأَنَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى أَجْنِحَةِ النُّسُورِ وَجِئْتُ بِكُمْ إِلَيَّ. فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ. وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً. هَذِهِ هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تُكَلِّمُ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ» (خر ١٩: ٣ ـ ٦).

وهنا نجد العبارة الهامة جدًا (فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ). فهو لم يرفض باقي الشعوب، بل اختار

بني إسرائيل ليكونوا مملكة كهنة وسط هذه الشعوب. وما هو دور الكاهن؟ إن الكاهن لا يقام من أجل نفسه، بل من أجل الآخرين. يقول كوستي بندلي[٤]: «إن العهد يعني تدخل الله الهادف إلى كافة أبناء البشر.... وشعب الله لم يوجد من أجل نفسه بل من أجل خلاص سائر الشعوب». ويقول الأب منيف حمصي: «لقد دخل الله تاريخ الإنسان عبر بوابة شعب إسرائيل وذلك ليستودعه تدبير قصد الخلاص. لهذا السبب بالضبط نسمع في الكتاب أن هذا الشعب هو خادم الله (إش ٤٤: ٢١) ومختار الله (إش ٤٥: ٤) وابنه البكر (خر ٤: ٢٢). هذا الشعب الأضعف بين الشعوب خوّل بفعل اختيار الله له، إلى مركز لكل التاريخ المقدّس، وإلى نواة تنطلق منها بركات الله ونعمه إلى سائر الشعوب». فلم يكن اختيار الله لشعب بني إسرائيل هو الهدف النهائي لله، إنما وسيلة لجذب العالم كله.

ولعل الدليل الواضح على ذلك أن الله أرسل يونان إلى شعب نينوى عاصمة الإمبراطورية الأشورية لينادي لهم بالتوبة، ورفض يونان الإرسالية وذهب في الاتجاه المعاكس إلى ترشيش، وبعد قصة درامية أعاده الله إلى نينوى، وحذّرهم يونان من الخراب القادم بعد أربعين يومًا فتابوا. وهنا جلس يونان حزينًا. فأخرج الله له اليقطينة. وفي اليوم التالي يبست اليقطينة، فاغتم يونان. فقال له الله: «أَنْتَ شَفِقْتَ عَلَى الْيَقْطِينَةِ الَّتِي لَمْ تَتْعَبْ فِيهَا وَلاَ رَبَّيْتَهَا الَّتِي بِنْتَ لَيْلَةٍ كَانَتْ وَبِنْتَ لَيْلَةٍ هَلَكَتْ... أَفَلاَ أُشْفِقُ أَنَا عَلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يُوجَدُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنِ اثْنَتَيْ عَشَرَةَ رَبْوَةً مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ يَمِينَهُمْ مِنْ شِمَالِهِمْ!».

(يون ٤:١٠، ١١). وفي دعوة الرب لإرميا أعلن له أنه أقامه نبيًا للشعوب وليس لشعب معين، وأعطاه دورًا أكبر من مجرد الكلام. فيقول له: «قَبْلَمَا صَوَّرْتُكَ فِي الْبَطْنِ عَرَفْتُكَ، وَقَبْلَمَا خَرَجْتَ مِنَ الرَّحِمِ قَدَّسْتُكَ. جَعَلْتُكَ نَبِيًّا لِلشُّعُوبِ... اُنْظُرْ! قَدْ وَكَّلْتُكَ هذَا الْيَوْمَ عَلَى الشُّعُوبِ وَعَلَى الْمَمَالِكِ، لِتَقْلَعَ وَتَهْدِمَ وَتُهْلِكَ وَتَنْقُضَ وَتَبْنِيَ وَتَغْرِسَ» (إر ١: ٥، ١٠).

ألم تدخل راعوث المؤابية ضمن شعب الله؟ ألم يكن أيوب رجلًا بارًا ومستقيمًا أمام الله، وهو ليس يهوديًا بل من أرض عوص! ألم يتعامل الله مع راحاب، ونعمان السرياني!

خامسًا: كان الله يريد أن يعلن عن نفسه لكل العالم:

ولكن قد يسأل البعض قائلًا:

لماذا صنع الله مع بني إسرائيل كل هذه العجائب طالما أنهم ليسوا أفضل من غيرهم؟؟

إن من يدرس تاريخ تعاملات الله مع إسرائيل قديمًا يدرك أن كل العظائم والعجائب التي صنعها معهم كان الهدف منها أن يعلن عن نفسه، فيعرفوا طبيعته، وتعلم ممالك الأرض كلها مَنْ هو الإله الحقيقي[٥].

فمثلًا عندما أعطى الله لشعبه قديمًا الشريعة والأحكام والفرائض، أعطاها لكي ينظم حياة الشعب فتنهض الأمة ويتقدم الشعب، وعندها ستدرك كل الأمم المحيطة أن الشعب العظيم لابد أن يكون له إله عظيم فيأتون إليه ليعرفوه. فيقول موسى للشعب: «فَاحْفَظُوا وَاعْمَلُوا، لأَنَّ ذلِكَ حِكْمَتُكُمْ وَفِطْنَتُكُمْ أَمَامَ أَعْيُنِ الشُّعُوبِ

الَّذِينَ يَسْمَعُونَ كُلَّ هذِهِ الْفَرَائِضِ، فَيَقُولُونَ: هذَا الشَّعْبُ الْعَظِيمُ إِنَّمَا هُوَ شَعْبٌ حَكِيمٌ وَفَطِنٌ. لأَنَّهُ أَيُّ شَعْبٍ هُوَ عَظِيمٌ لَهُ آلِهَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْهُ كَالرَّبِّ إِلهِنَا فِي كُلِّ أَدْعِيَتِنَا إِلَيْهِ؟ وَأَيُّ شَعْبٍ هُوَ عَظِيمٌ لَهُ فَرَائِضُ وَأَحْكَامٌ عَادِلَةٌ مِثْلُ كُلِّ هذِهِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَنَا وَاضِعٌ أَمَامَكُمُ الْيَوْمَ؟» (تث ٤: ٥- ٨).

وعندما قاد الله شعبه وجعل مياه الأردن تقف ندًا واحدًا، وعبر كل الشعب، قال يشوع: «لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ قَدْ يَبَّسَ مِيَاهَ الأُرْدُنِّ مِنْ أَمَامِكُمْ حَتَّى عَبَرْتُمْ، كَمَا فَعَلَ الرَّبُّ إِلهُكُمْ بِبَحْرِ سُوفٍ الَّذِي يَبَّسَهُ مِنْ أَمَامِنَا حَتَّى عَبَرْنَا، لِكَيْ تَعْلَمَ جَمِيعُ شُعُوبِ الأَرْضِ يَدَ الرَّبِّ أَنَّهَا قَوِيَّةٌ، لِكَيْ تَخَافُوا الرَّبَّ إِلهَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ» (يش ٤: ٢٣، ٢٤).

وفي نهاية صلاة سليمان قال: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ الَّذِي أَعْطَى رَاحَةً لِشَعْبِهِ إِسْرَائِيلَ حَسَبَ كُلِّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ. لَمْ تَسْقُطْ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ كُلِّ كَلاَمِهِ الصَّالِحِ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ عَنْ يَدِ مُوسَى عَبْدِهِ.... لِيَعْلَمَ كُلُّ شُعُوبِ الأَرْضِ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ اللهُ وَلَيْسَ آخَرَ، فَلْيَكُنْ قَلْبُكُمْ كَامِلًا لَدَى الرَّبِّ إِلهِنَا إِذْ تَسِيرُونَ فِي فَرَائِضِهِ وَتَحْفَظُونَ وَصَايَاهُ كَهذَا الْيَوْمِ» (١مل ٨: ٥٦، ٦٠).

لقد أدرك سليمان أن الرب عندما تمم وعوده لشعبه وباركهم وصنع معهم المعجزات كان الهدف أن تعرف كل شعوب الأرض أن الرب هو الله. وبنفس هذا الإدراك صلى حزقيا عندما وصلته رسائل تهديد من سنحاريب ملك أشور تهدد بقتله وبخراب أورشليم. لقد أخذ حزقيا رسائل التهديد ونشرها أمام الرب وصلى قائلًا: «أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ، الْجَالِسُ فَوْقَ الْكَرُوبِيمِ، أَنْتَ هُوَ الإِلهُ وَحْدَكَ لِكُلِّ مَمَالِكِ الأَرْضِ. أَنْتَ صَنَعْتَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ. أَمِلْ يَا رَبُّ أُذُنَكَ وَاسْمَعْ. افْتَحْ يَا رَبُّ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ. وَاسْمَعْ كَلاَمَ سَنْحَارِيبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ لِيُعَيِّرَ اللهَ الْحَيَّ... وَالآنَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهُنَا خَلِّصْنَا مِنْ يَدِهِ، فَتَعْلَمَ مَمَالِكُ الأَرْضِ كُلُّهَا أَنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ الإِلهُ وَحْدَكَ» (٢مل ١٩: ١٥، ١٦، ١٩).

سادسًا: كان العهد مشروط بإصلاح العالم:

عندما اختار الرب بني إسرائيل ودخل في عهد معهم كان العهد من أجل العالم. فكما يقول كوستي بندلي: «إن العهد يعني تدخل الله الهادف إلى جميع كافة أبناء البشر في المحبة أي فيه تعالى إذ أنه هو نفسه المحبة»[٦].

فلقد كان الهدف الأساسي من العهد هو إصلاح العالم الساقط. فالله كان يريد أن يُعيد البشرية إليه مرة أخرى، لذلك كان العهد مشروطًا بعدة شروط تقود إلى تحقيق هذا الهدف. وهذه الشروط لا نجدها في مكان واحد في العهد القديم ولكن في أماكن متفرقة منه وهي:

الشرط الأول: عبادة الله فقط:

لقد طلب منهم الرب أن لا يعبدوا أحدًا سواه، وأن ينبذوا عبادة الأصنام. فيقول الرب لهم: «لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي» (خر ٢٠: ٣، راجع أيضًا خر٢٠: ٤، ٥؛ تث ٥: ٧-٩). وينتج عن ذلك نبذ كل مساومة أو تحالف مع الأمم الوثنية إذ يقول لهم: «لاَ تَسْجُدْ لآلِهَتِهِمْ، وَلاَ تَعْبُدْهَا، وَلاَ تَعْمَلْ كَأَعْمَالِهِمْ، بَلْ تُبِيدُهُمْ وَتَكْسِرُ أَنْصَابَهُمْ» (خر ٢٣: ٢٤، راجع أيضًا خر٣٤: ١٢ - ١٦).

الشرط الثاني: الطاعة:

لقد طلب منهم الرب الطاعة الكاملة لكل وصاياه. وأعلن لهم أن الطاعة ستقودهم إلى

البركة، وعدم الطاعة سيقودهم إلى الهلاك، فيقول الله لهم: «اُنْظُرْ. قَدْ جَعَلْتُ الْيَوْمَ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْخَيْرَ وَالْمَوْتَ وَالشَّرَّ بِمَا أَنِّي أَوْصَيْتُكَ الْيَوْمَ أَنْ تُحِبَّ الرَّبَّ إِلهَكَ وَتَسْلُكَ فِي طُرُقِهِ وَتَحْفَظَ وَصَايَاهُ وَفَرَائِضَهُ وَأَحْكَامَهُ لِكَيْ تَحْيَا وَتَنْمُوَ، وَيُبَارِكَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِكَيْ تَمْتَلِكَهَا. فَإِنِ انْصَرَفَ قَلْبُكَ وَلَمْ تَسْمَعْ، بَلْ غَوَيْتَ وَسَجَدْتَ لآلِهَةٍ أُخْرَى وَعَبَدْتَهَا، فَإِنِّي أُنْبِئُكُمُ الْيَوْمَ أَنَّكُمْ لاَ مَحَالَةَ تَهْلِكُونَ» (تث ٣٠: ١٥ - ١٨، راجع أيضًا خر ٢٣: ٢٠-٣٣ ؛ لا ٢٦؛ تث ٢٨). وفي نص العهد على جبل سيناء يقول لهم: «فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي فالآن...» (خر ١٩: ٣-٦). لقد كان الله يريد أن يستخدم طاعتهم وإيمانهم ليبارك به أممًا كثيرة.(٧)

الشرط الثالث: القداسة:

هـذا الشعـب دُعي ليكون شعبًا مقدسًا، لكي يستطيع أن يشهد للرب، فيقول لهـم الله: «إِنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ فَتَتَقَدَّسُونَ وَتَكُونُونَ قِدِّيسِينَ، لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ» (لا ١١: ٤٤، راجع أيضًا خر١٩: ٦؛ تث ٧: ٦؛ تث ٢٦: ١٩؛ تث ٢٧: ٩،١٠).

ومن الجدير بالذكر أن كلمة «مقدس» لها عدة معانٍ في أصلها العبري، ولعل المعنى الأول هو: السيرة النقية الطاهرة. قال بولس: «كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ» (أف ١: ٤). وقد استعار بولس عبارة «بِلاَ لَوْمٍ» من العهد القديم. فعندما كان يريد أي شخص أن يقدم ذبيحة، كان لابد وأن تُفحص وتكون بلا لوم، تقدمة كاملة للرب. والفكرة هي أن الإنسان تقدمة للرب. ويجب أن يكون تقدمة كاملة، جسد ونفس وعقل وإرادة وضمير، كل شيء مقدس للرب (راجع لا ٢٠: ٢٦؛ أف١: ٤؛ ابط١: ١٥).

والمعنى الثاني: فرز الشيء وعزله لعمل معين، فحينما دعا الله إرميا قال له: «قَبْلَمَا صَوَّرْتُكَ فِي الْبَطْنِ عَرَفْتُكَ، وَقَبْلَمَا خَرَجْتَ مِنَ الرَّحِمِ قَدَّسْتُكَ. جَعَلْتُكَ نَبِيًّا لِلشُّعُوبِ» (إر ١: ٥). فقبل أن يولد إرميا، وقبل أن يتكوَّن كان له مكانة في برنامج الله، وكان مخصصًا لعمل معين. وطلب الله من موسى أن يفرز أبناء هارون ويقدِّسهم لخدمة الكهنوت (خر ٢٨: ٤١). وهنا نرى أيضًا أبناء هارون يُفرَزون لقصد معين وخدمة معينة، وليس ذلك فقط، إنما أيضًا تهيئة الإنسان وإعداده عقليًا وقلبيًا بالصفات والمواهب اللازمة للقيام بهذا العمل.

والمعنى الثالث لكلمة مقدس: أي مختلف أو متميز. فيذكر العهد القديم أن السبت يوم مقدس، أي مختلف عن باقي الأيام، والهيكل مكان مقدس أي مختلف عن باقي الأماكن، وهكذا المذبح مقدس والذبيحة مقدسة. راجع الشواهد الآتية (خر ٢: ١٣؛ ٣: ١٥؛ ١٢: ١٦؛ ١٦: ٢٣ ؛ تث٢٣: ١٤؛ اصم ٢١: ٤؛ نح ٨: ٩). وهكذا يجب أن يكون شعب الله مختلفًا ومتميزًا عن بقية الشعوب في حياته وسلوكياته (لا ١٩: ١، ٢) لأنه شعب العهد الذي أؤتمن على الرسالة لكل العالم. لذلك ينبغي أن تكون له قداسة الله، والخادم يجب أن يحمل طابع سيده.

الشرط الرابع: الشهادة:

وهذا الشرط يعتبر الهدف والغاية من كل الشروط الثلاثة السابقة، بل وهدف الاختيار والعهد أساسًا وهو: الشهادة له في كل العالم، الشهادة عن أمانته وعن طبيعته، وعن تعاملاته معهم. والشهادة المطلوبة هنا بالسلوك قبل

الكلام. ففي نص العهد يقول لهم: «فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ. وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً» (خر ١٩: ٣-٦).

وفي سفر إشعياء يقول لهم: «أَنْتُمْ شُهُودِي، يَقُولُ الرَّبُّ. أَنَا أَنَا الرَّبُّ، وَلَيْسَ غَيْرِي مُخَلِّصٌ. وَأَنْتُمْ شُهُودِي، يَقُولُ الرَّبُّ» (إش ٤٣: ١٠، ١١. راجع أيضًا إش ٤٤: ٨).

سابعًا: عندما فشل بنو إسرائيل في أداء رسالتهم رفضهم الرب:

عندما لم يحفظ الشعب الإسرائيلي شروط العهد، ولم يشهدوا عنه لكل الشعوب والممالك، بل وصنعوا العجل الذهبي وقالوا: «هَذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ!» (خر ٣٢: ٤). وبدلًا من الطاعة الكاملة للرب نرى العصيان والتمرد، وبدلًا من القداسة نرى الظلم والغش والخداع والزنى يسود البلاد بالكامل، نرى الله العادل الذي لا يعرف التمييز ولا المحاباة يقول عنهم: «اَلثَّوْرُ يَعْرِفُ قَانِيهِ وَالْحِمَارُ مِعْلَفَ صَاحِبِهِ أَمَّا إِسْرَائِيلُ فَلاَ يَعْرِفُ. شَعْبِي لاَ يَفْهَمُ. وَيْلٌ لِلأُمَّةِ الْخَاطِئَةِ الشَّعْبِ الثَّقِيلِ الإِثْمِ نَسْلِ فَاعِلِي الشَّرِّ أَوْلاَدٍ مُفْسِدِينَ! تَرَكُوا الرَّبَّ اسْتَهَانُوا بِقُدُّوسِ إِسْرَائِيلَ ارْتَدُّوا إِلَى وَرَاءٍ... » (إش ١: ٣ - ٥). وشبههم بالزوجة الزانية (إش ١؛ إر ٢: ٢٠؛ ٣: ٦،٩؛ ٥: ١٩؛ هو ١). وقال لهوشع عنهم: «ادْعُ اسْمَهُ لُوعَمِّي، لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ شَعْبِي وَأَنَا لاَ أَكُونُ لَكُمْ» (هو ١: ٩). وأعلن بوضوح قائلًا: «قَدْ نَقَضَ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ وَبَيْتُ يَهُوذَا عَهْدِي الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ» (إر ١١: ١٠). ثم أعلن النتيجة العادلة: «نَقَضُوا عَهْدِي فَرَفَضْتُهُمْ يَقُولُ الرَّبُّ» (إر ٣١: ٣٢).

لو أن الله كان قد اختارهم لذاتهم ما كان قد رفضهم، ولكن لأنه اختارهم من أجل العالم لذلك رفضهم، ولم يتخل الله عن خليقته وعالمه لذلك أرسل أنبياءه ليتنبأوا بإسرائيل الجديد، بالعهد الجديد، بالشعب الجديد. فقال الرب على فم إرميا: «هَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُ الرَّبُّ وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا. لَيْسَ كَالْعَهْدِ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُهُمْ بِيَدِهِمْ لأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ حِينَ نَقَضُوا عَهْدِي فَرَفَضْتُهُمْ يَقُولُ الرَّبُّ. بَلْ هَذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَقْطَعُهُ...أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ وَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا...» (إر ٣١: ٣١ ـ ٣٤. راجع إر ٣٢: ٣٦ ـ ٤٠؛ حز ٣٤: ١٢؛ ٣٦: ٢٦؛ حز ٣٧).

ثامنًا: نبوات العهد القديم تؤكد أن المسيا الآتي للعالم كله:

فمنذ السقطة الأولى التي سقط فيها آدم وحواء جاء الوعد الإلهي مؤكدًا أن المخلص الآتي للجنس البشري كله: «وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ» (تك ٣:١٥). ونسل المرأة هو المسيح لأنه الوحيد الذي وُلِد من امرأة فقط بدون زرع بشر، وسيسحق رأس الحية أي الشيطان الذي يريد أن يضل العالم كله.

*** ثم يعطي الوعد لإبراهيم:**

(تك ١٢:٣) وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ

(تك ٢٢:١٨) وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِي.

وهذا يعني بوضوح أن الذي سيأتي من نسل

إبراهيم ستتبارك فيه وأكرر فيه وليس به جميع قبائل الأرض.

*** ثم يعطي الوعد لإسحق:**

(تك ٢٦: ٤) وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأُعْطِي نَسْلَكَ جَمِيعَ هذِهِ الْبِلاَدِ. وَتَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ.

وهذا يعني بوضوح أن الذي سيأتي من نسل إسحق ستتبارك فيه وأكرر فيه وليس به جميع قبائل الأرض.

وأرجو أن لا تنسى كلمة فيه لأنه في المفهوم المسيحي لا تتبارك الأمم به ولا باسمه ولكن فيه أي في جسده لأن جسده سيكون فدية لجميع الأمم.

*** ثم يعطي الوعد ليعقوب:**

(تك ٢٨: ١٤) وَيَكُونُ نَسْلُكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ، وَتَمْتَدُّ غَرْبًا وَشَرْقًا وَشَمَالاً وَجَنُوبًا. وَيَتَبَارَكُ فِيكَ وَفِي نَسْلِكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ

*** ثم يعطي الوعد بمزيد من التحديد لنسل يهوذا:**

(تك ٤٩: ١٠) لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ.

وكلمة شيلوه (שילה) تعني (المسيا الذي كل الأشياء ملكه أو له) [٨].

والمسيا سيكون له خضوع الشعوب

*** نبوات سفر المزامير:**

(مز ٢: ٧،٨) إِنِّي أُخْبِرُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ الرَّبِّ: قَالَ لِي: «أَنْتَ ابْنِي. أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ. اسْأَلْنِي فَأُعْطِيَكَ الأُمَمَ مِيرَاثًا لَكَ، وَأَقَاصِيَ الأَرْضِ مُلْكًا لَكَ

وأعتقد أن هذه الآيات لا تحتاج إلى تعليق.

(مز ٢٢: ٢٧) تَذْكُرُ وَتَرْجِعُ إِلَى الرَّبِّ كُلُّ أَقَاصِي الأَرْضِ. وَتَسْجُدُ قُدَّامَكَ كُلُّ قَبَائِلِ الأُمَمِ.

(مز ٦٧: ٢) لِكَيْ يُعْرَفَ فِي الأَرْضِ طَرِيقُكَ، وَفِي كُلِّ الأُمَمِ خَلاَصُكَ.

(مز ٧٢: ١١) وَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ الْمُلُوكِ. كُلُّ الأُمَمِ تَتَعَبَّدُ لَهُ.

(مز ٨٦: ٩) كُلُّ الأُمَمِ الَّذِينَ صَنَعْتَهُمْ يَأْتُونَ وَيَسْجُدُونَ أَمَامَكَ يَا رَبُّ، وَيُمَجِّدُونَ اسْمَكَ.

(مز ٩٦: ١٠) قُولُوا بَيْنَ الأُمَمِ: «الرَّبُّ قَدْ مَلَكَ. أَيْضًا تَثَبَّتَتِ الْمَسْكُونَةُ فَلاَ تَتَزَعْزَعُ. يَدِينُ الشُّعُوبَ بِالاسْتِقَامَةِ».

(مز ١٠٥: ١) اِحْمَدُوا الرَّبَّ. ادْعُوا بِاسْمِهِ. عَرِّفُوا بَيْنَ الأُمَمِ بِأَعْمَالِهِ.

أعتقد أن الأعداد لا تحتاج إلى شرح. فالمسيح هو مخلص العالم وملك العالم، الذي ستسجد له كل الشعوب وتخضع له وتحمده وهو يملك عليهم، وأسلوب قيادته هو القداسة والبر والاستقامة.

*** نبوات سفر إشعياء:**

(إش ٢: ٢) وَيَكُونُ فِي آخِرِ الأَيَّامِ أَنَّ جَبَلَ بَيْتِ الرَّبِّ يَكُونُ ثَابِتًا فِي رَأْسِ الْجِبَالِ، وَيَرْتَفِعُ فَوْقَ التِّلاَلِ، وَتَجْرِي إِلَيْهِ كُلُّ الأُمَمِ.

(إش ٩: ٢،٣) اَلشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا. الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظِلاَلِ الْمَوْتِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ. أَكْثَرْتَ الأُمَّةَ. عَظَّمْتَ لَهَا الْفَرَحَ. يَفْرَحُونَ أَمَامَكَ كَالْفَرَحِ فِي الْحَصَادِ. كَالَّذِينَ يَبْتَهِجُونَ عِنْدَمَا يَقْتَسِمُونَ غَنِيمَةً.

(إش ١١: ١-٩) وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى وَيَنْبُتُ غُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ. وَلَذَّتُهُ تَكُونُ فِي مَخَافَةِ الرَّبِّ فَلاَ يَقْضِي بِحَسَبِ نَظَرِ عَيْنَيْهِ وَلاَ يَحْكُمُ بِحَسَبِ سَمْعِ أُذُنَيْهِ بَلْ يَقْضِي بِالْعَدْلِ لِلْمَسَاكِينِ وَيَحْكُمُ بِالإِنْصَافِ لِبَائِسِي الأَرْضِ وَيَكُونُ الْبِرُّ مِنْطَقَةَ مَتْنَيْهِ وَالأَمَانَةُ مِنْطَقَةَ حَقَوَيْهِ... لاَ يَسُوؤُونَ وَلاَ يُفْسِدُونَ فِي كُلِّ جَبَلِ قُدْسِي لأَنَّ الأَرْضَ تَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ كَمَا تُغَطِّي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ.

(إش ٤٣: ٦-٩) أَقُولُ لِلشَّمَالِ: أَعْطِ وَلِلْجَنُوبِ: لاَ تَمْنَعْ. ايتِ بِبَنِيَّ مِنْ بَعِيدٍ وَبَنَاتِي مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ. بِكُلِّ مَنْ دُعِيَ بِاسْمِي وَلِمَجْدِي خَلَقْتُهُ جَبَلْتُهُ وَصَنَعْتُهُ. أَخْرِجِ الشَّعْبَ الأَعْمَى وَلَهُ عُيُونٌ وَالأَصَمَّ وَلَهُ آذَانٌ. اِجْتَمِعُوا يَا كُلَّ الأُمَمِ مَعًا وَلْتَلْتَئِمِ الْقَبَائِلُ. مَنْ مِنْهُمْ يُخْبِرُ بِهَذَا وَيُعْلِمُنَا بِالأَوَّلِيَّاتِ؟

(إش ٤٩: ١) اِسْمَعِي لِي أَيَّتُهَا الْجَزَائِرُ وَاصْغُوا أَيُّهَا الأُمَمُ مِنْ بَعِيدٍ: الرَّبُّ مِنَ الْبَطْنِ دَعَانِي. مِنْ أَحْشَاءِ أُمِّي ذَكَرَ اسْمِي

(إش ٤٩: ٢٢) هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: «هَا إِنِّي أَرْفَعُ إِلَى الأُمَمِ يَدِي وَإِلَى الشُّعُوبِ أُقِيمُ رَايَتِي فَيَأْتُونَ بِأَوْلاَدِكِ فِي الأَحْضَانِ وَبَنَاتُكِ عَلَى الأَكْتَافِ يُحْمَلْنَ.

(إش ٦٠: ٣) فَتَسِيرُ الأُمَمُ فِي نُورِكِ، وَالْمُلُوكُ فِي ضِيَاءِ إِشْرَاقِكِ.

(إش ٦٢: ٢) فَتَرَى الأُمَمُ بِرَّكِ، وَكُلُّ الْمُلُوكِ مَجْدَكِ. وَتُسَمَّيْنَ بِاسْمٍ جَدِيدٍ يُعَيِّنُهُ فَمُ الرَّبِّ.

(إش ٦٦: ١٨) وَأَنَا أَجَازِي أَعْمَالَهُمْ وَأَفْكَارَهُمْ. حَدَثَ لِجَمْعِ كُلِّ الأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. فَيَأْتُونَ وَيَرَوْنَ مَجْدِي.

(إش ٦٦: ١٩) وَأَجْعَلُ فِيهِمْ آيَةً. وَأُرْسِلُ مِنْهُمْ نَاجِينَ إِلَى الأُمَمِ. إِلَى تَرْشِيشَ وَفُولَ وَلُودَ النَّازِعِينَ فِي الْقَوْسِ. إِلَى تُوبَالَ وَيَاوَانَ. إِلَى الْجَزَائِرِ الْبَعِيدَةِ الَّتِي لَمْ تَسْمَعْ خَبَرِي وَلاَ رَأَتْ مَجْدِي. فَيُخْبِرُونَ بِمَجْدِي بَيْنَ الأُمَمِ.

*** نبوات سفر إرميا:**

(إر ٣: ١٧) فِي ذلِكَ الزَّمَانِ يُسَمُّونَ أُورُشَلِيمَ كُرْسِيَّ الرَّبِّ. وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهَا كُلُّ الأُمَمِ، إِلَى اسْمِ الرَّبِّ، إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَلاَ يَذْهَبُونَ بَعْدُ وَرَاءَ عِنَادِ قَلْبِهِمِ الشِّرِّيرِ.

(إر ١٦: ١٩) يَا رَبُّ، عِزِّي وَحِصْنِي وَمَلْجَإِي فِي يَوْمِ الضِّيقِ، إِلَيْكَ تَأْتِي الأُمَمُ مِنْ أَطْرَافِ الأَرْضِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّمَا وَرِثَ آبَاؤُنَا كَذِبًا وَأَبَاطِيلَ وَمَا لاَ مَنْفَعَةَ فِيهِ.

(إر ٣١: ١٠) اِسْمَعُوا كَلِمَةَ الرَّبِّ أَيُّهَا الأُمَمُ، وَأَخْبِرُوا فِي الْجَزَائِرِ الْبَعِيدَةِ، وَقُولُوا: مُبَدِّدُ إِسْرَائِيلَ يَجْمَعُهُ وَيَحْرُسُهُ كَرَاعٍ قَطِيعَهُ.

*** نبوة دانيآل:**

(دا ٧: ١٣،١٤) كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ، فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ. وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ.

أكتفي بهذه النبوات بالرغم من أن غيرها كثير جدا. وللأسف كان اليهود يظنون أن الخلاص لليهود فقط. وأن المسيا المنتظر لهم فقط. وكانوا ينظرون للأمم بحقارة. بالرغم من أن أنبياء كثيرين يهودًا تكلموا وبشروا الأمم مثل يونان ودانيآل. بل راعوث وأيوب ليسا من اليهود أصلًا.

تاسعًا إسرائيل الحقيقي:

الدارس المدقق يستطيع أن يرى إسرائيل الحقيقي - إسرائيل الجديد - في قلب العهد القديم الذي يتكوَّن من كل منْ يعرف الرب معرفة حقيقية من اليهود والأمم. فستنضم الأمم إلى إسرائيل الجديد (إش ٢: ٢). وسيكون لهم نصيب في البركة الموعود بها (إر ٤: ٢). وسيكون هناك خروج جديد مثل الخروج الأول فيه خلاص وفداء أعظم (إر ٣١: ١١؛ إش ٤٣: ١٦؛ ٤٤: ٢٣). وستكون هناك عبادة جديدة (حز ٤٠؛ إش ٢: ٢؛ ٥٦: ٦ - ٧). وسيكون هناك عصر سلام وأمان (إش ٩).

ولقد تحقق كل هذا في شخص الرب يسوع المسيح. وقد أدركت الكنيسة الأولى أنها «إسرائيل الله» (غلا ٦: ١٦) إسرائيل الحقيقي الذي يتكوَّن من نسل إبراهيم الروحي، أي كل من يسير على خطوات إيمان أبينا إبراهيم (رو ٤: ١٢). يقول الرسول بولس: «لأَنْ لَيْسَ جَمِيعُ الَّذِينَ مِنْ إِسْرَائِيلَ هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ وَلاَ لأَنَّهُمْ مِنْ نَسْلِ إِبْرَاهِيمَ هُمْ جَمِيعًا أَوْلاَدٌ. أَيْ لَيْسَ أَوْلاَدُ الْجَسَدِ هُمْ أَوْلاَدَ اللهِ بَلْ أَوْلاَدُ الْمَوْعِدِ يُحْسَبُونَ نَسْلًا» (رو ٩: ٦ ـ ٨). ويصل بنا الرسول لأعلى درجات السمو ويوضح أن إسرائيل الحقيقي، أو نسل إبراهيم الحقيقي هو المسيح فيقول: «وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ. لاَ يَقُولُ وَفِي الأَنْسَالِ كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ. بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ. وَفِي نَسْلِكَ الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ» (غلا ٣: ١٦ ـ ١٩).

فنسل إبراهيم الحقيقي هو المسيح ونسله، أي كل من قبل المسيح ربًا ومخلصًا. لذلك يقول الرسول بأجلى بيان: «فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ فَأَنْتُمْ إِذًا نَسْلُ إِبْرَاهِيمَ، وَحَسَبَ الْمَوْعِدِ وَرَثَةٌ» (غلا ٣: ٢٩).

لذلك عندما قال اليهود للمسيح: إِنَّنَا ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ... أَبُونَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ. قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: لَوْ كُنْتُمْ أَوْلاَدَ إِبْرَاهِيمَ لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ!... أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا» (يو ٨: ٣٣ ـ ٤٤).

وقال لهم المسيح بوضوح بعد ذلك: «يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا وَلَمْ تُرِيدُوا. ٣٨هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا!» (مت ٢٣: ٣٧، ٣٨).

وأعلن المسيح عن انتهاء دور أُورشليم كمركز للعبادة. عندما سألته المرأة السامرية قائلة: «آبَاؤُنَا سَجَدُوا فِي هَذَا الْجَبَلِ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّ فِي أُورُشَلِيمَ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُسْجَدَ فِيهِ. قَالَ لَهَا يَسُوعُ: يَا امْرَأَةُ صَدِّقِينِي أَنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ لاَ فِي هَذَا الْجَبَلِ وَلاَ فِي أُورُشَلِيمَ تَسْجُدُونَ لِلآبِ. أَنْتُمْ تَسْجُدُونَ لِمَا لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَمَّا نَحْنُ فَنَسْجُدُ لِمَا نَعْلَمُ... تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الآنَ حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ لأَنَّ الآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هَؤُلاَءِ السَّاجِدِينَ لَهُ» (يو ٤: ٢٠ ـ ٢٣).

المراجع

(١) هنرى بولاد اليسوعى، «الإنسان» ١٩٨٢ م.

(٢) د. القس صموئيل حبيب (الكنيسة والتنمية) دار الثقافة ٩١م صـ١٨.

(3) The expositor's Bible Commentary. V. 8., p. 417.

(٤) كوستى بندلي: إسرائيل بين الدعوة والرفض، ص ٢٨ ـ ٢٩.

(5) The Interpreter's one-volume Commentary on the Bible., P. 659.

(٦) كوستى بندلي. إسرائيل بين الدعوة والرفض، ص ٢٨.

(7) Wallace M. Alston: Guides to the Reformed Tradition «The Church» p. 18.

(8) The Zondervan Pictorial Encyclopedia of the Bible. V. 4. p. 416.

(٤٤)

من هو إله العهد القديم؟

من هو إله العهد القديم؟ ما هي الصورة التي يقدمها لنا العهد القديم عن الله؟ هل إله العهد القديم هو فعلًا إله حروب وسفك دماء؟ وهل هو فعلًا لا يعرف الرأفة ولا الرحمة؟ وهل إله العهد الجديد هو إله آخر مختلف عن إله العهد القديم؟ هل حدث تغيير في ذات الله وهو المنزَّه عن التغيير الأزلي والأبدي؟ وهل يمكن أن يكون الله واحد ولكنّه يتعامل بطريقة مختلفة في العهد الجديد عنها في العهد القديم؟

في الحقيقة نحن مجربون بأن نرسم صورة مغلوطة عن الله بسبب دراستنا لنصوص كتابية ناقصة، أو منزوعة من قرينتها، أو بعيدًا عن خلفيتها التاريخية، وسياقها اللاهوتي. لكن دعونا نكوِّن مفهومًا صحيحًا عن الله في العهد القديم كما أعلن هو عن نفسه وعن طبيعته الشاملة والكاملة بكل وضوح في الكلمة المقدسة.

(١) الإله الخالق المعتني:

إن أول شيء يقدمه لنا الكتاب المقدس عن الله في الإصحاحات الثلاثة الأولى من سفر التكوين أنه الخالق المعتني، فهو الذي خلق الكون بكل ما فيه، وأبدع في صنعه، لذلك يقول المرنم: «مَا أَعْظَمَ أَعْمَالَكَ يَا رَبُّ! كُلَّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ. مَلآنَةٌ الأَرْضُ مِنْ غِنَاكَ» (مز ١٠٤: ٢٤). والعالم كله موضوع اهتمام الله ومحبته وعنايته ورعايته. إنه يهتم بطيور السماء وزنابق الحقل (مت ٦: ٢٦ - ٢٨). يهتم بكل حيوانات البرية (مز ٥٠: ١٠،١١). وهو يعتني بكل إنسان، أيًا كان جنسه أو دينه أو لونه أو معتقده، لأن الكل أبناء الله بحكم الخلق، لذلك يقول بولس: «الإِلهُ الَّذِي خَلَقَ الْعَالَمَ وَكُلَّ مَا فِيهِ.... وَصَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الأَرْضِ، لِكَيْ يَطْلُبُوا اللهَ لَعَلَّهُمْ يَتَلَمَّسُونَهُ فَيَجِدُوهُ، مَعَ أَنَّهُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا لَيْسَ بَعِيدًا.... لأَنَّنَا أَيْضًا ذُرِّيَّتُهُ. فَإِذْ نَحْنُ ذُرِّيَّةُ اللهِ» (أع ١٧: ٢٥ - ٢٩). وقال المسيح: «يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ» (مت ٥: ٤٥).

ولذلك أقول إن الله يحب كل إنسان، لأن كل إنسان صنعة يده ومخلوق على صورته، سواء كان يهوديًا أو أدوميًا أو كنعانيًا أو فلسطينيًا، وسواء كان مسيحيًا أو مسلمًا أو بوذيًا أو هندوسيًا أو ملحدًا، فهو لا يميز بين إنسان وآخر، ولا بين شعب وآخر، ولا بين دين وآخر، إذ ليس عند الله محاباة، والله لا يكيل بمكيالين، وإذا قلنا إن الله يميز شعب عن آخر، أو فرد عن آخر نحن نهين الله. فما رأيك في مدرس يعطي درجات أعلى للطلبة الذين ينتمون إلى نفس دينه، ألا تحتقر هذا المدرس؟ فكم بالحري الله العظيم!

(٢) إله النعمة المتفاضلة:

فنجد هذا الإله العظيم بعد السقوط يأتي بذاته ليبحث عن آدم قائلًا: «أين أنت؟» (تك ٣: ٩). ويصنع أقمصة من جلد ويكسيه. ثم نراه يبادر ويدخل في عهد مع إبراهيم واعدًا إياه بأن يكون بركة للعالم، وأن يتبارك العالم من خلاله «وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ» (تك ١٢: ١- ٣). ثم نجده يكرر عبارة «وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ» إلى كل من إبراهيم وإسحق ويعقوب (تك ١٢: ٣؛ ١٨: ١٨؛ ٢٨: ٣؛ ٣٥: ١١؛ ٤٩: ١٠).

(٣) إله المحبة الكاملة:

يعلن لنا الكتاب المقدس أن الله محبة، وأنه يحب كل العالم. فهو لا يسر بموت الشرير، بل يريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون. وأنه «لِلرَّبِّ الأَرْضُ وَمِلْؤُهَا، الْمَسْكُونَةُ وَكُلُّ السَّاكِنِينَ فِيهَا» (مز ٢٤: ١). لقد أرسل يونان إلى نينوى وقال له: «قُمِ اذْهَبْ إِلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ وَنَادِ عَلَيْهَا، لأَنَّهُ قَدْ صَعِدَ شَرُّهُمْ أَمَامِي» (يون ١: ٢) وللأسف رفض يونان وقام وهرب إلى ترشيش. إن نينوى من وجهة نظره بلد أممي، والأمم بالنسبة لليهود كلاب، إلى جانب أنها عاصمة مملكة أشور التي هي بلاد العراق الآن. وكانت تعيش في صراع مع إسرائيل. والغريب أنه بعد الأسلوب الدرامي الذي استخدمه الرب معه ليذهب، فذهب ونادى للشعب بالتوبة وتابوا، جلس حزينًا إذ نقرأ «فَغَمَّ ذلِكَ يُونَانَ غَمًّا شَدِيدًا، فَاغْتَاظَ. وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: آهِ يَا رَبُّ، أَلَيْسَ هذَا كَلاَمِي إِذْ كُنْتُ بَعْدُ فِي أَرْضِي؟ لِذلِكَ بَادَرْتُ إِلَى الْهَرَبِ إِلَى تَرْشِيشَ، لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ إِلهٌ رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشَّرِّ فَالآنَ يَا رَبُّ، خُذْ نَفْسِي مِنِّي، لأَنَّ مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي» (يون ٤: ١-٣). وحزن يونان لأن الله رؤوف ورحيم ورجع عن حمو غضبه. لقد كان يونان يريد خراب المدينة لأنها أممية. وعندما خرج يونان من المدينة وجلس شرقي المدينة أراد الله أن يصحح مفاهيمه ليدرك أن الله هو إله كل الخليقة، وأن كل الشعوب له. لذلك أعدَّ له يقطينة وارتفعت وظللت عليه ولكنها في اليوم التالي يبست. وهنا حزن يونان حزنًا شديدًا وطلب الموت لنفسه. فقال له الله: أَنْتَ شَفِقْتَ عَلَى الْيَقْطِينَةِ الَّتِي لَمْ تَتْعَبْ فِيهَا وَلاَ رَبَّيْتَهَا، الَّتِي بِنْتَ لَيْلَةٍ كَانَتْ وَبِنْتَ لَيْلَةٍ هَلَكَتْ. أَفَلاَ أَشْفَقُ أَنَا عَلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يُوجَدُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رِبْوَةً مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ يَمِينَهُمْ مِنْ شِمَالِهِمْ، وَبَهَائِمُ كَثِيرَةٌ؟» (يون ٤: ١٠، ١١). نعم إنه يشفق على نينوى وعلى كل شعب، وعلى كل إنسان، لأن كل إنسان له. إن الله لا يُحد في شعب ولا في جماعة، إنه يحب كل العالم.

لقد قال الرب يسوع: «لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ... لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ» (يو ٣: ١٦و١٧) ويعلق وليم باركلي على هذه الآية قائلًا: «إن العالم كله دائرة محبته، ليس أمة واحدة وبقية الأمم لا... ليس الناس الطيبون والأشرار لا... ليس الذين يحبونه والذين يبغضونه لا. إن الله يحب الجميع، الذين لا صورة لهم ولا جمال في حياتهم، والذين لا يذكرون اسمه إطلاقًا. إن دائرة محبة الله الواسعة تشمل الجميع»[1].

(٤) إله يرفض العنف والقتل وسفك الدماء:

إله العهد القديم ليس كما يظن البعض إله

قتل وسفك دماء. إنه يقول في الوصية السادسة من الوصايا العشر: «لاَ تَقْتُلْ» (خر ٢٠:١٣). ويقول الحكيم: «هذِهِ السِّتَّةُ يُبْغِضُهَا الرَّبُّ... أَيْدٍ سَافِكَةٌ دَمًا بَرِيئًا» (أم ٦: ١٦- ١٨).

ويوبخ الرب شعبه على لسان إرميا قائلًا: «أَتَسْرِقُونَ وَتَقْتُلُونَ وَتَزْنُونَ وَتَحْلِفُونَ كَذِبًا وَتُبَخِّرُونَ لِلْبَعْلِ وَتَسِيرُونَ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لَمْ تَعْرِفُوهَا ثُمَّ تَأْتُونَ وَتَقِفُونَ أَمَامِي فِي هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي دُعِيَ بِاسْمِي عَلَيْهِ... هَلْ صَارَ هَذَا الْبَيْتُ الَّذِي دُعِيَ بِاسْمِي عَلَيْهِ مَغَارَةَ لُصُوصٍ فِي أَعْيُنِكُمْ؟ (إر ٧: ٩-١١).

ويقول على لسان إشعياء: «لِمَاذَا لِي كَثْرَةُ ذَبَائِحِكُمْ؟» يَقُولُ الرَّبُّ «اتَّخَمْتُ مِنْ مُحْرَقَاتِ كِبَاشٍ وَشَحْمِ مُسَمَّنَاتٍ وَبِدَمِ عُجُولٍ وَخِرْفَانٍ وَتُيُوسٍ مَا أُسَرُّ. فَحِينَ تَبْسُطُونَ أَيْدِيَكُمْ أَسْتُرُ عَيْنَيَّ عَنْكُمْ وَإِنْ كَثَّرْتُمُ الصَّلاَةَ لاَ أَسْمَعُ. أَيْدِيكُمْ مَلآنَةٌ دَمًا» (إش ١: ١١-١٧).

ولكن قد يسأل البعض قائلًا: إذًا لماذا قال الرب في العهد القديم:

«وَإِذَا أَحْدَثَ إِنْسَانٌ فِي قَرِيبِهِ عَيْبًا فَكَمَا فَعَلَ كَذلِكَ يُفْعَلُ بِهِ. كَسْرٌ بِكَسْرٍ وَعَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. كَمَا أَحْدَثَ عَيْبًا فِي الإنسان كَذلِكَ يُحْدَثُ فِيهِ» (لا ٢٤: ١٩-٢٠. راجع خر ٢١: ٢٣- ٢٥).

«مَنْ ضَرَبَ إِنْسَانًا فَمَاتَ يُقْتَلُ قَتْلًا» (خر ٢١:١٢).

«وَإِذَا بَغَى إِنْسَانٌ عَلَى صَاحِبِهِ لِيَقْتُلَهُ بِغَدْرٍ فَمِنْ عِنْدِ مَذْبَحِي تَأْخُذُهُ لِلْمَوْتِ» (خر ٢١: ١٤-١٧).

أليست هذه التعاليم في العهد القديم تشجع على الانتقام؟ عندما يعلِّم بأن من يخلع عينك تخلع عينه، ومن يكسر يدك تكسر يده ..إلخ. أليست تعاليم تشجع على الانتقام؟

نقول كلا لعدة أسباب وهي:

أ - عندما أُعطيت هذه الشريعة كان المجتمع تحكمه قوانين الغابة. وكانت المجتمعات عبارة عن قبائل همجية. عندما تحدث مشاجرة بين شخصين ويكسر أحدهما ذراع الآخر، تهجم قبيلته على قبيلة الشخص الآخر وتقتل منهم عددًا كبيرًا. فجاءت شريعة العدل أو المعاملة بالمثل. وكأن الله يقول لهم «طبقوا العدل» إذا كسر إنسان يد آخر لا يجب أن تحطموا جسده كله بل تُكسَر يده فقط. وإذا قلع إنسان عين آخر لا يجب أن تقتلوه، أو تقتلوا أولاده بل لتُقلَع عينه فقط. لقد كانت شريعة العدل، وهي بداية الرحمة، وكان هدفها الحد من الانتقام.

ب – يقول د. جون ستوت: إن هذه الشريعة كما توضح القرينة أُعطيت إلى قضاة بني إسرائيل (تث ١٩: ١٧ – ٢١). فهي شريعة قضائية يطبقها القضاة وليس الأفراد، لأن موسى كان يكوِّن مجتمعًا مدنيًا له أسس وقواعد ومبادئ تقوم على العدالة والمساواة». ويضيف د. ستوت: لذلك كانت الشريعة تأمر بقتل القاتل عمدًا، فيقول الوحي: «سَافِكُ دَمِ الإنسان بِالإنسان يُسْفَكُ دَمُهُ، لأَنَّ اللهَ عَلَى صُورَتِهِ عَمِلَ الإنسان» (تك ٩:٦). وأيضًا: «مَنْ ضَرَبَ إِنْسَانًا فَمَاتَ يُقْتَلُ قَتْلًا» (خر ٢١:١٢). وتأمر بقتل من يشتم أباه أو أمه أو من يضربهما، ومن يسرق إنسانًا ليمتلكه أو يبيعه، والزاني والزانية...الخ. فيقول الوحي:

«وَإِذَا بَغَى إِنْسَانٌ عَلَى صَاحِبِهِ لِيَقْتُلَهُ بِغَدْرٍ فَمِنْ عِنْدِ مَذْبَحِي تَأْخُذُهُ لِلْمَوْتِ. وَمَنْ ضَرَبَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يُقْتَلُ قَتْلًا. وَمَنْ سَرَقَ إِنْسَانًا وَبَاعَهُ أَوْ وُجِدَ فِي يَدِهِ يُقْتَلُ قَتْلًا. وَمَنْ شَتَمَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يُقْتَلُ قَتْلًا» (خر ٢١: ١٤-١٧). وقد كانت هذه القوانين أداة للتأديب والتهذيب وحماية للمجتمع من عبث العابثين. فلا يمكن أن يكون هناك مجتمع بلا قوانين تحكمه»[٢].

ج – ما ورد في الشريعة ليس قاعدة يتبعها الفرد في حياته الخاصة. فيأخذ حقه بنفسه. كلا. لكن عليه أن يلجأ للقضاء. وفي نفس الوقت نجد العهد القديم يعلّم بالمحبة والتسامح والغفران (أم ٢٤: ١٩؛ ٢٥: ٢١؛ خر ٢٢: ٢١؛ ٢٣: ٤). فيمكن للفرد أن يسامح ويغفر ولا يلجأ للقضاء. كما هو اليوم.

(٥) إله العهد القديم يحذرنا من شهادة الزور:

فيقول في الوصية التاسعة من الوصايا العشر: «لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ» (خر ٢٠: ١٦). ويقول الحكيم: «هذِهِ السِّتَّةُ يُبْغِضُهَا الرَّبُّ... شَاهِدُ زُورٍ يَفُوهُ بِالأَكَاذِيبِ» (أم ٦: ١٦-١٨).

(٦) إله العهد القديم يحذرنا حتى من الغضب:

فيقول على لسان داود: «كُفَّ عَنِ الْغَضَبِ، وَاتْرُكِ السَّخَطَ» (مز ٣٧:٨). ويصل بنا إلى أعلى درجات الرقي فيقول على لسان الحكيم: «فِكْرُ الْحَمَاقَةِ خَطِيَّةٌ» (أم ٢٤:٩).

ويقدم لنا عدة نصائح غالية فيقول:

«بَطِيءُ الْغَضَبِ كَثِيرُ الْفَهْمِ» (أم ١٤:٢٩).

«الْجَوَابُ اللَّيِّنُ يَصْرِفُ الْغَضَبَ وَالْكَلاَمُ الْمُوجِعُ يُهَيِّجُ السَّخَطَ» (أم ١٥:١).

«اَلْبَطِيءُ الْغَضَبِ خَيْرٌ مِنَ الْجَبَّارِ وَمَالِكُ رُوحِهِ خَيْرٌ مِمَّنْ يَأْخُذُ مَدِينَةً» (أم ١٦:٣٢).

ويقول في سفر الجامعة:

«لاَ تُسْرِعْ بِرُوحِكَ إِلَى الْغَضَبِ لأَنَّ الْغَضَبَ يَسْتَقِرُّ فِي حِضْنِ الْجُهَّالِ» (جا ٧:٩).

(٧) إله العهد القديم يبغض الكذب ويحب الصدق:

نهي الرب في العهد القديم عن الكذب فأوصى شعبه قائلًا: «لاَ تَكْذِبُوا» (لا ١٩: ١١). وقال أيضًا: «لاَ تَقْبَلْ خَبَرًا كَاذِبًا» (خر ٢٣: ١). «اِبْتَعِدْ عَنْ كَلاَمِ الْكَذِبِ» (خر ٢٣: ٧). ويقول على لسان الحكيم: «كَرَاهَةُ الرَّبِّ شَفَتَا كَذِبٍ. أَمَّا الْعَامِلُونَ بِالصِّدْقِ فَرِضَاهُ» (أم ١٢: ٢٢).

«هذِهِ السِّتَّةُ يُبْغِضُهَا الرَّبُّ.. لِسَانٌ كَاذِبٌ» (أم ٦: ١٦- ١٨).

«لاَ يَسْكُنُ وَسَطَ بَيْتِي عَامِلُ غِشٍّ. الْمُتَكَلِّمُ بِالْكَذِبِ لاَ يَثْبُتُ أَمَامَ عَيْنَيَّ» (مز ١٠١: ٧).

«شَاهِدُ الزُّورِ لاَ يَتَبَرَّأُ. وَالْمُتَكَلِّمُ بِالأَكَاذِيبِ لاَ يَنْجُو» (أم ١٩: ٥).

ويقول عن عقاب الكذابين: «تُهْلِكُ الْمُتَكَلِّمِينَ بِالْكَذِبِ. رَجُلُ الدِّمَاءِ وَالْغِشِّ يَكْرَهُهُ الرَّبُّ» (مز ٥: ٦).

(٨) إله العهد القديم يعلمنا الأمانة:

فيقول في الوصية الثامنة من الوصايا العشر: «لاَ تَسْرِقْ» (خر ٢: ١٥). وقال أيضًا: «لاَ تَسْرِقُوا» (لا ١٩: ١١).

وأوصى الرب بأن يعوض السارق عن الشيء الذي سرقه بعدة أضعاف فيقول: «إِذَا سَرَقَ إِنْسَانٌ ثَوْرًا أَوْ شَاةً فَذَبَحَهُ أَوْ بَاعَهُ. يُعَوِّضُ عَنِ الثَّوْرِ بِخَمْسَةِ

ثِيرَانٍ. وَعَنِ الشَّاةِ بِأَرْبَعَةٍ مِنَ الْغَنَمِ» (خر ٢٢: ١).

وَقال الرَّبُّ لمُوسَى أيضًا: «إِذَا أَخْطَأَ أَحَدٌ وَخَانَ خِيَانَةً بِالرَّبِّ. وَجَحَدَ صَاحِبَهُ وَدِيعَةً أَوْ أَمَانَةً أَوْ مَسْلُوبًا. أَوِ اغْتَصَبَ مِنْ صَاحِبِهِ. أَوْ وَجَدَ لُقَطَةً وَجَحَدَهَا. وَحَلَفَ كَاذِبًا عَلَى شَيْءٍ مِنْ كُلِّ مَا يَفْعَلُهُ الإنسان مُخْطِئًا بِهِ. فَإِذَا أَخْطَأَ وَأَذْنَبَ. يَرُدُّ الْمَسْلُوبَ الَّذِي سَلَبَهُ، أَوِ الْمُغْتَصَبَ الَّذِي اغْتَصَبَهُ، أَوِ الْوَدِيعَةَ الَّتِي أُودِعَتْ عِنْدَهُ، أَوِ اللُّقَطَةَ الَّتِي وَجَدَهَا. أَوْ كُلَّ مَا حَلَفَ عَلَيْهِ كَاذِبًا. يُعَوِّضُهُ بِرَأْسِهِ. وَيَزِيدُ عَلَيْهِ خُمُسَهُ. إِلَى الَّذِي هُوَ لَهُ يَدْفَعُهُ يَوْمَ ذَبِيحَةِ إِثْمِهِ» (لا ٦: ١-٥). ويضيف: «مِيزَانُ حَقٍّ، وَوَزْنَاتُ حَقٍّ، وَإِيفَةُ حَقٍّ، وَهِينُ حَقٍّ تَكُونُ لَكُمْ» (لا ١٩: ٣٣-٣٦).

(٩) إله العهد القديم يحذرنا من المحاباة في إصدار الأحكام:

أرجو أن تقرأ هذه الآيات وتتأمل فيها:

«لاَ تَرْتَكِبُوا جَوْرًا فِي الْقَضَاءِ. لاَ تَأْخُذُوا بِوَجْهِ مِسْكِينٍ وَلاَ تَحْتَرِمُ وَجْهَ كَبِيرٍ. بِالْعَدْلِ تَحْكُمُ» (لا ١٩: ١٥).

«لاَ تَرْتَكِبُوا جَوْرًا فِي الْقَضَاءِ. لاَ فِي الْقِبَابِ، وَلاَ فِي الْوَزْنِ. وَلاَ فِي الْكَيْلِ» (لا ١٩: ٣٥).

«وَلاَ تُحَابِ مَعَ الْمِسْكِينِ فِي دَعْوَاهُ... لاَ تُحَرِّفْ حَقَّ فَقِيرِكَ فِي دَعْوَاهُ. وَلاَ تَقْتُلِ الْبَرِيءَ وَالْبَارَّ لأَنِّي لاَ أُبَرِّرُ الْمُذْنِبَ... وَلاَ تَأْخُذْ رَشْوَةً، لأَنَّ الرَّشْوَةَ تُعْمِي الْمُبْصِرِينَ، وَتُعَوِّجُ كَلاَمَ الأَبْرَارِ» (خر ٢٣: ١).

«لاَ تَنْظُرُوا إِلَى الْوُجُوهِ فِي الْقَضَاءِ. لِلصَّغِيرِ كَالْكَبِيرِ تَسْمَعُونَ. لاَ تَهَابُوا وَجْهَ إِنْسَانٍ لأَنَّ الْقَضَاءَ لِلّهِ» (تث ١: ١٧).

«لاَ تُعَوِّجْ حُكْمَ الْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ. وَلاَ تَسْتَرْهِنْ ثَوْبَ الأَرْمَلَةِ. وَاذْكُرْ أَنَّكَ كُنْتَ عَبْدًا فِي مِصْرَ فَفَدَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ هُنَاكَ. لِذلِكَ أَنَا أُوصِيكَ أَنْ تَعْمَلَ هذَا الأَمْرَ» (تث ٢٤: ١٧، ١٨).

وقال الله على فم سليمان الحكيم: «مُبَرِّئُ الْمُذْنِبِ وَمُذَنِّبُ الْبَرِيءِ كِلاَهُمَا مَكْرَهَةُ الرَّبِّ» (أم ١٧: ١٥).

وقال الله على فم إرميا النبي: «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: اقْضُوا فِي الصَّبَاحِ عَدْلًا. وَأَنْقِذُوا الْمُغْتَصَبَ مِنْ يَدِ الظَّالِمِ. لِئَلاَّ يَخْرُجَ كَنَارٍ غَضَبِي فَيُحْرِقَ وَلَيْسَ مَنْ يُطْفِئُ، مِنْ أَجْلِ شَرِّ أَعْمَالِكُمْ» (إر ٢١: ١٢).

«اطْلُبُوا الْحَقَّ. انْصِفُوا الْمَظْلُومَ. اقْضُوا لِلْيَتِيمِ. حَامُوا عَنِ الأَرْمَلَةِ» (إش ١: ١٧).

«الرَّبُّ يَمْتَحِنُ الصِّدِّيقَ. أَمَّا الشِّرِّيرُ وَمُحِبُّ الظُّلْمِ فَتُبْغِضُهُ نَفْسُهُ» (مز ١١:٦).

(١٠) إله العهد القديم يعلمنا محبة العدو:

«لاَ تَفْرَحْ بِسُقُوطِ عَدُوِّكَ وَلاَ يَبْتَهِجْ قَلْبُكَ إِذَا عَثَرَ». (أم ٢٤: ١٩).

«إِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ خُبْزًا وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ مَاءً» (أم ٢٥: ٢١).

«إِذَا صَادَفْتَ ثَوْرَ عَدُوِّكَ أَوْ حِمَارَهُ شَارِدًا تَرُدُّهُ إِلَيْهِ» (خر ٢٣: ٤).

«لاَ تَنْتَقِمْ وَلاَ تَحْقِدْ عَلَى أَبْنَاءِ شَعْبِكَ بَلْ تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. أَنَا الرَّبُّ» (لا ١٩: ١٨).

وهنا قد يسأل البعض: لماذا قال المسيح: «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ» (مت ٥: ٤٣ – ٤٤)؟ ألا يدل هذا على أن العهد القديم كان يُعلّم بكراهية العدو؟

كلا. فالعهد القديم يعلمنا محبة العدو كما ذكرت سابقًا. وما يؤكد هذا أيضًا هو أن المسيح يقول: «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ...» ولم يقل «مَكْتُوبٌ...» فقد كانت هذه أقوال الكتبة والفريسيين والناموسيين. ولم تكن تعاليم العهد القديم. فلقد حرَّفوا الوصية لكي يبرروا غريزة الانتقام. لقد استخدموا الدين لخدمة أغراضهم الشخصية. فعبارة «تُبْغِضُ عَدُوَّكَ» لا توجد إطلاقًا في كل العهد القديم. كل ما جاء في الشريعة «تُحِبُّ قَرِيبَكَ» (لا ١٩: ١٨). أما «تُبْغِضُ عَدُوَّكَ» فهي إضافة منهم كتفسير للوصية (اقرأ لاويين ١٩: ٣٤؛ خروج ١٢: ٤٩).

(١١) إله العهد القديم يهتم بالفقير والمحتاج ويوصينا بذلك:

يقول الرب:

«لا تَظْلِمْ أَجِيرًا مِسْكِينًا وَفَقِيرًا مِنْ إِخْوَتِكَ أَوْ مِنَ الْغُرَبَاءِ الَّذِينَ فِي أَرْضِكَ فِي أَبْوَابِكَ. فِي يَوْمِهِ تُعْطِيهِ أُجْرَتَهُ وَلا تَغْرُبُ عَلَيْهَا الشَّمْسُ لأَنَّهُ فَقِيرٌ وَإِلَيْهَا حَامِلٌ نَفْسَهُ لِئَلا يَصْرُخَ عَلَيْكَ إِلَى الرَّبِّ فَتَكُونَ عَلَيْكَ خَطِيَّةٌ» (تث ٢٤: ١٤، ١٥).

«إِنِ ارْتَهَنْتَ ثَوْبَ صَاحِبِكَ فَإِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ تَرُدُّهُ لَهُ لأَنَّهُ وَحْدَهُ غِطَاؤُهُ. هُوَ ثَوْبُهُ لِجِلْدِهِ. فِي مَاذَا يَنَامُ؟ فَيَكُونُ إِذَا صَرَخَ إِلَيَّ أَنِّي أَسْمَعُ لأَنِّي رَأُوفٌ» (خر ٢٢: ٢٦، ٢٧).

«وَعِنْدَمَا تَحْصُدُونَ حَصِيدَ أَرْضِكُمْ لاَ تُكَمِّلْ زَوَايَا حَقْلِكَ فِي الْحَصَادِ. وَلُقَاطَ حَصِيدِكَ لاَ تَلْتَقِطْ. وَكَرْمَكَ لاَ تُعَلِّلْهُ. وَنِثَارَ كَرْمِكَ لاَ تَلْتَقِطْ. لِلْمِسْكِينِ وَالْغَرِيبِ تَتْرُكُهُ. أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ» (لا ١٩: ٩-١١).

(١٢) إله العهد القديم يهتم باليتيم والأرملة ويوصينا بذلك:

فيقول الوحي عن الرب: «الْجَارِي حُكْمًا لِلْمَظْلُومِينَ. الْمُعْطِي خُبْزًا لِلْجِيَاعِ. الرَّبُّ يُطْلِقُ الأَسْرَى... الرَّبُّ يَحْفَظُ الْغُرَبَاءَ. يَعْضُدُ الْيَتِيمَ وَالأَرْمَلَةَ» (مز ١٤٦: ٧ – ٩).

«الصَّانِعُ حَقَّ الْيَتِيمِ وَالأَرْمَلَةِ. وَالْمُحِبُّ الْغَرِيبَ لِيُعْطِيَهُ طَعَامًا وَلِبَاسًا» (تث ١٠:١٨).

ولذلك يحذِّر شعبه قائلًا:

«مَلْعُونٌ مَنْ يُعَوِّجُ حَقَّ الْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ وَالأَرْمَلَةِ» (تث ٢٧: ١٩).

«تَعَلَّمُوا فِعْلَ الْخَيْرِ. اطْلُبُوا الْحَقَّ. انْصِفُوا الْمَظْلُومَ. اقْضُوا لِلْيَتِيمِ. حَامُوا عَنِ الأَرْمَلَةِ» (إش ١: ١٧).

«هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: أَجْرُوا حَقًّا وَعَدْلًا. وَأَنْقِذُوا الْمَغْصُوبَ مِنْ يَدِ الظَّالِمِ. وَالْغَرِيبَ وَالْيَتِيمَ وَالأَرْمَلَةَ. لاَ تَضْطَهِدُوا وَلاَ تَظْلِمُوا. وَلاَ تَسْفِكُوا دَمًا زَكِيًّا فِي هذَا الْمَوْضِعِ» (إر ٢٢: ٣).

وأوصى بإخراج العشور لهم «فِي آخِرِ ثَلاَثِ سِنِينَ تُخْرِجُ كُلَّ عُشْرِ مَحْصُولِكَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ وَتَضَعُهُ فِي أَبْوَابِكَ. فَيَأْتِي اللاَّوِيُّ. لأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ قِسْمٌ وَلاَ نَصِيبٌ مَعَكَ. وَالْغَرِيبُ وَالْيَتِيمُ وَالأَرْمَلَةُ الَّذِينَ فِي أَبْوَابِكَ. وَيَأْكُلُونَ وَيَشْبَعُونَ. لِكَيْ يُبَارِكَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ فِي كُلِّ عَمَلِ يَدِكَ الَّذِي تَعْمَلُ» (تث ١٤: ٢٨، ٢٩).

وأوصى الله بترك بقايا الحصاد لأجلهم «إِذَا حَصَدْتَ حَصِيدَكَ فِي حَقْلِكَ وَنَسِيتَ حُزْمَةً فِي الْحَقْلِ. فَلاَ تَرْجِعْ لِتَأْخُذَهَا. لِلْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ وَالأَرْمَلَةِ تَكُونُ. لِكَيْ يُبَارِكَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ فِي كُلِّ عَمَلِ يَدَيْكَ.

وَإِذَا خَبَطْتَ زَيْتُونَكَ فَلاَ تُرَاجِعِ الأَغْصَانَ وَرَاءَكَ. لِلْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ وَالأَرْمَلَةِ يَكُونُ. إِذَا قَطَفْتَ كَرْمَكَ فَلاَ تُعَلِّلْهُ وَرَاءَكَ. لِلْغَرِيبِ وَالْيَتِيمِ وَالأَرْمَلَةِ يَكُونُ. وَاذْكُرْ أَنَّكَ كُنْتَ عَبْدًا فِي أَرْضِ مِصْرَ. لِذلِكَ أَنَا أُوصِيكَ أَنْ تَعْمَلَ هذَا الأَمْرَ» (تث ٢٤: ١٩ – ٢٢).

(١٣) إله العهد القديم يهتم بالعبد والأمة:

فأوصى بمنحهم أجازة أسبوعية مثل أسيادهم «سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ. وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. لاَ تَصْنَعْ عَمَلًا مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ» (خر ٢: ١).

«وَتَفْرَحُ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَاللاَّوِيُّ الَّذِي فِي أَبْوَابِكَ. وَالْغَرِيبُ وَالْيَتِيمُ وَالأَرْمَلَةُ الَّذِينَ فِي وَسْطِكَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلهُكَ لِيُحِلَّ اسْمَهُ فِيهِ. وَتَذْكُرُ أَنَّكَ كُنْتَ عَبْدًا فِي مِصْرَ وَتَحْفَظُ. وَتَعْمَلُ هذِهِ الْفَرَائِضَ» (تث ١٦: ١١، ١٢).

وكان يمكنهم مشاركة سادتهم في الختان (تك ١٧: ١٠ – ١٤، ٢٧) وفي الأعياد مثل عيد الفصح (خر ١٢: ٤٤، تث ١٦: ١١، ١٤) وفي الراحة الأسبوعية يوم السبت (خر ٢: ١، ٢٣: ١٢). كما أوصى العهد القديم بالأمه. فكان من الممكن أن يتزوج بها سيدها أو ابن سيدها. فإذا قبحت في عينيه فإنه يطلقها حرة.

(١٤) إله العهد القديم يحب الغريب ويهتم به ويوصينا بذلك:

فيقول: «لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ هُوَ إِلهُ الآلِهَةِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ. الإِلهُ الْعَظِيمُ الْجَبَّارُ الْمَهِيبُ الَّذِي لاَ يَأْخُذُ بِالْوُجُوهِ وَلاَ يَقْبَلُ رَشْوَةً. ١٨الصَّانِعُ حَقَّ الْيَتِيمِ وَالأَرْمَلَةِ. وَالْمُحِبُّ الْغَرِيبَ لِيُعْطِيَهُ طَعَامًا وَلِبَاسًا. فَأَحِبُّوا الْغَرِيبَ لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ» (تث ١: ١٧ – ١٩).

ولقد حذر الرب شعبه من مضايقة الغريب أو اضطهاده فقال: «وَلاَ تَضْطَهِدِ الْغَرِيبَ وَلاَ تُضَايِقْهُ لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ» (خر ٢٢: ٢١). وقال أيضًا: «وَلاَ تُضَايِقِ الْغَرِيبَ فَإِنَّكُمْ عَارِفُونَ نَفْسَ الْغَرِيبِ. لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ» (خر ٢٣: ١، ٩).

وأوصى الله بمحبة الغريب وأن تكون محبة الغريب كمحبة النفس فيقول: «وَإِذَا نَزَلَ عِنْدَكَ غَرِيبٌ فِي أَرْضِكُمْ فَلاَ تَظْلِمُوهُ. كَالْوَطَنِيِّ مِنْكُمْ يَكُونُ لَكُمُ الْغَرِيبُ النَّازِلُ عِنْدَكُمْ. وَتُحِبُّهُ كَنَفْسِكَ. لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ. أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ» (لا ١٩: ٣٣-٣٤).

وأوصى الله بترك بقايا الحصاد للمسكين والغريب «وَعِنْدَمَا تَحْصُدُونَ حَصِيدَ أَرْضِكُمْ لاَ تُكَمِّلْ زَوَايَا حَقْلِكَ فِي الْحَصَادِ. وَلُقَاطَ حَصِيدِكَ لاَ تَلْتَقِطْ. وَكَرْمَكَ لاَ تُعَلِّلْهُ. وَنِثَارَ كَرْمِكَ لاَ تَلْتَقِطْ. لِلْمِسْكِينِ وَالْغَرِيبِ تَتْرُكُهُ. أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ.» (لا ١٩: ٩، ١٠).

وسمح الله للغريب أن يعمل فصحًا للرب «وَإِذَا نَزَلَ عِنْدَكُمْ غَرِيبٌ فَلْيَعْمَلْ فِصْحًا لِلرَّبِّ. حَسَبَ فَرِيضَةِ الْفِصْحِ وَحُكْمِهِ كَذلِكَ يَعْمَلُ. فَرِيضَةٌ وَاحِدَةٌ تَكُونُ لَكُمْ لِلْغَرِيبِ وَلِوَطَنِيِّ الأَرْضِ» (عد ٩: ١٤) وللغريب أن يعمل وقود رائحة سرور للرب «وَإِذَا نَزَلَ عِنْدَكُمْ غَرِيبٌ. أَوْ كَانَ أَحَدٌ فِي وَسَطِكُمْ فِي أَجْيَالِكُمْ وَعَمِلَ وَقُودَ رَائِحَةِ سُرُورٍ لِلرَّبِّ. فَكَمَا تَفْعَلُونَ كَذلِكَ يَفْعَلُ» (عد ١٥: ١٤) وسمح له بتقديم ذبيحة خطية (عد ١٥: ٢٩). ويدخلون في جماعة الرب «لا تَكْرَهْ أَدُومِيًّا لأَنَّهُ أَخُوكَ. لا تَكْرَهْ

مِصْرِيًّا لأَنَّكَ كُنْتَ نَزِيلًا فِي أَرْضِهِ. الأَوْلاَدُ الذِينَ يُولدُونَ لهُمْ فِي الجِيلِ الثَّالِثِ يَدْخُلُونَ مِنْهُمْ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ» (تث ٢٣: ٧، ٨).

(١٥) إله العهد القديم يطالبنا بالرحمة والحق:

فيقول الرب لشعبه:

«إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً وَمَعْرِفَةَ اللَّهِ أَكْثَرَ مِنْ مُحْرَقَاتٍ» (هو ٦:٦).

«بَغَضْتُ كَرِهْتُ أَعْيَادَكُمْ وَلَسْتُ أَتَلَذَّذُ بِاعْتِكَافَاتِكُمْ. إِنِّي إِذَا قَدَّمْتُمْ لِي مُحْرَقَاتِكُمْ وَتَقْدِمَاتِكُمْ لاَ أَرْتَضِي وَذَبَائِحَ السَّلاَمَةِ مِنْ مُسَمَّنَاتِكُمْ لاَ أَلْتَفِتُ إِلَيْهَا. أَبْعِدْ عَنِّي ضَجَّةَ أَغَانِيكَ وَنَغْمَةَ رَبَابِكَ لاَ أَسْمَعُ. وَلْيَجْرِ الْحَقُّ كَالْمِيَاهِ وَالْبِرُّ كَنَهْرٍ دَائِمٍ» (عا ٥: ٢١-٢٤).

«قَدْ أَخْبَرَكَ أَيُّهَا الإنسان مَا هُوَ صَالِحٌ. وَمَاذَا يَطْلُبُهُ مِنْكَ الرَّبُّ. إِلاَّ أَنْ تَصْنَعَ الْحَقَّ وَتُحِبَّ الرَّحْمَةَ، وَتَسْلُكَ مُتَوَاضِعًا مَعَ إِلهِكَ» (مي ٦:٨).

(١٦) إله العهد القديم يحذرنا من اشتهاء ما للغير:

فتقول الوصية العاشرة: «لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ » (خر٢٠: ١٧).

(١٧) إله العهد القديم أوصى بالرفق بالحيوان:

فقد أمر الرب بإراحة الحيوان في اليوم السابع (خر ٢٣: ١٢) وأوصى الله بترك الأرض في السنة السابعة بلا زراعة لكي تجد حيوانات البرية طعامها في هذه الأرض فيقول: «وَسِتَّ سِنِينَ تَزْرَعُ أَرْضَكَ وَتَجْمَعُ غَلَّتَهَا، وَأَمَّا فِي السَّابِعَةِ فَتُرِيحُهَا وَتَتْرُكُهَا لِيَأْكُلَ فُقَرَاءُ شَعْبِكَ. وَفَضْلَتُهُمْ تَأْكُلُهَا وُحُوشُ الْبَرِّيَّةِ. كَذلِكَ تَفْعَلُ بِكَرْمِكَ وَزَيْتُونِكَ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ عَمَلَكَ. وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ تَسْتَرِيحُ، لِكَيْ يَسْتَرِيحَ ثَوْرُكَ وَحِمَارُكَ» (خر ٢٣: ١٠، ١١). ويقول: «الْمُنْبِتُ عُشْبًا لِلْبَهَائِمِ، وَخُضْرَةً لِخِدْمَةِ الإنسان، لإِخْرَاجِ خُبْزٍ مِنَ الأَرْضِ» (مز ١٠٤:١٤).

ومن مظاهر الرفق بالحيوان يقول الرب: «لاَ تَحْرُثْ عَلَى ثَوْرٍ وَحِمَارٍ مَعًا» (تث ٢٢: ١٠) لأن قوة وسرعة الثور تختلف عن قوة وسرعة الحمار، فحتى لا يُنهَك الحمار جاءت هذه الوصية. كما أوصى الله من جهة الثور الذي يدرس قائلًا: «لاَ تَكُمَّ الثَّوْرَ فِي دِرَاسِهِ» (تث ٢٥: ٤).

وقد يحتج البعض قائلًا: كيف يأمر العهد القديم برجم الثور النطاح بدلًا من ذبحه وأكل لحمه (خر ٢١: ٢٨)؟ نقول: لقد أمر الله بهذا ليؤكد على قدسية النفس البشرية، وملكيتها لله، الذي له الحق أن يأخذها حينما يشاء، ولذلك فإن العقاب لا يقتصر على الثور وحده بل يسري على صاحب الثور أيضًا إن كان يعلم أن ثوره نطاحًا ولم يذبحه، فيُقتل صاحب الثور، أو يدفع الفدية التي يضعها عليه أهل القتيل «وَلكِنْ إِنْ كَانَ ثَوْرًا نَطَّاحًا مِنْ قَبْلُ، وَقَدْ أُشْهِدَ عَلَى صَاحِبِهِ وَلَمْ يَضْبِطْهُ، فَقَتَلَ رَجُلًا أَوِ امْرَأَةً، فَالثَّوْرُ يُرْجَمُ وَصَاحِبُهُ أَيْضًا يُقْتَلُ. إِنْ وُضِعَتْ عَلَيْهِ فِدْيَةٌ، يَدْفَعُ فِدَاءَ نَفْسِهِ كُلَّ مَا يُوضَعُ عَلَيْهِ» (خر ٢١: ٢٩، ٣٠) ففي رجم الثور وقتل صاحبه عقوبة رادعة لوقف الجريمة، أما الذين يتباكون على الثور، فإن تقديرهم له أكبر من تقديرهم للنفس البشرية.

هذا هو إله العهد القديم الذي يقدمه لنا الوحي، إنه إله المحبة والرحمة والرأفة والغفران، هذا هو الذي ظهر لنا في شخص المسيح ولذلك قيل عنه:

«اَلَّذِي هُوَ صُورَةُ (μορφη) اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ» (كو ١:١٥).

«الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ (χαρακτήρ) وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ» (عب ١: ٣).

«اَللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلاِبْنُ الْوَحِيدُ (μονογενής) الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ (εξηγησατο)» (يو ١: ١٨).

وقال هو عن نفسه:

«أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ» (يو ١٠: ٣٠).

«اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ» (يو ١٤: ٩)

ولكن للأسف:

«إِلَهُ هَذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِئَلاَّ تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ» (٢كو ٤:٤).

المراجع

(١) وليم باركلى: تفسير إنجيل يوحنا الجزء الأول صـ ١٩٧.

(٢) جون ستوت. الموعظة على الجبل. ص١١٩.

المراجع

ترجمات الكتاب المقدس العربية:

١ - الكتاب المقدس. ترجمة كرنيليوس فانديك.

٢ - كتاب الحياة. «ترجمة تفسيرية».

٣ - الترجمة الكاثوليكية. بيروت: منشورات المطبعة الكاثوليكية.

٤ ـ الترجمة العربية المشتركة. دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

ترجمات الكتاب المقدس الإنجليزية:

5- The Living Bible.

6- The American Standard Version.

7- The new American Vtandard Bible Update.

8- The New American Standard Bible.

9- Bible in Basic English.

10- Good News Translation.

11- Today's English Version.

12- THE New International Version.

13- English Standard Version.

14- The King James Version.

15- The New King James Version.

16- Modern King James Version.

17- 1898 Young's Literal Translation.

18- Jewish Publication Society Bible.

19- Apostolic Bible Polyglot.

20- Lexham English Bible.

21- Revised Standard Version of the Bible.

22- The New Revised Standard Version.

23- New Living Translation.

24- The Bible in Contemporary Language.

25- The World English Bible.

26- New Century Version.

27- New English Translation Bible.

28- God's Word Translation.

29- Literal Translation Of The Holy Bible.

30- English Majority Text Version.

المراجع العربية:

٣١- المرشد إلى الكتاب المقدس. بيروت: مجلس كنائس الشرق الأوسط. ١٩٩٦.

٣٢- دائرة المعارف الكتابية. الجزء الأول. القاهرة: دار الثقافة. ١٩٨٨.

٣٣- دائرة المعارف الكتابية. الجزء الثانى. القاهرة: دار الثقافة. ١٩٩٠.

٣٤- دائرة المعارف الكتابية. الجزء الثالث. القاهرة: دار الثقافة. ١٩٩١.

٣٥- دائرة المعارف الكتابية. الجزء الخامس. القاهرة: دار الثقافة. ١٩٩١.

٣٦- دائرة المعارف الكتابية. الجزء السابع. القاهرة: دار الثقافة. ١٩٩٨.

٣٧- دائرة المعارف الكتابية. الجزء الثامن. القاهرة: دار الثقافة. ٢٠٠١.

٣٨- قاموس الكتاب المقدس. القاهرة: دار الثقافة. ١٩٩٤.

٣٩- معجم اللاهوت الكتابي. بيروت: منشورات دار المشرق. ١٩٨٦.

٤٠- مجموعة من اللاهوتيين. التفسير التطبيقي للكتاب المقدس. القاهرة: ماستر ميديا. ١٩٩٧.

٤١- أحمد حجازي السقا - دكتور. من الفروق بين التوراة السامرية والعبرانية في الألفاظ والمعاني. القاهرة: دار الأنصار. ٢٠٠٤.

٤٢- أحمد ديدات – الشيخ. مناظرتان في استكهولم. القاهرة: دار الفضيلة. ٢٠٠١.

٤٣- أحمد عبد الوهاب - دكتور. البرهان المبين في تحريف أسفار السابقين. القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي. ١٩٩٨..

٤٤- أحمد عكاشة - دكتور. الإدمان خطر. القاهرة: دار الشروق. ٢٠٠١.

٤٥- آرثر كندال. التفسير الحديث للكتاب المقدس. القضاة. ترجمة بهيج يوسف. القاهرة: دار الثقافة. ١٩٩١.

٤٦- آلان كول. التفسير الحديث للكتاب المقدس. الخروج. ترجمة القس بخيت متى. القاهرة: دار الثقافة. ١٩٨٩.

٤٧- الياس مقار - القس. رجال الكتاب المقدس. ج ١ . القاهرة: دار الثقافة. ١٩٩٧.

٤٨- أنطونيوس فكري - الأب. تفسير التكوين. القاهرة: كنيسة العذراء مريم بالفجالة. ٢٠٠٨.

٤٩- أنطونيوس فكري - الأب. تفسير الخروج. القاهرة: كنيسة العذراء مريم بالفجالة. ٢٠٠٨.

٥٠- أنطونيوس فكري - الأب. تفسير صموئيل الأول. القاهرة: كنيسة العذراء مريم بالفجالة. ٢٠٠٨.

٥١ - أنطونيوس فكري ـ الأب. تفسير الملوك الأول. القاهرة: كنيسة العذراء مريم بالفجالة. ٢٠٠٨.

٥٢- بخيت متى - القس. آية في قرينتها. القاهرة: دار الفكر الإنجيلي. ٢٠٠٨.

٥٣- بولس الفغالي وأنطوان عوكر - الأبوان. العهد الجديد اليوناني. ترجمة بين السطور. بيروت: الجامعة الأنطونية. ٢٠٠٧.

٥٤- بولس الفغالي وأنطوان عوكر – الأبوان. العهد القديم العبري. ترجمة بين السطور. بيروت: الجامعة الأنطونية. ٢٠٠٧.

٥٥- بولس الفغالي - الأب. المجموعة الكتابية. سفر التكوين. بيروت: الرابطة الكتابية. ١٩٩٢

٥٦- تادرس يعقوب ملطي - الأب. التكوين. الإسكندرية: كنيسة مارجرجس باسبورتنج. ١٩٨٣.

٥٧- تادرس يعقوب ملطي - الأب. الخروج. الإسكندرية: كنيسة مارجرجس باسبورتنج. ١٩٨٨.

٥٨- تادرس يعقوب ملطي - الأب. اللاويين. الإسكندرية: كنيسة مارجرجس باسبورتنج. ١٩٨٨.

٥٩- تادرس يعقوب ملطي - الأب. صموئيل الأول. الإسكندرية: كنيسة مارجرجس باسبورتنج. ١٩٨٨.

٦٠- تادرس يعقوب ملطي - الأب. صموئيل الثاني. الإسكندرية: كنيسة مارجرجس باسبورتنج. ١٩٨٨.

٦١- تادرس يعقوب ملطي - الأب. الملوك الأول. الإسكندرية: كنيسة مارجرجس باسبورتنج. ١٩٨٩.

٦٢- تادرس يعقوب ملطي - الأب. الملوك الثاني. الإسكندرية: كنيسة مارجرجس باسبورتنج، ١٩٩٠.

٦٣- ج. أ. طومسون. التفسير الحديث للكتاب المقدس. سفر التثنية. ترجمة القس جاد المنفلوطي. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩٤.

٦٤- ج. س. كونيل. تفسير الكتاب المقدَّس. ج١. بيروت: مركز المطبوعات المسيحية، ١٩٦٣.

٦٥- ج. م. برايس. يسوع المعلم العظيم. بيروت: مطبعة قلفاط، ١٩٦٠.

٦٦- جون بالكين وآخرون. مدخل إلى الكتاب المقدس. ترجمة نجيب إلياس. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩٣.

٦٧- جرهاردفوس. علم اللاهوت الكتابي. ترجمة د. عزت زكي. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٢.

٦٨- حلمي القمص يعقوب. مدارس النقد والتشكيك والرد عليها. ج٥. الإسكندرية: كنيسة القديسين، ٢٠٠٩.

٦٩- حلمي القمص يعقوب. مدارس النقد والتشكيك والرد عليها. ج٦. الإسكندرية: كنيسة القديسين، ٢٠٠٩.

٧٠- ديريك كدنر. التفسير الحديث للكتاب المقدس. التكوين. ترجمة القس بخيت متى. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩٥.

٧١- دونالد جوثري. التفسير الحديث للكتاب المقدس. الرسالة إلى العبرانيين. ترجمة القس بخيت متى. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩٤.

٧٢- ديفيد أتكنسون. الكتاب المقدس يتحدث اليوم. سفر التكوين. القاهرة: دار النشر الأسقفية، ١٩٩٩.

٧٣- رياض عزيز قسيس - د. القس. لماذا لا نقرأ الكتاب الذي قرأه المسيح؟. القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٠٨.

٧٤- زينون كوسيدوفسكي. الأسطورة والحقيقة في القصص التوراتية. ترجمة الدكتور محمد مخلوف. القاهرة: الأهالي، ١٩٩٦.

٧٥- سعيد مرقص إبراهيم. معجم الألفاظ العسرة. القاهرة: المؤلف، ١٩٩٣.

٧٦- شنوده الثالث - البابا. سنوات مع أسئلة الناس. ج ٣،٢،١. القاهرة: الكلية الإكليريكية، ١٩٩٥.

٧٧- شنوده الثالث - البابا. الوصايا العشر. القاهرة: الكلية الإكليريكية، ١٩٩٨.

٧٨- صموئيل حبيب- د. القس. الكنيسة والتنمية. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩١.

٧٩- صموئيل شولتز. العهد القديم. ترجمة أدبية شكري يعقوب. القاهرة: مطبعة السلام، ١٩٨٣.

٨٠- صموئيل يوسف — د. القس. المدخل إلى العهد القديم. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩٣.

٨١- صموئيل يوسف - د. القس. كلامك روح وحياة. القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٠٩.

٨٢- عبد الرحمن بن ناصر السعدي. تفسير السعدي [تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان] جدة: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠.

٨٣- عزت شاكر — القس. كنيسة بلا أسوار. القاهرة: مصر الجديدة الإنجيلية، ٢٠٠٠.

٨٤- عزت شاكر — القس. من المسئول عن الشر والألم؟ القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٠١.

٨٥- عزت شاكر - القس. لماذا جُرِب المسيح؟. القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٠٦.

٨٦- علاء أبو بكر. البهريز في الكلام اللى يغيظ. القاهرة: مكتبة وهبة للطباعة والنشر، ٢٠٠٦.

٨٧- غبريال رزق الله- د. القس. من هو إسرائيل؟ القاهرة: دار الثقافة، ١٩٧٩.

٨٨- غبريال رزق الله - د. القس. شرح الرسالة إلى العبرانيين. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٤.

٨٩- غبريال رزق الله ـ د. القس. الألف سنة. القاهرة: مطبعة شمس البر، ١٩٥٨.

٩٠- غريغوريوس - الأنبا. مقالات في الكتاب المقدَّس ج٣ ، ٤، ٥. القاهرة: لجنة النشر للثقافة القبطية والأرثوذكسية، ١٩٨٨.

٩١- غسان خلف - القس. الفهرس العربي لكلمات العهد الجديد اليونانية. بيروت: دار النشر المعمدانية، ١٩٧٩.

٩٢- فاضل سيداروس اليسوعي — الأب. المجتمع ميزان الكنيسة، ١٩٧٩.

٩٣- ف.ب. ماير. حياة موسى. ترجمة القمص مرقس داود. القاهرة: مكتبة المحبة، ١٩٨٩.

٩٤- ف. ب. ماير. حياة يوسف. ترجمة القمص مرقس داود. القاهرة: مكتبة المحبة، ١٩٧٨.

٩٥- ف. ب. ماير. حياة داود. ترجمة القمص مرقس داود. القاهرة: مكتبة المحبة، ١٩٨٩.

٩٦- ف.ف. بروس. أقوال يسوع الصعبة.ترجمة نجيب جرجور. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٧.

٩٧- ف. ف. بروس. الرسالة إلى رومية. ترجمة نجيب الياس. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩٤.

٩٨- فرنسس دافدسن. تفسير الكتاب المقدس. ج١. بيروت: مركز المطبوعات المسيحية: ١٩٦٣.

٩٩- فهيم عزيز - د. القس. الوصايا العشر. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٨.

١٠٠- كريج س. كينر. الخلفية الحضارية للكتاب المقدس. القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٠٧.

١٠١- كليف س. لويس. ملحد يؤمن. ترجمة القس منيس عبد النور. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٧.

١٠٢- كوستي بندلي. إسرائيل بين الدعوة والرفض. بيروت: منشورات النور، ١٩٨٥.

١٠٣- كوستي بندلي. إله الإلحاد المعاصر. منشورات النور، بيروت، ١٩٦٨.

١٠٤- متى المسكين - الأب. الرسالة إلى العبرانيين. وادى النطرون: دير القديس أنبا مقار. ١٩٩٣.

١٠٥- محسن نعيم – القس. نبوات ورؤى. القاهرة: دار الثقافة. ٢٠٠٥.

١٠٦- محمد السعدي – دكتور. حول موثوقية التوراة والأناجيل. منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. ليبيا: طرابلس. ١٩٨٧.

١٠٧- محمد طاهر محمد المجذوب – دكتور. العقائد الوثنية في الديانة النصرانية. القاهرة: دار الشواف. ١٩٩٢.

١٠٨- محيي الدين بن عربي الحاتمي - الشيخ. الفتوحات المكية: القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٨٥.

١٠٩- مصطفي محمود - دكتور. التوراة. القاهرة: دار المعارف. ١٩٨٧.

١١٠- منقذ بن محمود السقار - دكتور. هل العهد القديم كلمة الله. سلسلة الهدى والنور. جدة: دار الهجرة. ٢٠٠٤.

١١١- منيس عبد النور - د. القس. داود صاحب المزامير. القاهرة: دار الثقافة. ١٩٨٩.

١١٢- منيس عبد النور ـ د. القس. شبهات وهمية حول الكتاب المقدس. القاهرة: كنيسة قصر الدوبارة الإنجيلية. ٢٠٠٣.

١١٣- ناشد حنا. سفر ملاخي. القاهرة: مكتبة الإخوة. ١٩٨١.

١١٤- ناشد حنا. رسالة رومية. القاهرة: مكتبة الإخوة. ٢٠٠٤.

١١٥- هربرت لوكير. كل الملوك والملكات في الكتاب المقدس. ترجمة إدوارد وديع عبد المسيح. القاهرة: دار الثقافة. ٢٠٠١.

١١٦- هربرت لوكير. كل نساء الكتاب المقدس. ترجمة إدوارد وديع عبد المسيح. القاهرة: دار الثقافة. ٢٠٠٠.

١١٧- هنرى بولاد اليسوعى- الأب. الإنسان. القاهرة: سلسلة الإيمان والحياة. ١٩٨٢.

١١٨- والتر كيزر. دعوة للنهضة. تعريب د. القس مكرم نجيب. القاهرة: مطبوعات إيجلز ١٩٩٦.

١١٩- وليم باركلى. تفسير إنجيل يوحنا. ترجمة عزت ذكى. القاهرة. دار الثقافة. ١٩٨٣.

١٢٠- وليم مارش. السفر القويم في تفسير العهد القديم. ج ١. بيروت: مجمع الكنائس في الشرق الأدنى. ١٩٧٣.

١٢١- وليم مارش. السفر القويم في تفسير العهد القديم. ج ٣. بيروت: مجمع الكنائس في الشرق الأدنى. ١٩٧٣.

١٢٢- يوسف رياض. الاختيار. القاهرة: مكتبة الإخوة. ٢٠٠١.

المراجع الإنجليزية:

123- The Expositor's Bible Commentary. V. 8. Michigan: Zondervan Publishing House. Grand Rapids. 1984.

124- The Interpreters Dictionary of the Bible.4 V. Ed. By G. A. Butrick and G. Arthur. Nashville: Abingdon press 1986.

125- The Interpreter's One-Volume Commentary on the Bible. Nashville. Tennessee: Abingdon. 1980.

126- The New Century Bible Commentary.. Genesis Grand Rapids: Eerdmans publishers. 1991.

127- The New Century Bible Commentary. Exodus. Grand Rapids: Eerdmans publishers. 1991.

128- The NIV Study Bible. Grand Rapids. Michigan: Zondervan Bible publishers. 1985.

129- The Zondervan Pictorial Encyclopedia of the Bible. 5 V. Grand Rapides: Zondervan. 1976.

130- Harper's Bible commentary. New York: Harper Collins Publishers. 1988.

131- International Standard Bible Encyclopedia. 4 v. Ed. By B. W. Bromiley and others. Grand Rapides. William B. Eerdmans. 1979.

132- Adam Clarke. Adam Clarke's Commentary on the Whole Bible. 8 v. Kansas City: Beacon Hill Press. 1977

133- Alfred Marshall. The Interlinear Greek- English New Testament. Michigan: Zondervan Publishing House. 1976.

134- C.F.Keil and F. Delitzsch. William B.. Commentary on the O.T. in ten volumes. Eerdmans publishing. Michigan.1986.

135- Chester W. Kulus. Those So-Called ERRORS. Georgia. Cleveland: Emmanuel Baptist Press. 2009.

136- David E. O'Brien. Today's Handbook for Solving Bible Difficulties. Minneapolis: Bethany House Publishers. 1990.

nessee: Abingdon. 1984.

152- Snaith. Norman H. The Interpreter's Bible Commentary. V. 3. The First and Second Book of Kings. Nashville. Tennessee: Abingdon. 1984.

153- Walter Bauer. A Greek – English Lexicon of the New Testament. The university of Chicago Press. 1957.

154- Walter C. Kaiser. Peter H. David. F. F. Bruce. and Manfred T. Brauch. Hard Sayings of the Bible. Downers Grove. IL: Inter Varsity Press. 1996.

155- William L. Holladay. A Concise Hebrew and Aramaic Lexicon of the O.T.. E. J. Brill. Leiden. Netherlands.1971.

137- Geoffrey W. Bromiley. Theological Dictionary of the New Testament. Michigan: Grand Rapids. Eerdmans. 1997.

138- Gerhard Von Rad. The Message of the Prophets. translated by D.M.G. Stalker. N.Y.. Harper and Row. 1976.

139- Harris. R. Laird. ed. Theological Wordbook of the Old Testament. 2 V. Chicago: Moody. 1981.

140- Henry. F. H. Carl. Baker's Dictionary of Christian Ethics. Grand Rapids: Baker Book House Company. 1973.

141- John Gill. Exposition of the Old and New Testaments. 9 V. London: Mathews & Leigh. 1810. Reprinted paris. Arkansas: The Baptist Standard Bearer. Inc. 1989.

142- karl Feyerabend. Pocket Hebrew Dictionary. Hebrew - English. to the Old Testament. U.S.A. McGRAW- HILL Book company. 1969.

143- Kittel. G.. and Friedrich. G.. eds.. Theological Dictionary of the New Testament. 10 Volumes. Grand Rapids. Eerdmans. 1976.

144- Koehler. L.. Baumgartner. W.. Richardson. M.. & Stamm. J. J. The Hebrew and Aramaic lexicon of the Old Testament. 4 Volumes. New York: E.J. Brill. Leiden; 1999.

145- Marvin R. Vincent. Word Studies in the New Testament. Grand Rapids. Michigan: Eerdmans Publishers. 1957.

146- Merrill F. Unger. The New Unger's Bible Hand book. U.S.A.. Chicago. Moody Press.1985.

147- Norman Geisler and Thomas Howe. When Critics Ask. A Popular Handbook on Bible Difficulties. Wheaton: Victor Books. 1992.

148- Pfeiffer. R.H.. Introduction to the Old Testament. New York: Harper & Row Publishers. 1948.

149- Rylaasdam. J. Cort. The Interpreter's Bible commentary. Exodus. V. 1. Nashville. Tennessee: Abingdon. 1984.

150- Scofield. C. I.. ed. The Scofield Study Bible. New York: Oxford University Press. 1945.

151- Simpson. Cuthbert A. The Interpreter's Bible Commentary. Genesis. V. 1. Nashville. Ten-

للمؤلف

١- أؤمن بالشفاء الإلهي. دار الثقافة. ١٩٩٥.

٢- فن صناعة المستقبل. الكنيسة الإنجيلية بالشرابية. ١٩٩٦.

٣- الكنيسة تدرك وتعلن. دار الثقافة. ١٩٩٧.

٤- أجوبة ليست سهلة. (ترجمة). دار الثقافة. ١٩٩٨.

٥- الحوار: احتياج. فن. حضارة. الكنيسة الإنجيلية بمصر الجديدة. ١٩٩٩.

٦- ملوك يهوذا. دار الثقافة. ١٩٩٩.

٧- كنيسة بلا أسوار. الكنيسة الإنجيلية بمصر الجديدة. ٢٠٠٠.

٨- من المسئول عن الشر والألم؟. دار الثقافة. ٢٠٠١.

٩- الكنائس السبع وقضايا العصر. دار الثقافة. ٢٠٠٢.

١٠- الملك الألفي. مجلس العمل الرعوي والكرازي. ٢٠٠٢.

١١- الهيكل الأخير. دار الثقافة. ٢٠٠٢.

١٢- فن الخطابة. دار الثقافة. ٢٠٠٤.

١٣- كيف تتخذ قرارًا بحسب فكر الله؟. لوجوس. ٢٠٠٥.

١٤- لماذا جُرِّب المسيح؟. دار الثقافة. ٢٠٠٦.

١٥- الإبداع في الإلقاء. الكنيسة الإنجيلية بمدينة نصر. ٢٠٠٦.

١٦- فن إدارة الحياة. دار الثقافة. ٢٠٠٧.

١٧- هل يمكن أن نُشفى من مشاعر المرارة؟ الكنيسة الإنجيلية بمدينة نصر. ٢٠٠٩.

١٨- أصعب الآيات في الكتاب المقدس. الكنيسة الإنجيلية بمدينة نصر. ٢٠٠٩.

١٩- شخصيات ميلادية. لجنة خلاص النفوس للنشر. ٢٠١٠.

٢٠- الحوار أم الكارثة. دار الثقافة. ٢٠١٠.

٢١- كنيستي كنيسة واحدة. مطبوعات نظرة للمستقبل. ٢٠١٠.

٢٢- هل يسقط المؤمن من النعمة؟ دار الفكر الإنجيلي. ٢٠١٠.

- هل إله العهد القديم يختلف عن إله العهد الجديد؟
- هل إله العهد القديم إله عنف ودماء، وإله العهد الجديد إله سلام ومحبة؟
- هل إله العهد القديم إله متردد، سريع الندم، ومحدود؟
- هل إله العهد القديم يخلق الشر ويصنع البلايا؟
- هل الإشكالية في ما يبدو اختلافًا بين توجه الله في العهد القديم عنه في العهد الجديد هي إشكالية أخلاقية أم لاهوتية؟
- هل الإشكالية تتعلق بذات الله أم بتغيير حالة البشر من عصر إلى عصر؟

هذه الأسئلة تدور في ذهن الكثيرين تحتاج لإجابة دقيقة شافية وهو ما يجده القراء في هذا الكتاب.

دار الثقافة

١٠١٠٨٨٩٩